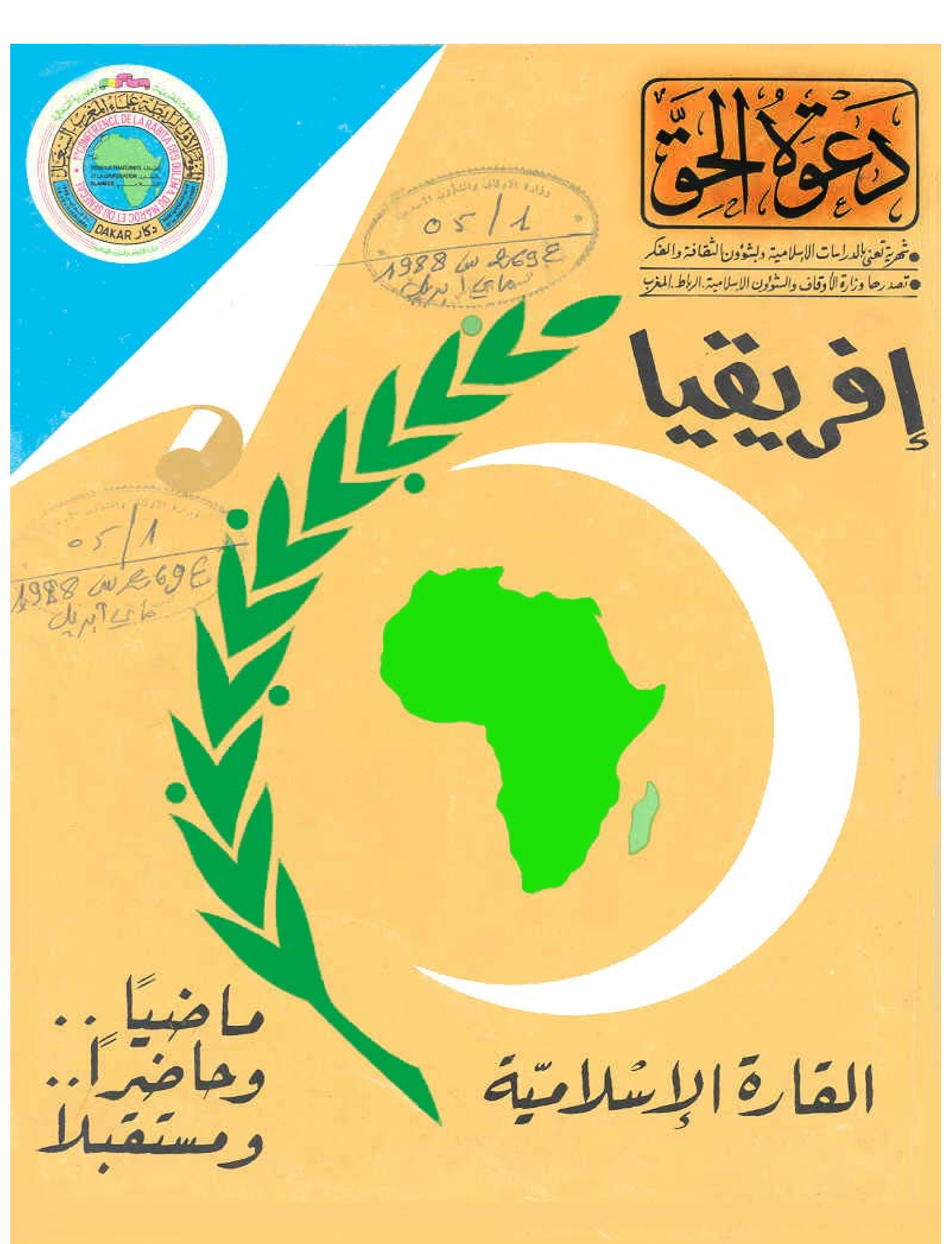

دعوة الحق
• شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
• تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب
إفريقيا
القارة الإسلامية
ماضيا..
وحاضرا..
ومستقبلا
DAKAR دكار



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط . المملكة المغربية



أسسها
جلالة المغفور له
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957 م

التحرير:
الهاتف: 623.60

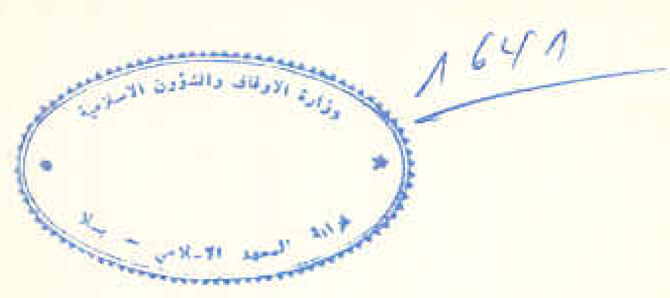
الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

*

الاشتراكات : في المملكة المغربية : 70 درهماً
في العالم : 80 درهماً

الحساب البريدي: رقم 55-485 . الرباط

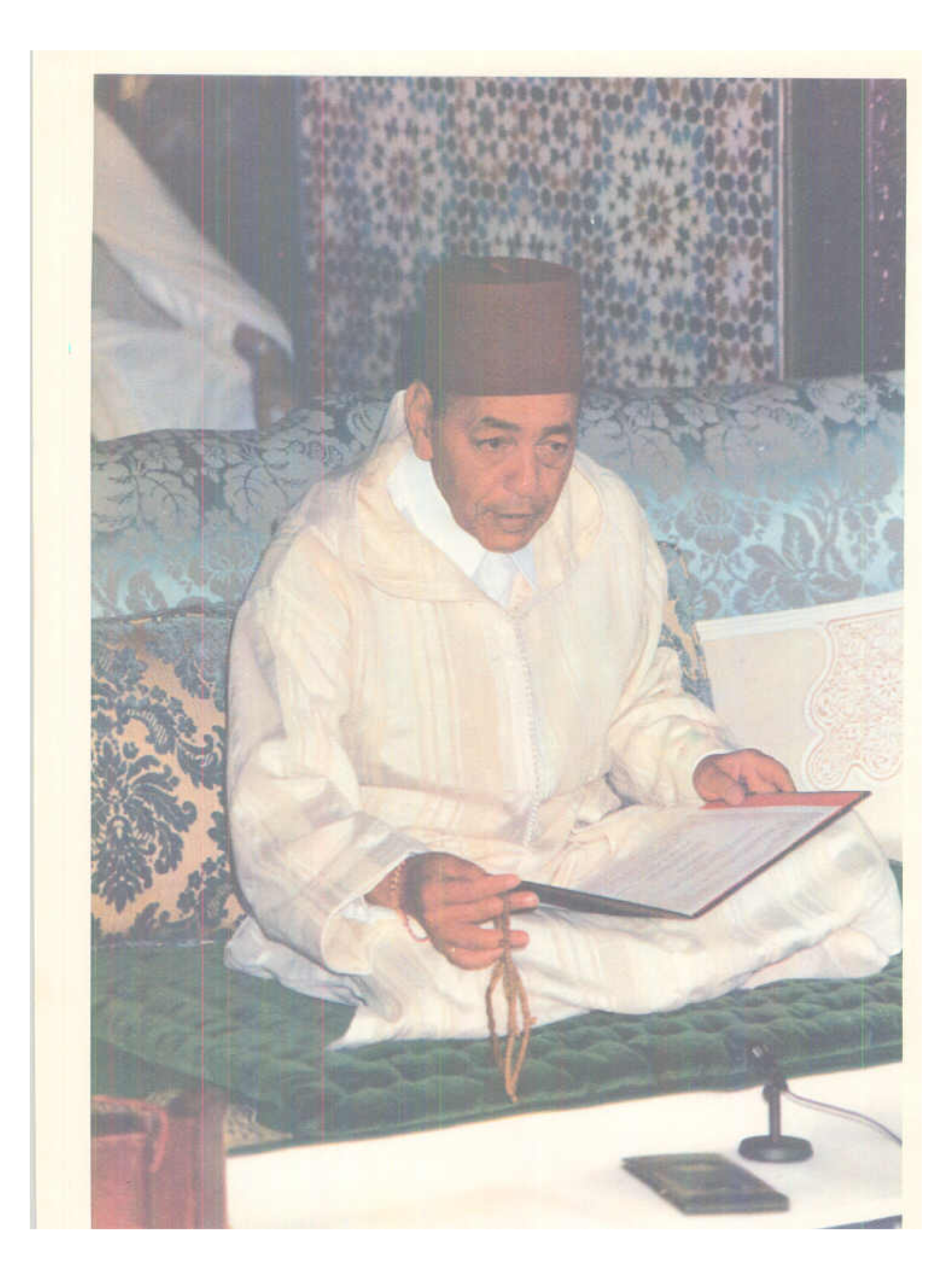
Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat



تهنئة

يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وأسرة "دعوة الحق" أن تغتنم فرصة حلول شهر رمضان المعظم لتتقدم بصادق الوفاء والطاعة والإخلاص، وآيات التبريك والتهاني إلى السدة العالية بالله أمير المومنين، وحامي حمى الملة والدين جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله وأيده، سائلة العلي القدير أن يطيل عمره، ويسبغ عليه أردية العافية والسعادة والإقبال، ويهل هذا الشهر المبارك على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها باليمن والسعادة والسلام، ويحفظ مولانا الإمام في ولي عهده المحبوب، زين الشباب صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد. وصنوه الرشيد الأمير الجليل مولاي رشيد وباقي أفراد الأسرة الملكية الشريفة، والشعب المغربي العظيم، إنه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

دعوة الحق

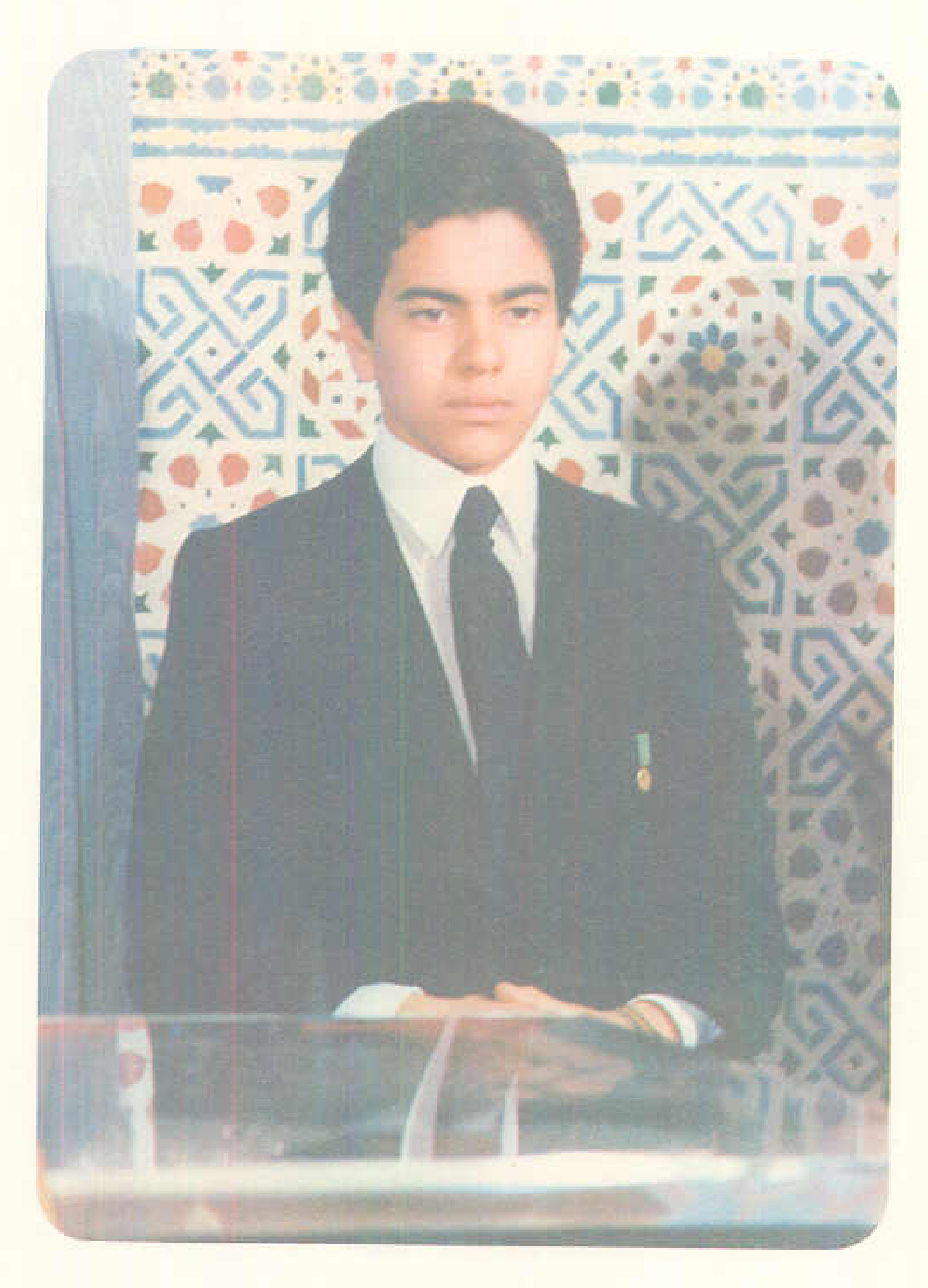






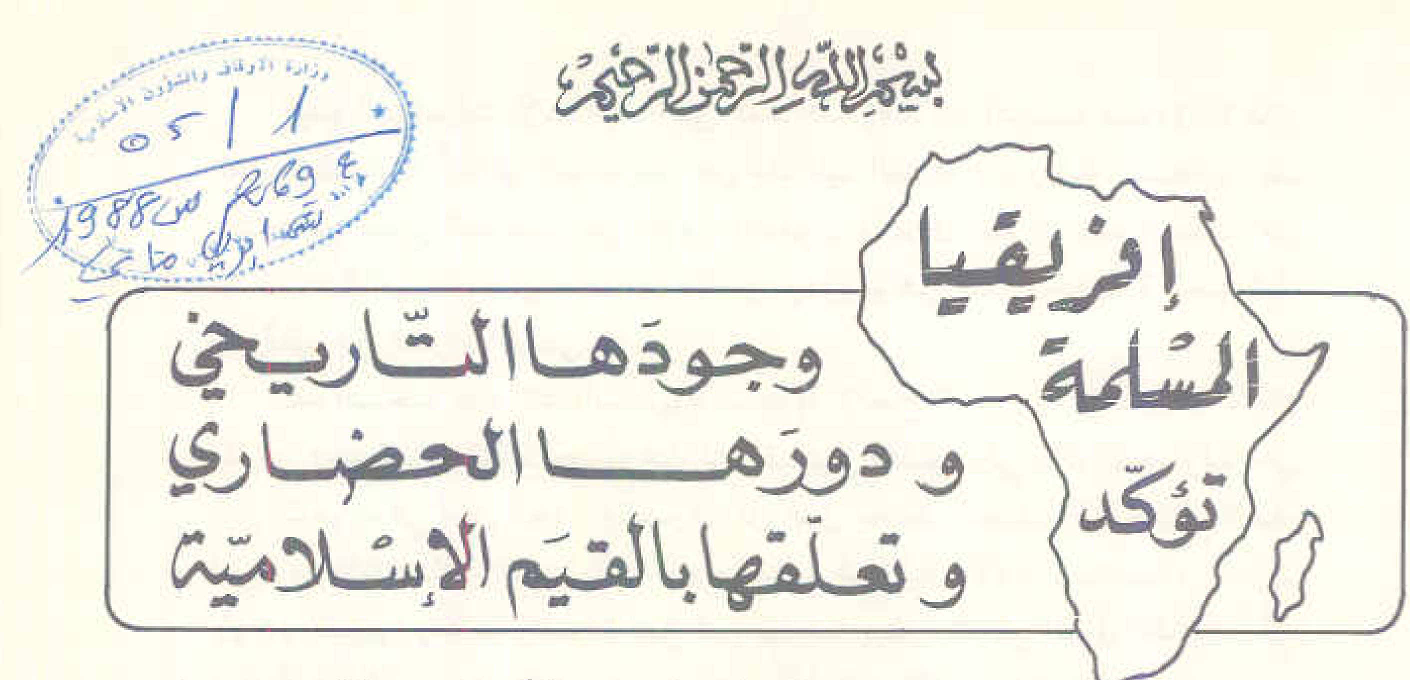
صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب الأمير الجليل سيدي محمد





صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد





لمعالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

في أجواء تعبق بطيوب الحب والمودة والإخاء، وبروح تفيض ثقة وحماسا، وتتألق إخلاصا وفعالية، وفي ظروف مواتية مسعفة تستهدف تقاربا إسلاميا خالصا، احتضنت مدينة دكار عاصمة السنغال المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسنغال للصداقة والتعاون الإسلامي، تغيا جمع كلمة المسلمين الأفارقة ليزدادوا تعاونا وتآلفا، وتناصرا وتآزرا، ويعززوا صفوفهم، ويؤلفوا قوة إسلامية في جو من الأخوة والصفاء، تكفل لهم حياة رافهة، وعزا منيعا، كما تضمن لهم فرض وجودهم في معترك الحياة، وسوح الجهاد، وتعطيهم المكانة المرموقة التي يجب أن يحتلوها على الصعيد العالمي...

وما من شك في أن هذا المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسنغال للصداقة والتعاون الإسلامي الذي انعقد في شهر فبراير الماضي، كان فرصة فريدة في تاريخنا الإسلامي في العصر الحديث، وفي منطقة غرب الشمال الأفريقي، فقد سجل تقاربا متينا حيويا مثمرا بين البلدين الإسلاميين، كما كان مظهرا لإبراز التضامن والوئام بين الإخوة المسلمين عموما فيما يعود على بلدانهم وشعوبهم وقارتهم، وعلى المسلمين بالخير المحض، والنفع العام، حتى يشعروا عن وعي يقظ، وتبصر حي، بقوتهم السياسية والبشرية، وإمكانية تسخيرها لخير شعوبهم، ولصالح الإنسان...

فهذه المؤتمرات الإسلامية، التي تعقد هنا وهناك، تفرضها مبادئ الإسلام التي تتطلب من أبنائها البحث عن حل مشاكلهم المادية والروحية، استجابة لما يعتلج في نفوس المسلمين من شؤون وشجون، وأشواق نحو الوحدة الجامعة من أبناء الأمة الوسط حتى يحددوا مكانهم ودورهم في بناء الحضارة الحديثة، وموقعهم من الصراع العالمي.

لقد أصبحت هذه اللقاءات اليوم استجابة لإلحاح الضرورة، واستحثاث الحال تفرض وجودها، وتؤكد حضورها، لتؤلف بين القلوب في ذات الله، وتؤاخي بين الشعوب في أصل الحق، وتحارب كل عمل يخدش الجبهة الداخلية للأمة، فهي، ولا شك، دلالة على تيقظ الروح الهاجد في كيان الأمة الإسلامية، وتعزيز لأواصر القربى والألفة والمودة بين شعوبها مما يبشر بتجمع القوى الشتيتة في هذا العصر الذي يمتاز بخصوصيات التكتلات والتجمعات على مستويات مختلفة، والتي تتجلى، بإذن الله، في تعاطف المسلمين على البعد، وتناصرهم على الحق، وتحالفهم على الأحداث، وتغلبهم على الصعاب والعقاب...

☆ ☆ ☆

إن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسنغال أعطانا صورة صادقة عن إخواننا المسلمين في السنغال قيادة وحكومة وشعبا، كمفكريين واعين، ومجتهدين مخلصين، وزعماء روحيين تنضر بهم الآمال الذاوية، وتزكو العزائم الخابية، ويعلق الناس على علومهم وجهودهم وحضورهم كل الأماني، ومواطنين إفريقيين، ما انفكوا ينتفضون، ممزقين حجب الجهل والتخلف، ويستيقظون من هجعتهم استيقاظ المذعور، يلتمسون طريق الخلاص، ويتمسكون بإسلامهم، ويتعلقون بوطنهم كخير ما يكون عليه المواطن المسلم الصالح الذي تراه دائما ثائرا لا يهدأ، وطامحا لا يرضى، ودائبا لا يستقر، فهو في سبيل نشر العقيدة، والتشبث بها، والتعلق بالإسلام، والعمل للدعوة له، والذياد عن حياضه وحماه، حركة دائبة لا تفتر، وتقدم بخطوات ثابتة لا تعثر، وزحف هادر لا يقف.

ومما يبعث على الرضى والاطمئنان أننا وجدنا شعبا مسلما واعيا في بلاد السنغال، كإخوانهم علماء المغرب، يبشر بتجمع القوى الشتيتة في الأمة الافريقية المسلمة يغلي حركة ودؤوبا، ويتطلع شوقا لمعرفة دينه، ويذوب وجدا لمعرفة أصدقائه، ويمد يده، في ضراعة، لإخوانه المسلمين في كل مكان لعونه ومؤازرته، وشد أزره، وينشد من رؤسائه وحكامه تحقيق مطامحه

وأشواقه ومقوماته وتطلعاته حتى يدرك ما فات، ويسترجع ما ضاع، ويتبوأ مقامه الكريم عن جدارة صائبة، وعراقة عريقة، في إطار حياة تقوم على الإيمان المحض، والإحسان الخالص، وحتى لا يبقى المسلمون أشتاتا وأوزاعا لا تؤلف بينهم وحدة، ولا يجمعهم نظام...

☆ ☆ ☆

وإننا لنتيمن بهذا البعث الإسلامي الرائع وصحوة المسلمين في هذا البلد الأمين، ونعتبره فجرا صادقا بدأت تلوح إشعاعاته المتألقة في غربنا الإفريقي الإسلامي، لا يلبث، بإذن الله، إن يعم سناه وضياؤه الآفاق في بقية الجهات...

لهذا سادت الفكرة الإسلامية في هذا اللقاء، الذي تم بين علماء المغرب والسنغال وغيرهم من علماء المنطقة، فأحس المسلم معها أن إخوانه سواسية، متفقون فى الشعور، متحدون في الوجهة، متعاطفون في المكروه، متناصرون في الشدة، فلا يتنابذون بالمذهب، ولا يتنافرون في الوجهة، ولا يتعادون في الخلاف، وأنه ليس لمسلم فضل على مسلم إلا بالتقوى، وأن عقيدة التوحيد هي نواة الإصلاح، ونقطة التحول التي تملك غرس الوئام في النفوس، وإقرار السلام في العالم، فلا تبقى معنى للنعرات الطائفية والمذهبية التي طالما غرسها الاستعمار الكافر، وعمق جذورها في الأرض، وبثها في نفوس المذبذبين تحقيقا لمطامعه وأغراضه وشهواته، حتى ابتدع له فكرة الزنوجية في محاولة لغلق الوجود الإفريقي وحبسه في إطار فلكلوري، وتصويره في صور سياحية يرى فيها الأروبي متحفا للغرائب، ومعرضا للعجائب الاستوائية.

☆ ☆ ☆

وإن مما يحيي النفوس، ويثلج الصدور، وينعش الآمال أن أبناء إفريقيا اليوم الذين تعرض تاريخهم لتعتيم منهجي، ولتشويه منظم، ولتخريب مقصود، والذين غضبوا للإهانة، وثاروا للعدوان. فتحرروا من ربقة الاستعمار، في تموجات حركية دائبة، وقوة إيمانية صادقة صامدة، لتأكيد الذات، وإعلان الحضور، في تآزر ووحدة وانسجام، مدركين أن تناقض المذاهب، وتعارض الشرائع، وافتقاد الإنسانية لذلك النظام الإلاهي الذي يسدد خطاها، ويحفظ قواها، ويصون تاريخها وثقافتها وعقولها ودينها ودنياها من الفوضى العبثية، والتزييف الكاذب مما يكون سببا في تأخير الأمة وتخبطها في دياجير التخلف والجهالة...

وإنه ما فتئت تلك الحملات المغرضة تحاول الكيد للإسلام، وتنال منه، وتجهز عليه، والتي كانت وما تزال يغذيها لصوص الضمائر، وأبالسة الجن، وسماسرة الأديان، وشياطين القلوب، الذين اضطرهم اليأس أو البؤس إلى الاتجار بالدين، والعبث بعقائد الناس، والعيش على ضلالات العقول، وسفاهات الألسن، وحزازات النفوس، وتخدير المشاعر...

إن إفريقيا اليوم، واعية بمسؤوليتها، مقدرة ظروفها، مدركة لما يحيط بها، فقد حقق الإسلام لها كلّ أمانيها، وحرّرها من إسار الجمود والجحود،فكان لها النصر المؤزر، والفلج والظهور، فلم يزل الاستعمار والتبشير يرجع إلى الوراء، خاسئا مدحورا، حتى عاد كالعرجون القديم، ثم ولى مدبرا، ولم يعقب...

ولربما كان ظفر الإسلام في إفريقيا اليوم أعظم ظفر لاقاه المبشرون المسلمون حديثا.. فقد قال مبشربر وتستنتي فرنسي : «ما برح الإسلام يسير التقدمية منذ نشوئه حتى اليوم، فلم يعثر في سبيله إلا القليل، وما نراه يسير في جهات الأرض حتى بلغ قلب إفريقية، مذللا أشق المصاعب، ومجتازا أشد الصعاب، غير واهن العزم، فالإسلام حقا، لا يرهب في سبيله شيئا، وهو لا ينظر إلى النصرانية منازعته الشديدة، نظرة المقت والازدراء، فلهذا هو حقيق بالظفر والنصر، إذ بينما كان النصارى يحلمون بفتح إفريقية في نومهم، فتح المسلمون جميع بقاع القارة في يقظتهم.

لقد أورد بعض القادة الأفارقة في ترجمة حياته تصويرا دقيقا كيف عمد الاستعمار في إفريقيا، إلى اتهام الإسلام بالجمود والخمود، وعدم القابلية والنباهة، فكان يفت في الأعضاد، ويفُلُّ غَرْبَ العزائم إلى تحريف التاريخ، وتزييف الوقائع، وإفساد الثقافة، وتخذير العقول، وإفساد النشء والشباب والايفاع، حيث يقول : «لقد تعلمنا نحن الإفريقيين في مدارس الاستعمار تاريخ فرنسا، وحروب الغال، وحياة «جاندارك»، ومعارك «نابيلون»، وقرأنا سفر «لامرتين»، ومسرح «موليير»، ودرسنا التنظيم الإداري لفرنسا كما لو كانت بلادنا إفريقيا دون تاريخ، ودون واقع جغرافي ودون ثقافة، ودون قيم، ودون أخلاق، وقدم الاستعمار لنا من العلم والثقافة القدر الذي يرى أنه يخلق منا آلات ترتبط مصالحها بعجلة الاستعمار، هكذا تحددت طبيعة التعليم في ظل الاستعمار.

لقد أراد الاستعمار للمثقفين أن يفكروا «بديكارت» «وبرجسون» ولم يسمح لهم بالتفكير في قيمهم وثقافتهم وتراثهم الإفريقي...

لهذا لا يعرف كثير من شبابنا فلسفة المفكرين الإفريقيين أمثال المناضل الوطني «الحاج عمر» و «أحمد ساموري» وإذا استمر الأمر بنا على هذا النحو، فلن نستطيع أن ننمي شخصيتنا الإفريقية التي هي الطريق الوحيد للنهضة في إفريقيا...»

☆ ☆ ☆

إن الأمة ذات الرسالة الخالدة لا يمكن قهرها، والتغلب عليها أو تفكيكها، أو فصلها عن بقية أجزائها. فهي دائما في مناعة صامدة، وحصانة واقية تحفظها شر العثرات ووخيم المغبات.

وإن العرب جزء من إفريقيا، منذ كانت ومنذ كانوا وجودا متكاملا جغرافيا وبشريا وثقافيا... لذلك بقيت العلاقات الإفريقية العربية تتحدى كل عمليات التزييف لسبب واحد وبسيط، هو أنها حقيقة تاريخية صنعتها الشعوب وآمنت بها، وكافحت دونها، فلا ينسخها التجاهل، ولا يزيلها الكذب المحض، ولا يرفعها البهتان البحت، ولا يغيرها التأويل، ولا يبدلها التفسير...

وإن أساس الأمة الإسلامية الدعوة إلى الله بالتي هي أقوم وأحسن، وأدعى إلى القبول، والسعي والجهاد، وتمام الحجة على العباد.

والأمم المومنة تعلم أنها لا تنهض، ولا تلمع ولا تسود على العالم إلا برسالتها الحق، أو بما تنطوي عليه من صالح البشرية وبما تستطيع أن تقوم به من ثورة عارمة، واحداث انقلاب في الطقوس البالية الفاسدة الكاسدة.

ويجب أن نعتقد مومنين ما يراه شاعر الإسلام د. محمد إقبال الذي يومن بأن المسلم الحق لم يخلق ليندفع مع التيار، وكأنه صَعْدَةٌ نابتة في جُرُز، أينما الريح تحركها تمل.. أو يساير الركب البشري حيث اتجه وسار، بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض على البشرية اتجاهه، ويُمْلِي عليها إرادته، لأنه صاحب الرسالة، وصاحب العلم، ولأنه المسؤول عن العالم وسيره واتجاهه، فليس مقامه مقام الاتباع والتقليد، إن مقامه الإمامة والقيادة، ومقام الإرشاد والتوجيه، ومقام الآمر والناهي، فإذا عصاه المجتمع، وتنكر له الزمان، وانحرف

عن الجادة، لم يكن لـه أن يستسلم، ويضع أوزاره ويستغرق في هجعتـه، ويدلج في ظلمته، ويسالم الدهر، بل عليـه أن يثور، ويتمرد ويتعنت، ويظل في صراع معه، وعراك مستمر مستديم.

☆☆☆

لقد دعا صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله إلى عقد هذا المؤتمر الإسلامي الناجح.. كما فكر وسعى قَبْلُ إلى إيجاد هـذه الرابطـة الإسلاميـة المغربية السنغالية سعيا لتوحيد الصف وجمع الكلمة، وضم الآراء، وسبيلا إلى الوحدة المرجوة بين أبناء المسلمين حتى تبلغ غايتها المرجوة، وشأوها البعيد، وأمدها المرسوم، بعد أن قد رأى ما عليه العالم الإسلامي من تناحر وتخالف واستغلال صارخ للدين والشريعة، فأهاب بالعلماء، أن يضموا الصفوف، ويجمعوا أمرهم وشركاءهم، حتى لا يكون أمرهم عليهم غمة، ويوحدوا خطتهم، ويأخذون بالمذهب الواحد الذي يعصم من الزلق والفتنة، واختلاف الآراء، وتوزع الأهواء.

☆☆☆

وبألمعية متوقدة، وذكاء لماح، وإدراك واع، خاطب فخامة رئيس الجمهورية السنغالية السيد عبدو ضيوف المؤتمرين، وهو يعلن عن افتتاح اللقاء الإسلامي الكبير، مشيرا إلى جهود صاحب الجلالة أمير المومنين الحسن الثاني حفظه الله الذي عمل من أجل إنجاح المؤتمر فقال :

«يطيب لي ويسعدني أن أحيي أخي وصديقي جلالة الملك الحسن الثاني وأنوه بمبادرته لتنظيم هذا اللقاء الذي يجمع لأول مرة في التاريخ رجالا أفذاذا وعلماء أفاضل أتوا من المغرب والسنغال للحوار والتداول في قضايا إسلامية رغبة في التقريب بين آرائهم، ووجهات نظرهم، وتحقيق إجماعهم لصالح الأمة الإسلامية...

وبالإضافة إلى الهدف الذي لا تخفى دلالته، ولا يستهان بأهميته، فإن لقاءكم، أيها العلماء الأفاضل، يندرج في ما للشعبين وقائديهما من حرص شديد، وعزم أكيد، على تعزيز أواصر الصداقة العريقة التي نسجها التاريخ وأحكم عراها بين البلدين، وعملت الأجيال السابقة في كل وقت وحين، على تنميتها وتوسيع مجالها.

وما ينبغي التأكيد عليه والوقوف عنده، أن هذه المبادرة التي تفضل بها جلالة الملك الحسن الثاني لا تمثل سوى جانب واحد من اهتمامه الفائق بالعلم والعرفان وسعيه بوصفه، أمير المومنين، في بلورة تعاليم نبينا خير الانام عليه الصلاة والسلام، وتخليد تراث ثقافي لا يخلو من غنى وثراء يتلقاه الخلف عن السلف، ويعد جلالته من أحرص العاملين على مواصلة التشبث به والاستمرار في الاعتزاز به، وجامعة القرويين الشهيرة التي تم بناؤها سنة 895 ميلادية في فاس، مدينة العلم والإشعاع، أليست من أقدم الجامعات وأعرقها في العالم إلى جانب جامعة بولون ؟

وكما يشهد العالم كله بذلك، فإن أهمية إسهام جلالته في التنمية العلمية والاقتصادية وفي إحياء الثقافة والحضارة الإسلامية والنهوض بهما لم تعد تحتاج إلى برهان أو دليل».

تلك شهادة مخلصة صادقة، صريحة مسؤولة، صادرة من رئيس جمهورية مسلم في أخيه جلالة الحسن الثاني حفظه الله الذي يعمل على ترسيخ القيم الدينية، ويرعى الحركة الفكرية والعلمية في شتى المجالات في بلاده، وغيرها من الأقطار الشقيقة والصديقة، ويسعى جاهدا لإتمام الحضارة المغربية المتفتحة، ويحرس القيم والمثل السامية الإسلامية بيد أمينة، وتبصر واع وحكمة إلاهية، مما يدعو إلى الفخر والاعتزاز، ويبقى مخلدا في جبين الدهر، ومسطرأ على صفحات الخلود...

الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

الخطاب السامي لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في عيد العرش المجيد



وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله خطابا ساميا إلى الشعب المغربي بمناسبة عيد العرش المجيد وقد أبرز العاهل الكريم في مستهل الخطاب السامي عمق المغزى والمعاني من تخليد عيد العرش المجيد الذي تجمع فيه القلوب على تكريم وتمجيد الوفاء والإخلاص لأسمى معاني الائتلاف بين الملك وشعبه.

وذكر جلالته حفظه الله بمشاعر الحب والوفاء والارتياح التي تغمر دائما قلوب الآباء وقلوب الأبناء كما ذكر جلالته بالقيم العالية التي اتصف بها ملوك المغرب الذين تعاقبوا على عرش البلاد من أجل حرية وراحة رعاياهم وجمع شمل البلاد وتحرير أراضيها وإعادة استقلالها وكرامتها.

وفيما يلي النص الكامل للخطاب السامي:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز

إن من نعم الله علينا أن اختار لنا يوما يفد علينا كل عام، وميزه بأبهى طلعة وجعله أحفل أيامنا بالدلالات وأوفاها حظا من المعاني.

ومثل هذا العطاء الذي كتب الله لنا أن نتملى حامدين شاكرين نعماءه لا ينزل بساحة معاشر الناس كلهم، وإنما هو رحمة يختص الله بها من يشاء من الأمم والشعوب.

لقد من الله علينا فأقام لنا عيداً تجمع فيه القلوب على تكريم وتمجيد الوفاء والإخلاص لأسمى معاني الائتلاف بين الملك وشعبه، وعلى تكريم وتمجيد أقوى وأعمق عاطفة حب متبادلة بين من استرعاه الله أمر شعبه وبين الشعب الذي تحيط به رعاية الراعي المتجلية الحاضرة في كل ظرف، الشاملة الغامرة في كل حين.

إن اللقاء التاريخي الذي تيسر بين الأمير الذي اصطفاه الله فألقى إليه مقاليد الأمور وبين الشعب الذي أهله الله لأن يحاط بأكرم رعاية ويخص بأعظم اهتمام ليرمز إلى جلاله ورواثه هذا العيد الأغر، الذي يحتفل به المواطنون المغاربة كل عام في مثل هذا اليوم أينما وجدوا من أقطار الدنيا، وتفتن أفراحهم في التعبير عن مشاعر الارتياح والاطمئنان، والرضاء والهناء، الجياشة على حد سواء في قلوب الآباء وقلوب الأبناء.

لقد أضفى الله على هذا اللقاء من مطارف يمنه السابغة وأردية بركاته الواسعة، ما جعل الخواطر والنفوس تفيض كلما حل هذا العيد بأطياف الماضي وذكريات بطولاته وأمجاده، وما وفق الله إليه الجهود المتضافرة المتآزرة وأنجزته العزائم الملهمة المتناصرة.

وطبيعي شعبي العزيز أن تتوثق بيننا وبينك على امتداد الأعوام، أواصر الإعزاز والألفة والثقة، وأن تستحكم الوشائج التي يولدها الطموح المشترك والآمال المشاعة، والأهداف التي تحددها إرادات كانت تراها ملائمة صالحة فتفاوتت حظوظ هذه الدول من التوفيق متوافقة همها الأكبر أن تشيع في البلاد وتتمكن أسباب الرخاء والازدهار.

لقد عهد الله إلى ملوك المغرب الذين تعاقبوا على عرش البلاد منذ ذلك اليوم الذي شاءت فيه إرادة الله أن يرتفع بنيان الملكية فوق أرض وطنك بأن يصرفوا اهتمامهم إلى مصالح الرعية ويكفلوا رعايتهم لصغيرها وكبيرها.

وقد سعت كل دولة خلت من الدول المتعاقبة إلى الاضطلاع بالأعباء وأداء الواجبات بالطرق التي كانت تراها ملائمة صالحة فتفاوتت حظوظ هذه الدول من التوفيق، وأبقى الله لبعضها بما أبلته سياستها من بلاء حسن ذكراً عالياً وصيتاً بعيداً في الخافقين.

وتسلمت أسرتنا مقاليد الملك فجعل أجدادنا الميامين من أغراضهم الأكيدة وأهدافهم القريبة والبعيدة لم شعث البلاد وجمع شملها وتحرير أراضيها وإعادة وحدتها كما قصدوا إلى تأمين اليسر والطمأنينة للشعب، والنباهة ورفعة الشأن للمملكة. وتصرف ملوك أسرتنا طوال قرون وهم يدبرون شؤون المملكة ويسوسونها تصرف من تحتل كرامة البلاد وسعادة الشعب المنزلة العليا من اهتمامهم والمقام الأسنى من مشاعرهم وأفكارهم، وأخذوا نفوسهم بالمحافظة على ما تمتاز به الشخصية المغربية من ملامح وعلى ما تزخر به الديار من تراث حضاري، وكان كل من ملوك الأسرة العلوية يشعر شعوراً قوياً بأن عليه أن يسلم

ما تلقاه من سلفه إلى من سيأتي من بعده كاملاً، غير منقوص بل أكثر ثراء وأعظم شأناً.

وفي أثناء هذه القرون كان من حسن طالع المغرب أن تمكن الوئام بين الملوك وشعوبهم كما تعززت الثقة، واستحكمت المحبة واتحدت المقاصد وتكاثفت المساعي ويسر الله لهذا الدأب المشترك ولهذه الإرادات والهمم المتلاحمة إدراك ما تصدت له الجهود وبلوغ ما ترامت إليه الأماني.

جاهد محمد الخامس في سبيل رقي رعيته

واستمرت سفينة المغرب تمخر العباب تجري بها تارة رياح طيبة وتارة تعترض سبيلها المصاعب، وتلوح في أفاقها المخاطر، وكان ربابنتها يواجهون المشاكل بحزم وإصرار، ويغالبون الأهوال بمضاء العزيمة وقوة الشكيمة، ومضت الأحقاب تلو الأحقاب على هذه الوتيرة من اليسر والشدة إلى أن تألبت الأطماع، وأخذت قواه المنتشرة تزحف خاطفة ناهبة غاصبة تتحيف المغرب من أطرافه وتشرئب إلى عقر الدار، وفرض السيطرة الكاملة التي لا ترد ولا تجادل ولا تنازع.

إزاء هذا الخطر الداهم، حاولت السلطة المغربية المركزية أن تقاوم الزحف، وتصد العدوان ولكن الأطماع التي امتدت إلى البلاد، وأحدقت بها من كل جانب، اصطنعت جميع أساليب الكيد لبث الفوضى ونشر الاضطراب، وتوهين الضمائر والنفوس وخلق الأزمة وتمهيد الطريق لنجاح مؤامرة انقضاض المصالح الجامحة والاستيلاء العسكري الغاشم، كل هذا جعل المقاومة المغربية واهية كليلة الحد، عاجزة عن الصمود ودفع المكروه لا يسعها إلا الإذعان والاستسلام.

وانتظر المغرب اعتلاء جلالة والدنا محمد الخامس طيب الله ثراه عرش آبائه وأجداده، ولم يمض على إمساكه زمام القيادة إلا زمن يسير، حتى نشطت الآمال من عقالها واختلجت في النفوس أحلام استرجاع الحرية السليبة والاستقلال الضائع.

وجاهد جلالة الملك محمد الخامس رضي الله عنه وأرضاه، ما وسعه الجهاد في سبيل رقي شعبه ونقله من طور حسن إلى طور أحسن وإحلاله المنازل المرموقة واحدة بعد أخرى، مستعملاً في علاقته بالاستعمار تارة المياسرة واللين، وتارة أخرى المعاسرة والشدة، إلى أن حان وقت إعلان ما في السرائر من مطلب عزيز فصدع جلالة محمد الخامس نور الله ضريحه، في شجاعة الملك المخلص المؤمن المقدام بالرغبة القارة الشائعة في قلب كل مغربي ومغربية، وحاول بعد ذلك دون جدوى أن يقنع الاستعمار بأن لا مناص من الاستقلال وأن الاستقلال هو الوسيلة الوحيدة الصحيحة السليمة الصالحة لخلق أواصر صداقة وتعاون متينة ولكن الاستعمار ثارت ثائرته وطاش صوابه فاقترف من الأعمال الشنيعة ومن الأخطاء الفادحة ما عجل بنهاية نفوذه وسلطانه.

عم تفكيرنا وتفكيرك كل ميدان

وعاد جلالة محمد الخامس رحمه الله وأسرته من المنفى السحيق إلى الوطن الحبيب، بعد الاغتراب الإجباري المنكر والفراق الشاق الأليم.

وهكذا قيض الله للمغرب جلالة محمد الخامس الذي استطاع هو وشعبه أن يمحوا بما خاضاه معا من جهاد صادق مرير آثار الأزمة التي دبر الاستعمار خلقها واتخذها ذريعة لاحتلال البلاد.

وهكذا أتاحت ثورة الملك والشعب للوطن الذي عانى ردحاً من الزمان شدائد التحكم والاستعلاء أن يستأنف مسيرة الحرية والاستقلال.

وانتقل جلالة محمد الخامس قدس الله روحه إلى جوار ربه بعدما أدى الأمانة أحسن وأكرم أداء، وبعدما شرع لشعبه وخلفه آفاق التجديد والبناء والتحديث والإبداع.

وشاءت إرادة الله أن نخلف والدنا المشمول برحمة الله وغفرانه على عرش آبائنا وأجدادنا وأول ما وافى ذاكرتنا في ساعة النهوض بالمسؤولية الكبرى، ما فرضه الله من واجبات على من قلده أزمة حكمه، وملكه أمور خلقه، فلم يغب عنا في تلك اللحظة أن السلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا يعتقدون أن من خصه الله بسياسة الرعية وشرفه بأن ألقى إليه مقاليد الرئاسة والقيادة، هو حمى الله في بلاده وظله الممدود على عباده.

وانطلاقاً من هذا التعريف الذي اعتمدناه قاعدة دستورية إلزامية تصدينا لحاجات المغرب المختلفة، وطفقنا نمعن النظر في كل مجال من مجالات الاحتياج ونعد العدة لمواجهة المشاريع ونضع المخططات ونقوم بالإنجاز هنا وهناك لا تكل لنا عزيمة، ولا تسأم إرادة ولا يفتر أو يتوقف مجهود، فعم تفكيرنا وتفكيرك شعبي العزيز، كل ميدان وشمل نشاطنا ونشاطك كل واجهة تبين لنا أنها حرية بأن يتولاها ويسرع نحوها الاهتمام الفعال فلم يبق جانب من جوانب الاقتصاد والاجتماع والثقافة والسياسة لم تتناوله مبادراتنا ولم تتخذ فيه أنجع التدابير ولم يفض ما قصرنا عليه من مجهود إلى مرموق النتائج وأطيبها. وعلى هذا النحو انطلقنا نحن وأنت شعبي العزيز، في ظرف قصير بعقولنا وعزائمنا وسواعدنا، نوسع رحاب البناء ونقيم المصانع والمنشئات ونشق الطرق ونمد الجسور والقناطر ونشيد الموانئ على امتداد سواحل البلاد ونبني السدود ونعلي صروح العرفان ونضاعف وسائل نمو الفكر وازدهار الثقافة.

ولم ينحصر المجهود في هذه الدائرة على رحبها واتساعها وإنما امتد إلى مجال آخر تعتلق به نفسنا اعتلاقاً شديداً ذلك هو المجال السياسي، فحققنا بتأسيس الملكية الدستورية وتثبيت دعائم الديمقراطية أمنية غالية من أماني جلالة محمد الخامس وأمانينا وأنشأنا ما تستلزمه الديمقراطية الحقة من مؤسسات، وعززنا ما تقتضيه من حريات وبذلنا ضمان الصيانة والحماية لحقوق الأفراد والجماعات.

وبهذه الأعمال والمنجزات التي مافتئت تضفي على محيى بلادنا ملامح جديدة وتفرغ على إهابها أردية تتلاحق زاهية قشيبة، دفعنا فرحين مستبشرين ببلادنا إلى صميم وبحبوحة العمر الحديث، دون تفريط في جانب نوليه أكبر حظ من اهتمامنا ونحرص على أن يظل محاطاً بسياج من الصيانة والوقاية، وهذا الجانب يتمثل في الشخصية أو الخصوصية أو الأصالة التي تطبع المغرب بطابع التفرد والامتياز والتي يسوءنا كثيراً أن يصيبها أذى التزييف والتنكير.

هذه المبادرات الناجحة المتلاحقة شعبي العزيز وهذه الأعمال الإيجابية المترادفة التي يسرنا الله إلى سبيلها ووفقنا إلى كثيرها وجليلها، لم يكن لنا فيها سند إلا العناية الربانية، ولا معتمد إلا رصيد ما بيننا من أواصر وثيقة وطيدة وما يشكله شعبنا ونجابة وعبقرية شعبنا من ثروة عريضة طائلة.

تغلبنا باستمرار على جميع قوى الشر والسوء

شعبي العزيز :

لقد وفقنا الله غداة جلوسنا على عرش أجدادنا الكرام إلى رسم وتحديد أهداف العمل الذي

عقدنا العزم على مباشرته وإنجازه. وهذه الأهداف أردناها أن تكون متسمة بالبساطة مطبوعة بالاتساق في آن واحد. فعندما كنا نجد أنفسنا في مواجهة نزاعات كنا نحاول جاهدين أن ندلي بالحلول الكفيلة بأن تصون أقوى ما تكون الصيانة سلامة وحدتنا الاجتماعية والترابية وبأن ندخر لكل واحد وللجميع أكثر ما يمكن من فرص لإدراك أسباب السعادة.

ولم يفتأ المغرب يتصدى برباطة جأش وبشجاعة لما كانت تتعرض له سلامة وحدته الاجتماعية والترابية من مؤامرات مختلفة وقد استطاع وطننا بما أمده الله من عون وتأييد وبما أشاعه في قلوب شعبه من إيمان أن يتغلب باستمرار على جميع قوى الشر والسوء.

وهكذا ذللنا المصاعب العديدة المختلفة، التي اعترضت سبيلنا وقهرناها واحدة بعد أخرى.

يتوافر للمغرب اليوم شعبي العزيز تجهيز أساسي يدعو إلى الاعتزاز وان اقتصادنا الذي تآزر القطاع العام والقطاع الخاص على صنعه ليتسم فيما يتسم به بالتنوع والمرونة.

لقد ازدادت جودة منتجاتنا على توالي الأعوام وتعززت قدراتها على المنافسة وتحول المغرب من بلد مستورد إلى بلد مصدر نشيط التصدير في قطاعات عديدة.

وقد حان وقت حث حركة التنمية على الإسراع وذلك باستنادنا إلى تنوع المبادرات وتعددها ويتعلق الأمر فيما يتصل بالمغرب بتعلية أقوى لقيمة موارده بوجه عام وموارده البشرية بوجه خاص.

ولا يمر علينا يوم دون أن يؤكد بلدنا ويتناول بالتهذيب في هدوء ويسر اختياره للنهج الاقتصادي وللمجتمع الليبراليين.

وإذا نحن وضعنا شعبي العزيز هذا الاختيار في سياقه الجغرافي بدا لنا المغرب قادراً على الدخول مباشرة في النظام المفتوح القائم على التنافس الذي هو نظام السوق الأوربية المشتركة. على أن أوربا هذه تمر هي الأخرى بمرحلة تحول يقترن بما يتراءى في آفاق سنة 1992 وما اصطلح على نعته بالعمل الواحد في السوق الواحدة.

الاقتصاد الحر أفضل اختيار

ولما لاقتصاد المغرب ولرجاله من يقين بالاقتدار على التحكم في التطور الخاص بهم فإنهم يستعدون للانصهار المطبوع بطابع الانسجام في هذه المجموعة الواسعة.

وإننا لمقتنعون الآن شعبي العزيز بأن الاقتصاد الحر هو أفضل اختيار لتعبئة الطاقات الخلاقة. ومن خلال هذا الاقتصاد الحر تبرز وتتعدد المبادرات الفردية أو الجماعات وما الاستثمارات وتحسن نمط الحياة إلا انعكاس وظلال لهذه المبادرات.

إن الدولة لتباشر تبديلاً في تصرفها وسلوكها تبعاً لهذه الدينامية الجديدة. لقد كانت الدولة تقوم بدور الإسعاف ودور التكفل فأصبح الآن دورها أن تساير الاقتصاد الليبرالي وتؤمن له جودة المسير.

لقد شرعت الدولة في إدخال إصلاحات تنتظم جميع المجالات متوخية أن يتم التغيير الناشيء عنها بحكمة ولباقة.

وستشهد السنوات المقبلة إن شاء الله مواصلة هذا التغيير. إن إدارتنا التي اضطلعت منذ الاستقلال بدور أساسي في نمو وطننا الاقتصادي والاجتماعي بما امتازت به أطرها من كفاية وإخلاص، مفتقرة إلى أن تتطور حتى يمكنها أن تتكيف وفق متطلبات الاستثمار الجديدة.

وسيكون لزاماً أن تخضع تنظيمات الجهاز الإداري سواء في المستوى المركزي أو المستوى المحلي لعمليات التبسيط والتليين وتصبح أكثر مرونة وتشكل في نهاية المطاف مناخاً ملائماً بطبيعة الحال لحرية المبادرة.

إن المجتمع الليبرالي شعبي العزيز، مجتمع يخالف أتم المخالفة المجتمع الذي تتحكم فيه الفوضى، المجتمع الليبرالي هو مجتمع القانون وهذا يعني أن كل واحد فيه والإدارة أحد أفراده له حقوق وعليه واجبات وهو بالإضافة إلى هذا مجتمع يتألف من مواطنين يتمتعون بالكرامة والاستقلال ويتحلون بروح المسؤولية.

إن الإصلاحات التي همت الميدان الجبائي ونظام الصرف وترشيد القطاع العام وتحرير التجارة الخارجية، تتآزر كلها لتخويل الاقتصاد الليبرالي قواعد سليمة مطبوعة بطابع الدينامية.

تفتح المغرب على المنافسة الدولية

لقد تفتح المغرب على المنافسة الدولية وغدا يسهم فيها بصورة نشيطة إلا أن الإطار القانوني الذي يجري فيه نشاط المقاولات يجب أن يتطور لتزداد هذه المقاولات قوة واستقلالا وتصبح بالتالي قادرة على الاستغناء عن المساعدة العمومية المباشرة وبديهي أن تجد الاستثمارات الدولية مكانها في هذه البنية كما تجد الاستثمارات المغربية من جهتها مكانها الطبيعي في الصناعة والتجارة العالميتين وتشكل هذه العلائق عوامل تجديد وإبداع وثراء يستفيد منها المجتمع المغربي بصفة مباشرة.

والمجتمع الليبرالي يعني بالإضافة إلى هذا العدل والإنصاف فيما يتصل بمكافأة الجهود الفردية والجهود الجماعية.

وهكذا فإن الدولة أخذت تخفض نسب الضرائب إلى جانب تخفيضها للإمتيازات الجبائية، وهذا انطلاقاً من أن الاقتطاعات لا ينبغي أن ترهق كاهل الذين اذخروا وبذلوا الجهود. لا ريب أن العمل والادخار عاملان من عوامل تحسين وضع الفرد والأسرة ولكنهما إلى هذا عاملان من عوامل إغناء مستوى معيشة المجموعة كلها.

قواعد الديمقراطية

إن على كل نظام جبائي أن يراعي الجهود المبذولة ويكافئها كما أن عليه أن يكون حافزاً إلى بذل جهود جديدة ويمكن اعتبار النظام الجبائي الذي تتوافر له هذه الصفات قاعدة من قواعد الديمقراطية لأنه يقرر أن يعامل سائر أفراد المجموعة معاملة العدل والإنصاف.

ومن جهة أخرى فإن تطور الدولة يتم أيضا في مستوى أسلوب الإنفاق وهذا التطور يحصل من طريق الإدارة، والإدارة عنصر جوهري في محيط الحفز والتحريك لتنمية الاستثمار وبالتالي لخلق فرص الشغل.

إن للمغرب أطراً تمتاز بمستوى عال ولهؤلاء الأطر كفاية وقدرة على تطويرالخدمة العمومية، وعلى مزاولة تقييم ما يقدم للمواطنين من خدمات وعلى هذا فإن مقابل الإسهام المنصف في النفقات الجماعية أن تتم بالإنصاف الخدمة المؤداة لكل فرد من أفراد الجماعة، وذلك وفق روح التضامن المتأصلة في تراث الحضارة المغربية الديني والثقافي.

المغرب أرض الحوار والتسامح

تعلم شعبي العزيز أن أرض المغرب أرض غنية بمواردها ورجالها وهي أرض الحوار

والتسامح وحرية المبادرة. وهذه العناصر المجتمعة المتضافرة تجعل من بلدنا بلد الفرص الطيبة.

إن السنوات المقبلة ستسجل انطلاقة متحمسة للاستثمارات في جميع الميادين وسيتيح انتشار وجوه التكنولوجيا الحديثة مضاعفة الإنتاج بصورة سريعة. لقد أظهرت الفلاحة والصناعة الموجهة للتصدير والسياحة والصيد البحري والتجهيزات الأساسية، وما تنطوي عليه من طاقات وإمكانات إنمائية وستكون هذه الطاقات والإمكانات فوق ذلك مجالات لازدهار استثمار المقاولات الوطنية والدولية.

شعبي العزيز :

تستحضر مشاعرنا وأفكارنا كل عام في مثل هذا اليوم روح والدنا جلالة محمد الخامس أكرم الله مثواه. إن روحه الطاهرة لا تغيب طوال العام عن خواطرنا ولا عن أفئدتنا فهي حاضرة بيننا وفينا باستمرار ولكن حضورها في هذه المناسبة السعيدة التي هي عيد العرش تحس به قلوبنا إحساساً خاصاً عميقاً قوياً. إن الاحتفال بعيد العرش غرس من أغراس تفكير جلالة محمد الخامس رضوان الله عليه، وثمرة زكية من ثمرات مبادراته، ومكسب من المكاسب التي ظفر بها في أول طريق الكفاح. فإذا استحضرنا روحه الطاهرة في هذا العيد الأغر، فإننا نستحضر معها سيرته الحافلة المجيدة وما أبلاه من بلاء واسترخصه من تضحيات ليعيش المغرب حرا مستقلا وليحتفل ويفرح متى شاء وليبني حاضره ومستقبله وفق ما تمليه عليه إرادته لا إرادة غيره.

محمد الخامس قاوم الاستعمار مقاومة الأبطال

لقد قاوم جلالة والدنا قوة الاستعمار مقاومة الأبطال الذين لا يملكون أمام القوة الوافرة السلاح والعتاد إلا القوة الروحية المؤمنة بأنها تناضل من أجل الحق وأن الاستعمار يغامر مدججا مؤيداً بجحافل الباطل، قاوم رحمه الله العنف والاستكبار والاستعلاء كما قاوم خسة النفوس ونذالة الأساليب ولم يفت في شجاعته وإقدامه ولا في شجاعة شعبه وإقدامه خشية البطش ولا رهبة الاستبداد.

لقد اجتمع في شخص جلالة محمد الخامس الملك الذي يقدر أعباء الملك أقوم تقدير، والقائد الماهر الملهم والزعيم الذي يحمل اللواء ولا يخاف لومة لائم والرائد الذي لا يكذب أهله، والأب الرؤوف الحريص على أبنائه فحرر العقول وشحذ العزائم وأذكى الحماسة وأضاء الدياجي والظلمات وبدد المخاوف وأوضح المسالك وكافأ الله الجهاد المرير والثورة التي أعلنها الملك والشعب أسنى وأعظم مكافأة فتحقق للوطن أغلى وأحب أمانيه، وبقيت سيرة جلالة محمد الخامس مشرقة متألقة مشعة على صفحات التاريخ بقاءها في النفوس عطرة فواحة بأطيب أريج.

تغمد الله جلالة الملك والدنا محمد الخامس بواسع غفرانه وشامل رضوانه وبوأه الخلد في فسيح جنانه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

تحية إكبار وتقدير لقواتنا

شعبي العزيز :

إن مناسبة عيدنا الوطني هذا لتتيح لنا أن نتجه بأخلص مشاعرنا وعواطفنا إلى قواتنا المسلحة الملكية وقوات الدرك والأمن والقوات المساعدة المرابطة في صحرائنا الغربية تتجه مشاعرنا وعواطفنا إلى هذه القوات حاملة إليها في هذا اليوم المبارك السعيد عبارات رضانا عنها وارتياحنا لقيامها بالواجب المقدس واطمئناننا إلى

جدها وسهرها وثقتنا الكاملة في حزمها وقوة شكيمتها، واستماتتها في الدفاع عن ترابنا الوطني. وإننا نرنو إلى بطولاتها بهذا الإحساس المشفوع بآيات تقديرنا وإكبارنا، لنعرب لها باسمك شعبي العزيز عمّا لها في قلبك من محبة وطيدة وعما تكنه لها من تقدير بالغ وإعجاب شديد وتجلة وفية مخلصة واحترام متواصل كبير.

لقد قدمت قواتنا الدليل بما استرخصته من تضحيات وأظهرته من شجاعة فائقة نادرة وبطولة شاع ذكرها في الآفاق على أنها تضع مقدسات البلاد ووحدة البلاد الترابية وقيم المغرب الروحية والحضارية في أسمى منزلة من تقديسها وعلى أنها مخلصة باستمرار لهذه المقدسات والقيم مستعدة متأهبة في كل حين للاستشهاد من أجل صيانتها والدفاع عنها وصد كل عدوان يتهددها (والجود بالنفس أقصى غاية الجود).

لقد حاول أعداء بلادنا مرات عديدة أن يكسروا شوكة قواتنا ويفلوا حدها، وينفذوا إلى التراب الوطني، ولكن قواتنا أحبطت الاعتداء كل مرة بشجاعتها المعهودة، وإقدامها المألوف، وارتد المعتدون بعد الاندحار الشنيع على أعقابهم خاسرين.

وإن قواتنا التي ترابط في صحرائنا ساهرة يقظة وتضطلع على الوجه الذي يرضينا بالمهام التي نلقيها على كواهلها لجديرة بعطر الثناء وحقيقة بكل إشادة وكل تنويه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم على قواتنا نعمة عونه وتأييده، ويجعل خطاها وأعمالها مقرونة بالهداية والتوفيق، مصحوبة بالفوز والنصر ما تلاحق الملوان وهو المسؤول سبحانه وتعالى أن يتغمد بواسع رحمته وغفرانه شهداءنا الأبرار الذين لم يضنوا بأرواحهم في ساحة الشرف دفاعاً عن أرض الآباء والأجداد ويحلهم من فسيح جنته أعلى المنازل والدرجات.

نسير بخطى متنقلة على جادة الصحة والسلامة والاستقامة

شعبي العزيز :

يمر العالم منذ أحقاب بتحولات تتوالى سراعاً وهذه التحولات مردها إلى عوامل مختلفة أهمها : الاكتشافات العلمية والابتكارات التطبيقية، وإذا كان العالم يطوي المراحل الواحدة بعد الأُخرى، طياً يحمل على الدهشة المصحوبة بالإعجاب ويسير متقدما راقياً بخطى واسعة لاتتردد ولا تحجم، بفضل هذه الاكتشافات وهذه الابتكارات الباهرة فإن سيره الحثيث هذا ترافقه تحولات تطرأ على العادات والتقاليد وعلى الأفكار والعقليات والمعتقدات.

لقد زامن التطور الذي تقلب فيه العالم وما زال يتقلب فيه شعور بالقلق والخوف اعترى النفوس، وحيرة اضطربت لها الأفكار، ونكوص وإدبار منيت بهما القيم الأخلاقية والدينية وأمراض وعاهات متعددة خلقية وغير خلقية سرت في أجسام المجتمعات واستوطنتها.

لقد اخترنا شعبي العزيز، أن نعيش في صميم العصر الحديث معتمدين في اختيارنا هذا على موقع بلادنا الجغرافي وعلى مالنا من استعداد فطري للتعارف وربط العلائق والصلات، وحرص شديد على أن نفيد الكثير من محاسن هذا العصر ونبادل أقطار الدنيا أخذا وعطاء، وها نحن أولاء نعيش في خضم العالم الحاضر، وما يتداوله من أطوار، ويجد فيه من تحولات، نعيش في خضم هذا العالم محاطين بما له وما عليه بإيجابياته وهي كثيرة وسلبياته وهي غير قليلة ولكن مع بقائنا بحمد الله مصممين على أن تظل خطانا متنقلة على جادة الصحة والسلامة والاستقامة.

نأخذ من العصر الحديث قصارى مايفيد

إن وكدنا الأهم شعبي العزيز أن نأخذ من لعصر الحديث ما يمكن أن يفيد نمو بلادنا رقيها. ولكي يتم هذا الأخذ على الوجه الذي يقي ن الحيرة والقلق ويحمي من علل الانحرافات أمراضها ويحقق للنفوس السكينة والاطمئنان يصون القيم الأخلاقية والروحية، فلا غنى لنا ن المحافظة الضنينة الشحيحة، على طوق نجاتنا لأمثل ووسيلة دفاعنا الكبرى التي لاتعادلها وسيلة ما طوق نجاتنا ووسيلة دفاعنا التي تؤمن لنا ختراق لجج العصر الحديث بسرب وادع وقلب طمئن، وقدم ثابتة، وبصيرة وهداية، إلا كتاب لله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا ن خلفه وسنة نبيه الغراء ومذهب إمام دار الهجرة لإمام مالك رضوان الله عنه.

وإن استمساكنا بهذه المقومات التي هي مقومات أصالتنا منذ أن رحب وطننا بالإسلام وأن ستمساك أبنائنا وأبناء أبنائنا بهذه الذخيرة لغنية الزاكية لأفضل معتصم لنا وخير حرز وملاذ لأجيالنا القادمة.

ويكفي أن نعرض ما يعن لنا كلما اصطدمنا وافد غريب من التيارات والأفكار والمذاهب على محك ما نومن به مما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ليتبين لنا الطريق اللاحب المستنير بالنور الصادق الذي لايخدع ولا يكذب.

عيدنا أرسى قواعده شعبنا

فليس لنا ولن يكون لنا أبداً شعبي العزيز حصن يحمينا من المزالق والضلال ولا جنة واقية تدرأ عنا المكاره والأضرار غير البرهان الذي جاءنا من ربنا والنور المبين الذي أنزله الله إلينا ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينا﴾.

كلأ الله بلادنا وشعبنا بجميل حراسته وحياطته وجعل اعتصامنا بحبله المتين ودينه المكين، اعتصاماً لا تبلى جدته ولا تنفصم عروته وكتب لوطننا العز المنشود والجاه الممدود، والحال الحميد والمصير السعيد.

اللهم إن عيدنا هذا عيد أرسى قواعده شعبنا، وجعله دليلاً على المحبة والوفاء والإخلاص، فأعد كل عام علينا ما تمتلىء به القلوب من أفراح ومسرات.

اللهم ابق بلدنا بلداً تشرئب إليه الأنظار، وتهفو إليه القلوب، وأدم علينا نعمة رعايتك الضافية، وعوارف فضلك الوافية، وحقق ما تمتلىء به قلوب أبنائه من واسع الآمال واهدني واهد شعبي إلى صالح الأقوال والأفعال واحفظ اللهم الآصرة الواصلة بيني وبين شعبي على تجرم الحقب والأعوام قوية جديدة، راسخة وطيدة، وَقِ خطانا بتصريفك الحكيم، وتدبيرك القويم، إلى ما يرضيك ويسعدنا في الحال والمآل. اللهم أعني على ما أوليتني وأيدني فيما وكلت إلي، وقلدتني وامنحني الوسيلة لإسعاد شعبي وانصرني على مصاعب السبيل، وخذ بيدي وكن لي أقوى سند وأعز دليل.

﴿رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾

صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

صاحب الجلالة يدعو جميع الطلبة الأفارقة حتى يتمكنوا من تعلم اللغة العربية

في شهر رمضان وبعد انتهاء الشيخ العلامة السيد ابراهيم جوب من درسه القيم الذي ألقاه بين يدي صاحب الجلالة ضمن الدروس الرمضانية التي اعتاد أمير المومنين أن يترأسها طيلة هذا الشهر، توجه حفظه الله في ختام هذا الدرس إلى الشيخ جوب بالكلمة التالية التي يحث فيها على تعلم اللغة العربية، لغة القرآن، لأبناء الأفارقة المسلمين.. علماً منه حفظه الله أن المسلمين يعارضون وبكل قوة، أن تحل اللغة الأجنبية محل اللغة العربية، وتصير هي لغتهم القومية، إذ لا يوجد في الدنيا، كلها، قوم يرضون بسلب لغتهم مهما كانت، فما ظنك بالناطقين بالعربية، التي يفتخر بها كل منسوب إليها، ويجل قدرها حتى الغرباء عنها.

واللغة العربية، ظلت، وهي أكبر اللغات الافريقية، وأقدمها كتابة، لغة العلم والثقافة، لأكثر من ثمانية قرون، حتى مطلع هذا القرن، وإن جلالة الملك الحسن الثاني أصدر أمره المطاع لوزيره في التربية الوطنية أثناء الدروس الحسنية التي ألقيت أمام جلالته عام 1406 هـ/1985م برحاب القصر الملكي العامر بالرباط بتهيئ واختيار نخبة من العلماء والأساتذة والباحثين للقيام بالبحث والكتابة حول دخول الإسلام إلى أقطار افريقيا الغربية عن طريق المغرب وانتشاره في تلك الأصقاع والأنحاء منذ قرون وأثره فيه.

وقد اجتمعت عدة لجان من الوزارة الأولى والتربية الوطنية والأوقاف والشؤون الإسلامية لإبراز هذا الاقتراح العظيم والذي نرجو له أن يخرج من عالم الذهن إلى دنيا الواقع والشهادة.

قال صاحب الجلالة حفظه الله موجها الخطاب إلى السيد ابراهيم جوب :

قبل الختم أريد أن أؤكد للعلامة صديقنا الشيخ جوب على أننا ـ نزولاً وامتثالاً للآية التي شرحها اليوم ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته﴾ ـ فتحنا كل إمكاناتنا لجميع الطلبة الأفارقة حتى يتمكنوا من تعلم العربية جيداً، ومن الإحاطة بجميع فنونها، علماً منا بأن القرآن والحديث هو إذا كان أحسن مدرسة للفقه والعلم والدين والعبادة فهو كذلك أحسن مدرسة للبلاغة وللشعر التخيلي التصوري الخلاق البناء، فنحن من جهتنا سنفتح كما فتحنا أبوابنا لطلبتكم ولغير طلبتكم، إلا أننا نرجو من جميع إخواننا الأفارقة أن يرسلوا لنا أحسن ماعندهم ممن يتقنون اللغة الفرنسية، لأنه لا يمكن التعريب إلا إذا كان الرجل يتقن لغة أجنبية. فيمكننا أن نرسل أساتذة، وسنرسلهم كما تريدون، ولكن أحسن، أريدأن يلقن الإسلامَ وعلومَ الدين السنغاليون بواسطة السنغاليين وعلى يد السنغاليين.

كيفما كان الحال، الطريقتان أظن صالحة، والطريقتان مجدية ومثمرة، فإذا أردتم أن تعملوا جلسة عمل مع وزيرنا الأول ووزير الأوقاف ووزير التعليم، وقبل انتهاء رمضان، وترفعوا لنا تقييداً ولو مختصراً، فيمكننا إن شاء الله عند الموسم الدراسي المقبل في شهر اكتوبر أن نقفز قفزة جديدة وتكون أقوى إن شاء الله.

نص الخطاب السامي لجلالة الملك الحسن الثاني وهو يرحب بالرئيس السوداني :

• نريد أن يستمر الترابط والتعاون بين المغرب والسودان
نعمل من أجل عودة التضامن العربي لتفويت الفرصة على خصومنا

زار مساء يوم الأحد (1 شعبان 1408 ـ 22 3 ـ 1988) رئيس مجلس رأس الدولة بجمهورية السودان السيد أحمد المرغيني المملكة المغربية.

وقد رافق الرئيس السوداني وفد هام ضم بالخصوص السيد حسن مصطفى وزير الشبيبة والرياضة، والسيد أحمد أحمد سعد عمر، مستشار رئيس الجمهورية، والسيد أحمد حسين الرفاعي الأمين العام للقصر الجمهوري.

وخلال إقامته بالمملكة المغربية أقام له صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله بالقصر الملكي بمراكش، مأدبة عشاء، حضرها صاحب السمو الملكي الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد كما حضرها أعضاء الحكومة وعدة شخصيات.

وقد ألقى صاحب الجلالة حفظه الله بهذه المناسبة خطابا سامياً، رحب فيه بالضيف الكريم.

وفيما يلي نص الخطاب السامي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

حينما يلتقي الأقارب يعتبر الناس أن ذلك اليوم يوم عيد. أما حينما يلتقي المغرب والسودان فيومنا هو يوم عيدين. وما أقوله ليس حشوا ولا اطناباً بل حقيقة تاريخية أصيلة تقليدية.

عادة فخامة الرئيس وشقيقنا العزيز أحاول أن أرتجل، ولكن يحرم الارتجال فيما خططه التاريخ وكتبه وسطره. فلهذا أرى نفسي مضطراً إلى اللجوء إلى بعض المراجع وأقول بعض المراجع لأنها كثيرة ولأن مسيرتنا قديمة وكانت مبنية على التقوى وعلى هدى من الله ولأنها سوف تبقى مبنية على الجسور والقواعد التي أرساها أجدادنا في بلدكم وبلدنا.

فأولاً لا يمكنني أن أنسى أن من مؤسسي الطريقة الصوفية عندكم هو من إخوة المولى إدريس الأول وهو مولاي سليمان. وتعلمون ما هو مقام المولى إدريس الأول في المغرب. وأراد الله أن يكون شقيقه من مؤسسي الطرق الصوفية الأولى عندكم في السودان. ثم إن الإمام أبا الحسن الشاذلي الغماري وهو من غمارة له طريقته الشاذلية عندكم وأن سيدي أحمد البدوي المعروف كثيرا في طنطا ومصر له ما له عندكم كما أن صحيح البخاري أخذتموه في السودان على يد موسى بن سعادة المغربي في القرن الثامن الهجري.

ولا أريد أن أطيل عليكم إلا أني أريد أن أقول إن الشيخ أحمد بن ادريس الذي انتقل من فاس إلى السودان في أواخر القرن الثامن عشر استقر هناك وكانت له أسرة ولا زالت له أسرة. وهذه الأسرة أنتم سليلها وأنتم من المدرسة الصوفية التي يقال لها المراغنة.

وهكذا نرى فخامة الرئيس أني لست في حاجة للترحيب بكم ولا بمن جاء بمعيتكم لأنكم بين أهلكم وذويكم.

إن هذا هو المد أما الجزر فقد أخذنا عنكم ومنكم كثيراً وسنبقى نأخذ عنكم ومنكم. ونريد أن يستمر هذا المد والجزر لما فيه خير إفريقيا بكيفية خاصة لأنكم أنتم في شرقها ونحن في غربها.

الكل يعلم فخامة الرئيس الدور التاريخي والمعماري والاصالي (ولا أقول الأصولي) إن صح هذا التعبير الذي لعبه السودان بالنسبة للسنة وبالنسبة للحضارة العربية. فأنتم الغيورون على الإسلام وأنتم معقل العروبة في تلك الناحية.

وبموقعكم الاستراتيجي وسعة بلادكم التي نرجو لها من الله سبحانه وتعالى كل خير ونماء وطمأنينة وتقدم تكونون لبنة من الحصن الذي يجب أن يكون الحصن الحصين للشريعة الإسلامية وللمطامح العربية تلك المطامح التي ليست إلا مطامح إنسانية ومطامح جماعة تمى العرب تريد أن تعيش في ظل الكرامة والحرية والاحترام.

ففي شخصكم فخامة الرئيس نحيي الشعب السوداني ونحيي أسلافه وأجداده كما نحيي استقبالا أبناءه وأحفاده. فلكم منا ومن شعبنا عطر السلام ولتكن عليكم من الله سبحانه وتعالى وعلى شعبكم نعمة الصحة والتوفيق والرفاهية والوئام.

أعانكم الله سبحانه وتعالى والسلام عليكم ورحمة الله.

وقد رد السيد أحمد المرغني على خطاب جلالة الملك بالكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم.

صاحب الجلالة الحسن الثاني ملك المملكة المغربية.

صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيد محمد.

صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد.

أصحاب السعادة الوزراء.

أصحاب السعادة السفراء.

السادة الضيوف.

اسمحوا لي أن أعبر لجلالتكم عن غبطتي وسروري بلقاء حفيد السلالة النبوية الشريفة لأنه حقاً لشرف عظيم لي أن ألبي دعوة جلالتكم الكريمة لزيارة المغرب الشقيق وأن ألقى من جلالتكم الحفاوة والتكريم الذي استقبلنا به.

إن زيارتي للمغرب الشقيق تضيف إلى رصيد العلاقات الطيبة الممتازة بين شعبينا صرحا جديداً من الاتصال والترابط الذي بدأ بينهما منذ أقدم العصور. فالشعبان يرتبطان بينهما منذ الأزل وعلى مر الأجيال عبر هجرات مختلفة وأخص بالذكر هجرات دعاة الصوفية التي ما زال أثرها مشعاً في السودان حيث ارتضى الشعبان مذهباً واحداً هو المذهب المالكي لشؤونهما الدينية

الروحية وفضلاً عن ذلك هناك العديد من سودانيين الذين ينحدر أصلهم من المغرب الشقيق هم مواطنون سودانيون يعبرون بحناتهم عن لتمازج الروحي بين شعبينا الشقيقين الذي تم عبر القرون. لقد أدى هذا التمازج الروحي والعرقي بين شعبينا إلى تفاعل علاقات البلدين ونموها في كافة المجالات. وما أعمال اللجان الوزارية لمشتركة بين بلدينا إلا تعبير على الرغبة لصادقة لشعبينا في مواصلة الاتصال لما فيه رفاهيتهما وخيرهما.

ويسرني بهذه المناسبة أن أشيد بأشغال لدورة الثانية للجنة الوزارية المشتركة بين بلدينا التي انعقدت قبل أسابيع قليلة بالسودان والتي أضافت إلى ما سبق صرحاً جديداً من التعاون البناء الذي ارتاد لأول مرة آفاقاً جديدة ومثمرة.

تدركون جلالتكم بشفافية وعن قرب ما تواجهه أمتنا العربية والإسلامية من مخاطر محدقة. ولقد ظل السودان يدعو ويعمل من أجل عودة التضامن العربي لتفويت الفرصة على من يستهدفون جر العالم العربي والإسلامي إلى انقسامات ونزاعات ترمي إلى تفتيت وحدته وتماسكه. وإنني من هذا المنبر أشيد بمبادرة جلالتكم وبجهدكم المقدر للم شمل الأمة العربية والإسلامية لمواجهة تلك الأخطار. وأؤكد لكم أن السودان سيظل دائماً سنداً لذلك الجهد لإخراج أمتنا من محنتها الحالية.

جلالة الملك أود في ختام حديثي أن أعبر لكم عن مدى إعجابي الكبير بما حققه المغرب الشقيق من تقدم وبتجربته الرائدة في مجال التنمية في ظل قيادتكم الرشيدية والقيادة التاريخية لأسلافكم الصالحين. كما أود مرة أخرى أن أعبر لكم عن عظيم امتناني وتقديري للحفاوة والتكريم اللذين أحاطتنا بهما جلالتكم خلال تواجدنا في المغرب الشقيق.

ومن حسن الطالع أن تكون زيارتنا مقرونة بالذكرى 27 لجلوسكم على عرش أجدادكم الميامين الذين أرسوا دعائم النهضة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لشعب المغرب الشقيق والذين عطروا بمآثرهم الجليلة صرح العروبة والإسلام الشيء الذي يقف شاهداً ومعبراً عن هذه المآثر التاريخية الخالدة التي تدل عليها هذه النهضة المعمارية التي تتسم بروح الإسلام والمسلمين من مساجد يذكر فيها اسم الله أو مساكن يأوى إليها أحفادهم جيلا بعد جيل.

سدد الله خطاكم وأحاطكم برعايته وحفظكم ذخراً للمغرب الشقيق ولأمتنا العربية والإسلامية.



صدور بلاغ مغربي سوداني مشترك عقب زيارة الرئيس أحمد الميرغني

في أعقاب الزيارة الرسمية التي قام بها السيد أحمد الميرغني رئيس مجلس رأس الدولة السوداني للمغرب من 20 إلى 23 مارس الماضي صدر البلاغ المشترك المغربي السوداني التالي :

في إطار العلاقات الأخوية التي تربط بين المملكة المغربية وجمهورية السودان الشقيقة وتلبية لدعوة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني قام فخامة السيد علي الميرغني رئيس مجلس رأس الدولة بزيارة رسمية للمملكة المغربية في الفترة ما بين الفاتح والرابع من شعبان عام 1408 هجرية الموافق 20 ـ 23 مارس 1988 ميلادية.

وفي جو من الود والصداقة جرت مباحثات بين القائدين تناولت العلاقات المتميزة الثنائية بين البلدين الشقيقين والسبل الكفيلة بتعزيزها وتحديثها وتطويرها في مختلف المجالات بما يتناسب مع العلاقات وارتياد آفاق جديدة للتعاون الأخوية الوثيقة وإثراء رصيدها التاريخي الذي تم عبر الهجرات الصوفية والتاريخ الروحي منذ أقدم العصور والذي طبع العلاقات بين البلدين بخصوصيات وتفرد.

وفي هذا الإطار اتفق رئيسا البلدين على إنشاء لجنة مشتركة برئاسة وزيري الخارجية تجتمع بصفة دورية مرة كل سنة في عاصمتي البلدين بالتناوب ويمكن لهذه اللجنة أن تجتمع بصفة استثنائية إذا دعت الضرورة لذلك وتقرر أن يعقد أول اجتماع لها في الخرطوم خلال شهر دجنبر 1988.

كما تناولت هذه المباحثات مختلف القضايا الدولية والإقليمية وعلى رأسها مشاكل الشرق الأوسط وخاصة الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي العربية المحتلة والجهود الدولية المبذولة لإقرار السلام وعقد المؤتمر الدولي كما شملت المحادثات حرب الخليج وتطوراتها الخطيرة الحالية، وكذا القضايا الافريقية واتفق القائدان على ضرورة تسوية المشاكل الدولية بالطرق السلمية.

وفي نهاية المحادثات أعرب فخامة السيد أحمد الميرغني رئيس مجلس رأس الدولة عن فائق امتنانه وتقديره على حسن الاستقبال وكرم الضيافة والحفاوة البالغة التي خص بها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني والشعب المغربي سيادته والوفد المرافق له بما يعكس حرارة وصدق مشاعر الود والإخاء المتبادلة بين الشعبين الشقيقين.

في ختام الزيارة الشعبية وجه فخامة السيد أحمد الميرغني رئيس مجلس رأس الدولة دعوة لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني لزيارة السودان وقد قبل جلالته هذه الدعوة الكريمة على أن يحدد موعدها فيما بعد بالقنوات الدبلوماسية.

وحرر بمراكش يوم الأربعاء الرابع من شعبان عام 1408 هجرية موافق 23 مارس سنة 1988 ميلادية.

أعمال المؤتمر الأول

لرابطة علماء المغرب - السينغال

للصداقة والتعاون الإسلامي

المنعقد بدكار

12-14 جمادى الثانية 1408

1 - 3 فبراير 1988

حل وفد هام من علماء المغرب يضم مائة عالم للمشاركة في المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال، برأسة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد عبد الكبير العلوي المدغري أيام 1988/3/10 بدكار للمشاركة في المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال الذي نظم تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك الحسن والرئيس السينغالي عبدو ضيوف.

وكان في استقبال الوفد المغربي بدكار عديد من الزعماء الدينيين وعلى رأسهم السيد عبد العزيز سي الخليفة العام للتيجانيين بالسينغال، ووزير الصناعة التقليدية والتنمية الصناعية السيد لامين ديوب وسفير صاحب الجلالة بدكار السيد عبد القادر الجاي.

ويضم الوفد المغربي المشارك في أشغال المؤتمر الذي افتتحه الرئيس السينغالي ممثلي جميع المجالس العلمية الإقليمية، والمجلس الأعلى للعلماء، وجامعة القرويين، ولجنة الشؤون الإسلامية بمجلس النواب.

كما حضر أشغال هذا المؤتمر السيد عبد الهادي بوطالب المدير العام للمنظمة الإسلامية والثقافة والعلوم «إيسيكو» الذي استدعي ضيفا من طرف الرئيس عبدو ضيوف.

وقد أشار السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية لدى وصوله إلى مطار دكار إلى أن هذه المشاركة المكثفة من طرف المغرب تجسد الاهتمام الذي يوليه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني لهذا المؤتمر، وتؤكد عزم جلالته على دعم الروابط الأخوية التي تجمع بين الشعبين المغربي والسينغالي، مبرزا الطابع العريق للعلاقات القائمة بين البلدين..

وأعرب من جهة أخرى عن شكره للرئيس السينغالي وحكومته وللعلماء السينغاليين على الاستقبال الحار الذي لقيه هو والوفد المرافق له.

ومن المقرر أن يتطرق المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال الذي سيستمر ثلاثة أيام إلى كل المواضيع التي تهم البلدين والعالم الإسلامي خاصة منها طرق نشر الدعوة الإسلامية وتدريس الشريعة والتربية الإسلامية داخل المدارس والجامعات المغربية والسينغالية ومشكل السلم في العالم الإسلامي والبلدان الأخرى...

وأضاف أن الرئيس عبدو ضيوف سيترأس شخصياً الجلسة الافتتاحية لهذا المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال تجسيدا للعناية التي يوليها لهذا اللقاء قائدا البلدين.

والجدير بالذكر أن رابطة علماء المغرب والسينغال تأسست سنة 1985، وقد انعقد جمعها التأسيسي في شهر يونيو من نفس السنة بالرباط حيث عهد برئاسة مكتبها إلى مولاي مصطفى العلوي فيما انتخب السيد ابراهيم محمود ديوب كاتبا عاماً.

وقد افتتحت مساء يوم الثلاثاء بقاعة الوحدة الإفريقية بدكار أشغال هذا المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال للأخوة والتعاون الإسلامي، تحت الرئاسة الفعلية لرئيس الجمهورية السيد عبدو ضيوف، الذي كان بجانبه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد عبد الكبير العلوي المدغري، وكذا وزير التنمية الصناعية والصناعة التقليدية السنغالي السيد لآمين ديوب **Lamine Diop**.

ومن بين الرؤساء الشرفيين لهذه الرابطة الزعماء الدينيون ورؤساء الطرق مثل عبد العزيز سي **Abdoulaziz SY** وعبد الأحد امباكي **Abdul Ahad M'backé** وتييرنو مونتاكا **Thierno Mountaga** والشيخ عبد الله ابراهيم نياس **Abdallah Ibrahim Niass** وبحضور أعضاء الحكومة، والجمعية الوطنية السينغالية وأعضاء الرابطة ولجنة الشؤون الإسلامية بمجلس النواب، وممثلي علماء كل من غامبيا ونيجيريا وتشاد وموريتانيا، وحشد كبير من المواطنين السينغاليين.

في البداية أعطى الرئيس السينغالي الكلمة للسيد ابراهيم محمود ديوب الكاتب العام للرابطة الذي قال : إن ميلاد الرابطة يعتبر مكرمة من مكرمات جلالة الملك الحسن الثاني متمنيا لها الاستمرار على درب الدعوة والأخوة الإسلاميين.

☆ ☆ ☆

أما السيد عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، فأبرز في كلمته مهمة علماء الإسلام في جمع شمل المسلمين وتوحيد صفوفهم والإخاء بين بني الإنسان لما فيه خير العالم والسلم، مشيداً بأهمية هذا اللقاء الذي يرمي إلى تحقيق تلك المهام.

كما أكد فيها على الروابط الروحية والوشائج الإسلامية القائمة بين المغرب والسينغال مبرزا أن هذا المؤتمر يؤكد للمجتمع الدولي أن حضور علماء المغرب والسينغال في دكار يؤكد رغبة هؤلاء لصيانة إيمان هذه الأمة وحماية فكرها وقال «نحن علماء البلدين نشهد اننا إخوان في الدم والتاريخ من أجل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتربية الشباب تربية إسلامية في السلوك والمعاملة والأخذ بيدهم».

ودعا إلى البحث عن الكيفية والوسائل للحفاظ على معالم الحضارة الإسلامية مشيراً إلى أن مهمة علماء الإسلام هي جمع كلمة المسلمين ونشر المحبة والتسامح فيما بينهم وإشاعة روح التعاون والإخاء.

واستنكر السيد الوزير الإرهاب والعنف مدينا الميز العنصري سواء أكان بسبب العرق أو الدين وأكد على السلم والاستقرار واحترام كرامة الشعوب، واحترام كرامة الإنسان وقال إن أكبر ظلم يرتكبه الإنسان هو الشرك بالله وان الإنسانية لا يكون صلاحها إلا داخل نظام متواز.

وفي كلمة الرئيس السينغالي عبدو ضيوف للمؤتمر أوضح في البداية المناخ الخاص للحدث الذي يجمع العلماء اليوم بدكار، مستعرضاً معطيات تاريخية عن تقدم المعرفة لدى المسلمين، ودور الإسلام في الحث على طلب العلم، الشيء الذي حدا بالغرب في العصر الوسيط إلى اختيار المسلمين كأساتذة في مجال العلوم الطبية محل اليونانيين.

مشيراً من جهة أخرى إلى أن ظهور اختلافات متعددة في الرأي أدت إلى تصدع الوحدة القوية التي كانت مبنية على تعاليم القرآن والسنة، والسبب في هذا يقول الرئيس عبدو ضيوف - يعود إلى أن كل واحد كان يعمل في إطار ضيق.

وأضاف أن مفهوم الشورى ظل كلاماً جافاً، كما أن التصور الذي كان سائداً لمفهوم العلم كان وراء ضعف الأمة الإسلامية، حيث ظل الاهتمام بالجزئيات على حساب ما هو أساسي..

وانتقل الرئيس عبدو ضيوف بعد هذا للتنويه بمبادرة جلالة الملك، لجمع شمل العلماء، لتعميق البحث حول عدد من القضايا الإسلامية بهدف التوصل إلى تقريب وجهات نظرهم لما يخدم الأمة الإسلامية.

ومن هنا يضيف - الرئيس السينغالي - فإن هذا الاجتماع يأتي استجابة لرغبة الشعبين وقائدي البلدين في تقوية روابط الصداقة والأخوة التاريخية. مشيراً من جهة أخرى إلى أن من بين المساهمات الأساسية للعاهل المغربي في مجال التنمية الاقتصادية والعلمية إنشاء دار الحديث الحسنية والمكتبة الملكية، وأكاديمية المملكة المغربية داعياً العلماء إلى القيام بمهمتهم الكبيرة والخطيرة بشأن تقوية الأخوة الإسلامية القائمة بين السينغال والمغرب، والعمل على تطوير قيم الإسلام النبيلة خاصة في وقت تطغى فيه المصالح الإنسانية التي يبدو أنها تتقدم على حساب القيم الأخلاقية والروحية.

* * *

وتجدر الإشارة إلى أن ستة بلدان إفريقية هي : نيجيريا وغامبيا وموريتانيا والتشاد وغينيا ومالي عبرت عن رغبتها خلال المؤتمر في الانضمام إلى رابطة علماء المغرب والسينغال.

* * *

وأكد السيد المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في تصريح لدى وصوله إلى المغرب أهمية التوصيات الصادرة عن هذا المؤتمر الذي شاركت فيه عدد من الدول الإفريقية وخاصة التوصيات التي تتعلق بالوحدة الترابية للبلاد وتأييد المغرب لحقه المشروع في استرجاع صحرائه واعتبار «جماعة البوليساريو» خارجة عن الجماعة ومخالفة لأحكام الشريعة المتعلقة بالبيعة وعدها من جملة المحاربين المنصوص على حكمهم في كتاب الله تعالى.

وأكد أن هذا الموقف كان بإجماع جميع العلماء من مختلف الدول الإفريقية وبحماس كبير يظهر الموقف الحقيقي لعلماء الإسلام في إفريقيا بتأييد الحق المشروع للمغرب والوقوف خلف أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني في المطالبة باستكمال الوحدة الترابية وفي تأكيد مغربية الصحراء.

وقال إن قرارات كثيرة ومهمة انبثقت عن أعمال هذا المؤتمر ومن ضمنها بيان هام يعكس النظرة الحقيقية لمختلف القضايا التي تشغل الإنسانية وخاصة العالم الإسلامي والعربي مشيراً إلى أن المؤتمر كان بحق مكرمة من مكارم جلالة الملك الحسن الثاني ومفخرة لعلماء المغرب الذين وقفوا موقف الشرف وشرفوا بلدهم بالعمل الجاد المثمر البناء وبما أعطوا لإخوانهم الأفارقة من صورة حقيقية على علماء هذا البلد الذي له ماض عريق في نشر الإسلام في البلدان الإفريقية.

وفيما يلي النص الكامل للخطب التي ألقاها السيد عبدو ضيوف، ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية :

خطاب

فخامة الرئيس عبدو ضيوف رئيس جمهورية السينغال

في افتتاح

المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال

افتتحت بقاعة المعرض بدكار أشغال المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الإسلامي تحت الرئاسة الفعلية للرئيس السينغالي عبدو ضيوف..

وقد ألقى الرئيس عبدو ضيوف خلال الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، التي حضرها على الخصوص أعضاء الحكومة السينغالية «البرلمان» والسلك الدبلوماسي الإسلامي المعتمد بدكار، ومن ضمنهم سفير صاحب الجلالة بدكار، وشخصيات إسلامية أخرى... كلمة شكر فيها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على المبادرة التي اتخذها جلالته لإنشاء رابطة تجمع بين علماء المغرب والسينغال..

وقبل كلمة السيد الرئيس ألقى السيد ابراهيم جوب، الكاتب العام للرابطة كلمة حيا فيها جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس عبدو ضيوف عن الجهود التي يبذلانها لرفع راية الإسلام، والوقوف دفاعاً ضد الزور والبهتان الذي قد يلحق بتعاليم الإسلام...

قال فخامة الرئيس :

أصحاب المعالي
أصحاب السعادة
أصحاب الفضيلة العلماء

لقد استطاع التاريخ أن يقيم بين المملكة المغربية والسنغال علاقات ووشائج ثقافية متينة عزز جانبها ووطد دعائمها امتزاج بين شعبيهما يعود تاريخه إلى ألف سنة وزيادة، مما يضفي صبغة خاصة على هذا الحدث الهام الذي يجمعكم اليوم في دكار. ولعل إلقاء نظرة على الماضي يمكننا من إدراك عمق دلالة هذا اللقاء الذي لايمتري اثنان في أنه سيدخل التاريخ من بابه الواسع. وهذا بالذات ما يحملنا على تقدير أهميته والاعتزاز بأهدافه ومراميه.

السيد عبدو ضيوف يلقي خطابه الافتتاحي

ويكفي أن يبحث الإنسان في تاريخ الإسلام ليلاحظ أن المؤرخين في العلوم ينظرون إلى القرن الرابع الهجري (القرن الحادي عشر الميلادي) باعتباره مرحلة أساسية لتطور الفكر الذي أسهم بفضل الإسلام في ازدهار إحدى الحركات العلمية الأكثر حيوية وفاعلية التي عرفها التاريخ. وإن دل هذا عل شيء فإنما يدل على ما يحتله العلم في الإسلام من مكانة رفيعة ودرجة مرموقة في حياة الإنسان سواء بالقياس إلى صلته بربه وتعامله مع بني جلدته أو إلى علاقاته بطبيعة بيئته.

وبما أن الإنسان لا يستطيع القيام بواجباته الثقافية عل أحسن وجه وأكمله إلا بفضل العلم والمعرفة فإن الإسلام الذي أرسى قواعد التفقه في المجال العقلي بالدعوة إلى التفكير العلمي أدخل مهمة البحث والاستقصاء والدراسة والاستقراء في حكم فريضة من فرائضه الأكيدة ودعامة من دعائمه الوطيدة.

وفي هذا الصدد قال نبينا المختار المقدام عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام :

«طلب العلم عبادة»

«اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»

ولم يكتف صلى الله عليه وسلم بإبراز أهمية العلم والمعرفة في الدنيا والآخرة بل ذهب إلى أكثر من ذلك إذ قال : «التفكر في العلم يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام».

وإذا كانت تنمية الطاقة الفكرية قد أدت إلى ازدهار في مجال العقل عززه ما يتشبث به الرسول عليه الصلاة والسلام من فكرة قوامها أن الحكمة لله وأن من الواجب البحث عنها ولو في الصين فإن هذا التفتق يسر الحصول على تراث علمي هام لا تحصى منافعه ولا تعد مزاياه. وهذا من الدواعي الرئيسية والحوافز الأساسية التي اضطر معها الغرب في القرون الوسطى أن يختار من المسلمين أساتذة مرموقين بدلا من اليونانين ولاسيما في ميدان العلوم الطبيعية.

وتأكيدا لهذا المنظور في طلب العلم والنور وفي توسيع دائرة الأخوة الإسلامية عبر العصور قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾**.

على أن بعض الخلافات في الآراء سرعان ما أخذت تظهر لتؤدي، بكل أسف، إلى زعزعة الوحدة الرصينة والأنظمة المحكمة المبنية على ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من مبادىء وأحكام وإرشادات وتعاليم.

ولم يكن ذلك ليعزى سوى إلى اهتمام كل واحد إلى العمل على انفراد دون غيره من الأفراد بحيث ظلت مؤسسات التكوين مجردة من كل مدلول وخالية من كل فاعل ومفعول إلى حد أن مفهوم الحوار والشورى بين العلماء أصبح، رغم ما يوليه الإسلام من سابغ العناية وبالغ الاهتمام، حبرا على ورق لا يلتفت إليه ولا يعبأ به.

ومنذ هذه الفترة العصيبة أخذت تظهر بعض المدارس والطوائف التي اتسع نطاقها وتعددت مجالاتها مما تسبب في انقسام الأمة الإسلامية وتصدع صفوفها وكان من

المحتمل أن يؤدي ذلك إلى نزاعات أكثر خطورة وأشد بلاء ولكن الله سلم.

ومهما يكن من أمر فإن الصيت الذائع للأمة الإسلامية التي حملت مشعل العلم والتكنولوجيا طوال قرون وقرون بدأ يضعف ويتقلص ثم جاءت مصيبة الاستعمار فعجلت بالقضاء عليه والحد من آثاره.

ومما تدعو الضرورة إلى الإشارة إليه والتأكيد عليه في هذا الصدد أن أصل انحطاط الأمة الإسلامية يرجع إلى ما أصبح للعلم من مفهوم جديد سواء من حيث طبيعيته أو من حيث دوره في حياة شعب من الشعوب. ويشهد التاريخ أن ما عرفه مفهوم العلم النافع من قسمة ثنائية وتفرع إلى نوعين متميزين أعطى مزيدا من الأهمية والاعتبار إلى العلوم الجزئية بالنظر إلى العلوم الأساسية فانصرف اهتمام الفقهاء إلى الانكباب على بعض النوازل في ميدان الاجتهاد وكان ذلك سببا في فصل المدرسة عن الحياة والتميز بينهما.

وكانت هناك دائما محاولات لتدارك الوضع وإصلاح الأمر على يد ملوك أو بفضل إرادة بعض العلماء الذين أحسوا جماعات أو أفراد بضرورة تشاورهم وتبادل آرائهم للقيام برسالتهم في توضيح مبادىء الإسلام وإثبات صحتها وسلامتها.

ومن هذه الزاوية يطيب لي ويسعدني أن أحيي أخي وصديقي جلالة الملك الحسن الثاني وأنوه بمبادرته لتنظيم هذا اللقاء الذي يجمع لأول مرة في التاريخ رجالا أفذاذا وعلماء أفاضل أتوا من المغرب والسنغال للحوار والتداول في قضايا إسلامية رغبة في التقريب بين آرائهم ووجهات نظرهم وتحقيق إجماعهم لصالح الأمة الإسلامية.

وبالإضافة إلى هذا الهدف الذي لاتخفى دلالته ولا يستهان بأهميته فإن لقاءكم أيها العلماء الأفاضل يندرج في ما للشعبين وقائديهما من حرص شديد وعزم أكيد على تعزيز أواصر الصداقة والإخاء العريقة التي نسجها التاريخ وأحكم عراها بين البلدين وعملت الأجيال السابقة في كل وقت وحين على تنميتها وتوسيع مجالها.

ومما ينبغي التأكيد عليه والوقوف عنده أن هذه المبادرة التي تفضل بها جلالة الملك الحسن الثاني لا تمثل سوى جانب واحد من اهتمامه الفائق بالعلم والعرفان وسعيه بوصفه أمير المؤمنين في بلورة تعاليم نبينا خير الانام عليه الصلاة والسلام وتخليد تراث ثقافي لا يخلو من غنى وثراء يتلقاه الخلف عن السلف ويعد جلالته من أحرص العاملين على مواصلة التثبت به والاستمرار في الاعتزاز به. (وجامعة القرويين الشهيرة التي تم بناؤها سنة 895 ميلادية في فاس مدينة العلم والاشعاع أليست من أقدام الجامعات واعرقها في العالم إلى جانب جامعة بولون ؟).

وكما يشهد العالم كله بذلك فإن أهمية إسهام جلالته في التنمية العلمية والاقتصادية وفي إحياء الثقافة والحضارة الإسلامية والنهوض بهما لم تعد تحتاج إلى برهان أو دليل. وهل من أمثلة في هذا الصدد أوضح بيانا وأفصح تعبيرا من :

1) دار الحديث الحسنية التي تختلف في وجوه كثيرة عن غيرها من الجامعات والتي قامت في العديد من الميادين بتكوين مختصين أكفاء في القضايا الإسلامية استطاعوا الارتقاء إلى درجة الدكتوراة.

2) الخزانة الملكية التي توجد بها مخطوطات من أندر مخطوطات الأقطار الإسلامية ولاسيما منها المملكة الشريفة والتي يوليها جلالته نصيبا خاصا من اهتماماته الفائقة وانشغالاته الصادقة بالربط بين حاضر الثقافة وماضيها في العالم الإسلامي.

3) الأكاديمية الملكية المغربية التي ينضوي تحت لوائها رجال نبغاء وعلماء أجلاء متشبعين بالفكر المعاصر ومنتمين لكل أقطار العالم والتي تكرس جهودها للإسهام في التنمية الاقتصادية على وجه الكرة الأرضية.

أصحاب الفضيلة العلماء

من يدري إلى أين تنتهي هذه الصداقة العقلية التي تمثلونها في البحث عن معرفة الله ؟ حقيقة يفيدنا التاريخ أن المغرب والسنغال عرفا منذ ما ينيف على الألف سنة تبادلا ثقافيا حرصت الأجيال المتعاقبة على مساندته



يستقبل السيد عبدو ضيوف بالحليب والتمر وهو متوجه إلى قاعة المؤتمر

والدعوة إليه. غير أن رغبتكم في الاقتراب بعضكم من بعض كما يشهد بذلك هذا اللقاء العظيم لم تكن أشد إلحاحا وأكثر إصرارا حتى تتيسر أفضل الشروط لضمان ما تتطلعون إليه من نجاح وترجونه من فلاح.

هذا وقد كان المغرب دائما وعلى جميع مستويات التبادل الثقافي مع العالم الإسلامي مركز دعم وتعزيز بالنسبة إلى السنغال. ويكفي للاقتناع بذلك القاء نظرة سريعة على ما يعرفه التعليم التقليدي العربي الإسلامي في السنغال من برامج كانت خلال القرن المنصرم أوثق صلة وأشد ارتباطا بالبرامج المقررة في معاهد التعليم التقليدية بالمملكة المغربية.

ومن هو يا ترى السنغالي من جيلكم الذي لم يهتم بدراسة وحفظ أبيات الفقيه العلامة ابن عاشر وما تشتمل عليه من أحكام في التوحيد والفقه والتصوف ؟ ولا أحسن من الرجوع في هذا الباب إلى أطروحة السيد «رفان مباي» تحت عنوان «الإسلام في السنغال».

ذلكم هو النهج القويم الذي سار عليه مشايخ بلادنا الاعلام الذين عملوا على تثبيت الإيمان في قلوب المسلمين في السنغال بفضل ما كان لهم من عزم وحزم وما برهنوا عنه من تضحية ونكران ذات.

وهذه الأعمال المتواصلة والجهود المتضافرة أفضت باعتبارها عاملا من عوامل التنمية إلى إرساء قاعدة متينة استطاع الإسلام بفضلها أن يحتل طوال خمسة قرون مقام الصدراة في ازدهار الفكر عبر العالم.

أصحاب الفضيلة العلماء

إن رسالتكم عظيمة وخطيرة في آن واحد :

رسالة عظيمة لأنها تندرج في آفاق العمل على تمتين عرى أواصر الأخوة الإسلامية التي تجمع بين المغرب

والسنيغال والنهوض بالقيم الإسلامية النبيلة عن طريق نشر تعاليم هذا الدين الإنساني الحنيف الذي تعلق عليه اليوم آمال مليار من عباد الله المسلمين.

ورسالة خطيرة لأنكم تضطلعون بها في عالم يطبعه الاهتزاز والاضطراب ويخشى أن تدفع به إلى الهاوية الأطماع الأنانية والأغراض الشخصية التي أخذت تغطي على القيم الأخلاقية والروحية.

وإني لمقتنع كل الاقتناع بأنكم ستستخلصون العبرة من الماضي في أداء الرسالة المنوطة بكم وأنتم علماء الأمة وأملها في النجاة والاستقرار وسوف لا يفوتكم فيما ستتدارسونه من مواضيع وقضايا، الاهتمام بضرورة إحياء التعليم الديني لجعله أكثر استجابة لمتطلبات العصر. وهكذا ستتجنبون العقبات التي اعترضت العلماء في فترة انحطاط الفكر الإسلامي الممتدة من القرن الثاني عشر إلى القرن التاسع عشر.

ولا حاجة إلى التأكيد على أسباب ماعرفته الثقافة الإسلامية من كبو وتعثر طوال هذه المدة التي اتسمت فيها الأعمال، إلا ما كان من بعض الاستثناءات بقلة الخلق والإبداع نتيجة انعدام روح النقد والتميز بين الجيد والرديء.

وكان العلماء مضطرين إلى الاقتصار على بعض الشروح والتعاليق فيما يخص مساهمتهم في الثقافة الإسلامية مع العلم أن هذه الثقافة بلغت ذروتها وانتهت إلى أوجها في القرن الحادي عشر الذي عاش فيه العالم الجليل ذو الباع الطويل الإمام الغزالي رحمه الله.

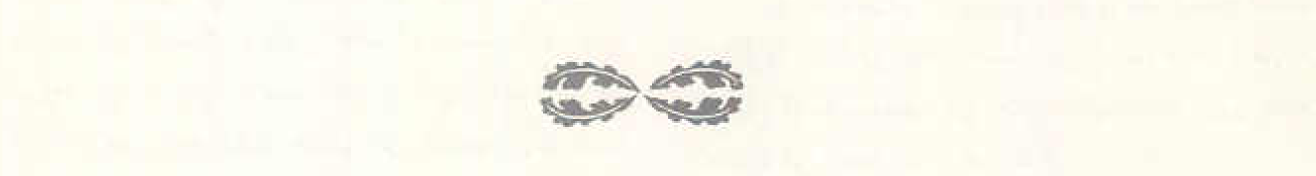
وكان من اللازم أن يظهر في القرن التاسع عشر رجال جدد من مستواكم للقيام بالنهضة في هذا المجال. وكل الآمال معلقة عليكم لتحقيق الأهداف المنشودة والغايات المقصودة.

وكيفما كان الحال يمكنكم الاعتماد على دعمنا ورعايتنا وسوف لا نبخل بأي مساعدة من شأنها أن تيسر استمراركم في هذا العمل الذي تحددون اليوم معالمه وترسمون خططه وبرامجه.

وقبل الختام في هذه الغمرة من الأمل أبى إلا أن أنوه بالرعاية السامية التي يحيطكم بها أخي وصديقي جلالة الملك الحسن الثاني.

وإني إذ أرجو لأعمالكم كامل النجاح أعلن افتتاح المؤتمر الأول **لرابطة علماء المغرب والسنيغال للأخوة والتعاون الإسلامي**.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



خطاب
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
في الجلسة الافتتاحية

ألقى الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية كلمة قيمة في الجلسة الافتتاحية لأشغال المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال، أبرز فيها أهمية هذا المؤتمر الذي تعقده الرابطة تحت الرعاية السامية لأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأخيه فخامة الرئيس السينغالي عبدو ضيوف، على أرض السينغال العريقة في الإسلام، والأصيلة في الإيمان المحبة للعلم، المتعلقة بأهذاب العلماء ورثة الأنبياء.

وفيما يلي نص خطاب السيد وزير الأوقاف :



السيد الوزير في خطابه الافتتاحي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- فخامة الرئيس
- أصحاب المعالي الوزراء
- أصحاب السعادة السفراء.
- أصحاب الفضيلة العلماء
- حضرات السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله،

تعقد اليوم رابطة علماء المغرب والسنغال مؤتمرها الأول على تقوى من الله ورضوان فوق هذه الأرض الطيبة المباركة أرض السنغال العريقة في الإسلام الأصيلة في الإيمان المحبة للعلم المتعلقة بأهداب "علماء ورثة الأنبياء الكريمة المضيافة الجميلة الخلابة تحت الرعاية السامية

لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأخيه فخامة الرئيس عبدو ضيوف حفظه الله.

ونلتقى اليوم في موعد مع التاريخ لنؤكد العهد على مواصلة ما كان عليه أجدادنا وأسلافنا ونحيي تلك الروابط الروحية الحميمة والوشائج الإسلامية الإنسانية العظيمة ونتأمل في أحوالنا وننظر في أمور أمتنا ونتناجى بآمالنا وتطلعاتنا ونؤكد للمجتمع الدولي أننا هنا حاضرون شاهدون على العصر متيقظون للمرحلة مجندون لصيانة إيمان هذه الأمة معبأون لحماية فكرها ووجدانها ساهرون على هدايتها إلى طريق الله والأخلاق الفاضلة النقية والحضارة الربانية الإيمانية الكاملة.

نحن علماء البلدين

جئنا إلى هذا الملتقى لنشهد بأننا إخوة في الدين والتاريخ والدم والجذور الإفريقية والنضال المشترك من أجل الكرامة والحرية.

جئنا لنضع اليد في اليد من أجل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والقيام بنشر مبادئ الإسلام الصحيحة داخل البلدين الشقيقين وخارجهما.

جئنا لنتشاور في أمر شبابنا كيف يمكن تربيتهم تربية إسلامية علمية سليمة وتدريبهم على التحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة في السلوك والمعاملة والأخذ بيدهم برفق وعطف وحكمة حتى يتمكنوا من التوفيق بين مبادئ دينهم ومتطلبات الحياة المتمدنة الحديثة.

جئنا لنبحث الكيفية والوسائل لخلق نهضة علمية إسلامية بالبلدين والمحافظة على معالم الحضارة الإسلامية بالبلدين.

جئنا لننظر في وسائل الدفاع عن مذهب أهل السنة وعن معسكر الإسلام السني الذي أصبح اليوم يتعرض لهجمات ومؤمرات ودسائس.

جئنا لنعلن للجميع أن مهمة علماء الإسلام هي جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وتأليف قلوبهم ونشر المودة والمحبة فيما بينهم ونشر التسامح فيما بينهم وبين إخوانهم من أهل الديانات الأخرى وإشاعة روح التعاون والتعارف والإخاء بين بني الإنسان كيفما كانت أجناسهم وألوانهم ودياناتهم لما فيه خير الإنسانية والسلم العالمي.

جئنا لنعلن للناس كافة أننا نستنكر الحروب بين بني الإنسان ونستنكر الإرهاب بجميع أشكاله وألوانه ونستنكر العنف كيفما كانت أسبابه وندين الميز العنصري وندين كل تفرقة بين بني الإنسان بسبب اللون أو الجنس أو الدين وإننا مع السلم والأمن والاستقرار والصداقة والمساواة والديمقراطية واحترام إرادة الشعوب واحترام كرامة الإنسان. وأننا مع العدل وضد الظلم وأن أكبر ظلم يرتكبه الإنسان في حق نفسه وحق مجتمعه، وحق الإنسانية هو أن ينكر على الله أنه خالق هذا الكون ومدبره وميسره لما خلق له وخالق الإنسان ورازقه وهاديه إلى ما فيه صلاح أموره كلها وأن الإنسانية لا يكون صلاحها وخيرها وتقدمها الحقيقي وازدهارها إلا داخل نظام متوازن يأخذ بعين الاعتبار عنصري المادة والروح جميعاً ويسهر على دوام ذلك الرباط الذي يربط بين الأرض والسماء هو حبل الله المتين المذكور في هذه الآية الكريمة التي هي شعار هذا المؤتمر ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾.

سيدي الرئيس

للتاريخ أذكر أن أخاكم جلالة الملك الحسن الثاني عندما أمرني بتبليغ فخامتكم اقتراحه الرامي إلى خلق رابطة بين علماء البلدين المغرب والسنغال لتحقيق جميع الأهداف النبيلة التي أشرت إليها كانت استجابتكم تلقائية وبحماس وسرور وأكدتم لي حينئذ أن هذه الرابطة ستجد منكم شخصياً ومن حكومتكم كل ماتستحق من دعم وتشجيع.

وأسجل للتاريخ أيضاً أنكم يا فخامة الرئيس أوفيتم بوعدكم فما حدث أن قدمت لفخامتكم طلبا يتعلق بهذه الرابطة فقلتم : لا. بل كان موقفكم دائماً موقف الشرف وموقف الشعور الكامل بالمسؤولية ولقد كنتم هنا في السينغال كما كان جلالة الملك الحسن الثاني. هناك في



ص. ج الملك الحسن الثاني يستقبل بالقصر الملكي بمراكش السيد عبده ضيوف رئيس جمهورية السينغال يوم السبت 16 يبراير سنة 1985 م (25 جمادى الأولى عــــام 1405 هـ)

المغرب تتبعون خطوات هـذه الرابطـة بكل اهتمـامكم وتعتبرون أنفسكم بحق مؤسسين لهذه الرابطـة وضـامنين لنجاحها.

قبايم علماء البلدين الشقيقين أتوجه إليكم يا فخامة الرئيس وإلى أخيكم جلالة الملك الحسن الثاني بخالص الشكر والاعتراف بالجميل ونعاهدكم أمام الله تعالى على أننا سنواصل العمل بكل جد وإخلاص حتى تحقق هـذه الرابطة جميع ما تعلقونه عليها من آمال.

سيدي الرئيس :

حضرات السادة الأفاضل :

من أسس نظام الحكم احترام إرادة الشعوب. ولـذلك جاء الإسلام بنظام الشورى فقال الله تعالى لرسوله سيدنا محمد ﷺ : ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾ وعندما تلتقي إرادة الشعب مع إرادة قائده تصبح هذه الديموقراطية عبارة عن مونولوج جميل يحاور فيه الشعب نفسه تارة بلسان الشعب وتارة بلسان القائد ويصبح الشعب والقائد شيئاً واحداً لا يمكن التمييز بينهما.

وأنتم يا فخامة الرئيس تعبرون عن إرادة هذا الشعب السنغالي المسلم وتترجمون آماله وتطلعاته واهتماماته وتنطقون بلسانه وها أنتم هؤلاء تنوبون عنه في تكريم العلماء والعناية بمؤتمرهم وتأبون إلا أن تفتتحوا هـذا المؤتمر بنفسكم وتعطوه من وقتكم الثمين رغم أشغالكم الكثيرة ومسؤولياتكم الكبيرة زيادة على ما وفرتم له من وسائل التنظيم والتأطير التي ساعدت على انعقاده في

أحسن الظروف وهذا مثال حي من الأمثلة الكثيرة التي تدل على أنه في هذا البلد الإسلامي الأصيل التقت حقا إرادة الشعب بإرادة الرئيس فهنيئاً للشعب السنغالي برئيسه وهنيئاً للرئيس بشعبه شعب الكرم الإفريقي الأصيل.

شعب الروح الإسلامية العالية.

شعب السبحة.

السبحة التي في كل حبة من حباتها فلسفة كاملة وتاريخ وحضارة ومدنية وفكر.

سيدي الرئيس :

في ختام كلمتي أحمل إلى هذا المؤتمر والمشاركين فيه رضى أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله وارتياحه لانعقاد هذا المؤتمر في العاصمة دكار مع دعائه لكم جميعاً بالنجاح والتوفيق في أعمالكم وتأكيد رعايته الشاملة لمؤتمركم وعنايته السامية بما ستسفر عنه مذاكراتكم ومشاوراتكم ودعمه الكامل لجميع جهودكم.

حفظ الله مولانا أمير المؤمنين وسبط سيد المرسلين جلالة الملك الحسن الثاني واسطة عقد العلماء وتاج الملوك العلويين الشرفاء وحفظ أخاه فخامة الرئيس عبدو ضيوف قلب السنغال النابض وأمل هذا الشعب المتطلع الناهض وبارك في جهودهما المخلصة.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾.

﴿والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله. أولئك سيرحمهم الله. إن الله عزيز حكيم﴾.

صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.



خطاب

الأستاذ عبد الهادي بوطالب

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)

في المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال

أكد الأستاذ عبد الهادي بوطالب، بوصفه المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «الإيسيكو»، أن انعقاد هذا المؤتمر، أحيا الروابط القديمة بين المغرب والسينغال القائمة منذ عهد الأدارسة، مشيرا إلى أن العلماء عملوا على توثيق هذه الرابطة واستمراريتها... وأن هذا المؤتمر خطوة رائدة في لمّ شتات المسلمين، ورفع صوت الحق والعدل...

وأعلن أنه سيصدر قريبا، كتاب في أجزاء، وبلغات المنطقة الثلاث العربية والفرنسية والانجليزية عن الحضارات الإسلامية في إفريقيا بأقلام نخبة من كتاب مختلف الدول الافريقية.

وفيما يلي نص الخطاب الأستاذ بوطالب :

فخامة الرئيس

أصحاب المعالي، أصحاب السعادة

أصحاب الفضيلة العلماء

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أود في البداية أن أتقدم باسمي وباسم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيكو - بالتحية الإسلامية لهذا الملتقى الإسلامي الهام.

كما أغتنم هذه الفرصة لأعبر عن سعادتي بتلبية الدعوة الكريمة التي وجهها إليّ فخامة الرئيس عبدو ضيوف للمساهمة في تدشين أعمال هذا المؤتمر الذي ينعقد على أرض السنغال القلعة الإسلامية الصامدة، ونافذة الإشعاع على افريقيا، ومعبر الحضارة الإسلامية لهذه القارة.

وأحيي فخامة الرئيس عبدو ضيوف الذي تفضل بالرعاية الفعلية لافتتاح أشغال هذا المؤتمر، وأحيي فيه الرجل المسلم الغيور على دينه، بالمتحلي بالأخلاق المثالية الفاضلة، الواعي لمسؤولياته تجاه شعبه وأمته، المضحي بوقته وطاقاته بجانب أشقائه ملوك وأمراء ورؤساء الدول الإسلامية من أجل تحقيق نهضة الأمة الإسلامية والسمو بها لتأخذ مكانها بين الأمم الكبرى.



السيد عبد الهادي بوطالب يلقي خطابه

وأحمد الله تعالى الذي يسر لعلماء مرموقين بين الأمة الإسلامية من المغرب والسنغال اللقاء في هذا البلد العزيز من قارتنا الإفريقية، والالتقاء على صعيد العلم والدين والخير، والتمسك بكتاب الله وهدي رسوله الكريم. تصديقاً لقوله تعالى : **﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾**.

إن هذا المؤتمر الذي يضم نخبة من علماء الأمة الإسلامية، لهو خطوة رائدة في لم شتات المسلمين وتوحيدهم، لأداء رسالتهم الدينية، ورفع صوت الحق والعدل، وتحقيق إرادة الله تعالى في نشر دينه القويم، وكما قال عليه الصلاة والسلام : «إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

لقد شاءت إرادة الله أن نجتمع في عاصمة كبرى من عواصم القارة الإفريقية، وفي حصن في أقصى الغرب من بلاد الإسلام، ممن امتد إليه الإشعاع الإسلامي من الأرض التي زُوِيَت لرسوله الكريم، فرأى مغاربها ومشارقها، وبلغ ملك أمته ما زُوِيَ له منها.

إن القارة الإفريقية تلقت الدين الإسلامي عن صحابة الرسول وتابعيهم رضوان الله عليهم، وتسابقت إلى هذا الدين الحنيف، فعرفت منذ غمرها الإشعاع الإسلامي، حضارة إسلامية عريقة ظلت افريقيا حضنها على مدى الأيام.

وإن هذا الجمع الحافل من علماء السنغال والمغرب ليحيي تلك الرابطة القوية بين هذا البلد العظيم وبلاد المغرب، حيث ترابط السند والرواية بين علماء وهبوا أنفسهم لخدمة الدين الإسلامي القيم وتحقيق شريعة الله. ومنذ عهد الأدارسة في المغرب والصلات تزداد وثوقا بين البلدين، وكان عصر الصنهاجيين المرابطين عصر وحدة بين (صناكة) الجنوب، المحولة إلى كلمة (السنغال) وصنهاجة الشمال. وكان للعلماء الفضل في توثيقها واستمراريتها، لذلك فشعورنا بوحدة الأخوة الإسلاميّة والترابط الجغرافي في مؤتمرنا هذا، مما يعزز وحدة الهدف الذي هو خدمة الأمة الإسلامية وتحقيق تضامنها.

فخامة الرئيس

إن العمل الإسلامي خلق مجالاً ثقافيا واسعاً في أعماق الأفارقة، نمى نزعتهم الروحية مستمداً من طبيعة التدين الكامن في شخصيتهم، وإن ما قدمته افريقيا الغربية للإسلام من جهود حاول العهد الاستعماري أن يعفي عليها ليثير الإعجاب، لأنها جهود أرسخ وأقوى من أن تمحى، لذلك وجدت الإيسيكو في هذه القارة ذخراً إسلامياً تعتز به الحضارة الإسلامية، وستصدر منظمتنا قريباً كتاباً جامعا في سلسلة أجزاء بلغات المنظمة الثلاث : العربية والفرنسية والإنجليزية عن الحضارة الإسلامية في افريقيا مدبجا بأقلام نخبة من كتاب مختلف البلاد الإفريقية، حيث تجمعت لدينا مجموعة كاملة بأعلام افريقية من العلماء والمفكرين والكتاب، وتوفرت عندنا ثروة من المآثر العمرانية والتراث



السيد عبده ضيوف يستقبل السيد عبد الهادي بوطالب



ويستقبل علماء المنطقة

الإسلامي، ستكشف عنها الحجاب وتحول بينها وبين الاندثار والنسيان.

ومن هذا المنظور ساهمت المنظمة الإسلامية «الإيسيسكو» في تأسيس المركز الدولي لحضارة «البانتو» لدراسة الحضارة الإفريقية الغربية في منطقة غنية بالتراث الثقافي والحضاري للجهات الشرقية والجنوبية في افريقيا بغية إبراز الصلات العريقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الإفريقية.

وللمنظمة برامج موفقة في العودة إلى كتابة لغات افريقية بالحرف العربي كلغة البيلار - وفيلفيلد، وزرما - سنغوي، كما كانت تكتب من قبل، لأن الحرف العربي يحمل الكلمة العربية التي هي أداة الثقافة القرآنية.

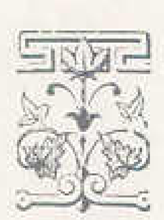
وللمنظمة في مختلف البلاد الإفريقية برامج تربوية وعلمية وثقافية، وضمنها بلد السنغال العظيم، لأننا نعتقد أن من الأوليات البدار إلى مساعدة هذه القارة التي بليت باستعمار كان همه أن يمحو شخصيتها الحضارية ويجتث جذور الإسلام منها. لذلك فالمنظمة توليها عنايتها لتحقيق مختلف البرامج الهادفة إلى تثبيت هوية إفريقية إسلامية.

فخامة رئيس الجمهورية السنغالية الموقر
أصحاب الفضيلة العلماء

إن آمال الأمة الإسلامية لمعلقة على ما سيسفر عنه مؤتمر العلماء، هذا وقد تعودنا أن تنتج أعمال العلماء وجهودهم خيراً للأمة الإسلامية جمعاء، لأنهم مرتبطون بمنهج القرآن الكريم، وبالهدي النبوي الأمين، وهم في هذا المؤتمر في رعاية فخامتكم ورعاية أخيكم جلالة ملك المغرب الهمام الحسن الثاني نصره الله فلابد أن تكون أعمالهم في مستوى هذه الرعاية وأن تكون حصيلة أشغال هذا المؤتمر ذخرا معززا للجهود المبذولة عبر العالم الإسلامي لخير الإسلام والمسلمين.

وفقكم الله أيها السادة وأثابكم وكلل بالنجاح والتوفيق مساعيكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



خطاب

الأستاذ مولاي مصطفى العلوي رئيس رابطة علماء المغرب والسينغال

للصداقة والتعاون الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين.

- فخامة رئيس الجمهورية السيد عبدو ضيوف
- معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
- أصحاب السعادة الوزراء
- أصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ.

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد.. يسعدني أن أتقدم بين أيديكم وأمام جمعكم المبارك بكلمة مقتضبة عن نشأة رابطة علماء المغرب والسنغال للصداقة والتعاون الإسلامي.. والتي أسست على تقوى من الله ورضوان بأمر سامي من صاحب الجلالة الملك المفدى أمير المومنين الحسن الثاني نصره الله وتأييد أكيد من فخامة رئيس جمهورية السنغال الشقيقة الذي مثله وزيره في الشؤون الثقافية الأستاذ عبد القادر فال وذلك منذ حوالي ثلاث سنوات حيث كان ميلاد المؤسسة السعيدة في 13 رمضان عام 1405 هـ الموافق 3 يونيه سنة 1985 بقاعة الشرف بمجلس النواب المغربي.

وميلاد هاته المنظمة العلمية الإسلامية بمجلس النواب المغربي وفي ليلة من ليالي رمضان المعظم له دلالته العظمى في هذا الحدث الطيب... خصوصا وأنه صدر عن اهتمامات ملك البلاد المعظم أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني أعزه الله ونصره.. وهو الملك المجاهد الذي ورث عن أسلافه الأماجد ملوك الأسرة العلوية مسؤولية الدفاع عن مقدسات الإسلام عقيدته وأخلاقه وكل تعاليمه.

هذا الشعب المؤمن الذي ظل قرونا طويلة حصنا حصينا للفكر الإسلامي وسدا منيعا في وجه الزحف الصليبي الوافد عليه من كل الجهات.

حضرات السادة الأماجد.. إن مؤسستكم هاته جعلت من أهدافها الرئيسية :

أولا : الدعوة إلى الله ونشر تعاليم دينه الحنيف، انطلاقا من قوله تعالى **﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**.

ثانيا : تعزيز الروابط وتمتين الأخوة الإسلامية والصداقة العريقة التي تربط بين الشعب المغربي وشعوب



جانب من العلماء الحاضرين في المؤتمر



صورة تذكارية لعلماء المغرب وهم في مدينة دكار

افريقيا الغربية وفي مقدمتها الشعب السنغالي العريق وعلماؤه الأبرار والعمل على تجديد تلك الأواصر العريقة والتي تتجلى في نشر العلوم الإسلامية والدفاع عن المقدسات، وبعث الإشعاع الفكري المنطلق من جامعة القرويين، والساري مفعوله المضيء إلى هاته الأرض الطيبة وما وراءها من شعوب غرب افريقيا المسلمة.

واستمرارا لما كان عليه السلف الصالح من قيام بهذا الواجب المقدس. فبالرجوع إلى تاريخنا القريب والبعيد نجد أن الصلة الروحية والفكرية في نطاق معالم الإسلام وحضارته ظلت دائمة فاعلة في نفوس الأجيال تربطهم برباط الأخوة الذي نص عليه كتاب الله تعالى في قوله : ﴿**إنما المومنون إخوة**﴾ وقوله : ﴿**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾.

فمهمة علماء الإسلام اليوم أيها الإخوة الكرام... هي العمل على لم الشعث وإعادة الصف الإسلامي إلى وحدته التي عرفها في غضون التاريخ، فالمجتمع الإسلامي في جميع أقطار المعمور لم يسبق له أن عرف هذا التمزق والتفرق والاختلاف الذي يعرفه اليوم، وما عرف هذا إلا عندما تخلى معظم أفراده وجماعاته عن تعاليم الإسلام التي سار عليها أجيال وأجيال من رجال الماضي والمسؤولين عنه.

فالإسلام أمر معتنقيه بأن يكون كالبنيان يشد بعضه بعضاً وأمر المسلم بالعناية بأخيه فقال عليه الصلاة والسلام «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» وحذر القرآن المومنين من الانصياع والانقياد لغيرهم مهما كانت ظروفهم... وأعتقد أن ذلك التحذير ينصب على أوضاع المسلمين اليوم قال تعالى : ﴿**يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم، يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾، صدق الله العظيم.. والاعتصام بحبل الله هو الأخذ بكتابه وسنة نبيه ﷺ، فقد وصف ﷺ القرآن بقوله : هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم من قال به صدق ومن حكم به أجر من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله إلى آخر الحديث... وقد أمر الله رسوله والمومنين فقال : ﴿**فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون**﴾.

فعلينا معشر الإخوة الكرام... أن نتحمل مسؤولياتنا في هذا المجتمع الممزق المختلف وأن نعمل على رأب الصدع ونصدع بالحق ونحمل الناس على الرجوع إلى الصراط المستقيم صراط الله الذي له في ما في السموات وما في الأرض عملا بقول الله العلي القدير ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾.

إن أوضاع الشعوب الإسلامية اليوم كما تعلمون في اختلاف وصراع وحروب فيما بين بعضها بعضا كالعراق وإيران، وبينها وبين خصوم الإسلام في الأقليات المسلمة في جهات أخرى مما هو من فعل المندسين وراء تلك الجماعات.

وعلى علماء الإسلام أن يبينوا للناس وللمسؤولين عن تلك الشعوب.. خطورة الوضع الذي يعيشون فيه ويحملوهم على الاحتكام إلى كتاب الله إذ يقول : ﴿**وإن طائفتان من المومنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين**﴾.

وعلى علماء الإسلام... أن يبذلوا قصارى جهودهم لعلاج شؤون المجتمعات الإسلامية التي تسلط عليها أدعياء المعرفة والفكر واستوردوا لأبنائها ثقافة مدخولة تشكك

الناشئة فيما ورثته من ثقافة إسلامية سليمة، ويدفعونها بشتى الوسائل للخروج عما ورثته عن سلفها الصالح من طاعة لله والسير على منهجه في الحياة من عهد الرسول وصحبه والتابعين ومن تبعهم إلى أن أصيبت شعوب المسلمين بالغزو الاستعماري والفكري منه على الخصوص.

إننا معشر العلماء.. مطوقون بأمانة ورثناها بحكم الشرع والطبع.. هي أمانة البيان والتبليغ، فقد أمر الله رسوله ﷺ بأن يبلغ للناس ما نزل إليهم فقال تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين لناس ما نزل إليهم ولعلهم يتذكرون﴾** وقد بين ﷺ وبلغ وعلينا أن نبلغ ماورثناه حتى لا يكون موقفنا حرجا يوم العرض على الله طبقا لقوله تعالى في الآية السالف ذكرها: «وسوف تسألون.

أيها السادة العلماء الأجلاء والمشايخ الأبرار.. إن رابطتكم تقيم هذا المؤتمر الأول في حياتها.. لتنهي إلى علم من غاب عنه أمرها بما أقدمت عليه مستعينة بالله لتبلغ مقاصدها وأهدافها بجهودكم وعواطفكم وعلمكم وقوة إيمانكم بالرسالة الملقاة على كل عالم مسلم غيور على تعاليم دينه.. وإن الباب مفتوح في وجه كل عالم يريد الإسهام في العمل الإسلامي الذي يدخل في أهداف الرابطة... المؤسسة للقيام بالدعوة الإسلامية والتوجيه الحق في نطاق الآية الكريمة: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾** وقد شرعت الرابطة في العمل على مساعدة عدد من طلبة العلم مغاربة وسينغاليين ومن أقطار إفريقية أخرى يتابعون دراستهم في المدارس والمعاهد الإسلامية في مختلف مدن المغرب وقراه مما يزيد على خمسمائة طالب، وهي تستعد حسب إمكانياتها المادية القيام بأعمال أخرى تتناول وسائل التبليغ المقروءة والمسموعة... وستعقد بحول الله وقوته ندوات ومؤتمرات في مستقبل الأيام وكلما أمكنها ذلك.

وختاما.. نشكر كل الذين شجعوا الرابطة بحضورهم في هذا المؤتمر الأول بمساعدتهم المادية والمعنوية.. ونرفع أكف الضراعة إلى الله أن يحفظ راعي هاته الرابطة، أمير المومنين الحسن الثاني، وصديقه الكريم فخامة الرئيس عبدو ضيوف...

والله من وراء القصد والسلام عليكم ورحمة الله.



البيان العامّ

للمؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بمبادرة كريمة وتوجيهات سديدة من قائدي البلدين المسلمين المغرب والسينغال، وتحت الرعاية السامية لأمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني والرئاسة الفعلية لفخامة الرئيس عبدو ضيوف.

وشعوراً من القائدين العظيمين بما للقطرين الشقيقين من دور ريادي وطلائعي في بث الإشعاع الديني ونشر المد الحضاري الإسلامي في ربوع البلاد الإفريقية، وتحقيقا لرغبتهما المخلصة في استمرار القيام بهذا الدور الإيجابي الذي يحتمه التاريخ المشترك والموقع الجغرافي للبلدين.

وامتنانا لمبادرتهما العلمية المشاركة بتكوين رابطة لعلماء المغرب والسينغال، تخدم الإسلام والمسلمين في البلدين الشقيقين، وتعمل على ترسيخ جذور الأواصر العريقة الممتدة بينهما في الماضي، والموصولة بتعزيزها في الحاضر والمستقبل، حتى تبقى ثابتة متينة وتكون مشابة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ورغبة من علماء البلدين في أن تكون رابطتهم والتقاؤهم هذا في فتح باب التعاون المثمر بين علماء المسلمين، لما فيه صلاح أمر الدنيا والدين، وقياماً بأمانة التفقيه والإرشاد، والتبليغ والنصح على النهج المتجلى في الجو الطيب لهذا الملتقى الإسلامي الجليل وتقديراً وإجلالاً لترحيب فخامة الرئيس عبدو ضيوف بهذا المؤتمر الإسلامي الهام وتشريفه له برئاسة جلسته الافتتاحية التي زادته مظهراً من الاعتبار والإجلال، وفي جو نعمة الإسلام وهداية الإيمان والاسترشاد بتعاليمه الربانية ومبادئه السمحة الخالدة، والتمسك بالكتاب والسنة، انعقد المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس 13 ـ 14 ـ 15 جمادى الثانية 1408 هـ الموافق 2 ـ 3 ـ 4 فبراير 1988م تحت شعار قول الله تعالى : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ وقد افتتح المؤتمر بتلاوة آيات بينات من كتاب الله العزيز وتلى الجلسة الافتتاحية بالخطاب الذي ألقاه فخامة الرئيس السينغالي السيد عبدو ضيوف والذي حيا فيه المؤتمر ورحب بالمؤتمرين، وبخطاب معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية الذي تضمن التوجيهات السامية لصاحب الجلالة الحسن الثاني أيده الله، ثم بخطاب رئيس الرئيس الرابطة وأمينها العام.

واستمع الحاضرون بعد ذلك إلى كلمات الوفود، وتدخلات أصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ وإلى التقريرين الأدبي والمادي وانبثقت عن المؤتمر أربع لجان



جانب من أعضاء المؤتمر يتتبعون أعماله

هي :

1) لجنة الدعوة الإسلامية.
2) لجنة القضايا الإسلامية.
3) لجنة الشؤون الاجتماعية.
4) لجنة الصياغة والبيان العام.

وقد واصلت اللجن اجتماعاتها، وتدارست القضايا المتصلة بها، وتبادلت وجهات النظر والآراء على ضوء وشائج الماضي ومعطيات الحاضر وطموحات المستقبل، بالنسبة للمغرب والسنيغال والقارة الإفريقية، والعالم الإسلامي، وانطلاقاً من مبادئ الإسلام، ومقاصده السامية، ونظرته إلى الأمة الإسلامية على أنها أمة واحدة، يجب أن يقوم بينها التضامن والتكافل والتناصح والتشاور والتكامل والتعاون على الخير والتقوى وكل ما فيه صلاح أمر المسلمين وسعادتهم في الدين والدنيا عملا بقوله سبحانه : **﴿إنما المومنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾** وقوله تعالى : **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾**، ومن نظرته كذلك إلى الناس على أنهم جميعا من أصل ومنشأ واحد يقتضي أن يسود بينهم التعارف والسلام، والتفاهم والوئام، وإصلاح ذات البين بين الناس إذا وقع بينهم ما يؤدي إلى خلاف أو نزاع، وأنه لافضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح عملاً بقوله سبحانه : **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**.

وانطلاقاً كذلك من نظرة شمولية فاحصة إلى واقع المسلمين وأحوالهم اليوم، وما تشهده الساحة الإسلامية في

بعض الجهات والبلاد من خلاف ونزاع، يؤدي إلى إهدار طاقتها البشرية وإضعاف قوتها المادية والمعنوية مما يستفيد منه أعداء الدين وخصوم وحدة الإسلام، ويشغل بال المسلمين ويقض مضجعهم ويقلق راحتهم عملا بقول النبي ﷺ : «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

وسعياً في الأخذ بالمبادئ الإسلامية والتعاليم الربانية وما تضمنته من الرحمة والرأفة واليسر والسماحة والتآخي والمودة، وحسن التعايش والمعاملة، والتسامح والمسالمة، والمساواة والعدالة وغيرها من الفضائل والمكارم التي استجمعها دين الإسلام، وجعلته ديناً كاملاً يستجيب لحاجيات الإنسان في دينه ودنياه صالحاً لكل زمان ومكان، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾.

وحرصاً على العمل والتمسك بكل ما يزيد الإسلام والمسلمين تماسكاً وترابطاً ونصراً وعزة، وقوة ومناعة، والتئاماً للشمل وجمعاً للكلمة، وينهض بهم ثقافيا واجتماعياً وتربوياً وأخلاقياً واقتصادياً وحضارياً، ويمكن لهم في الأرض ويجعلهم في مستوى رسالتهم الإسلامية الخالدة التي تشهد لهم بأنهم الأمة الوسط وتجعلهم خير أمة أخرجت للناس مصداقاً لقوله تعالى : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله**﴾، وقوله سبحانه : ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمومنين**﴾. في ضوء هذه المبادئ الإسلامية والمنطلقات الدينية والواقعية انعقد المؤتمر الأول للرابطة وأسفر عن النتائج والتوصيات الآتية :

1) يهيب المؤتمر بالمسلمين قادة وشعوباً إلى التضامن والتماسك وبذل الجهود لجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم، وتقوية مركزهم لازدهار بلادهم والنهوض بمجتمعهم وأمتهم وفتح طريق النصر لهم في كل الميادين.

2) يدعو إلى العمل على قيام العلاقات بينهم على أساس الود والاحترام المتبادل والرجوع بالعلاقات بين بعض البلاد الإسلامية المتنازعة إلى سالف عهدها من الصفاء والإخاء، واحترام الحقوق المشروعة على أساس من القناعة والحق والإنصاف والعدل الذي جاء به الإسلام وتبنته الوساطات والجهات الإسلامية والمنظمات الدولية لحل خلافاتها بالوسائل السلمية حتى تستثمر طاقاتها البشرية وإمكاناتها المادية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتكون قوة ودعماً لبقية الدول الإسلامية.

3) يدعو المؤتمر إلى الوقوف بكل حزم وعزم في وجه خلق الكيانات المصطنعة التي تشق عصا الطاعة عن بلدها وسلطته الشرعية، والتي تؤدي إلى تفتيت البلاد الإسلامية، وتمزيق وحدتها الترابية، وإضعاف قوتها المادية والمعنوية.

4) يشكر المؤتمر الأعمال المتواصلة الحميدة وينوه بالجهود المبذولة من طرف القائدين المسلمين : جلالة الملك الحسن الثاني وأخيه فخامة الرئيس عبدو ضيوف التي تستهدف علاج كثير من الخلافات الجهوية والقضايا الإفريقية والإسلامية بالحكمة والتبصر والوسائل الهادفة إلى نشر ألوية السلام في ربوع القارة الإفريقية، وغيرها من بلاد الأمة الإسلامية، ويدعو إلى مضاعفة الجهود في هذا السبيل لما يتمتعان به من بعد نظر وحظوة ومكانة وتقدير واعتبار في العالم الإسلامي والدولي...

5) يحيي المؤتمر من هذا المنطلق الإسلامي، ويشيد بالمسلك السلمي الحكيم لجلالة الملك الحسن الثاني المتمثل في تنظيم المسيرة القرآنية الخضراء ومبادرته الشجاعة الداعية إلى إجراء استفتاء في الصحراء المغربية المسترجعة كحل سلمي للتوتر المصطنع في هذا الجزء المغربي من القارة الإفريقية، الذي يشهد التاريخ والواقع بمغربيته.

6) يؤيد المؤتمر الجهاد الإسلامي الذي يقوم به الشعب الأفغاني ضد الاحتلال الأجنبي المفروض عليه، ويدعو إلى تقديم المزيد من الدعم المادي والمعنوي له حتى يتمكن من استخلاص أرضه وحكم نفسه بنفسه في حرية واطمئنان.

7) يستنكر المؤتمر ويندد بالحرب الإيرانية العراقية، التي استمرت أكثر من ثمان سنوات ضاعت بسببها في كلا البلدين طاقات بشرية ونفوس بريئة وإمكانات مادية ومعالم حضارية، ويوجه المؤتمر نداء مخلصا إلى الطرفين المتحاربين، ويناشدهما أخوة الدين والمصلحة العليا للإسلام والمسلمين أن يحتكما إلى الدين، والمشروعية، والعقل والضمير الإنساني، كما يناشد قادة العالم الإسلامي ويدعو المجتمع الدولي إلى بذل المزيد من الجهود للإسراع بإيقاف هذه الحرب المدمرة بين شعبين مسلمين متجاورين، ووضع حد لنزيفها الدموي ومأساتها المؤلمة حتى يعود السلام إليهما بصفة نهائية ودائمة.

8) يعتبر المؤتمر القضية الفلسطينية قضية المسلمين الأولى التي تشغل بالهم وتستقطب اهتمامهم ويلح على ضرورة القيام بما يعجل بتمكين الشعب الفلسطيني من حقوقه المشروعة والعيش في بلده وفوق أرضه بكل اطمئنان وحرية ويعتبر تحرير القدس الشريف وإنقاذ المسجد الأقصى واجباً إسلامياً على جميع المسلمين ويحيي المؤتمر ويساند المقاومة والانتفاضة الشعبية التي يقوم بها الشعب الفلسطيني الأعزل ضد الاحتلال الصهيوني ويدعو المؤتمر بالحاح إلى دعم ومساندة تلك الانتفاضة بالنفس والنفيس وكل الوسائل الممكنة.

9) يحيي المؤتمر ويبارك بكل تقدير وإكبار الجهود والأعمال المتواصلة المشكورة التي تبذلها لجنة القدس برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني، التي أعطت وما زالت تعطي ثمارها الطيبة وعليها يعلق المسلمون كبير الآمال لصالح القضية الفلسطينية.

10) يستنكر المؤتمر بشدة أعمال الشغب التي ينشأ عنها مساس بحرمة المقدسات الإسلامية والحرمين الشريفين، وتؤدى إلى انتهاك حرمة الأشهر الحرم وإقلاق راحة الحجاج وأمنهم في ذلك البلد الأمين المطمئن الذي



الجلسة الافتتاحية للمؤتمر

جعله الله مثابة للناس وأمنا يأتون إليه من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات، ويحمدوه ويشكروه على ما هداهم إليه من نعمة الإسلام.

11) يساند المؤتمر الأقليات الإسلامية ويدعو إلى مزيد من الاهتمام بشؤونها ورعاية أحوالها وتقديم يد المساعدة لها مادياً ومعنوياً، قصد إعانتها على التشبث بدينها، وتخفيف الوطأة عليها من الغربة والضغط الذي يقع عليها وتتعرض له بسبب المحافظة على عقيدتها وممارسة شعائرها الدينية.

12) يستنكر المؤتمر استمرار الحرب الأهليـــة في لبنان ويدعو الأطراف المعنية المتناحرة إلى الاحتكام للدين والعقل والضمير، حتى يعود الأمن والسلام إلى ذلك القطر العربي ويستعيد حياته العادية ونشاطه الفكري والحضاري.

13) يستنكر المؤتمر الميز العنصري، ويدينه بكل شدة، ويعتبره مخالفاً لمبادئ الإسلام الذي يكرم الإنسان، ويرى أن من أصل واحد وأن الناس كلهم سواسية في الحقوق الإنسانية الحرية والكرامة، لا فضل لأسود على أبيض إلا بالتقوى والعمل الصالح.

14) يدعو المؤتمر المسلمين إلى ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة والتزام الجماعة وترشيد الصحوة الإسلامية لتكون صحوة واعية متبصرة تأخذ بالفهم الصحيح السليم للشريعة، وباليسر والمرونة والوسطية والاعتدال وتكون أداة بناء لجمع الكلمة، والاقتداء بالسلف الصالح في الأقوال والأعمال، وفي منهج الإرشاد والدعوة إلى الله بالعلم والمجادلة بالتي هي أحسن.

15) يدعو المؤتمر إلى مزيد الاهتمام بالدعاة والمرشدين مادياً وأدبياً، والعناية بتكوينهم إسلامياً متيناً يؤهلهم للقيام برسالتهم على الوجه الأكمل، وتوجيههم إلى سلوك النهج القرآني والنبوي الحكيم في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإلى التزام الأخذ بالمذهب المالكي كمقوم من مقومات الشخصية الإسلامية للبلدين، يحفظها من الاختلاف حول الفروع والجزئيات.

16) يدعو المؤتمر إلى المزيد من الدعم المادي والمعنوي للرابطة، وتقوية جانبها بالوسائل الكفيلة بتنظيم عملها وإنجاح أهدافها.

17) يشيد المؤتمر بالجهود المبذولة باستمرار من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية التي مافتئت تضاعف العمل لتقوية الرابطة وتقديم العون والمساعدة لها وتسهر على دعمها للنهوض بالرسالة المناطة بها حتى تكون عند حسن ظن منشئها وراعيها أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني، وعند حسن ظن أخيه فخامة الرئيس عبدو ضيوف اللذين يوليان عناية فائقة للرابطة ويعلقان عليها كبير الآمال لخدمة الإسلام والمسلمين في البلدين وفي غيرهما من البلاد الإسلامية.

18) يشيد المؤتمر بالأعمال الجليلة التي قامت بها الرابطة وحققتها مادياً وأدبياً منذ تكوينها لصالح الدعوة الإسلامية، ويهيب بها أن تضاعف نشاطها وتوعيتها الدينية في كلا البلدين وفق برنامج محكم، وأن تعمل على استقطاب العلماء ومشايخ الطرق الصوفية الموجودين في القطرين لفائدة الدعوة الإسلامية.

19) يسجل المؤتمر بكل إجلال وامتنان ما تحظى به الطرق الصوفية السنية، وعلماؤها ومشايخها من عناية خاصة لدى صاحب الجلالة الحسن الثاني الذي يكن لها عطفاً وتقديراً كبيراً، كما يشيد بالمبادرة المباركة لجلالته في إنشاء ندوة الطرق الصوفية التي احتضنت أول دورة في مدينة فاس حول الطريقة التجانية، والتي وجه إليها جلالته رسالة ملكية كريمة ضمنها توجيهات سامية حكيمة.

20) يدعو المؤتمر إلى مزيد الاهتمام بالتربية والتعليم في البلدين وتقويته بالمواد الإسلامية ومواد اللغة العربية، وتحفيظ القرآن الكريم للأطفال في المرحلة الأولية، وإلى العناية بتثقيف المرأة المسلمة تثقيفاً إسلامياً يجعلها مدرسة صالحة للقيام برسالتها المناطة بها في البيت والمجتمع، وإلى مزيد الاهتمام بالشباب وتثقيفه وتوعيته وإرشاده حتى ينشأ على بينة وبصيرة من أمر دينه، ويكون عنصر بناء وتشييد في المجتمع، وأداة نافعة للحفاظ على

التراث الإسلامي في البلدين وإصالة أمجادهما الإسلامية والفكرية والحضارية الشاملة في أعماق التاريخ الإسلامي.

21) يبارك المؤتمر طلب ممثلي كل من علماء موريطانيا وغامبيا وتشاد ونيجيريا الانضمام لرابطتنا الذي سيعزز صفوفها ويقويها ويدعيمها.

22) يعرب المؤتمر عن بالغ شكره وعظيم امتنانه لفخامة الرئيس عبدو ضيوف على ترحيبه وحفاوته بالمؤتمر، وتشريفه له برئاسة جلسته الافتتاحية، ويشيد باهتمامه الكبير وبعطائه من وقته الثمين مما جعل المؤتمر في منتهى الروعة التنظيم، يسوده جو إسلامي بهيج، ويختتم أعماله بنتائج طيبة وتوصيات هامة لصالح الرابطة والدعوة الإسلامية في البلدين.

23) ويعرب المؤتمر عن خالص الشكر والثناء وبالغ الامتنان لجلالة الملك الحسن الثاني، ويشيد بعنايته الفائقة والمستمرة للرابطة وعلمائها، ورعايته السامية للمؤتمر التي تجلت على هذا الملتقى الإسلامي الكريم فأثمرت نتائج طيبة هامة.

24) ويتوجه المؤتمر بالشكر الجزيل والثناء العاطر إلى البلد الشقيق (السينغال) حكومة وشعباً - على ما قدمه من أعمال وجهود مشكورة لإنجاح المؤتمر وبلوغ مراميه، وتحقيق أهدافه ويتوجه العلماء المغاربة بالشكر الخالص والتقدير والثناء الجميل إلى إخوانهم العلماء والمشايخ في السينغال على كرم الضيافة الحفاوة وحسن الاستقبال والرعاية.

ويحمد المؤتمرون الله تعالى الذي هدى، ووفق، وأرشد، ويسر انعقاد هذا المؤتمر الجليل والتقاء علماء البلدين فيه، واجتماع أهل الفضل والخير والدعوة إلى الله من علماء ومشايخ القطرين المسلمين وغيرهما **﴿وما كنا لنتهدى لولا أن هدانا الله. ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾**.

﴿لم أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾.

﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

توصية لجنة الدعوة الإسلامية

المنبثقة عن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الإسلامي



لجنة الدعوة الإسلامية منهمكة في اعداد التوصيات

تفرعت عن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب السنغال بدكار أربعة لجان هي :
لجنة الدعوة الإسلامية ولجنة الشؤون الاجتماعية، ولجنة السلم بالإضافة لجنة الصياغة التي أنهت أعمالها بالمصادقة على مختلف التوصيات الواردة في هذا اللقاء الإسلامي الهام.

إن لجنة الدعوة الإسلامية المنبثقة عن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسنغال المنعقد بمدينة دكار أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس (15/14/13) جمادى الثانية 1408 هـ (الموافق 4/3/2 فبراير 1988).

إيماناً منه بأن الدعوة إلى الله واتباع صراطه المستقيم هي مبدأ من مبادئ هذا الدين الإسلامي الحنيف، وأساس من أسسه الثابتة الخالدة، وانها أمانة المشايخ والعلماء ومسؤوليتهم الدينية، ورسالتهم العلمية المشرفة باعتبارهم

ورثة الأنبياء وعدول هذه الأمة، وحملة هذا الدين وسراجه المنير، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجهالين.

وانه لكي تجد الدعوة الإسلامية طريقها إلى الآذان والعقول، وتنفذ إلى أعماق النفوس والقلوب وتترك فيها الأثر الناجع الطيب فتحقق أغراضها وتصل إلى أعماق النفوس والقلوب وتترك فيها الأثر الناجع فتحقق أغراضها وتصل إلى مراميها وأهدافها، لابد أن يسلك العلماء والدعاة النهج الذي جاء به القرآن وسلكه الرسول عليه الصلاة والسلام وسار عليه السلف الصالح لهذه الأمة من الصحابة وتابعيهم بإحسان، وهو المنهج القائم على التفقيه والإرشاد والدعوة إلى الله وسبيله بالحكمة والموعظة الحسنة واعتماد اليسر والمرونة، والأمل والبشارة في نطاق حدود الشريعة الإسلامية وعدم الخروج والميل عن الجادة، عملا بقوله سبحانه : ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» «ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس».

وحيث إن نجاح الفقيه الداعية في رسالته السامية، وإقناع المذاهب الضالة والتيارات المنحرفة وإرجاعها إلى جادة الصواب وهدي الإسلام يتطلب منه المعرفة الصحيحة والفهم السليم لدين الإسلام وأحكامه وأصوله وفروعه وإدراك أسراره ومقاصده، والتفتح على أوضاع المجتمع والتبصر في أحواله والتسلح بمعارف إنسانية واجتماعية من ثقافة العصر وعلومه، والتحلي بالاستقامة في أقواله وأعماله وسلوكه وتصرفاته، التي تجعل منه القدوة الحسنة، المرضية في المجتمع والمؤثرة فيه، السائرة على سنن النبي عليه الصلاة والسلام، والأخذ بقوله سبحانه : ﴿**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾.

وحيث أن الإرتكاز في التفقيه والإرشاد على مذهب فقهي معين ينير السبيل أمام الداعية ويجعل الرؤية العلمية عنده سهلة واضحة ويجنب العامة التشويش في البال، في الوقوع في متاهات الخلافات الفرعية والجزئيات الفقهية، فإن المؤتمر يوصي بما يلي :

1) أن يسلك المرشدون والدعاة إلى الله المنهج القرآني الحكيم، والمنهج النبوي لخاتم الأنبياء والمرسلين، وسيرة السلف الصالح الأولين في التعليم والتفقيه، والإرشاد والتوجيه والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وضرب المثل بالقصة والعبرة والمجادلة بالتي هي أحسن، والحرص على تعليم الناشئة سيرة صحابة رسول الله ﷺ ولا سيما الخلفاء الراشدون، والعمل على إصدار تشريع لإحياء المدارس الحرة الإسلامية في بلدان الرابطة وباقي جهات غرب إفريقيا.

2) أن يقع الاهتمام والاعتناء بهم مادياً وأدبياً، وأن يتم تكوينهم تكويناً متيناً، واجتماعياً أصيلاً، يجعلهم مزودين بمعارف إسلامية وإنسانية، ويؤهلهم لأداء رسالتهم على الوجه المطلوب ويكونون به أوسع أفقاً وأقدر على تطوير أساليبهم في التوعية والتبليغ، ومواجهة المذاهب الزائغة والتيارات المنحرفة وملء الساحة الإسلامية بالعمل الإيجابي البناء حتى يكونوا أكثر تحلياً بالأخلاق الفاضلة، وخير مثال وقدوة ويستطيعوا التأثير في مجتمعهم علماً وسلوكاً واعتناقاً في الإجابة عن مستجدات العصر وقضاياه المطروحة.

3) أن تستمر المحافظة على الأخذ والعمل بالمذهب المالكي في البلدين، وذلك بتوجيه الفقهاء والدعاة في القطرين إلى ضرورة تمسكهم بالمذهب المالكي في أصوله وفروعه، واستمرار الحفاظ عليه والعمل به، واعتماد كتبه الفقهية في تدريس الأحكام وتفقيه الناس في العبادات والمعاملات وتأليف لجنة من رجال الحديث والفقه لتضطلع بتأليف كتاب يبسط المستندات لمسائل المذهب المالكي استنباطاً من القرآن الكريم والحديث الشريف وذلك توقيفاً للبلبلة الشائعة في المذهب والعقيدة وذلك اعتناقاً بما للإمام مالك رضي الله عنه من مكانة بارزة بين الأئمة المجتهدين ولما لمذهبه من شهرة ظاهرة بين المذاهب

السنية التي تلقتها الأمة الإسلامية خلفا عن سلف بعين الرضى والقبول والتي تعتمد في اجتهادها واستنباطها على الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ويزيد عليها المذهب المالكي باعتماد عمل أهل المدينة والأخذ بالمصلحة المرسلة وسد الذريعة بل وفتحها لما في فروق القرافي مما جعله أوسع أفقاً، وأرحب صدراً وأغنى فقهاً وأكثر مرونة واستجابة للنوازل الطارئة والمسائل المستجدة في كل عصر، مما حمل كثيراً من بلاد الشرق الإسلامي والغرب الإسلامي في الأندلس وإفريقيا على الأخذ به، وفي مقدمتها المغرب والسنغال حيث ظلا محافظين على الأخذ بهذا المذهب خلفاً عن سلف، وصار من التراث المشترك بين البلدين ومقوماتهما.

وإن علماء البلدين ليؤيدون ويباركون دعوة أمير المومنين جلالة الحسن الثاني في خطبه الرسمية وكلماته التوجيهية إلى الحفاظ على المذهب المالكي واستمرار التمسك به في المغرب ويعتبرونها دعوة حكيمة متبصرة هادفة إلى الحفاظ على عنصر من عناصره الشخصية ومقوم من مقومات وحدته وأصالته العلمية.

4) إن تيسر للدعاة والمرشدين وسائل الأعلام المكتوبة والمسموعة المنظورة لتبليغ رسالتهم من خلالها في البلدين ومنها إصدار مجلة للرابطة يكتب فيها العلماء بالعربية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية، حيث أنها أصبحت وسيلة هامة من وسائل التثقيف والتوعية والتوجيه، ينبغي أن تهتم تلقائياً بنشر الدعوة الإسلامية وتعتني بالفكر الإسلامي علماً وثقافةً، وسلوكاً وحضارة وتعمل على توجيه النشء والشباب إلى التشبث بالعقيدة الإسلامية، وشريعتها الحكيمة وفضائلها الكريمة مع الاستعانة بالأشرطة المسجلة والمصورة - كاسيط والفيديو - والمنشورات التي تتناول المواضع الإسلامية الحيوية والحساسة.

5) أن يتم دعم الرابطة للقيام برسالتها الإسلامية :

انطلاقا من كون الرابطة أسست على تقوى من الله ورضوان لخدمة المسلمين والإسلام في كل من المغرب والسنغال وغيرهما من البلاد الأفريقية والإسلامية ومن كونها تضم في صفوفها نخبة من أكابر وأفاضل علماء ومشايخ البلدين وتجعل في مقدمة أغراضها واهتماماتها القيام بالتفقيه والإرشاد والتوعية، والوقوف في وجه المذاهب والتيارات الزائغة عن هدى الإسلام، فإن المؤتمر يعتبر الرابطة أطارا منظما للقيام برسالتها الإسلامية وبلوغ الأهداف النبيلة المتوخاة من إنشائها ويوصي بـ :

أ - المزيد من دعم الرابطة ماديا ومعنويا، وتعزيز جانبها بالوسائل الكفيلة بانجاحها، والوصول إلى مرامها ومقاصدها وذلك بإنشاء صندوق خاص للدعوة.

ب - أن تعمل الرابطة على بلورة التوصيات الصادرة عن المؤتمر، وفق برامج مدروسة منظم وتخطيط متقن ومحكم، يكفل للرابطة السير في طريقها بوعي وبصيرة وانتظام، وتحقيق الآمال المقصودة من تكوينها بكل ضبط وأحكام، وذلك بتقوية تبادل الزيارات بين مشايخ وعلماء البلدين، لإلقاء دروس في أكبر المساجد وتنظيم محاضرات وندوات في المعاهد والجامعات وإنشاء معهد إسلامي بدكار مجهز بأحدث الوسائل التربوية لإعداد العلماء والدعاة وتأليف ما يمكن من كتب ميسرة وطبعها ونشرها وترجمتها إلى بعض اللغات قصد تسليط الأضواء الكاشفة عن الإسلام، وتبليغه إلى الناس بكل ما يمكن من التبسيط البيان وأحداث مادة «رد الشبه والمطاعن ضد الإسلام» في نطاق الشعب الإسلامية في الكليات.

ج - إقامة مخيمات إسلامية للطفولة وللشباب في كل من المغرب والسنغال.

6) يشكر المؤتمر وينوه بالجهود المبذولة باستمرار من طرف وزارة الأوقاف وعلى رأسها معالي الوزير الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري لأنها ما فتئت تولي اهتمامها الكبير للرابطة وتقدم لها يد العون والمساعدة ماديا وأدبيا، وتسهر على تنشيطها وتحريكها للقيام بالرسالة المنوطة بها وتكون عند حسن ظن منشئها وراعيها أمير المومنين جلالة الحسن الثاني نصره الله.

كما يشكر المؤتمر المجهودات التي بذلها مكتب الرابطة وعلى رأسه فضيلة الشيخ مولاي مصطفى العلوي

والأمين العام الشيخ إبراهيم محمود جوب والأعمال الجليلة التي انجزتها وحققتها منذ نشأتها إلى الآن ويهيب بها أن تضاعف من نشاطها وتوعيتها الدينية ما يجعلها تبلغ المرام وتحقق الآمال المعقودة عليها في كل من المغرب والسنغال وغيرهما من بلاد الإسلام.

7) استقطاب الطرق الصوفية لخدمة الدعوة الإسلامية.

انطلاقا من كون الطرق الصوفية المتواجدة في كلا البلدين تضم بين صفوفها نخبة من أكابر المشايخ والعلماء وتجمع صفوة من أهل الفضل والورع والتقوى وتعتبر طرقا سنية سلفية تستند من منبعها ونشأتها وبقائها واستمرارها إلى الكتاب والسنة وسلوك السلف الصالح من هذه الأمة، ومسلكا وأسلوبا حسنا للتربية والتهذيب، والأخذ بيد كثير من الناس إلى طريق الخير والصلاح، والاجتماع على ذكر الله وتقوية الإيمان وطاعة الله، ومحبة رسوله وآل بيته.

واعتبارا وتقديرا للدور التاريخي الذي كان ولا يزال لهذه الطرق الصوفية على اختلاف مشاربها في نشر الإسلام وبث إشعاعه الديني والحضاري في ربوع القارة الأفريقية فإن المؤتمر يوصي بـ :

أ ـ استقطاب مشايخ وعلماء الطرق الصوفية السنية للدعوة إلى الله، واستجماعهم حولها وفق منهاج الله الحكيم الرحب لتحضن بذراعيها كل من أراد من العلماء والمشايخ أن ينضم إليها ويتعاون معها على ما فيه خير البلدين وصلاح أمر الدنيا والدين في كل من القطرين وبلاد المسلمين.

ب ـ التزام الدعاة إلى الله باحترام إخوانهم في الميدان وعدم التشهير بهم أو النقص من قيمتهم عملا بقوله تعالى ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾ صدق الله العظيم ولنا في النصيحة بشروطها مجال واسع للاصلاح.

ج ـ ويسجل المؤتمر بالمناسبة وبكل إجلال وإكبار ما تجده الطريق الصوفية من عناية واهتمام لدى صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله الذي يكن عطفا كبيرا وتقديرا خاصا لهذه الطرق يتجلى ذلك في أمر جلالته بإنشاء ندوة الطرق الصوفية التي احتضنت أول دورة لها في مدينة فاس حول الطريق التجانية والتي وجه إليها جلالته توجيهية سامية.

د ـ وأخيرا فإن لجنة الدعوة الإسلامية لتهيب بمكتب الرابطة في المغرب والسنغال أن يسهر على تنفيذ جميع التوصيات التي خرج بها المؤتمر ويتتبع عن كثب إنجازها على الوجه الأكمل.

والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.



توصية لجنة الشؤون الاجتماعية

المنبثقة عن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الإسلامي



لجنة الشؤون الاجتماعية تواصل أعمالها

إن لجنة الشؤون الاجتماعية المنبثقة عن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال المنعقد بمدينة دكار تحت الرئاسة الشرفية لأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن والرئاسة الفعلية لفخامة رئيس الجمهورية السينغالية السيد عبدو ضيوف، وذلك أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس، 13 - 14 - 15 جمادى الثانية 1408 هـ (الموافق لـ 2 - 3 - 4 فبراير 1988م) إيمانا منها بأن كل مجتمع سليم يقوم على أسس أخلاقية ومقومات حضارية ومظاهر ثقافية تكون شخصيته وتبرز معالمه، وتطبع أصالته وحضارته.

ـ واقتناعاً بأن تنمية هذه الجوانب والحفاظ على تلك المقومات يقتضي الاهتمام بالمجتمع وتعهده برعاية تربوية وتوجيهية تمكنه من إرساء صرحه على دعائم قوية ومتينة تضن له البقاء والاستمرار والنهوض والازدهار.

ـ وحيث ان الأمة الإسلامية بكل شعوبها ومجتمعاتها تتميز بخصائص ذاتية، ومعالم بارزة، تتجلى في التشبث بالإسلام بشريعته ومحاسنه وحضارته، كما تتميز بالحفاظ على لغة القرآن، الدستور الخالد لأمة الإسلام، وعلى رصيد تاريخي هام من تراثها الإسلامي والحضاري.

ـ واقتناعاً بأن جودة التعليم وحسن التربية للنشء والأسرة على تلك الأسس الإسلامية تعتبر حجر الزاوية والمنطلق الأول في تكوين المجتمع الإسلامي الفاضل وتماسكه.

ـ واستناداً للأهداف والمبادئ التي نص عليها القانون الأساسي للرابطة.

ـ وشعوراً من اللجنة بضرورة تعميق وتمتين التعاون بين المغرب والسينغال في مختلف الميادين الاجتماعية التي تعكس إشعاع البلدين على غيرهما من البلاد الإفريقية، وخاصة في مجال التعليم والتربية ونشر التراث الحضاري.

ـ وبعد مناقشة دقيقة من أعضاء اللجنة وتدارسهم للقضايا التي تدخل في اختصاصها، فإن اللجنة توصي بما يلي :

أ ـ في التربية والتعليم

1) إعطاء مزيد العناية لتربية النشء في البلدين تربية إسلامية صحيحة، وذلك من خلال برامج تعليمية سليمة، تعتمد بالأساس على تقوية حصص المواد الإسلامية في المدارس والمعاهد وتحفيظ القرآن في المرحلة الأولية، وفي جميع المراحل اللاحقة مع إعطاء الأهمية الجديرة بها، في الدروس والامتحانات، وذلك حتى يتسنى للجيل الصاعد في كلا القطرين أن ينشأ على حب الدين وتمثل مبادئه والتحلي بخصاله والمحافظة عليه قولاً وعملاً، ومنهجاً وسلوكاً.

2) دعم التعليم الأصيل في المدارس العتيقة والمعاهد الإسلامية الأصيلة ولا سيما المعهد الإسلامي بدكار الذي هو مهيأ للقيام برسالته الإسلامية في التربية والثقافة إذا ماتوفرت له وسائل الدعم والتأطير الكفيلين بتحقيق الغاية التي أنشئ من أجلها. كما تنوه اللجنة في هذا الصدد بمشروع إرجاع جامعة الزيتونة إلى سالف عهدها في سياق تعميق الثقافة الإسلامية.

3) تقوية اللغة العربية في كل المناهج والمراحل الدراسية باعتبارها لغة القرآن والسنة والمفتاح الضروري للتمكن من دراسة المعارف الإسلامية والوصول إلى فهمها فهما جيداً. مع جعل تعليمها متشبعا بالروح الإسلامية.

4) مزيد الاهتمام بتوجيه الفتاة والمرأة المسلمة توجيهاً إسلامياً وإخراجها من دائرة الأمية وتثقيفها ثقافة إسلامية واجتماعية تمكنها من القيام برسالتها التربوية في الأسرة، باعتبارها نصف المجتمع، وشقيقة الرجل في الأحكام، والمدرسة الأولى للنشء.

5) وضع برنامج مفصل وشامل لتبادل الأساتذة والطلبة والبرامج الدراسية والكتب المدرسية والخبرات العلمية وأشرطة البرامج الإسلامية التلفزيونية لتيسير استعاب المبادئ الإسلامية الصحيحة في مجال تلقين الأحكام والأخلاق الإسلامية وتعلم اللغة العربية.

6) ضرورة التنسيق بين البلدين في مجال التقارب بين المناهج الدراسية حتى تكون الدراسة في القطرين أداة تكوين للشخصية المسلمة في كلا البلدين.

7) العمل على تقديم الكتاب الإسلامي في التوجيه الأساسي في مجال العقائد والعبادات باللغات الأوربية الأساسية لينتفع به من المسلمين تلك الفئات التي لا تحسن غير تلك اللغات.

8) إصدار مجلة دورية تكون منبراً للأبحاث والمقالات التي يحررها علماء الرابطة وغيرهم من علماء المسلمين في مجال الدعوة الإسلامية وتصحيح المفاهيم والرد على الشبهات والتصدي للغزو الفكري الذي يستهدف البلاد الإسلامية.

ب ـ في الشؤون الاجتماعية

1) العمل على تحقيق تعاون وتبادل منظمين بين البلدين الشقيقين وفي إطار العمل الإسلامي بين الأجهزة والمؤسسات الصحية والطبية لتقديم الإسعافات والخبرات الصحية والاجتماعية، وذلك عملاً بمبادئ شريعة الإسلام في الإحسان.

2) تنظيم مخيمات إسلامية للطفولة يجتمع فيها أبناء البلدين في جو إسلامي موجه ومتفتح لمعرفة كل طرف للطرف الآخر، حتى يتحقق التفاهم والأخوة الإسلامية على مستوى الطفولة والشبيبة بين البلدين.

3) تأسيس فريق كشفي إسلامي وفريق إحساني تابعين للرابطة يقومان بإغاثة المعوقين والأيتام وجمع التبرعات لإظهار التضامن الإسلامي والإحسان الاجتماعي، وذلك لمواجهة الإغاثات والمساعدات الخطيرة التي تقدمها منظمات التبشير لتستميل بها المحتاجين لها وذلك بهدف إبعادهم عن دينهم وسلخهم عن عقيدتهم.

4) العمل على كل ما من شأنه أن يحفظ للنشء والشباب المسلمين في البلدين دينه وأخلاقه وصحته وقوته ويجنبه الوقوع في المفاسد والمهالك، وذلك بتوعيته وتحذيره مما يضر بدينه وعقله وبدنه وماله. وفي هذا الصدد فإن اللجنة تدعو إلى التصدي لهذه المضار بكل حزم والقضاء عليها قبل استفحالها وانتشارها في المجتمعات الإسلامية، وتوظيف وسائل الأعلام المرئية والمكتوبة للقيام بهذه الرسالة الإسلامية الأساسية.

5) تستنكر اللجنة الإرهاب والعنف وتدعو إلى ضرورة القضاء على أسبابه ودواعيه وإلى الوقوف في وجهه ومقاومته بمختلف الوسائل، وتعتبره من المنظور الإسلامي من قبيل الفساد في الأرض والمس بكرامة الإنسان وتقويض دعائم الاستقرار والأمن الاجتماعيين.

ج ـ التراث الحضاري

وبالنسبة للتراث الحضاري فإن اللجنة توصي :

1) بإحياء التراث السنغالي والمغربي وذلك بالبحث عن المخطوطات العلمية الإسلامية في البلدين والعمل على تصويرها وإيداعها بالمكتبات والخزانات العامة لحفظ التراث قصد جعلها في متناول الدارسين الباحثين والعمل على تيسير الإمكانات لطبعها وتوفيرها لفائدة المثقفين.

2) الاهتمام ببقية المعالم الحضارية الإسلامية الأخرى التي يزخر بها كلا البلدين والحفاظ عليها باعتبارها تراثاً إسلامياً متميزاً يبرز حضارة البلدين.

3) العمل على تكوين خلية علمية للبحث العلمي من علماء البلدين، تعمل على اكتشاف التراث والاهتمام به، وتوجيه الطلبة الباحثين لتحقيق أهم الكتب العلمية وإعداد بحوث عن المراكز والزوايا والشخصيات الإعلام بكل من القطرين وغيرهما من البلاد الإفريقية.

توصية لجنة القضايا الإسلامية

المنبثقة عن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الإسلامي



لجنة القضايا الإسلامية

إن لجنة القضايا الإسلامية برآسة الأستاذ والعالم الجليل السيد مصطفى سيي استطاعت بحكمته ومرونته، المتبصرة اختزال الوقت واستغلاله من خلال ثلاث جلسات كرستها للنقاش البناء والحوار الجاد.

وقبل انكبابها على أعمالها وضعت تصورا شاملا للقضايا، التي تشكل راهنا ـ هواجس المسلمين في مختلف أقطار المعمور تصورا منطبقا ومؤسسا على وثيقة عملية بلورتها تدخلات السادة الأعضاء، الذين ارتقوا لمستوى

الحوار وخلقوا فضاء خصبا من الأفكار المتفاعلة والمتكاملة ليخلصوا في النهاية إلى حصيلة غنية من التوصيات ضمنتها التقرير التالي :

ـ إن لجنة القضايا الإسلامية المنبثقة عن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسنغال والمنعقدة بمدينة دكار أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس : 13 ـ 14 ـ 15 جمادى الثانية 1408 (2 ـ 3 ـ 4 فبراير 1988) انطلاقا مما جاء به ديننا الإسلامي الحنيف من كون الأمة الإسلامية أمة واحدة تطبيقا لقوله تعالى : ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ وقوله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

وانطلاقا كذلك من نظرة الإسلام إلى اعتبار بني الإنسان من أصل ومنشأ واحد يقتضي أن يسود بينهم التعارف والوئام والسلم والتفاهم والاحترام عملا بقوله تعالى : ﴿**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل، لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾.

وانطلاقا من كل هذه المبادئ الدينية والمعطيات الإسلامية والواقعية فإن اللجنة توصي بما يلي :

1) يهيب المؤتمر بالمسلمين قادة وشعوبا إلى :

أ ـ العمل على كل ما من شأنه أن يوحد الصفوف ويجمع الكلمة ويقوي مركز المسلمين ويحفظهم من التصدع والانشقاق ويجعلهم يدا على من عداهم ويخلق بينهم مزيدا من التضامن والتعاون لفائدة ازدهار بلادهم والنهوض بمجتمعهم وتفتح لهم طريق النصر على أعدائه، ويكفل لهم اطراد المناعة والعزة التي تبتها الله لعباده المؤمنين.

ب ـ العمل على قيام العلاقات بينهم على أساس من الود والاحترام والرجوع بالعلاقات بين بعض البلاد الإسلامية إلى سالف عهدها من الصفاء والإخاء واحترام الحقوق المشروعة لها على أساس من القناعة والحق والانصاف الذي جاء به الإسلام وتتبناه الجهات والوساطات الإسلامية والدولية لإزالة الخلافات والنزاعات الجهوية بالوسائل السلمية.

ومن هذا المنظور الإسلامي فإن المؤتمر يحيي ويؤيد المسلك السلمي الحكيم لجلالة الملك الحسن الثاني في تنظيم المسيرة القرآنية الخضراء ومبادرته الشجاعة الرامية إلى اجراء استفتاء في الصحراء المغربية المسترجعة كحل سلمي للتوتر المصطنع في هذا الجزء الغربي من القارة الأفريقية.

2) يدعو المؤتمر إلى الوقوف بكل حزم وعزم في وجه خلق الكيانات المصطنعة التي تشق عصا الطاعة عن بلدها وسلطتها الشرعية والتي تؤدي إلى تفتيت البلاد الإسلامية وإضعاف أمنها.

3) يعتبر المؤتمر القضية الفلسطينية قضية المسلمين جميعا والتي تشغل بالهم ويطالب بعمل كل ما من شأنه أن يمكن الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي والوحيد له من ممارسة حقوقه المشروعة والعيش في بلده بكل اطمئنان وحرية ومن تحرير القدس الشريف وانقاذ المسجد الأقصى.

ويحى المؤتمر ويساند المقاومة وانتفاضة الشعب الفلسطيني الأعزل ضد الاحتلال الصهيوني ويدعو إلى دعمها بالنفس والنفيس.

4) وفي هذا الصدد يحيي المؤتمر ويبارك بكل إكبار وامتنان الجهود المبذولة والأعمال المتواصلة المشكورة التي تبذلها لجنة القدس برآسة جلالة الملك الحسن الثاني التي اعطت ومازالت تعطي ثمارها الطيبة وآثارها الحسنة ويعلق عليها المسلمون كبير الآمال لصالح القضية الفلسطينية والتعجيل بحلها بإذن الله.

5) يؤيد المؤتمر الجهاد الإسلامي الذي يخوضه الشعب الأفغاني ضد الاحتلال الأجنبي المفروض عليه، ويدعو إلى تقديم الدعم المادي والمعنوي له حتى يتمكن من استخلاص أرضه وحكم نفسه بنفسه في حرية واطمئنان وسلام.

6) يستنكر المؤتمر بكل شدة الحرب العراقية الإيرانية التي ضاعت بفعلها في كلا البلدين نفوس بريئة وطاقات بشرية وإمكانات مادية ومعالم حضرية.

ويوجه المؤتمر نداء مخلصا إلى الطرفين المتحاربين يناشدهما أخوية الدين والمصلحة العليا للمسلمين أن يحتكما إلى الإسلام والمشروعية والعقل والضمير الإنساني كما يناشد قادة العالم الإسلامي والمجتمع الدولي للعمل على إيقاف هذه الحرب المدمرة بين شعبين مسلمين متجاورين ووضع حد لنزيفهما الدموي ومأساتهما المؤلمة.

ويحمل المؤتمر تبعات ومسؤولية استمرار هذه الحرب إلى الطرف المتعنت.

7) يساند المؤتمر الأقليات الإسلامية والاهتمام بشؤونها وتقديم العون لها ماديا وأدبيا من أجل دعمها على التشبث بدينها وتخفيف وطأة الغربة والضغط، الذي تتعرض له من جراء المحافظة على عقيدتها وممارسة شعائرها الدينية.

8) يستنكر المؤتمر استمرار الحرب الأهلية في لبنان ويدعو الأطراف المعنية المتناحرة إلى ضرورة الاحتكام للدين والعقل والضمير حتى يعود الأمن والسلام إلى ذلك القطر، كما يدعو المؤتمر إلى إيقاف الحصار اللا إنساني المضروب على المخيمات الفلسطينية بلبنان.

9) وانطلاقا من مبدأ التكافل الاجتماعي في الإسلام يدعو المؤتمر إلى التضامن مع البلدان الأفريقية المتضررة بالجفاف ويناشد الدول الإسلامية الميسورة إلى مد هذه البلدان بكل ما يخفف عنها وطأة الجفاف والمجاعة.

10) يبارك المؤتمر الجهود التي تبذلها لجنة المساعي الحميدة والمنبثقة عن منظمة الوحدة الأفريقية لإحلال السلام بين كل من ليبيا وتشاد.

11) يشجب المؤتمر بكل شدة ممارسات الميز العنصري التي يباشرها نظام جنوب افريقيا في حق مواطني هذا البلد الأفريقي المكافح.

كما يساند المؤتمر نضال وحق المسلمين المشروع في كل من ايرتيريا والفلبين في تقرير مصيرهما.

ويدعو إلى تمتيع كل المضطهدين في جهات كثيرة في العالم بحقوق الإنسان عملا بمقتضى ما وفرته وضمنته الأديان السماوية والقوانين والأعراف الدولية.

ويطالب بتوفير حرمة وحرية المعتقد وضمان جميع الحريات العامة لما في ذلك ممارسة الشعائر الدينية.

12) واعتبارا لحرمة وقدسية الأماكن المقدسة الإسلامية في الحرم المكي والنبوي يستنكر المؤتمر ويشجب أعمال الشغب التي ينشأ عنها المساس بالمقدسات الإسلامية في الحرمين الشريفين ويؤدي إلى انتهاك حرمة الأشهر الحرم وإقلاق راحة الحجاج وأمنهم في ذلك البلد الأمين الذي جعله الله قبلة للناس وآمنا يأتون إليه من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ويحمدوه ويشكروه على ما هداهم إليه.

13) يهيب المؤتمر بالمسلمين أينما كانوا وخاصة الشباب إلى ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة والتزام الجماعة وترشيد الصحوة الإسلامية حتى تكون صحوة واعية متبصرة تأخذ بالحكمة والمرونة والفهم الصحيح والسليم للشريعة والوسط والاعتدال اقتداء بالسلف الصالح في القول والعمل.

المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسنغال يصدر توصية بشأن الصحراء المغربية

• تأكيد وحدة المغرب الترابية انطلاقاً من أحكام البيعة في الشريعة الإسلامية



اجتماع العلماء يصدر توصية بشأن الصحراء المغربية

أدان المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال بدكار الأعمال والتصرفات التي يقوم بها البوليساريو معتبراً إياها «مخالفة لأحكام الله وسنة رسوله ﷺ».

وأكد المؤتمر في توصية أصدرها حول الصحراء المغربية «وحدة المغرب الترابية انطلاقا من أحكام البيعة في الشريعة الإسلامية ومن مبادىء الحرية والعدالة والوحدة المضونة في القوانين الدولية.

وفيما يلي النص الكامل لتوصية المؤتمر بهذا الخصوص :

إن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال

المنعقد مابين 13 و 15 جمادى الثانية 1408 الموافق 2 و 4 فبراير 1988 بدكار.

اعتماداً على ما لأمير المومنين من رعاية إقامة شريعة الله ورسوله في أرضه وبلاده وتحقيقاً لمقاصد الشرع الإسلامي التي ورد الحفاظ عليها وهي حفظ النفس والمال والعرض والدين والعقل ونظراً للوضعية التي توجد عليها الجماعة المسماة بالبوليزاريو الخارجة عن الجماعة والساعية إلى إثارة الفتنة والإفساد في الأرض متنكرة لأحكام رسول الله وسنة رسوله وللطاعة الواجبة لأمير المؤمنين.

وبعد دراسة حالة هؤلاء وحكم الله ورسوله فيهم فإن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسنيغال يقرر ما يلي :

1) إدانة الأعمال والتصرفات التي تقوم بها الجماعة المذكورة واعتبارها مخالفة لأحكام الله وسنة رسوله ﷺ.

2) تأكيد وحدة المغرب الترابية انطلاقاً من أحكام البيعة في الشريعة الإسلامية ومن مبادىء الحرية والعدالة والوحدة المضمونة في القوانين الدولية.

3) دعوة هذه الجماعة أن تفيء إلى أمر الله ورسوله امتثالاً لقوله تعالى : ﴿**إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم**﴾.

واستجابة لحلم أمير المومنين جلالة الحسن الثاني المستمد من حلم جده المصطفى ﷺ حتى لا يطبق عليهم قول الله تعالى : ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض**﴾.

وقول رسول الله ﷺ «من حمل علينا السلاح فليس منا».



جانب من أعضاء المؤتمر

تدشين مقر الأمانة العامة لرابطة علماء المغرب والسينغال



السيد الوزير يدشن مقر الأمانة العامة للرابطة

تحت الرعاية السامية لأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني وشقيقه فخامة الرئيس عبدو ضيوف حفظهما الله.

ترأس الوزيران في حكومتي الجمهورية السنغالية والمملكة المغربية، الأستاذ سيرى لأمين ديوب وزير التنمية الصناعية، وأخيه الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، تدشين مقر الأمانة العامة لرابطة علماء المغرب والسنغال للصداقة والتعاون الإسلامي، ووضع الحجر الأساسي لبناء قاعة للمحاضرات ومرافق أخرى ملحقة بها. وذلك في يوم الأربعاء 14 جمادى الثانية 1408 هـ فبراير 1988 م.

وقد حضر هذا الحفل المبارك ثلة من كبار علماء ومشايخ البلدين الشقيقين المملكة المغربية والجمهورية السينغالية وممثلي بعض الدول الإفريقية، المشاركين في المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب السنغال الذي انعقد بمبادرة كريمة من جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله والرئاسة الفعلية لفخامة الرئيس عبدو ضيوف حفظه الله بمدينة دكار خلال الأيام 13 ـ 15 جمادي الثانية 1408 هـ موافق 2 ـ 4 فبراير 1988 م.

وإن من شأن تحقيق هذا المشروع المبارك أن يجعل من هذا المقر مركز إشعاع ثقافي وقبلة يحج إليها علماء البلدين الشقيقين وغيرهم من علماء القارة الإفريقية، لتدارس شؤون الدعوة الإسلامية داخل البلدين وخارجهما تحقيقا لأهداف الرابطة وتمكينا لها من الوسائل المادية للعمل واستكمال أجهزتها لتنطلق على تقوى من الله

ورضوان في طريق الخير نحو المزيد من الإنجاز خدمة للدين الحنيف ونشر تعاليمه.

هذه الأهداف والمرامي النبيلة التي تعمل الرابطة على بلوغها بكل تصميم وإصرار بفضل الرعاية السامية لقائدي البلدين العظيمين.

فالله نسأل أن يبارك في هذا المشروع الذي قصد به خدمة دين الله ونشر رسالة نبيه الكريم، وإن يجعله محجة بيضاء ومنارة تهدى إلى طريق الفلاح وأثاب قائدي المغرب السينغال اللذين كان لهما الفضل في تحقيق هذا المشروع.

كما وضع الوزيران المغربي والسنغالي الحجر الأساسي لبناء قاعة ومدرج يتسع لـ 400 مقعد والواجهة الرئيسية لمقر الأمانة التي سيتم بناؤها على النمط المعماري المغربي الأصيل.

وسيتم إنجاز هذه المنشآت بتمويل من المغرب ليضاف إلى المقر الذي سبق للرئيس السينغالي عبدو ضيوف أن منحه للرابطة.

وسيتم تزويد الأمانة العامة للرابطة التي ستصبح موقع لقاء للطلبة والعلماء من المغرب والسنغال ومن بلدان إسلامية أخرى بقسم للوثائق يحتوي بالخصوص على مصاحف وكتب في الفقه.

إثر ذلك حضر الوزيران والوفد المرافق لهما حفل استقبال أقامه على شرفهما سفير صاحب الجلالة بدكار.



ويضع الحجر الأساسي

برقية

إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني من علماء المغرب والسينغال

توصل الديوان الملكي ببرقية شكر وامتنان مرفوعة إلى أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني من المشاركين في المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال الذي اختتم أعماله بدكار هذا نصها :

صاحب الجلالة أمير المؤمنين، مولانا الحسن الثاني حفظه الله
الرباط ـ المملكة المغربية

مولانا أمير المومنين :

إن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال المنعقد بدكار، حاضرة السينغال المسلمة، تحت سامي رعايتكم ووارف ظلكم، إيمانا منه بما يأمر به شرع الله، من واجب إظهار فروض الطاعة والحب لمن ولاهم الله أمور المسلمين، ونذروا لله أنفسهم، حماية لبيضة الإسلام وذودا عن كرامة ومقدسات المسلمين، وعملا على إعلاء شأنهم في العالمين، وصرفوا همتهم لإحياء ما اندرس من معالم الشريعة، ورسوم الدين.

واقتداء بقول الرسول الأكرم ﷺ : «من أسدى إليكم معروفا فكافئوه...»

ووعيا من علماء الملة في البلدين بالدور الرائد الذي تضطلعون به يا أمير المومنين لخير الإسلام وبعث أمجاده : عقيدة وشريعة وثقافة وتاريخا وحضارة، مما جعلكم بحق تمثلون ضير الأمة الواعي المعبر عن تطلعاتها والمترجم لإحساسها ووجدانها. يشرفهم أن يرفعوا إلى علم جلالتكم، إحساسهم العميق بأنهم مدينون لجلالتكم الشريفة، ولأخيكم فخامة الرئيس عبدو ضيوف، رئيس الجمهورية السينغالية المسلمة، لقاء ما طوقتم به جيد العلم، وكللتم به هام العلماء، من مكارم ومفاخر، وما أحطتم به مؤتمرهم هذا من سامي الرعاية وسابغ الكرم إذ بفضل توجهكم الإسلامي الفذ، تم التئام شمل علماء المسلمين فوق هذه البقعة المباركة من وطن الإسلام وفي ظل إنعامكم الوارف، وقد تجردوا ـ وكلهم عزم وحزم ـ لبحث شؤون المسلمين وأوضاعهم، ومدارسة أمور الدعوة وقضاياها، بحثا عن أسلم السبل وأهداها لنشرها، والتماسا لأفضل المناهج وأجداها على العمل الإسلامي. مستخلصين من سيرة نبينا وصحابته الكرام والأئمة من السلف ما يهدينا إلى الصراط السوي إن شاء الله.

وإنهم يا مولاي يعاهدون جلالتكم على مواصلة الخطى بانتظام على درب البعث الإسلامي موطدين أنفسهم على أن يكونوا أنصارا لله يجاهدون في سبيله بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة في تعبئة كاملة واستعداد دائم لحماية الوجود المعنوي للأمة. حتى يتحقق وعد الله لعباده المومنين بدوام العز والتمكين والنصر والفتح المبين.

أنجح الله مساعي جلالتكم وحفظكم بالسبع المثاني، والقرآن العظيم في حلكم وترحالكم وفي متقلبكم ومثواكم، وأقر عينكم والمومنين معكم بآل بيتكم الطيبين خصوصا ولي العهد سمو الأمير سيدي محمد، وصنوه سمو الأمير مولاي رشيد غصنين يانعين من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وسلام الله ورحمته وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد.

والحمد لله رب العالمين.

حرر بدكار الخميس 15 جمادي الثانية 1408
الموافق 4 يبراير 1988



برقيّة

إلى فخامة السيّد عبدو ضيوف
رئيس الجمهوريّة السينغالية المسلمة

بعث المشاركون في المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال المنعقد بدكار برقية شكر وامتنان إلى الرئيس السينغالي عبدو ضيوف هذا نصها :

يتشرف المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال، المنعقد تحت رئاسة فخامتكم بدكار حاضرة الدولة السينغالية العظيمة، قلعة الإسلام الحصينة، وقلب افريقيا العربية النابض بالحياة والإيمان، بأن يرفع إلى فخامتكم، وإلى أخيكم جلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية، خالص التقدير والامتنان، وجميل الشكر والعرفان، على ما أحطتم به العلماء من كريم العناية وفائق الرعاية بما وفرتم لمؤتمرهم من أسباب النجاح، وفرص العمل المثمر الجاد. الذي كان من أبرز ثماره، تحقيق التواصل، وتجديد العزم على التواصي بالحق والتناصح بالصبر ومواصلة الدعوة إلى الخير، بالحكمة والموعظة الحسنة امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس، تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله**﴾.

وان علماء القطرين الشقيقين المنضوين تحت راية رابطتهم الطموحة المرجوة إن شاء الله في افريقيا المسلمة وفي غيرها من دنيا الإسلام الواسعة إذ يعتزون بمواقف فخامتكم النبيلة في خدمة قضايا الإسلام وغيرتكم الكبيرة على أمجاده. وتراثا وأرضاً وإنساناً، بما أظهرتموه من حماس كبير وإيمان صادق، في نصرة حقه في المحافل الدولية ومساندة موقفه في مختلف المناسبات ليعاهدون فخامتكم، على المضي في أداء رسالة الإسلام المقدسة بالكلمة الصادقة والحكمة النافذة واثقين من نصر الله القريب الذي وعد به المومنين من عباده حين قال : ﴿**ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾.

وهو وعد منه تعالى للذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، والله لا يخلف الميعاد.

فبارك الله مسعاكم، وحقق رجاء المسلمين فيكم، وجزاكم عن الإسلام أفضل الجزاء، ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**﴾.

والسلام على فخامتكم ورحمة الله تعالى وبركاته..

حرر بدكار في : 15 جمادى الثانية 1408 هـ.

الموافق : 4 بيراير 1988م.

برقية

إلى فخامة الرئيس معاوية ولد سيدي أحمد الطايع رئيس الجمهورية الاسلامية الموريتانية

إن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال :

- رعاية لأهمية جمع جهود العلماء في كافة أنحاء العالم الإسلامي.

- وتقديراً منه للدور الكبير الذي ما فتئ العلماء الشناقطة والمشايخ يقومون به لخدمة الإسلام وتعميم هديه في ربوع إفريقيا.

يحيي قرار القيادة الوطنية الموريتانية برئاسة فخامة الرئيس المؤمن العقيد معاوية ولد سيدي احمد الطائع بانضام علماء موريتانيا إلى هذه الرابطة.

وان المؤتمر ليقدر عظيم التقدير المشاركة ذات المستوى العالي لوفد موريتانيا برئاسة العلامة السيد محمد سالم ولد عدود وزير الثقافة والتوجيه الإسلامي، معرباً عن أمله العظيم في أن يلتحق علماء موريتانيا الأفاضل سريعا بما لديهم من طاقات ومعارف بركب إخوانهم في المغرب والسينغال، حتى يساهم علماء هذه البلدان الثلاثة في النهوض بالعمل الإسلامي داخل إفريقيا وخارجها، مسجلين بكامل الاعتزاز انضام علماء موريتانيا إلى رابطة علماء المغرب والسينغال.

وان المؤتمر ليدعو لفخامة الرئيس الموريتاني بالتوفيق والسداد في مسؤولياته الكبيرة.

وان المؤتمر ليحيي كذلك رغبة علماء اتشاد وغابيا ونايجريا وغينيا في الانضام إلى الرابطة، مشيدا بمستوى وفعالية مشاركاتها.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

حرر بدكار في : 15 جمادى الثانية 1408 هـ

الموافق : 4 ببراير 1988م

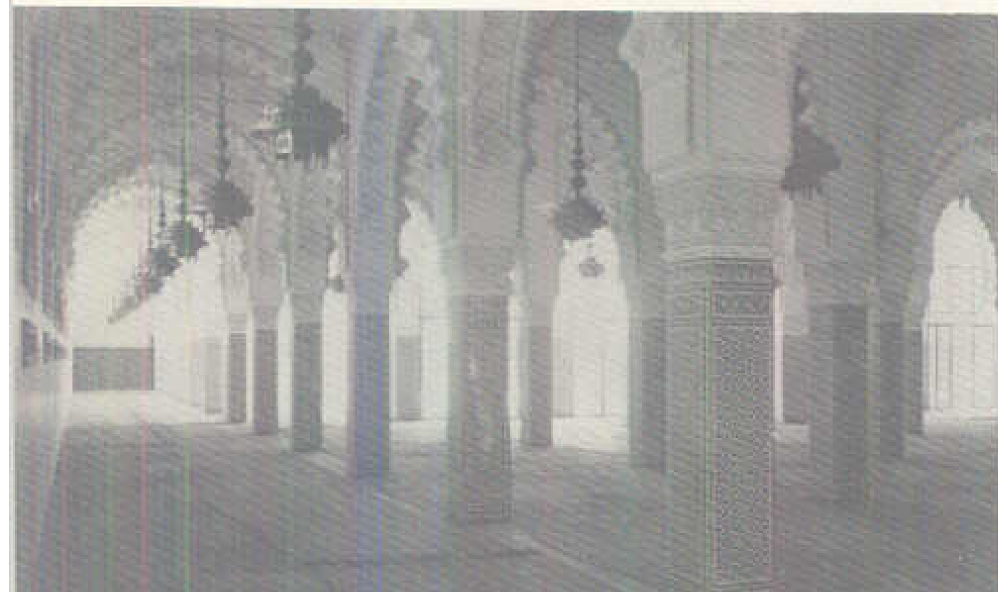


جانب كبير في الاحتفال الذي أقيم
بنواكشوط عاصمة موريطانيا



صحن المسجد الكبير بنواكشوط





هنا تتجلى يد الصانع المغربي التي
قدمت فنها للمسجد العظيم بنواكشوط

لائحة

بأسماء السادة العلماء الذين حضروا المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال

للصداقة والتعاون الإسلامي

الاسم	الصفة
ـ د. عبد الهادي بوطالب	المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (إيسيسكو)
ـ د. عباس الجراري	أستاذ جامعي وعضو بأكاديمية المملكة المغربيه
ـ د. السعيد بلبشير	وزير سابق، أستاذ بكلية الحقوق بالرباط
ـ ذ. عبد الكريم الداودي	من علماء القرويين بفاس
ـ ذ. الشيخ محمد حدو مزيان	رئيس المجلس العلمي بتطوان
ـ ذ. الحسين وجاج	رئيس المجلس العلمي بتزنيت
ـ ذ. المقدم بوزيان	رئيس المجلس العلمي بالناظور
ـ مصطفى بودروة	رئيس المجلس العلمي بالجديدة
ـ مولاي مصطفى العلوي	رئيس المجلس العلمي بمكناس
ـ عبد السلام جبران	رئيس المجلس العلمي بمراكش
ـ أحمد أفزاز	رئيس المجلس العلمي بوجدة
ـ عبد الله شاكر الجرسيفي	رئيس المجلس العلمي بتارودانت
ـ ماء العينين لاراباس	رئيس المجلس العلمي بالعيون
ـ حسن السائح	مستشار ثقافي بمنظمة (الإيسيسكو)
ـ يوسف الكتاني	أستاذ بكلية الشريعة بجامعة القرويين
ـ محمد يسف	من خريجي دار الحديث الحسنية وأستاذ بها...
ـ السعيد بورقبة	أستاذ بدار الحديث الحسنية، ومحامي
ـ عبد السلام الإدغيري	أستاذ بدار الحديث الحسنية، ومحام
ـ خليفة المحفوظي	عضو بالديوان الملكي
ـ محمد المنوني	أستاذ باحث، وعضو عامل بالخزانة الملكية



جانب من أعضاء المؤتمر



أعضاء المؤتمر يؤدون الصلاة في دار السفارة المغربية

- أحمد سحنون	أستاذ بدار الحديث الحسنية
- أبو بكر القادري	عضو أكاديمية المملكة المغربية ورئيس الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني
- محمد حكم	قاض بالمجلس الأعلى وعضو المجلس العلمي بالعدوتين
- محمد الزيزي	من علماء القرويين - فاس
- عبد الحي العمراني	من علماء القرويين - فاس
- عبد الوهاب التازي سعود	عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس
- عبد الرحمن ربيحة	من علماء القرويين
- أمل جلال	عميد كلية الحقوق بفاس
- محمد الأزرق	من علماء القرويين
- عبد السلام الهراس	أستاذ بكلية الآداب بفاس
- أحمد البورقادي	من علماء القرويين بفاس
- العلوي المدغري علي	من علماء مدينة فاس
- محمد العباسي	عضو المجلس العلمي بتطوان
- محمد الكتاني	عميد كلية الآداب بتطوان
- اسماعيل الخطيب	أستاذ وواعظ (تطوان)
- عبد الصمد العاقل	خريج دار الحديث الحسنية
- محمد الهريم	المفتش العام لوزارة الأوقاف
- محمد أبو الفضل	أستاذ وواعظ وخريج من دار الحديث الحسنية
- عمر بن عباد	عالم، ورئيس قسم الدراسات الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
- محمد بن المحجوب الحسني	
- مولاي أحمد بن المهدي العلوي	باحث بالخزانة الحسنية
- طاهري سيدي محمد	محام بالرباط
- الهادي غيلان	أستاذ وخطيب
- محمد الصحراوي	
- معروف محمد	مقرئ
- محمد الراوندي	أستاذ بدار الحديث الحسنية
- محمد العتيق	عضو بالمجلس العلمي بتزنيت
- محمد العثماني	عالم وشاعر، وباحث وعضو بالمجلس العلمي بتزنيت
- محمد الهلالي	عضو بالمجلس العلمي بتزنيت
- مصطفى ماء العينين	عضو بالمجلس العلمي بتزنيت

- همامون مبارك . . . . عالم وواعظ - تزنيت
- يوسف البطاحي . . . . عالم وواعظ - تزنيت
- حسن بن الصديق . . . . من علماء مدينة طنجة
- عبد الرحمان زولو . . . . من علماء طنجة
- محمد الشاهد الشنتوف . . . . عضو المجلس العلمي بطنجة
- محمد الصامدي . . . . عضو المجلس العلمي الجديدة
- المقرئ الإدريسي عبد الله . . . .
- عبد الله شاكر . . . . عضو المجلس العلمي الجديدة
- محمد جلال . . . . عضو المجلس العلمي - الناظور
- عبد الله الصقلي . . . . عضو المجلس العلمي بالناظور
- محمد الخضر . . . . عضو المجلس العلمي بالناظور
- مصطفى الحنفي . . . . عضو المجلس العلمي بالناظور
- الطاهر البعاج . . . . أستاذ الكراسي العلمية
- محمد العرائشي . . . . أستاذ الكراسي العلمية
- عبد الرحمن المحمدي . . . . أستاذ الكراسي العلمية
- العيساوي علال . . . . مدير ثانوية الإمام مالك للتعليم الأصيل
- عبد الواحد عدنان . . . . عضو المجلس العلمي بمكناس
- الحاج محمد المومني التطواني . . . . عضو المجلس العلمي بوجدة
- مصطفى بن حمزة . . . . عضو المجلس العلمي بوجدة
- محمد الفزازي . . . . عضو المجلس العلمي بوجدة
- قاضي مسعود الحريزي . . . . عضو المجلس العلمي بالدار البيضاء
- حسن بناني . . . . عضو المجلس العلمي بالدار البيضاء
- أحمد الغالب . . . . عضو المجلس العلمي بتارودانت
- أحمد توفيق . . . . عضو المجلس العلمي بتارودانت
- عبد السلام لسان الدين . . . . عضو المجلس العلمي بتارودانت
- الطيب عامري . . . . من أستاذ الكراسي العلمية بتارودانت
- محمد البراوي . . . . من أستاذ الكراسي العلمية بمراكش
- محمد البكراوي . . . . عضو المجلس العلمي بالرشيدية
- مولاي العربي الخطاب . . . . عضو المجلس العلمي بالرشيدية
- الحبيب العناية . . . . عضو المجلس العلمي بالرشيدية
- محمد الناصري . . . . عضو المجلس العلمي بالعيون
- الشيخ سيدي بوبكر سيدي . . . . عضو المجلس العلمي بالعيون

- عياش البشير بن حميدة . . . . عضو المجلس العلمي بالعيون
- شبيهنا حمداتي ماء العينين . . . . عضو بالديوان الملكي
- أحمد حبيب الله . . . . عضو المجلس العلمي بالعيون

ومن السادة البرلمانيين الذين حضروا المؤتمر...

- الحبيب الفرقاني.
- عبد الله بن السعيدي.
- مولاي علي بن الشريف العلوي.
- محمد عبد الرقيع البصري.



الجمع العام التأسيسي
لرابطة علماء المغرب والسينغال
للصداقة والتعاون

الذي انعقد بمجلس النواب للمملكة المغربية
بالرباط
في 13 رمضان 1405 / 3 يونيو 1985

كيف كانت البداية ؟..

وكيف تم الميلاد ؟..

وما هي الأهداف ؟

الجلسة الافتتاحية للجمع العام
التأسيسي لجمعية علماء المغرب والسينغال

ميلاد هذه المنظمة العلمية الإسلامية كان بقاعة الشرف بمجلس النواب في ليلة غراء من ليالي رمضان المعظم، فكان هذا التوقيت الزماني لميلاد هذه المؤسسة، دلالة عظمى في هذا الحدث الهام...

وتهدف رابطة علماء المغرب والسنغال على الخصوص إلى نشر مبادئ الإسلام الصحيحة داخل المغرب والسنغال وخارجهما والعمل على خلق نهضة علمية إسلامية بالبلدين وذلك بالدعوة إلى إحياء المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية وبعث الثقافة العربية الأصيلة وإحياء التراث الإسلامي ورعايته وإظهار قيمه.

كما تهدف الرابطة إلى الدفاع عن السنة النبوية والمحافظة على تراث الفقه المالكي وتشجيع دراسته ونشره والعمل به وتشجيع حفظ القرآن ودراسة علومه.

وقد أضافت هذه الجمعية لبنة جديدة في صرح العلاقات المغربية السنغالية المتينة تجسدت ليلة الإثنين 1985/6/4 في انعقاد الجمع العام التأسيسي للجمعية وذلك بمقر مجلس النواب (بقبة الشرف).

حضر الجلسة الافتتاحية السيد أحمد عصمان رئيس مجلس النواب وأعضاء من حكومة صاحب الجلالة والسيد أحمد بنسودة مستشار جلالة الملك وسفراء عدد من الدول العربية والإسلامية وممثل منظمة التحرير الفلسطينية بالرباط وممثلو الفرق البرلمانية والسيد عمر بنشمسي والي الرباط وسلا وممثلو علماء كل من العراق ومصر وغينيا ودولة الإمارات العربية المتحدة وموريتانيا وعدد من علماء المغرب.

وقد افتتح هذا الجمع، الذي ترأسه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد عبد الكبير العلوي المدغري، بآيات بينات من الذكر الحكيم، ثم ألقى السيد الوزير بالمناسبة كلمة استعرض في مستهلها مراحل ميلاد فكرة تأسيس جمعية للعلماء المغرب والسنغال والتي يرجع الفضل فيها إلى قائدي البلدين وإرشاداتهما النيرة جلالة الملك الحسن الثاني وفخامة الرئيس عبدو ضيوف.

وتحدث السيد الوزير في هذا الصدد عن زيارته لهذا الغرض إلى السنغال وتباحثه مع الرئيس عبدو ضيوف لتأسيس هذه الجمعية.

وأعرب السيد الوزير عن أمله في أن تكون هذه الجمعية لبنة ونواة لتشكيل جمعية علماء الأقطار الإفريقية تكون وسيلة محمودة للتنسيق والتشاور وتبادل الخبرات في سبيل دعم صرح الإسلام وترسيخ جذوره.

وتحدث السيد عبد الكبير العلوي المدغري عن مغزى عقد هذا الجمع بمقر مجلس النواب مما ينم عن العناية البالغة التي يكنها جلالة الملك الحسن الثاني للعلماء بمجلس النواب رمز الديمقراطية، والديمقراطية عند جلالته ليست فقط شكلا من أشكال الحكم وإنما هي أيضا ممارسة للمثل العليا.

وتحدث السيد الوزير عن أهداف جمعية علماء المغرب والسنغال وقال بأنها الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والقيام بنشر مبادئ الإسلام السمحة داخل القطرين الشقيقين وخارجهما ولتربية النشء تربية إسلامية علمية سليمة وتدريبه على التحلي بأخلاق الإسلام الفاضلة في السلوك والمعاملات، كما أنها تهدف إلى العمل على خلق نهضة علمية إسلامية بالبلدين وذلك بالدعوة إلى إحياء المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية وبعث الثقافة العربية الأصيلة وإحياء التراث الإسلامي ورعايته وإظهار قيمه، كما تهدف إلى الدفاع عن السنة النبوية الشريفة وتشجيع حفظ القرآن الكريم ودراسة علومه ودراسة الحديث وعلومه، والمحافظة على تراث الفقه المالكي وتشجيع دراسته ونشره والعمل بالبلدين الشقيقين وخارجهما. وأضاف السيد الوزير أنه أيضا من الأهداف الأساسية لتأسيس هذه الجمعية الوقوف في وجه التيارات المعادية للإسلام والرد عليها.

ثم ألقى ممثلو علماء السنغال وجمهورية غينيا وموريتانيا والمجلس العلمي ورابطة علماء المغرب وجمعية علماء خريجي دار الحديث الحسنية كلمات أبرزوا فيها عمق الروابط الروحية والتاريخية والجغرافية بين المغرب والسنغال وتشبثهما بقيم الدين الإسلامي والسنة النبوية والمذهب المالكي ودور البلدين في نشر الإسلام في ربوع إفريقيا.

وقد أبرز سفير السنغال في الرباط في كلمة ألقاها نيابة عن وزير الثقافة والشؤون الدينية السنغالي السيد عبد القادر فال دعم الحكومة السنغالية لمبادرة تأسيس الجمعية ومباركتها لهذه الخطوة.

وتحدث السفير السنغالي عن الروابط الروحية والتاريخية والتراثية والجغرافية القائمة بين المغرب والسينغال وتشبثهما بالسنة النبوية والمذهب المالكي معبرا في الختام عن يقينه بأن تأسيس هذه الجمعية يعتبر لبنة إضافية في صرح العلاقات الممتازة والمتطورة بين البلدين الشقيقين.

* * *

وألقى ممثل علماء الجمهورية الغينية الشيخ عبد الرحمن كوبا كلمة نيابة عن وزير الشؤون الدينية الغيني أكد فيها ابتهاج بلاده لميلاد جمعية علماء المغرب والسينغال باعتبار غينيا شقيقة البلدين في الدين الإسلامي واستعرض العالم الغيني من جهة أخرى المساعدات التي قدمتها المملكة لغينيا في عدد من القطاعات والمجالات مبرزا التقدير الذي يحظى به جلالة الملك والشعب المغربي لدى رئيس وحكومة وشعب غينيا.

وتناول الكلمة بعد ذلك الشيخ سالم ولد عدود رئيس المحكمة الشرعية العليا بموريتانيا باسم العلماء الموريتانيين فبارك في البداية جهود جلالة الملك الحسن الثاني من أجل عزة الإسلام وجمع كلمة المسلمين وأشار إلى أن موريتانيا ممر للتيارات بين المغرب وإفريقيا الغربية معبرا عن رغبة علماء موريتانيا في أن تشملهم هذه الجمعية وتشمل أقطار إفريقيا.

وقال الشيخ سالم أن هذه الجمعية ستكون بحق نواة للوحدة الشاملة بين علماء إفريقيا انطلاقا من المغرب الذي حمل الشعلة الإسلامية عبر التاريخ.

وأبرز الأستاذ العربي حجي باسم المجلس العلمي بالعدوتين الرباط وسلا أهمية العمل المنتظر من جمعية علماء المغرب والسنغال في مجال التفكير في حاضر الإسلام ومستقبله بإفريقيا والتخطيط لمواجهة خصومه.

وباسم رابطة علماء المغرب ألقى الحاج أحمد بنشقرون كلمة بالنيابة عن العلامة عبد الله كنون الأمين العام للرابطة أبرز فيها الروابط التي تجمع المغرب والسنغال ودور القرويين في تعزيز الصلات الإسلامية بينهما.

وقال السيد عمر الجيدي باسم جميع علماء خريجي دار الحديث الحسنية أن هذا الجمع يعتبر تدعيما لجسور التعاون بين علماء المغرب والسنغال خدمة للإسلام لغة وعقيدة وممارسة.

☆☆☆

وقد اختتم يوم الجمعة 1985/6/18 الجمع التأسيسي لرابطة علماء المغرب والسنغال بمقر مجلس النواب بالرباط بالمصادقة على القانون التأسيسي للرابطة وانتخاب رئيس الرابطة في شخص مولاي مصطفى العلوي وأمينها الإداري في شخص السيد إبراهيم جوب.

وقد تحدث السيد عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية عن أهمية هذه المؤسسة العلمية والمراحل التي قطعتها في طريق استكمال هياكلها في وقت وجيز بفضل تشجيعات جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس عبدو ضيوف والأعضاء المؤسسين.

وأشار إلى بغية بعض الدول الافريقية في الانضمام إلى الرابطة وفي مقدمتها غينيا وموريتانيا وأوضح الدور الذي يجب أن تقوم به الرابطة لنشر الوعي الإسلامي.

وتحدث السيد عبد القادر فال وزير الثقافة السنغالي عن الروابط التاريخية العريقة التي تجمع الشعبين المغربي والسنغالي وأكد أن إنشاء الرابطة جاء ليعزز التاريخ المشترك للبلدين موضحا الدور الذي يجب أن تقوم به هذه المؤسسة العلمية مستقبلا لمواجهة أعداء الإسلام وتربية النشء وبعث التراث الإسلامي ونشر المبادئ والقيم الصحيحة للدين الإسلامي الحنيف.

المصادقة على القانون الأساسي لرابطة علماء المغرب والسنغال للاخوة والتعاون

وقد تمت المصادقة بالإجماع على القانون الأساسي لرابطة علماء المغرب والسنغال للاخوة والتعاون.

وقد جرى ذلك خلال اجتماع عقد بمجلس النواب تحت الرئاسة المشتركة لوزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد عبد الكبير العلوي المدغري ووزير الثقافة والشؤون الدينية السنغالي السيد عبد القادر فال بحضور وزير الدولة مولاي أحمد العلوي ورؤساء المجالس العلمية الإقليمية وأعضاء وفد العلماء السنغاليين الذين شاركوا يوم ثالث يونيو الجاري في الجمع العام التأسيسي لرابطة علماء المغربي والسنغال للاخوة والتعاون.

وأوضح الوزير السنغالي الذي حضر اجتماع الإعلان عن وضع هياكل وبرنامج رابطة العلماء المغاربة والسنغاليين التي تأسست في تصريح صحفي أن زيارته للمغرب تندرج في إطار العلاقات الثقافية الوطيدة القائمة بين المغرب والسنغال.

وأبرز الحدث الديني الهام الذي شهده المغرب مؤخرا والمتمثل في تأسيس رابطة العلماء المغاربة والسنغاليين بمبادرة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني التي عبر الرئيس السنغالي عبدو ضيوف عن مساندته لها.

تدشين مقر رابطة علماء المغرب والسنغال بالرباط

وقد أشرف على حفل تدشين مقر الرابطة السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بحضور والي الرباط وسلا السيد عمر بنشمسي، وسفير السنغال بالرباط السيد بابا كار ديوب.

وخلال هذا الحفل ألقى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية كلمة نوه فيها بالعلاقات العريقة القائمة بين المغرب والسنغال وأشار إلى العناية الخاصة التي يوليها أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني لكل ما يزيد في تقوية هذه العلاقات مذكرا في هذا الصدد بأن جلالة الملك بارك إنشاء هذه الرابطة وأمر جلالته بأن يعقد جمعها التأسيسي بمقر مجلس النواب وهو ما لم يحدث عند تأسيس أية جمعية أو هيئة أخرى.

وبعد أن أبرز أن الرئيس السنغالي بارك بدوره إنشاء هذه الرابطة تطرق إلى التعاون المثالي القائم بين العلماء المغاربة والسنغاليين والمنجزات التي حققتها الرابطة منذ إنشائها في شهر يونيو 1985. وأعرب عن اعتقاده بأن الخطوات المقبلة ستتم بدون شك بنفس الروح وبنفس الاستعداد.

وأعرب عن يقينه بأن هذه الرابطة ستنضم إليها دول أخرى وأنها ستكون دون شك نواة لرابطة علماء غرب إفريقيا بأكملها والعالم الإسلامي.

وقال أننا اخترنا ميدانيين سيظهر فيهما التعاون بين علماء المغرب والسنغال الأعضاء في الرابطة ويتعلق الميدان الأول بتكوين الأطر الإسلامية من طرف الرابطة من خلال توفير منح للطلبة السنغاليين الذين يرغبون في متابعة دراستهم بالمغرب.

أما الميدان الثاني فيتمثل في رعاية الأنشطة المتعلقة بتحفيظ القرآن وتدعيم المعاهد الإسلامية في البلدين وطبع تراثهما المشترك وتناول الكلمة بعد ذلك كل من رئيس رابطة علماء المغرب والسنغال مولاي مصطفى العلوي والشيخ إبراهيم جوب الأمين العام للرابطة فأشادا بالرعاية التي يوليها جلالة الملك الحسن الثاني للعلم والعلماء والجهود التي بذلها ويبذلها لنصرة الإسلام ونشر الدين الإسلامي.

وفد من العلماء السنغاليين في زيارة للمغرب

في هذه الأثناء أقام بالمغرب وفد هام من العلماء السنغاليين يتكون من ممثلي عدد من الزوايا الدينية بالسنغال (التجانية ونياس وخدرية).

حيث شارك في الجمع التأسيسي للرابطة المغربية السنغالية للعلماء كما تتبع الدروس الحسنية الرمضانية التي يترأسها أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني.

والجدير بالذكر أن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية كان قد أعلن فيما سبق بدكار عن إنشاء هذه الرابطة التي ستمكن من تعميق وتمتين الروابط العريقة القائمة بين المغرب والسنغال خاصة في الميدان الديني.

وفيما يلي النصوص الكاملة للخطب التي ألقيت في حفل الافتتاح.

خطابُ
السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
في الجمع العام التأسيسي لرابطة علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الاسلامي

- سيدي رئيس مجلس النواب المحترم.
- سيدي مستشار صاحب الجلالة.
- معالي السادة وزراء الدولة والوزراء.
- أصحاب السعادة السفراء.
- سعادة والي صاحب الجلالة على ولاية الرباط وسلا.
- حضرات السادة ممثلي الغرف البرلمانية.
- أيها السادة العلماء.
- حضرات السادة الكرام :

السلام عليكم ورحمة الله

هاهم علماء المغرب والسنغال، يلتقون في هذا الشهر المبارك، لتأسيس رابطة يجمع الله بها كلمتهم، ويقوي بها صفوفهم، ويتيح لهم بها لقاء دائما ومستمرا، للتشاور فيما بينهم، والتناصح والتعاون والعمل لما فيه خير البلدين الشقيقين، والنفع للمسلمين قاطبة، والتأييد للإسلام ومبادئه السامية.

وإننا إذا كنا قد انتظرنا هذا اليوم منذ عدة سنوات، وداعبنا هذا الأمل في الجلوات والخلوات، وعمل كل واحد منا من أجل تقريبه والتعجيل بإسفار صبحه وطلوع شمسه، فإن من واجبنا أن نعترف بالفضل لذويه ونشكرهم عليه.

وأحق من يجب توجيه الشكر إليه بعد الله عز وجل، صاحب الجلالة أمير المؤمنين مولانا الحسن الثاني أطال الله بقاءه وفخامة الرئيس عبد وضيوف حفظه الله، فإن صاحب الجلالة لما علم برغبة علماء البلدين في تأسيس هذه الرابطة، تبنى الفكرة، وأحاطها بما تستحقه من عنايته ورعايته واهتمامه، وأصدر إلي أمره الشريف في شهر رمضان المعظم من السنة الماضية بالسهر على تحقيقها.

وعندما قمت بزيارة بلدي الثاني السنغال، وشرفني فخامة الرئيس عبدو ضيوف بمقابلته، كان على رأس النقط التي أثرتها مع فخامته تأسيس هذه الرابطة فتلقاها بقبول حسن، وأصدر تعليماته إلى أخينا وصديقنا السيد عبد القادر فال وزير الثقافة المكلف بالشؤون الدينية ليتعاون معي على إخراج الفكرة إلى حيز الوجود، وفعلا وجدت في معاليه وهو الرجل المسلم المثقف الغيور خير سند ومعين.

فباسمكم جميعا أيها السادة، أرفع أخلص آيات الشكر والاعتراف بالجميل، إلى أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، وإلى أخيه فخامة الرئيس عبدو ضيوف، وأسأل الله تعالى أن يحسن جزاءهما، ويجعل هذا العمل الجليل في سجل حسناتهما.

أيها السادة الأفاضل :

إنه لاحد للكمال، ولا نهاية للفضيلة، وإذا كانت المسارعة في الخيرات تقتضي المطالبة بأقصى المراتب بحسب الإمكان عادة، وكان لا يليق بصاحبها الاقتصار على مرتبة دون ما فوقها، فإن مما ينبغي أن تتوق إليه نفوسكم

الشريفة، وتتطلع إليه هممكم العالية المنيفة هو أن تكون هذه الرابطة نواة لجمعية علماء الدول الإفريقية.

وذلك أن اجتماع العلماء كله خير وبركة، كيفما كان شكر له ومستواه، وهو مناسبة للتنسيق وتبادل الخبرات، والتعاون على البر ونشر الإسلام والدعوة إليه وترسيخ جذوره. وأن الإسلام لم يكن في يوم من الأيام في حاجة إلى اجتماع كلمة علمائه كما هو اليوم، وأن من واجب كل واحد منا أن يعمل من أجل تحقيق ذلك، كما أن من واجبنا جميعا أن نجعل من رابطة علماء المغرب والسنغال، مثالا وخطوة أولى جادة إيجابية وفعالة، تتلوها خطوات أخرى لتوسيع الرابطة، وفتحها في وجه علماء الدول الإفريقية قاطبة.

أيها السادة الكرام :

إن عقد هذا الجمع العام بمجلس النواب، لهو أبلغ تعبير من جلالة الملك الحسن الثاني على عنايته بالعلماء وعلى عنايته بهذه الرابطة.

ذلك أن مجلس النواب رمز للديمقراطية، والديمقراطية عند جلالته ليست شكلا من أشكال الحكم فقط، وإنما هي ممارسة المثل العليا، ومن هنا جاءت قدسيتها في الفكر الحسني وجاءت مكانة مجلس النواب في نفس جلالته وفكره.

وجلالته إذ يشرف رابطتكم بعقد جمعها العام التأسيسي بمقر مجلس النواب، إنما يضرب مثلا آخر في عناية ملوك هذه الدولة العلوية بالعلماء، وما نشأ عليه جلالته وعرف به من حبه للعلماء وإعلائه شأنهم.

وإذا كانت الأماكن تشرف بما ترمز إليه، فإنها أيضا تسمو بما توحي به، وأن المرء لا يمكن أن يدخل إلى مقر مجلس النواب المغربي وفي شهر رمضان وليحضر جلسة علماء الشريعة، دون أن يدرك العلاقة التي بين هذا المجلس وبين ما جاءت به الشريعة حول نظام الحكم القائم على الشورى والبيعة.

إن المغرب بقي منذ الفتح الإسلام إلى الآن، محافظا على نظام الحكم الذي جاء به الإسلام شكلا ومضمونا، وبقيت الرابطة التي تربط بين جميع أطراف المغرب وبين أمير المومنين هي رابطة البيعة وممارسة الشورى لا تنقطع وإن اختلفت أساليبها باختلاف العصور، وأن مجلس النواب في المغرب يمثل هذه القيم الإسلامية في بلادنا. ولذلك لا غرابة في اجتماع علماء الشريعة في مقر مجلس قائم على مبادئ الشريعة.

حضرات السادة :

إن من أهداف هذه الرابطة التي نحن بصدد تأسيسها :

الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والقيام بنشر مبادئ الإسلام السمحة داخل القطرين الشقيقين وخارجهما.

وتربية النشء تربية إسلامية علمية سليمة، وتدريبه على التحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة في السلوك والمعاملة.

كما أنها تهدف إلى العمل على خلق نهضة علمية إسلامية بالبلدين وذلك بالدعوة إلى إحياء المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية، وبعث الثقافة العربية الأصيلة، وإحياء التراث الإسلامي ورعايته وإظهار قيمه.

والدفاع عن السنة النبوية الشريفة.

وتشجيع حفظ القرآن الكريم ودراسة علومه.

ودراسة الحديث وعلومه.

والمحافظة على تراث الفقه المالكي، وتشجيع دراسته ونشره والعمل به بالبلدين الشقيقين وخارجهما.

والمحافظة على معالم الحضارة الإسلامية بالبلدين الشقيقين وتراثهما الديني.

وتحقيق تعاون مثمر ومستمر بين علماء المغرب والسنغال في شتى المجالات الإسلامية، وذلك بتبادل الزيارات والمعلومات والخبرات، وإقامة الندوات العلمية والدروس الدينية بالبلدين، وإصدار النشرات والكتب الإسلامية الهادفة إلى تعميق الوعي الإسلامي، ونشر قيم ومبادئ الدين الحنيف.

والوقوف في وجه التيارات المعادية للإسلام والرد عليها.

وهذه لا شك أهداف شريفة تهون من أجلها كل الصعاب، وترخص في سبيلها كل التضحيات، ولنا اليقين

للرابطة ومكتبها التنفيذي، ستسهر على تحقيقها بكل ما عهد في العلماء من إخلاص وتفان وطهارة.

وإنه ليسعدنا سعادة خاصة، أن يحضر معنا في هذا الجمع المبارك، علماء من الجمهورية العراقية، وجمهورية مصر العربية، وجمهورية غينيا ودولة الإمارات العربية المتحدة، والجمهورية الإسلامية الموريطانية، وإني إذ أرحب بهم جميعا باسم علماء المغرب والسنغال، لأؤكد أن التعاون سيبقى قائما مستمرا بيننا وبين علماء العالم الإسلامي، وسنبذل كل ما في الوسع لتقويته وتوسيع مجالاته.

حضرات السادة الكرام :

خلال الرحلتين اللتين قمت بهما إلى السنغال في بحر هذه السنة، يسر الله لي عدة لقاءات مع علماء ذلك البلد الطيب، سواء أثناء جلسات الندوة العالمية التي نظمها اتحاد الجمعيات الإسلامية بالسنغال، والتي يرأسها أخونا وصديقنا الشيخ عبد العزيز سي جنيور، أو أثناء زيارتنا لمدينة تيواون مقر الخليفة العام للطريقة التجانية الشيخ ما تتوفر عليه السنغال من مشايخ فضلاء، وعلماء نبلاء، وأدباء بلغاء، وشعراء فصحاء، وما رزقهم الله من إيمان قوي، وعقل منظم، وطلاقة في العربية وأساليبها.

وإنني لا أشك أن العبقرية المغربية، وهي تلتقي في إطار هذه الرابطة المباركة بالعبقرية السنغالية، ستعطي إن شاء الله ثمارا طيبة، يستفيد منها المسلمون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أيها السادة الكرام :

إنني أشكركم على تلبيتكم لدعوة حضور هذا الجمع المبارك، ونشكر السيد رئيس مجلس النواب لما وجدنا في شخصه من قبل، ومن عناية خاصة، الشيء الذي سهل عقد هذا الجمع في هذه القاعة المباركة. وأشكر جميع العاملين على إنجاح هذه التظاهرة الإسلامية العلمية الفريدة. وأسأل الله تعالى أن يبارك جهود المخلصين، في ظل أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، وأخيه الرئيس عبد ضيوف.

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة
الأستاذ عبد القادر فال
وزير الثقافة والشؤون الدينية بالجمهورية السينغالية
إلى الجمع العام التأسيسي لرابطة علماء المغرب والسينغال
للصداقة والتعاون الإسلامي

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾

(سورة آل عمران ـ الآية 104)

لقد أبيت إلا أن ابتدئ خطابي بهذه الآية الكريمة من كتاب الله العزيز اقتناعا مني بكونها تبرز جليا أن المناسبة التي تجمعنا اليوم ليست حادثا عارضا ولا مجرد ما تم عنه إرادة نخبة من الرجال ولكنها تندرج في سياق ما يريده الله من أمور وتعبر عن الامتثال لما شرعه الخالق الباري من شرائع وأحكام.

ولعل هذا كاف وحده لتبرير إحداث رابطة علماء المغرب والسنغال.

ولكن ألا يمكن أن نتساءل نحن المؤمنين عن أمر انتمائنا قبل اليوم إلى أمة واحدة عظيمة هي أمة الإسلام التي يجمع بين أفرادها الإيمان والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ؟ وهل من العدل، وهل من الموافق لروح الإسلام إحداث جمعية جديدة قد تعتبر أمة داخل أمة ومدعاة للتفرقة والانشقاق في عالم إسلامي يكفيه ما هو معرض له، ويالأسف، من التمزق والانحلال ؟

وأبادر للإجابة على هذا السؤال بالنفي لأن مثل الأسرة التي تكون فيها الروابط بين الإخوة أكثر رصانة ومتانة منها بين سائر الأقارب الآخرين دون أن يضر ذلك بالوحدة العائلية بوجه عام كمثل الأمة الإسلامية التي لا تؤدي فيها أواصر الأخوة القائمة بين بعض الشعوب إلى تفرقة المسلمين بل إلى تعزيز وحدتهم وإرساء ما تقوم عليه من أسس ودعائم.

وهل هناك شعوب أكثر أخوة من الشعبين المغربي والسنغالي ؟ فأنتم الذين بلغتمونا منذ آلاف السنين كلام الله سبحانه وتعالى، ومن أراضي السنغال انطلقت تحت قيادة عبد الله ابن ياسين ثم يوسف ابن تاشفين حركة المرابطين التي استطاعت أن تبلور فترة من أشرق فترات الحضارة الإسلامية.

وهكذا نشأت بين شعبينا اللذين عاشا طوال مدة من الزمان داخل حدود مشتركة هذه الأخوة العريقة التي تثير انتباه أقل الملاحظين معرفة واطلاعا مما يجعل رابطة علماء المغرب والسنغال تسير في اتجاه تاريخنا المشترك.

وأكثر من هذا، إذا فرضنا أن التاريخ لم ييسر إقامة هذه الروابط الأخوية بيننا فإن وجود رابطة العلماء يعد من باب الاستعجال والضرورة.

إننا نعيش في عالم تطبعه الحيرة والاضطراب عالم يتنكر فيه بعض المؤمنين لمبادئ وحدة الأمة فيشن بعضهم على بعض حروبا كلها إثم وشر لا تبقي ولا تذر، عالم تحدق به من كل جهة أخطار تهدد شبابنا ومجتمعنا وحضارتنا وتطغى فيه روح التخريب والمادية اللا أخلاقية وتسيطر فيه على النفوس الأطماع المغرضة والشهوات الجامحة ولا يعار فيه اهتمام للجهود، وما تقوم عليه من حتميات وواجبات. وكم من شباب وفتيان أغوتهم الملاهي والشهوات وانساقوا مع الأهواء والمحرمات فحادوا عن أبسط القواعد الإسلامية وزاغوا عن أوضح المبادئ الدينية دون أن ينتبهوا في بعض الأحيان، إلى ما هم فاعلون أو إلى ما هم عليه مقبلون، إذ فسدت قلوبهم وعميت أبصارهم لكثرة ما يحيط بهم من رذائل وموبقات.

وأمام هذه الوضعية كيف يمكن التصرف ؟ وكيف يمكن مواجهة الأخطار ؟ وكيف يمكن أن نذكر أبناءنا وإخوتنا المهددين بهذه الأخطار بقول الله عز وجل :

﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾.

(سورة الإسراء - الآية 7)

﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾.

(سورة الأعراف - الآية 200)

وفي القرآن كذلك أفضل جواب على هذه الأسئلة المحرجة :

﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾.

(سورة آل عمران - الآية 7)

﴿وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما يتذكرون﴾.

(سورة غافر - الآية 58)

ومما لاشك فيه أن هاتين الآيتين توضحان النهج الذي ينبغي أن تسير عليه رابطتكم ومدى ما تستمده في عملها من روح القرآن الكريم.

فهي تجمع علماء شعبينا أي الراسخين في العلم وأولي الألباب الذين يذكرون. وهؤلاء الرجال الذين يتذكرون يجب عليهم رغم قلة عددهم، أن يوجهوا العميان ويرشدوهم بفضل الله إلى الطريق السوي فيساهموا بذلك في تحقيق قوله عز من قائل : **﴿وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾.**

(سورة الحج - الآية 54)

ولهذا فقد جئنا مع رجال أخلصوا الدين لله تعالى فاستطاعوا لما أوتوا من علوم القرآن الكريم والحديث الشريف أن يحتلوا الطليعة في بلادنا. وإنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن ألاحظ أن المغرب اعتمد نفس المقاييس في اختيار رجاله وانتقاء علمائه. وإذا كان من الجائز تقليد خاتم الأنبياء المختار في خشوع ووقار استطاع كل رجل من هؤلاء الرجال الأفذاذ أن يقول : **﴿قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾.**

(سورة الملك - الآية 26)

وإذا كان جميع هؤلاء العلماء ينتمون، على المستوى الإنساني، إلى نخبة الإسلام الروحية فإني استأذن هنا باسم رئيس الدولة فخامة الرئيس عبدو ضيوف وباسم الشعب السنغالي أن أحييهم بكل ما يليق بهم من احترام وتقدير وأن أشكرهم على حسن تفضلهم بالانضمام إلى هذه المبادرة المغربية التي أفضت إلى تأسيس رابطة علماء المغرب والسنغال.

وإن كانت رابطة علماء المغرب والسنغال إسلامية بما تنبني عليه من قواعد وهياكل وما تضمه من أعضاء وأفراد فإن أهدافها مشبعة كذلك بروح الإسلام وما يدعو من أعمال صالحة وقيم سامية.

وأول هذه الأهداف أن رابطة علماء المغرب والسنغال تريد أن تنصب نفسها للرد على تحديات وأخطار العالم الحديث، فالرسول عليه الصلاة والسلام عندما دعانا إلى الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر وضح لنا الطريق المطلوب اتباعه والنهج القويم المرغوب في السير عليه، وإذا كان من واجب كل مسلم الدفاع عن الدين والمحافظة عليه

والنهوض بشعائره والتمسك بأحكامه وتعاليمه، فإنكم أنتم بحكم علمكم وما تستطيعون القيام به من جهاد فعال مطوقون بهذا الواجب أكثر من غيركم في الحال والمآل.

فإليكم توكل مهمة تربية وتكوين الشباب بتعليمهم وشرح كلام الله ودينه وتعاليمه إليهم، وها أنتم تبرهنون لهم بسلوككم أن الإسلام ليس متنافيا مع الحياة التي ينشدها رجل القرن العشرين. ولهذا يجب عليكم أن توضحوا لهم هذا التمييز الذي يريد بعضهم إقامته بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة والتكنولوجيا قصد صرف الاهتمام إلى هذه العلوم الأخيرة دون علوم الدين، إنما هو خلف وهذر وعبث وهراء. فكيف يمكن أن يكون رجل العلم ملحدا كافرا إذا أن العلوم كلها تفضي إلى معرفة الله وأن كل اكتشاف علمه يعتبر حافزا جديدا وداعيا إضافيا للتأمل بإكبار وإجلال في عظمة الخالق وما يتسم به الخلق من تعقد وغنى وثراء ؟

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾.

(سورة التغابن ـ الآية 1)

كان بودي أن أقرأ سورة الرحمان الرائعة بكاملها وهي إحدى السور التي تتجلى فيها بكل بهاء وإجلال عظمة ورحمة الخالق الباري سبحانه وتعالى ولكني سأقتصر على التذكير بمطلعها : **﴿الرحمان علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾.**

وإذا كنت أرى أن عملكم لفائدة الشباب يجب أن يحظى بكل أسبقية وأولوية نظرا لكون الشباب هو إسلام الغد وكون العالم الإسلامي الذي نشهد تكونه ونشأته رهينا بما ستبذلونه من جهود حميدة وأعمال سديدة فإن ما رسمتموه لأنفسكم من أهداف وما تعتزمون تحقيقه من غايات لا تقل أهمية أو طموحا، وأذكر منها على سبيل البيان وليس على سبيل الحصر، الاهتمام بنهضة علمية إسلامية وبعث الثقافة العربية وإحياء التراث الإسلامي وبوجه خاص المحافظة على آثار المذهب المالكي ونشرها. ومما لا مراء فيه أن مثل هذه الأهداف تسير في اتجاه ما يعرفه الإسلام حاليا من نهضة تتجلى في العالم بأسره ولا سيما في قارتنا الإفريقية التي أخذت مسيرة الإسلام تخطو فيها منذ بضع عشرات السنين خطوات إلى الأمام بعزم أكيد وحرص شديد. ولا شك في أن تحقيقها سيضفي على هذه النهضة إشراقة مثل ما عرفته أزهى فترات تاريخ الحضارة الإسلامية.

وأود الآن أن ألح على هدف واحد من أهدافكم أعتبره أساسيا لأنه يتعلق في الواقع ببرنامج حقيقي يستنتج من اسم جمعيتكم «رابطة علماء المغرب والسنغال»، نعم يتعلق الأمر بتحقيق تعاون مثمر ومستمر بين علماء بلدينا في مختلف الميادين الإسلامية، ولا يخفى عليكم أن بين المغرب والسنغال تعاونا ثنائيا خاصا يبلور الوجه العصري للعلاقات العريقة التي كانت تجمع بين البلدين. وإذا كان هذا التعاون القائم في جميع الميادين الثقافية والاقتصادية والتربوية وغيرها مشبعا بالروح الإسلامية التي لا يخلو منها أي عمل إنساني في البلدان الإسلامية، فإنه يحتاج إلى ديناميكية روحية عميقة وإلى حوافز من شأنها أن تذكي شعلة الإسلام الوقادة وتبعث حيويته الوضاءة. ويعد الحرص على تقوية تعاوننا بهذه الديناميكية الروحية أحد الأهداف الأساسية التي يجب أن تسعى رابطة علماء المغرب والسنغال إلى تحقيقها. وبهذا سيتأتى تعزيز هذه الأخوة العريقة التي يعمل على تجسيدها وإبراز معالمها رئيسا الدولتين جلالة الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية، وفخامة الرئيس عبدو ضيوف، رئيس الجمهورية السنغالية.

وإن أنس فلا أنسى أن أذكر هنا بما أبداه فخامة الرئيس عبدو ضيوف من موافقة عفوية ومساندة قوية لمبادرة تأسيس رابطة علماء المغرب والسنغال بمجرد الاطلاع عليها وتقدير مدى أهميتها.

ولخاتمة المطاف احتفظت بالتصدي لهدف أساسي يشمل جميع الأهداف الأخرى ويلخصها ويتوقف عليه تحقيقها ألا وهو الدعوة إلى الله ونشر التعاليم الإسلامية الصحيحة التي يجب أن يقام على أساسها الصرح الروحي لشعبينا، ويتعلق الأمر بالعمل على أن يرجع إلى الله

أولائك الذين وصفهم القرآن الكريم بالضالين والغافلين :

﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾.

(سورة الأعراف ـ الآية 179)

والغاية الكبرى التي يناط تحقيقها برابطة علماء المغرب والسنغال تتمثل في الحرص على أن يصبح هؤلاء الغافلون رجالا يتقربون إلى المثل العليا الإسلامية فيتحلون بفضائلها ويتمسكون بتعاليمها كما ورد تلخيصها في الآية 35 من سورة الأحزاب : الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والخشوع، والتصدق، والصوم، وحفظ الفروج، وذكر الله.

ولا يخامرني شك في أنكم ستقومون بهذه المهمة على أكمل وجه بفضل الله سبحانه وتعالى وتحت القيادة النيرة للدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية. ولا يفوتني هنا أن أحيي هذه الشخصية المؤمنة الصادقة باسم رئيس دولة السنغال، فخامة الرئيس عبدو ضيوف وحكومته الموقرة.

وقبل الختام، أريد أن أشير إلى ما نصبو إليه من مطامح وما نعقده من آمال وما نقتنع به من حقائق فيما يتعلق برابطة علماء المغرب والسنغال.

إننا نطمح في أن تكون جميع الطوائف الإسلامية السنغالية وجميع الطوائف والهيئات الإسلامية المغربية ممثلة في حظيرة رابطتكم.

ثم إننا نأمل أن يتكرر مثل هذا اللقاء الذي يجمعنا اليوم سواء في المغرب أو السنغال وأن تكون رابطة علماء المغرب والسنغال حاضرة في جميع تظاهراتنا الدينية الكبرى.

وختاما فإننا مقتنعون كل الاقتناع بأن أعمالكم ستفضي ليس فقط إلى اتخاذ قرارات ذات طابع ديني صرف غالبا ما يقع تقبلها من غير جهد أو عناء ولكن إلى قرارات واقعية ملموسة تهدف إلى توطيد أركان الأمة وتعزيز أواصر الأخوة بين شعبينا على غرار ما يجمع بين رئيسي دولتينا، كما تهدف إلى إقامة الصرح الروحي لشعبي البلدين حتى يهديهما الله الرحمان الرحيم إلى الصراط السوي المستقيم.

البرقية المرفوعة
إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله
بمناسبة انعقاد الجمع العام التاسيسي لرابطة علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الاسلامي

مولاي صاحب الجلالة والمهابة الحسن الثاني حفظكم الله بالسبع المثاني، وحقق على يديكم للإسلام والمسلمين جسيم الأماني.

بمناسبة انعقاد الجمع التأسيسي لرابطة علماء المغرب والسنغال يتشرف أعضاؤه بأن يرفعوا لمقامكم أسمى آيات التبجيل والتقدير لمبادراتكم الإسلامية الرائدة، وتوجيهاتكم النيرة الخالدة، فهذه المبادرة الإسلامية ها أنتم وأخوكم فخامة الرئيس عبدو ضيوف، تعكسان ما لبلدينا المغرب والسنغال من إشعاعات إسلامية، وتطلعات فكرية، استطاعا بواسطتها أن يخلدا للإسلام في الغرب والشمال الإفريقيين ذلك التراث التليد، والجهاد السديد، من أجل ترسيخ الإسلام عقيدة وسلوكاً ومنهجاً.

إن تأسيس رابطة علماء المغرب والسنغال اليوم، وفي هذا الوقت بالذات الذي عرفت فيه قارتنا والعالم كله والإسلامي فيه على الأخص تناقضات وصراعات نتج جلها عن عدم الانفتاح والحوار النزيه، والمجادلة بالتي هي أحسن، ليعد هذا الجمع مفخرة من مفاخركم، وإنجازاً من إنجازاتكم العظيمة، وإذ يقدره علماء السنغال والمغرب حق قدره، لا يسعهم إلا أن يعبروا لجلالتكم عن خالص النوايا وراسخ العزم، على أن يسيروا في المحجة البيضاء التي رسمتها توجيهاتكم التي جسدت دائماً تلاقي الفكر الإسلامي لدى البلدين، وما يمكن أن ينجم عن وحدة توجهاتنا ومنطلقاتنا من نتائج إسلامية تعد نواة أساسية لخدمة الوحدة الإسلامية، وترسيخ هذا الدين الذي لن تصل الإنسانية سعادتها الدنيوية والأخروية إلا بالرجوع إلى تعاليمه، والتمسك بمناهجه واختياراته.

إن علماء المغرب والسنغال يتعهدان أمام جلالتكم أنتم وأخوكم فخامة الرئيس عبدو ضيوف على العمل من أجل تقارب كل المسلمين، وتوحيد جهود علمائهم، وتأصيل روح الأخوة الإسلامية بين صفوف شعوبهم، والسعي إلى استخراج ما خلده أسلافنا المنعمون من آثار علمية وعطاءات إسلامية، من شأنها أن تعيد لهذا الجناح من الأمة الإسلامية، مكانته الروحية، ودوره كمركز جهاد، وتهذيب ودعوة وصمود.

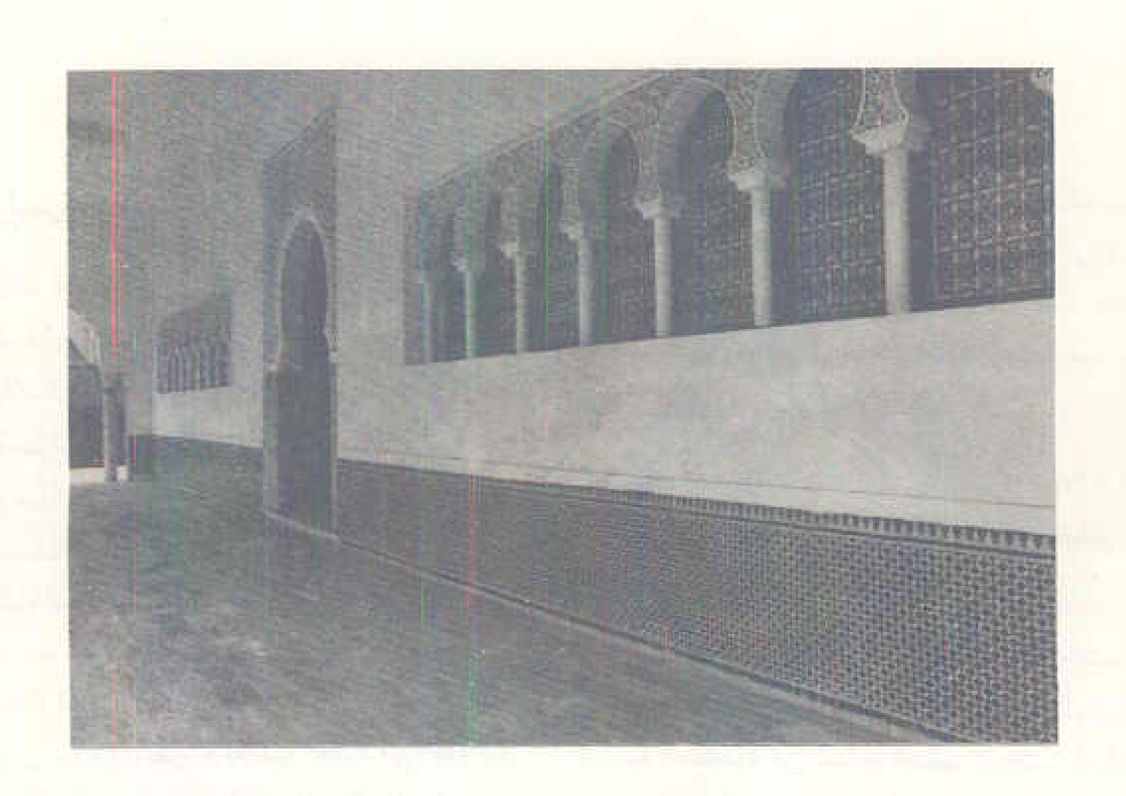
إنها يا مولاي لحظة خالدة كرست وراثتكم لجدكم الأعظم سيدنا محمد ﷺ، وأنتم تضعون عبء الأمانة وواجب تبليغ الرسالة على نخبة من علماء البلدين الشقيقين الذين لم يبق أمامهم إلا حثيث العمل وتكريس الجهود لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلي.

أمد الله في عمركم، وخلد في الصالحات ذكركم، وبلغكم مأمولكم في وحدة الإسلام والمسلمين، واسترجاع قيم الأمة الإسلامية وأمجادها، وأعاد إليها قوتها ووحدتها، وأقر عينكم بولي عهدكم المحبوب سمو الأمير مولاي محمد، وصنوه السعيد مولاي رشيد وجميع أفراد أسرتكم الكريمة.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون﴾.

صدق الله العظيم.

والسلام على مقامكم السامي ورحمة الله تعالى وبركاته.



المدخل الرئيسي للمسجد الذي ساهم المغرب ببنائه بمدينة ليبروفيل - الكونغو

البرقية المرفوعة
إلى فخامة الرّئيس عبدو ضيوف
رئيس الجمهورية السينغالية
بمناسبة انعقاد
الجمع العام التأسيسي لرابطة علماء المغرب والسينغال

فخامة الرئيس عبدو ضيوف

في هاته اللحظة الخالدة لحظة تأسيس رابطة علماء المغرب والسنغال، يتشرف أعضاء الرابطة، ومشاعرهم مفعمة بروح الإسلام السمحة أن يرفعوا لفخامتكم أبلغ عبارات التقدير والاحترام، شاكرين لفخامتكم جهودكم المظفرة من أجل إنجاح هذا الحدث الرائع حدث توحيد جهود علماء المغرب والسنغال من أجل خدمة الإسلام والمسلمين، يتحمل العلماء لمسؤولياتهم الجسيمة بصفتهم ورثة الأنبياء، الشيء الذي يجعلهم يقطعون أمام فخامتكم أنتم وأخيكم صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله صادق العهد وراسخ العزم، على أن يتعبوا الأنفس ويكرسوا الجهود من أجل نشر تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، الرافع للواء العدل، الهادف إلى إسعاد بني الإنسانية.

إن رسالة رابطتنا مستمدة من توجيهات الإسلام النيرة، ومقتبسة من منهاجها وتطلعاتها من دور البلدين الشقيقين المغرب والسنغال عبر التاريخ.

إن سجلات التاريخ الإسلامي حفظت لبلدينا أعظم الذكريات، وأضخم المنجزات، فقد ظلت المراكز الإسلامية السنغالية المغربية تتعاون لإعلاء كلمة الله، وبث روح الأخوة والتسامح بين أبناء قارتنا الإفريقية مما بوأهما قيادتها الفكرية والسلوكية والنضالية.

وها أنتم يافخامة الرئيس وأخوكم جلالة الملك المعظم الحسن الثاني تعيدان للقطرين الشقيقين غابر مجدهما وتليد عزهما.

واستجابة لتطلعاتكم الإنسانية العالية، واهتماماتكم الإسلامية الصافية، سيسعى علماء البلدين لبذر أسس الوحدة السليمة المستمدة من تسامح تعاليم شريعتنا الغراء، حتى يستعيد الإسلام جمع كلمة أبنائه على تقوى من الله ورضوان بعيداً عن الخلافات والصراعات والطائفية في إطار الوحدة والسنة والجماعة.

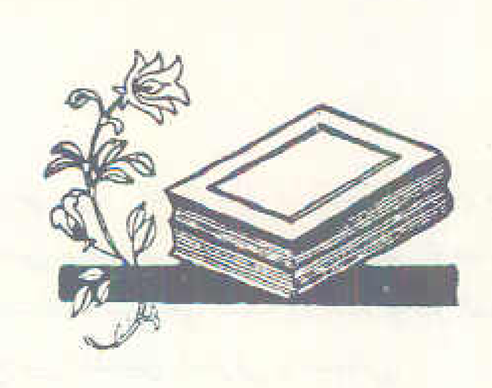
إن علماء المغرب والسنغال إذ يشكرون فخامتكم على ماقدمتموه من مساعدات ليتم هذا الحدث الرائد بالنسبة

لعلماء الإسلام، ليجدون من واجبهم الدعاء لكم بطول العمر والتوفيق في العمل حتى يبقى المغرب والسنغال مثالاً للتعاون المثمر، والأخوة الصادقة، والمنجزات العظيمة بصفتيهما قلعة الإسلام الصامدة ومركزه الإشعاعي، وحصنه المنيع بجهاد أبنائهما وعظمة قائديهما وإخلاص علمائهما، وتحملهما لأمانة التبليغ بشجاعة وصدق عبر التاريخ.

فالله نرجو أن يوفقنا جميعا حتى نكون في طليعة الأُمة الإسلامية التي قال فيها الباري جل جلاله : ﴿**كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المومنون وأكثرهم الفاسقون**﴾.

صدق الله العظيم

والسلام على مقامكم الكريم.



خطاب شكر
من فخامة الرئيس عبدو ضيوف
رئيس الجمهورية السينغالية
إلى الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

إني إذ أشكركم جزيل الشكر على ما تقومون به من مساع حميدة وأعمال سديدة، أحيي مبادرتكم الطموحة الرامية إلى توحيد جهود علماء البلدين الشقيقين مساهمة منكم في تنمية وتوطيد أواصر الصداقة والأخوة المثالية التي تجمع بين الشعبين المغربي والسنغالي.

وكما أشرتم إلى ذلك، فإن عملكم سيمكن من تعزيز الدور الهائل والإيجابي الذي اضطلع به البلدان عبر التاريخ في مختلف الميادين، ولا سيما في مجال النهوض بالثقافة العربية الإسلامية.

وأملي أن يكون عملكم هذا قدوة يحتذيها علماء الأمة الإسلامية كافة للدفاع عن الإسلام، وما يسنه من أحكام وشرائع، حتى يعيش جميع المسلمين بالعالم في أمن وسلام، ووحدة ووفاء، وتفاهم وانسجام.

واعتزازا مني بما قمتم به من عمل جليل يستحق التقدير والتبجيل أرجوكم أن تتفضلوا بقبول أصدق مشاعري مقرونة بتمنياتي لكم بالتوفيق والنجاح في الاضطلاع بمهمتكم السامية.

الرّسالة الجوابيّة

الموجّهة إلى فخامة الرئيس عبدو ضيوف رئيس الجمهوريّة السينغالية من الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

فخامة الرئيس

إن الألفاظ والعبارات مهما انتهت إليه من بيان وفصاحة، ومهما اتسمت به من أفانين الأسلوب والبلاغة، لا تستطيع أن تترجم مدى ماشعرت به من اعتزاز وافتخار، عندما قرأت خطاب الشكر والامتنان الذي تفضلتم بتوجيهه إلي بمناسبة تأسيس رابطة علماء المغرب والسنغال.

فخامة الرئيس

إني والله لأجد في ما يوليه أخوكم جلالة الملك الحسن الثاني لهذه الرابطة من رعاية سابغة وعناية بالغة، وما تحيطها بها فخامتكم من عطف صادق واهتمام فائق، حافزاً ملحاً وباعثاً مستمراً، يشجعني على مواصلة السير في نفس النهج وبنفس الحماس والطموح.

وحتى لا أغتر بحب الذات الذي لا يمت إلى الواقع بصلة فأنفرد دون سواي بالتقدير والتنويه، أرى لزاماً علي أن أؤكد أن عملي لا يعدو الامتثال بكل أمانة وإخلاص لما يصدر عن أخيكم جلالة الملك الحسن الثاني وعن فخامتكم من توجيهات سامية تطبعها الحكمة والتبصر.

وإن أنس فلا أنسى المساعدة التي قدمها إلي أخي السيد عبد القادر فال وزير الثقافة الذي لم يكتف بتشريف هذه الرابطة بحضوره، بل عبأ كل ما وهبه الله من فكر ثاقب، وعلم نافع للمساهمة في إقامة هذا الجسر الجديد الكفيل بتعزيز الروابط السنغالية المغربية.

فخامة الرئيس

إن من الضروري توطيد الأسباب الأولى التي ساعدت على إنجاح أعمال تأسيس رابطة علماء المغرب والسنغال منذ تصورها والتخطيط لها إلى خروجها إلى الوجود، لأن الجهود المتواصلة في جو من الهدوء والاطمئنان من شأنها وحدها ان تضمن لهذه الرابطة الحياة والاستمرار والازدهار. وهكذا فإن الأمر يتعلق بمسيرة طويلة تقتضي العزم والمثابرة لأن لكل عمل تاريخاً يسجله.

وشعوراً مني بسمو هذه المهمة، وبحكم التاريخ فيها، وبما ينتظره منها أخوكم جلالة الملك الحسن الثاني وفخامتكم، لا يسعني إلا أن أعد بمواصلة العمل بالنظر إلى واقع هذا المصير المشترك لتحديد معالمه والاتكال في الباقي على عناية الخالق الباري.

فخامة الرئيس

بعد قراءة الفاتحة، أتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن ينعم بالسعادة والسلامة والعفو والعافية على فخامتكم، وبالتقدم والازدهار على الشعب السنغالي الشقيق، وبالتوفيق والهناء على الأمة الإسلامية جمعاء.

القانون الأساسي

لرابطة علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الاسلامي

تكوين الرابطة وأغراضها

تمهيد :

تعزيزا لروابط الأخوة والصداقة التي تربط بين الشعبين الشقيقين المسلمين المغربي والسنغالي.

وتقوية لأواصر المودة ووشائج المحبة والتعاون بين البلدين الصديقين.

ودفاعا عن المثل والقيم والمقدسات التي عرف عن الأمتين التمسك بها والتشبث بأهدابها.

واستمرارا لرسالة السلف في التضامن والتنسيق في مجال الدعوة الإسلامية.

فقد تم بتقوى من الله ورضوان تأسيس رابطة للصداقة والتعاون الإسلامي بين علماء المغرب وعلماء السنغال أطلق عليها اسم «**رابطة علماء المغرب والسنغال للصداقة والتعاون الإسلامي**».

القسم الأول

الفصل الأول : مبادئ وأهداف الرابطة

- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والقيام بنشر مبادئ الإسلام الصحيحة داخل القطرين الشقيقين وخارجهما.

- تربية النشء تربية إسلامية علمية سليمة، وتدريبه على التحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة في السلوك والمعاملة.

- العمل على خلق نهضة علمية إسلامية بالبلدين، وذلك بالدعوة إلى إحياء المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية، وبعث الثقافة العربية الأصيلة وإحياء التراث الإسلامي ورعايته وإظهار قيمه.

- الدفاع عن السنة النبوية الشريفة.

- تشجيع حفظ القرآن الكريم ودراسة علومه.

- دراسة الحديث وعلومه.

- المحافظة على تراث الفقه المالكي وتشجيع دراسته ونشره والعمل به بالبلدين الشقيقين وخارجهما.

- المحافظة على معالم الحضارة الإسلامية بالبلدين الشقيقين وتراثهما الديني.

- تحقيق تعاون مثمر ومستمر بين علماء المغرب والسنغال في شتى المجالات الإسلامية، وذلك بتبادل الزيارات والمعلومات والخبرات وإقامة الندوات العلمية والدروس الدينية بالبلدين، وإصدار النشرات والكتب الإسلامية الهادفة إلى تعميق الوعي الإسلامي ونشر قيم ومبادئ الدين الحنيف.

- الوقوف في وجه التيارات المعادية للإسلام، والرد عليها بما يدحض أقاويل المتقولين ويسفه أكاذيب الكاذبين.

الفصل الثاني : المركز العام للرابطة مدينة الرباط

الفصل الثالث : للرابطة أن تؤسس فروعا لها بالبلدين في كل مكان تراه صالحا لأداء رسالتها.

الفصل الرابع : يكون لفروع الرابطة حق تمثيلها وتطبيق أهدافها ومشاريعها.

القسم الثاني

أعضاء الرابطة

الفصل الخامس : يتألف أعضاء الرابطة من :

- أعضاء عاملين.
- أعضاء مساعدين.
- أعضاء شرفيين.

الفصل السادس : صفات العضوية :

أ - العضو العامل، يجب أن يكون :

- عالما بالعلوم الإسلامية أو أحد فروعها أو أن يكون حاملا لإحدى الشهادات العليا من المعاهد الإسلامية بالبلدين أو غيرهما أو مشهودا له بكفاءته العلمية.
- متمسكا بالمبادئ والقيم الإسلامية عاملا على تطبيقها في حياته اليومية.
- مومنا بمبادئ الرابطة وأهدافها وملتزما بتطبيقها والقيام بالمهام التي تنيط بها.

ب - العضو المساعد، يشترط فيه أن يكون :

- ذا ثقافة إسلامية وفكر مستقيم.
- متحليا بالروح الإسلامية وملتزما بتطبيق أركان الدين الحنيف وتعاليمه.
- مؤمنا بمبادئ الرابطة وملتزما بالقيام بها والدعوة إلى تطبيقها.

ج - العضو الشرفي : كل مسلم من مواطني البلدين أو شخص معنوي من الهيئات الإسلامية بهما يتقدم بالمساعدة كيفما كان نوعها لخدمة أهداف الرابطة.

الفصل السابع : الاشتراكات.

تحدد اشتراكات الأعضاء العاملين والمساعدين والشرفيين من طرف المجلس الأعلى، ويؤدي الأعضاء واجب الاشتراك عند انخراطهم، ثم يتابعون أداءه قبل متم يناير من كل سنة.

الفصل الثامن : للمجلس الأعلى أن يقرر شطب اسم العضو من سجلاتها إذا ارتكب عملا من شأنه النيل من سمعة الرابطة والمس بمصالحها المشروعة، أو إذا ثبت ارتكابه لأعمال تتنافى وتعاليم الدين الحنيف أو امتنع من أداء اشتراكه طيلة سنتين متتاليتين.

الفصل التاسع : تسقط العضوية من الرابطة للأسباب لتالية :

1) تقديم الاستقالة بواسطة رسالة مضمونة تبعث إلى رئيس الرابطة.
2) الطرد عند الاقتضاء.
3) الوفاة.

القسم الثالث

الفصل العاشر : تتألف من الأعضاء العاملين والمساعدين الهيئتان التاليتان :

- المجلس الأعلى.
- الكتابة العامة.

الفصل الحادي عشر : المجلس الأعلى هو الهيئة ذات السيادة العليا للرابطة التي لها حق القرار في التوجيه العام.

الفصل الثاني عشر : يتكون المجلس الأعلى من عشرين عضوا على الأقل من مواطني الدولتين بالتساوي ينتخبون من طرف الجمع العام.

الفصل الثالث عشر : يتألف الجمع العام من :

- الرئيس
- عدة خلفاء.
- مقرر عام.
- مقرر عام مساعد.

ينتخب هؤلاء لمدة أربع سنوات، ويعتبر بقية الأعضاء مستشارين.

الفصل الرابع عشر : يختص المجلس الأعلى وحده بانتخاب أعضاء الكتابة العامة وعزلهم وتعديل القانون الأساسي، وتتخذ قراراته بأغلبية أصوات أعضائه، وفي حالة تعادل الأصوات يرجح صوت الرئيس.

- يوقع الرئيس والمقرر العام محاضر جلسات وقرارات المجلس الأعلى.
- يدير الرئيس الجلسات طبقا لقرارات الجمع العام ووفقا للتوجيهات المنبثقة عن المجلس الأعلى، كما يترأس الجلسات ويدعو الجمع العام للانعقاد، ويمثل الرابطة في جميع المجالات الإسلامية والاجتماعية وغيرها ويتمتع بجميع الصلاحيات الضرورية لهذا الغرض.
- في حالة غياب الرئيس أو حدوث مانع يحول دون حضوره، ينوب أحد خلفائه.

الفصل الخامس عشر : ينعقد المجلس الأعلى في دورة عادية مرة كل سنة في إحدى الدولتين بالتناوب، ويمكن أن ينعقد في دورة استثنائية كلما دعت الضرورة إلى ذلك، إما باقتراح من المجلس الأعلى نفسه، أو من الأمانة العامة.

الفصل السادس عشر : الأمانة العامة هي الهيئة التنفيذية للرابطة، وهي مسؤولة أمام المجلس الأعلى، وتتخذ قراراتها بأغلبية الثلثين، وتنتخب الأمانة العامة لمدة «سنتين».

الفصل السابع عشر : تتكون الأمانة العامة من :

- أمين عام.
- نائب للأمين العام أو عدة نواب له.
- أمين الصندوق.
- نائب أمين الصندوق أو نائبين له.

الفصل الثامن عشر : يسهر الأمين العام على سير العمل بصفة عامة وينسق أنشطة الأمانة العامة وفروع الرابطة، كما تتكلف الأمانة العامة بأعمال الكتابة كالمراسلات وحفظ الوثائق وإرسال الاستدعاءات وتحرير المحاضر، وتسجيل الوثائق التي تتعلق بشؤون الرابطة.

الفصل التاسع عشر : يؤمن أمين المال على أموال الرابطة، ويستحصل واجبات الاشتراك وغيرها من المواد، ويسدد النفقات بموافقة من الرئيس والأمين العام بعد موافقة أعضاء المكتب على أوجه النفقات.

الفصل العشرون : يقدم المجلس الأعلى للجمع العام (السنوي) تقريرا مفصلا عن نشاطه ومنجزاته خلال (السنة).

ويقدم أمين المال إلى الجمع العام تقريرا مفصلا سنويا عن الوضع المالي للرابطة.

الفصل الواحد والعشرون : يتألف الجمع العام من سائر الأعضاء العاملين والساعدين، وينعقد في التاريخ والمنطقة اللتين يحددهما المجلس الأعلى.

تتخذ القرارات في الجمع العام بالأغلبية المطلقة للأعضاء الحاضرين (الممثلين).

وتعتبر قرارات الجمع العام ملزمة لجميع الأعضاء الحاضرين المنتخبين.

الفصل الثاني والعشرون : ينعقد الجمع العام بصفة استثنائية إن اقتضى الحال وكان ذلك بطلب ثلثي أعضاء المجلس الأعلى، وتتولى الأمانة العامة الاستدعاء.

الفصل الثالث والعشرون : يتخذ الجمع العام التوصيات فيما يرجع لخطة الرابطة ونشاطها، ويوافق على جميع القضايا العامة، كما يبث وحده في أمور الرابطة إن حدث ما يدعو لذلك.

الفصل الرابع والعشرون : لا يجوز تعديل قانون من قوانين الرابطة إلا إذا اقترح ذلك من طرف رئيس المجلس الأعلى أو الأمين العام ووافق عليه المجلس الأعلى بأغلبية الثلثين.

الفصل الخامس والعشرون : للمجلس الأعلى أن يضع نظاما داخليا للرابطة يحدد الشروط التفصيلية اللازمة لتنفيذ هذا القانون الأساسي وحسن سير الرابطة.

الفصل السادس والعشرون : يكلف رئيس الرابطة بالقيام بجميع إجراءات التصريح والنشر وغيرها من التدابير المتعلقة بإحداث الرابطة وبالتغيرات التي قد تطرأ عليها، مراعيا في ذلك مقتضيات القانون المغربي - السنغالي.

القسم الرابع

موارد الرابطة :

الفصل السابع والعشرون : تتألف موارد الرابطة من :

- اشتراكات الأعضاء.
- الإعانات التي قد تتوصل بها الرابطة من الهيئات العمومية والخاصة بالبلدين.
- إعانة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية.
- إعانات وتبرعات المحسنين.
- للرابطة أن توسع دائرة مواردها بالطرق المشروعة التي لا تتنافى وأهدافها، والقوانين الجاري بها العمل.

حل الرابطة :

الفصل الثامن والعشرون : يقرر حل الرابطة في اجتماع عام طارئ بأغلبية ثلثي الأعضاء العاملين، وفي هذه الحالة يعين الجمع العام لجنة مكونة من بعض أعضاء المجلس الأعلى على أن يكون من ضمنهم رئيس الرابطة والأمين العام وأمين الصندوق، وذلك لتسهر على تصفية حسابات وأملاك الرابطة، وحل المشاكل بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة وباقتراح من المجلس الأعلى تؤول ممتلكات الرابطة لبعض المشاريع الإسلامية والمؤسسات الدينية بالبلدين.

مقتضيات عامة

يبقى الانخراط مفتوحا لمن رغب فيه من علماء الدول الإفريقية المسلمة على أن لا يقع تغيير في التركيب الهيكلي للمجلس الأعلى للرابطة.

أعضاء مكتب المجلس الأعلى لرابطة علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الإسلامي

الأعضاء الشرفيون للرابطة

الشيخ عبد الله كنون : المملكة المغربية
الشيخ محمد المكي الناصري : المملكة المغربية
الشيخ محمد بن عبد الله العلوي : المملكة المغربية
الشيخ عبد العزيز سي : الجمهورية السنغالية
الشيخ عبد الأحد مباكي : الجمهورية السنغالية
الشيخ منتقى تال : الجمهورية السنغالية

أعضاء مكتب المجلس الأعلى للرابطة

مولاي مصطفى بن أحمد العلوي : رئيس الرابطة ـ المملكة المغربية
عبد الله ابراهيم نياس : الخليفة الأول للرئيس ـ الجمهورية السنغالية
محمد الكبير العلوي : الخليفة الثاني للرئيس ـ المملكة المغربية
الشيخ عبد العزيز سي الابن : الخليفة الثالث للرئيس ـ الجمهورية السنغالية
الشيخ ماء العينين لارباس : الخليفة الرابع للرئيس ـ المملكة المغربية
ج شبيهنا حمداتي ماء العينين : المقرر العام ـ المملكة المغربية
ج أبو بكر سي : المقرر العام المساعد ـ الجمهورية السنغالية

أعضاء مكتب الأمانة العامة للرابطة

الشيخ الأستاذ ابراهيم محمود جوب : الأمين العام للرابطة ـ الجمهورية السنغالية
الأستاذ حسين وجاج : النائب الأول للأمين العام ـ المملكة المغربية
الحاج مالك سي : النائب الثاني للأمين العام ـ الجمهورية السنغالية
الأستاذ عبد السلام جبران : النائب الثالث للأمين العام ـ المملكة المغربية
الأستاذ أحمد عيان تيام : النائب الرابع للأمين العام ـ الجمهورية السنغالية
الأستاذ محمد أبو الفضل : أمين الصندوق ـ المملكة المغربية
الأستاذ سام مباي : نائب أمين الصندوق ـ الجمهورية السنغالية

الأعضاء المستشارون للرابطة

الشيخ محمد البشير لي : الجمهورية السنغالية
الشيخ محمد كونتي : الجمهورية السنغالية
الأستاذ مصطفى سيسي : الجمهورية السنغالية
الأستاذ محمد الأمين ابراهيم نياس : الجمهورية السنغالية
الشيخ تيرنو أحمد جمي سل : الجمهورية السنغالية
المختار جينغ : الجمهورية السنغالية
الدكتور روحان امباي : الجمهورية السنغالية
الشيخ مداني تال : الجمهورية السنغالية
الشيخ مصطفى بودروة : المملكة المغربية
الشيخ أحمد أفزاز : المملكة المغربية
الشيخ محمد حدو أمزيان : المملكة المغربية
الدكتور محمد الكتاني : المملكة المغربية
الشيخ عبد الله شاكر : المملكة المغربية
الشيخ مولاي ادريس العبدولاي : المملكة المغربية
الشيخ المقدم بوزيان : المملكة المغربية
الشيخ الحاج أحمد بن شقرون : المملكة المغربية
الشيخ مولاي المهدي القاسمي : المملكة المغربية



أبحاث ..

ودراسات ..

إفريقية ..

دفتر مذكرات

علاقاتُ المغرب والسّينغال

علاقات أخوة وعقيدة

للأستاذ
قاسم الزهيري

تم تعييني سفيراً في السنغال في بداية سنة 1961، وكنت من الجماعة التي وقع اختيار جلالة المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه عليها قبل وفاته ببضعة أسابيع لتمثيل المغرب في بعض الأقطار الافريقية، ومن هذه الجماعة الشيخ المكي الناصري والسيد الداي ولد سيدي بابا، وقد أخذنا أوراق الاعتماد في يوم واحد : 25 رجب 1380 هـ الموافق 19 يناير 1961م، وبعد بضعة أيام جاء دور الصديق الدكتور عبد السلام الحراقي الذي عينه جلالته في جمهورية مالي.

وان أنس لا أنسى يوم سلمنا العاهل المنعم أوراق الاعتماد : فقد سلمها لنا رحمه الله في ردهة صغيرة من القصر الملكي بالرباط بعد صلاة المغرب، دخلنا على جلالته فاستقبلنا واحداً واحداً، وكان أشعث تعلو رأسه فيصلية بدت من تحتها وفرة خاطها المشيب ولحية أهمل حلقها من بضعة أيام على عادته كلما حزبه أمر، وكان يرتدي جلباباً بسيطاً يميل إلى الزرقة. وكان بادي التعب والإنهاك من الألم الممض الذي كان يلازمه في آخر حياته. ومع ذلك كان متجلداً. استقبلنا وتوجه إلينا بكلمات أبرز فيها مكانة افريقيا في الحاضر وما تتطلع إليه في المستقبل ومكان المغرب منها، وبين لنا ما ينتظره من كل واحد في مواصلة الرسالة التي قامت بها بلادنا في هذه القارة على مر العصور : رسالة سلام وإخاء وتضامن إسلامي، وشرح صدر كل واحد منا بكلمات في منتهى الرقة واللطف. ثم أدينا اليمين بين يدي جلالته وانصرفنا بعدما وشحنا بوسام العرش، ولم أكن أتصور أننا كنا في لقاء وداع جلالته تغمده الله بواسع رحمته.

فماذا عن العلاقات بين المغرب والسينغال ؟

العلاقات بين المغرب والسنغال تعود إلى أقدم العهود، وقد ترسخت بالخصوص منذ ألف سنة في عهد الدولة المرابطية التي نشأت في صحراء موريتانيا وسادت في افريقيا الشمالية والأندلس بينما غزا أحد قادتها افريقيا الغربية ونشر الإسلام في السنغال ومالي وغيرهما، ولم تنقطع حركة التنقل عبر الصحراء منذ ذلك التاريخ، فكان التجار والدعاة والمعلمون يقطعونها جيئة وإياباً، ولعب الإبل دوراً مهماً في هذه الحركة. ومن هؤلاء من كانوا يروحون ويغدون، بينما كان يستقر آخرون ويتأهلون من البلاد وينشئون عائلات أو يأتون بأهلهم طلباً للرزق، وكثير من هؤلاء يقضون شبابهم في الكد والعمل ثم يعودون إلى بلادهم بعد ما يحصلون على بعض الكسب أو تتقدم بهم السن. وكل هذه الأصناف موجودة إلى الآن، وإن كانت آخذة في الانحسار بسبب ضيق أسباب الرزق في السنغال



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يقيم بباريس مأدبة عشاء يوم الخميس 12 دجنبر سنة 1985م (29 ربيع الأول عام 1406 هـ) تكريماً لبعض الرؤساء الأفارقة.

مما اضطر الكثير إلى الرحيل إلى بلاد أخرى كساحل العاج أو العودة إلى الوطن.

وقد أدركنا الكثير من هؤلاء المواطنين في السنغال وغامبيا، وكانوا منتشرين في أهم المدن ويتعاطون بالخصوص تجارة القماش والحذاء المغربي (البلغة) والطربوش والمصنوعات التقليدية. وكان يبلغ عددهم أزيد من مائتين وخمسين عائلة، كل عائلة يزيد أعضاؤها عن خمسة أفراد ومنها من تبلغ العشرين، وإذا كانت قلة من هؤلاء المهاجرين تصحبهم أزواجهم من المغرب، فإن الأغلبية اتخذوا زوجات افريقيات وأنجبوا منهن. ومنهم من كان لهم مثنى وأكثر. وأبناؤهم لايختلفون عن السنغاليين في شيء : لون بشرة، وأسلوب حياة، ولغة، وكان التفاهم تاماً بين المغاربة المهاجرين وأبناء البلاد. يثقون في بعضهم بعض، وتتوثق صلات المودة والمحبة بينهم أكثر من غيرهم.

كان بدكار عشرات التجار المغاربة، وكان لهم متاجر حافلة بالبضائع من جميع الأنواع على حافتي الزقاق المسمى بزقاق فانسان في وسط المدينة والذي سمي فيما بعد بزنقة محمد الخامس، وكان يقصدهم أهل البلاد لشراء مايحتاجونه من ثياب وأثاث وغيرهما وكان أبرز هؤلاء التجار ممن عرفناهم السيد محمد الداودي والسيد محمد الشاوي والسيد بنسالم النقاط والسيد عبد الكريم الجابري والسيد ابراهيم بوغالب. ومنهم من كانوا يشتركون في متجر واحد. ورجل الصناعة المغربي الوحيد الذي كان إذ ذاك في دكار هو السيد محمد مكوار. وكان له معمل كبير



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يؤدي صلاة الجمعة بمسجد العيون الجامع يوم الجمعة 15 مارس 1985.

لصنع الأقمشة التي كان يصدرها إلى موريتانيا وجميع أقطار افريقيا الغربية، وكان معروفاً في الأوساط الرسمية، وله صداقات وطيدة، كما كانت له تجارة واسعة في الدار البيضاء، وهذا ما أهله لأن يصبح سفيراً في دكار سنة 1981.

طالما اجتمعنا بهذه الجالية ودعوناهم لتكييف حالتهم بحسب الأوضاع السياسية والاقتصادية الجديدة حفاظاً على بقائهم وتجارتهم. فالسنغاليون، بعد الاستقلال، أخذوا يتعاطون التجارة ويبحثون لسنغلة المرافق الاقتصادية، ثم إن الدولة الناشئة أصبحت في حاجة إلى المداخيل، فلجأت إلى سن الضرائب، وكان على مواطنينا أن يتنبهوا إلى تبدل الأحوال فيشركوا معهم أبناء البلاد في رأس المال والربح.

وبذلك يبقون على وجودهم وتجارتهم. والوحيد الذي تنبه إلى ذلك هو السيد محمد مكوار، أما الآخرون، فأغلبهم لم يتطوروا فاضطروا إما إلى العودة إلى بلادهم أو إلى الرحيل إلى ساحل العاج حيث فرص العمل الحر أكثر والبلاد أغنى.

وبقي بعض المغاربة العجزة الذين تأهلوا من السن السنغال وأنجبوا أبناء يعتبرون سنغاليين، ومنهم من أقعدهم الدهر، فكانوا يتلقون الإسعاف من مواطنيهم أو من الدولة المغربية، وأكثر هؤلاء كانوا في «مباي لوي» أو «كولخ» الخ.. ومنهم من أدركهم المنون فتركوا أسرة على بساط الفقر. وممن أدركنا بالخصوص وعلى سبيل المثال : المرحوم السيد ادريس كَنون، قضى أزيد من أربعين سنة،



الأربعاء 15 أبريل 1987
صاحب الجلالة يستقبل الرئيس الكاميروني السيد أيولبيا ويوشحه بقلادة الوسام المحمدي.

في السنغال وكانت له تجارة واسعة ودار مفتوحة في دكار، وكان يعرف بـ«بابا ادريس» مات عن سن تناهز المائة، وترك أسرة تتألف من أرملة وأحدى عشر ولداً. ومنهم الشيخ الحسن بن جلون، كان من التجار المشهورين في مدينة كولخ قبل أن يقعد به الدهر ويذهب بصره. وكانت عائلته متألفة من زوجة وثمانية بنين وستة حفدة. وسنه تناهز الثمانين. وقد آواه أحد السنغاليين ونقله إلى مدينة «روفيسك» ومن بين التجار المغاربة القدامى السيد عبد العزيز بوغربال له ثمانية أولاد وكان يسكن بمدينة «روسو». والسيد عبد الله بن جلون وقد أصيب بعاهة ألزمته البيت وله عيال كثير، والسيد عبد الكريم بوزكري وكان من التجار المعروفين، وقد اتخذ مدينة «دجوربيل» مسكنا له ولبناته الخمس. والسيد ادريس بن جلون وكان من التجار المعروفين في مدينة كولخ. وله أسرة تتألف من عشرة أبناء وأخت تحت كفالته، والسيدة خادي أرملة المرحوم السيد الحاج محمد بنونة وكان من كبار التجار المغاربة في دكار خلف خمسة أطفال صغار.

والسيد عبد العزيز بوغالب كانت له تجارة واسعة في «تييس» وأسرته مؤلفة من اثني عشر ولداً علاوة على زوجته، والسيد عبد القادر الشاوي، وكان معروفاً بكرمه لما كانت تجارته مزدهرة، وأسرته تتألف من أربعة عشر ولداً وزوجتين. والسيد ادريس بوغالب له زوج وبنت، والسيد الكبير العلمي وله زوجة من أسرة بوعياد وقد هجرها وترك لها أربعة أولاد، والسيد عثمان بوغالب وهو من وجهاء المغاربة في «سان لوي» وله سبعة أنجال.

هؤلاء ممن عرفنا، ومنهم من لم تجمعنا بهم المقادير وهم الأكثرية، وكان المواطنون في السنغال ـ جازاهم الله خيراً ـ يسعفونهم بما يستطيعون، وقدمت لهم السفارة بعض الإسعاف، كما طلبت من الدولة أن تعينهم.

ولا يفوتنا بأن نشير في هذا السياق إلى بعض المواطنين الذين سبق لهم أن تعاطوا التجارة في السنغال وحصلوا على رزق واسع؛ ثم عادوا إلى بلادهم وأنشأوا مرافق تجارية وصناعية واسعة، وخاضوا الميادين المصرفية، يديرون الآن مؤسسات ناجحة، بينما هاجر عشرات التجار المغاربة من السنغال بعد أن ضاقت آفاق العمل به إلى غيره من أقطار افريقيا المدارية وخاصة ساحل العاج حيث أنشأوا تجارة واسعة ولقوا، ولا يزالون، تشجيعاً كبيراً من لدن سلطاتها.

ينتمي السنغاليون عامة إلى إحدى الفريقتين : التجانية أو القادرية، وكلتاهما قامتا بدور أساسي في نشر الإسلام، ولا زال شيوخهما يقومون بواجبهم في ترسيخ قدم الإسلام لا بهذا البلد فحسب، بل في عموم افريقيا الغربية والوسطى وقد اتجه نظرنا من البداية إلى ربط الاتصال مع شيوخ هذه الطريقة والتعاون معهم لما لهم من نفوذ روحي واسع على عامة الشعب.

والطريقتان تتنافسان في نشر الإسلام، وتتعايشان تعايشاً حسناً. والطريقة القادرية (المريدية) بالأخص تضيف إلى نفوذها المعنوي، أهدافاً اقتصادية اجتماعية حيث يتوفر أتباعها على تنمية الإنتاج الفلاحي. لهذا فإن الحكومة الحالية، اقتداء بالحكام في عهد السيطرة الأجنبية، يستندون إلى الطريقتين. ويرضونهما بجميع الوسائل، وإذا كان الرئيس ليوبولد سيدار سينغور، قد توفق في البقاء على رأس الدولة السنغالية عشرين سنة، فلأنه عرف كيف يتعامل مع شيوخ الطريقتين.

من بين هؤلاء الشيوخ المرحوم نورو طال وكان شيخاً وقوراً ذا صيت واسع ونفوذ، وهو من حفدة الزعيم الوطني دان فوديو كان بيته من أكرم البيوتات في دكار. وله تأثير كبير على التجانيين بالسنغال، وقد توثقت صلاتنا به، وكان له عطف خاص على المغرب ووفاء لعاهله الكريم جلالة الحسن الثاني نصره الله وكانت لنا علاقات متينة كذلك بالشيخ المرحوم ابراهيم نياس والشيخ عبد العزيز التجاني وهما عالمان جليلان : أما الأول فكان لايفتر عن التحول في افريقيا الغربية وله أتباع كثيرون في نيجيريا وساحل العاج والكامرون الخ.. إذا قام بجولة لنشر الإسلام، اعتنق الدين الحنيف الآلاف دفعة واحدة، وقد حضرنا أحد مجالسه بمناسبة عيد من أعياد المولد وأعجبنا بأسلوبه في الإقناع. وكان هو أيضاً من المحبين للمغرب، وقد نظمنا له زيارات ومقابلات مع جلالة الملك. وراح أبناؤه للتعلم في جامعة القرويين بفاس، أما الشيخ عبد العزيز التجاني فهو كذلك من العلماء الأجلاء، وكان مجلسه بمدينة «كولخ» ولا يزال مجلساً حافلاً وكلا الشيخين أسسا كتاتيب قرآنية، ومدارس لتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين في شتى أنحاء السنغال، ويعود لهما ولأمثالهما من المشايخ الفضل في الدعوة الإسلامية وبقاء اللغة العربية حية بهذه الربوع. وكذلك الشأن في مشايخ الطريقة القادرية. وقد أدركنا الشيخ الكبير مباكى الذي كان مقره بمدينة طوبى بجوار المسجد الجامع..

ومما هو جدير بالذكر وجود كثير من الجمعيات الإسلامية، وفي مقدمتها جمعية معلمي اللغة العربية وقد اتصلنا بمكتبها وأوفدنا اثنين من أعضائه إلى المغرب بعدما أسعفت السفارة هذه الجمعية بما يساعدها على أعمالها التعليمية والتهذيبية. وقد أوفدت الجمعية خمسة وثلاثين طالباً على دفعتين إلى المغرب لتعلم اللغة العربية والتفقه في الدين. وتكفل الحكومة المغربية بإعطائهم منحاً دراسية، كما توالت وفود الطلبة السنغاليين بعد ذلك على المعاهد العلمية الإسلامية وكانت وزارة الأوقاف تتكفل بالإنفاق عليهم.

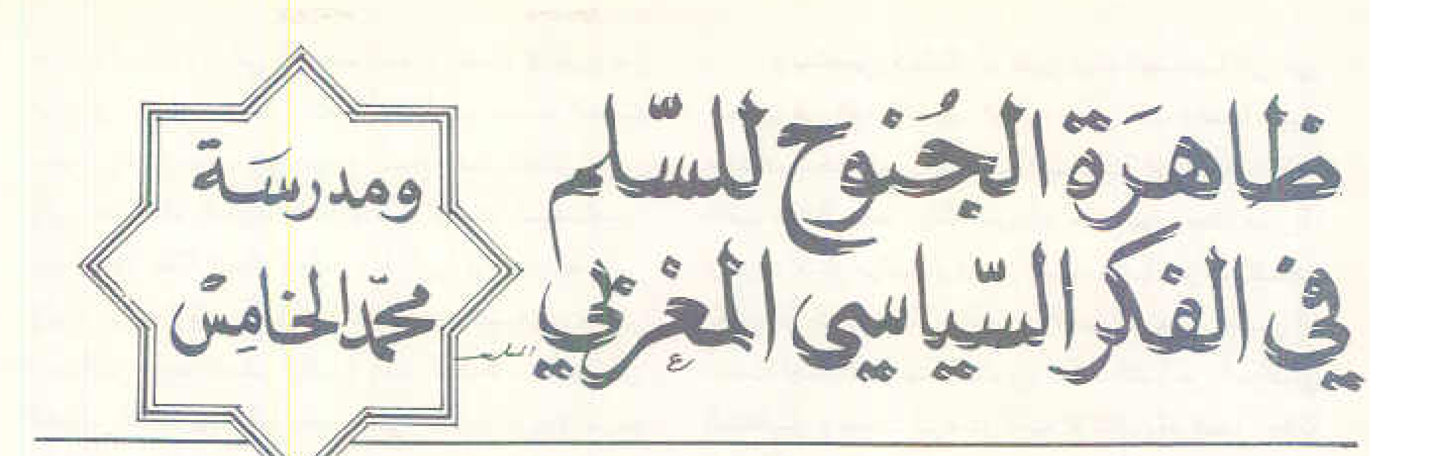
ونشير بالمناسبة أن أحد حفدة الشيخ أحمد التجاني واسمه السيد محمد الحبيب كان يسكن بدكار، وكان محل اعتبار وتقدير من جميع الأوساط وخاصة من لدن أتباع

جده وكنا نزوره في المسجد الذي ابتناه لا يفرغ من المؤمنين. وبعد استقلال السنغال أخذ السيد محمد الحبيب ينظم زيارات سنوية إلى ضريح الشيخ أحمد التجاني بفاس وإلى أهم معالم المغرب يشارك فيها عشرات السينغاليين، وقد تفضل جلالة الملك فأوقف بيتاً كبيراً في مدينة فاس لإيواء هؤلاء الزوار. وكان لذلك وقعه الطيب في نفوس السنغاليين، ومما تجدر الإشارة إليه كذلك أن كثيراً من الحجاج السنغاليين كانوا يفدون على المغرب لزيارة ضريح الشيخ أحمد التجاني في طريق العودة من بيت الله الحرام وزيارة الكعبة المشرفة.

ومن الجمعيات السنغالية التي كنا متصلين بها جمعية الاتحاد الثقافي الإسلامي، وهي من أنشط الجمعيات الإسلامية في السنغال ولها عدة مدارس لتلقين مبادئ الإسلام والعربية وفي كل سنة كانت توجه المتخرجين من هذه المدارس إلى تونس والقاهرة ويعدون بالعشرات وقد بدأت السفارة بطلب منح لعشرة من هؤلاء الطلبة لمتابعة دروسهم في المعاهد الإسلامية بالمغرب.

ويستحسن كذلك أن نشير بهذه المناسبة إلى دور المغرب في إنجاز المسجد الجامع بدكار. فقد فاتحنا السيد مامادو دجا رئيس الحكومة السنغالية إذ ذاك في وضع تصميم هذا المسجد وبنائه على أيد مهندسين وعمال مغاربة، وتشييد منار مرتفع يرى من بعيد وبناء مركز ثقافي ومدرسة لتعليم مبادئ الدين واللغة العربية. وسبق أن أسست لجنة القيام بهذا المشروع تتألف كلها من المواطنين السنغاليين وجمعت تبرعات كافية للإنفاق وقد تفضل جلالة الملك فلبى طلب الحكومة السنغالية وأوفد السيد المكي بادو رحمه الله، وكان إذذاك قائماً بشؤون الأوقاف بالمغرب ومعه وفد من المهندسين وكبار النحاتين والعمال برئاسة المقاول السيد ابن عمر من سلا. وأسهم جلالة الملك بقدر مهم من ماله الخاص لإنجاز المشروع وقد تم وفق المرام بعد سنتين؛ ومصر جلالة الحسن الثاني بنفسه في تدشين المسجد في يوم مشهود ما تزال ذكراه عالقة بأذهان السنغاليين إلى يومنا هذا.

الرباط : قاسم الزهيري



- 2 -

للدكتور عباس الجراري

بعد هذه المظاهر المأخوذة من التاريخ والواقع، ننتقل لتفسير ظاهرة الجنوح للسلم في الفكر السياسي المغربي، ومدرسة محمد الخامس خاصة. ومن غير أن نتحدث عن العوامل الذاتية، من أرومة وتربية ونشأة وما إليها مما يصب آخر الأمر في التحليل لتأثره بمختلف عناصره، نبادر إلى تحديد ثلاثة من هذه العناصر :

الأول : طبيعة الشخصية المغربية بكل الملامح التي تعطيها وجودا دائما يتمثل في الأمة، لأن الأمة ليست مجرد حدث قد يطرأ ويزول، أو واقعة اجتماعية (un fait social) قد تكون عارضة، ولكنها إرادة وعوامل متعددة تحرك هذه الإرادة. وهي كذلك سيادة تشكلها معطيات مختلفة غالبا ما تكون في معظمها متجذرة يصعب تحديد نشأتها، وراسخة بحيث يتعذر اقتلاعها، حتى حين تتعرض الأمة لما يهز كيانها، كما هو الشأن في مرحلة الاستعمار على سبيل المثال.

وإذا كان الجنوح للسلم مرتبطا بوجود الأمة، فإن ذلك يعني أنه مرتبط بوجود مجتمع متماسك في قيادته وقاعدته، تسوده روابط اجتماعية قوية هو واع بها وبضرورتها وأهمية وجودها وسيادتها، أي أنه مجتمع لا تتحكم فيه الفردية، لأن الفردية أنانية، والأنانية قد تستولي على القيادة فتعلن الحرب ولو بالمغامرة أو المجازفة بالأمة ومصالحها. كما أن الأنانية قد تستبد بالمواطن فيتحول إلى شخص لا مبال، واللا مبالاة غالبا ما تكون مشحونة بعدوانية داخلية، فيتمنى الحرب أو يتحمس لها، سواء ظن أنه سيبقى بمعزل عن نتائجها، أم كان واعيا بأخطارها وبأنها قد تأتي على الأخضر واليابس، أو كما يقال : «عليّ وعلى أعدائي».

الجنوح للسلم بهذا يعني وجود حس حضاري ووعي ثقافي، وإدراك للواقع ومعرفة بحقيقة دون تزييف أو اصطناع، بعيدا عن تضخيم الذات وتحجيم الآخرين. وهو يعني الميل إلى الجانب العملي بموضوعية تنأى عن الوهم والخيال والظن، وعن الحماس المنفعل الذي لا يضبطه العقل. ويعني كذلك القدرة على تحمل المسؤولية في تكامل لا مجال فيه للتخلي أو الإسقاط على الغير.

وهذه كلها ملامح تعني في النهاية أن الجنوح للسلم يرتبط بالأصالة الحضارية والثقافية. آية ذلك ما ذكره صاحب الجلالة الحسن الثاني في خطابه بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين لثورة الملك والشعب، يوم الأربعاء 11 شعبان 1395 هـ (20 غشت 1975م)، وهو يتحدث عن تحرير الصحراء بالطرق السلمية، ما لم يقع الاضطرار إلى

غيرها، وهو احتراز في غاية الأهمية عبر عنه ـ نصره الله ـ من خلال بيت الشاعر الكميت بن زيد :[68] «نحن نريد تحرير صحرائنا بالوسائل السلمية وبالطرق القانونية. نريد هذه الطرق القانونية والسلمية لأسباب متعددة : أولا لأننا شعب لنا حضارة وتاريخ عريق في الأصالة. والشعوب الأصيلة والشعوب العريقة المجد هي التي تسعى دائما إلى حل المشاكل بالطرق السلمية. ثانيا لأننا إذا تمكنا أن ننال مرادنا ونوفر المال والأرواح لكان من الأحسن أن نوفر المال والأرواح وننال مرادنا، ولكن :

إذا لم يكن إلا الأسنة مركب
فلا يسع المضطر إلا ركوبها

والذي أقول لك شعبي العزيز : إنني أتأمل كثيرا فيما قاله ستراتيجي معروف : الحرب هي المعركة الأخيرة التي يمكن أن يركبها الإنسان إذا فشلت المعارك الدبلوماسية كلها»[69].

إن جلالة الملك بهذا القول ينطلق من حقيقة مرتبطة بالشخصية المغربية ويلح عليها، وهي أن الشعب المغربي مفطور على السلم وعلى التعايش والتساكن إلى حد الاندماج والانصهار، ما لم يتم التعامل معه بالعدوان أو محاولة فرض السيطرة فإنه يناوئ ويقاوم، لأنه على حد تعبير الشاعر المغربي المرحوم إدريس الجالي :[70]

شعب غضوب للكرامة إن يثر
تتراجع الأقدار لا يتقهقر

وهو واقع تبرزه مواقف البطولة والجهاد التي عاشها المغاربة في مختلف العهود، والتي حددت اختياراتهم وما يترتب عنها من علاقات وسلوك.

وهذا يتضح تاريخيا من ارتياح المغاربة للفينيقيين الذي كانوا مستوطنين أصحاب تجارة يتبادلونها مع الغير. ويتضح كذلك من نفورهم من الرومان والوندال والبيزنطيين الذين كانوا يهدفون إلى الاستعمار والاستغلال. فقد أتاح الموقف لهم ـ أي للمغاربة ـ في العصر الفينيقي، نقصد الموقف المتبادل، أن يساهموا في تطوير حضارة راقية، في الوقت الذي كان للعصور التالية أثر سلبي انعكس على حياتهم وعلى دورهم في المنطقة، بل جمد قدراتهم الإبداعية في مختلف المجالات، لا يستثنى منها إلا مجال رد العدوان والرغبة في الاستقلال، فإنه ظل متمثلا في بعض المواقف الوطنية التي كانت تسعى إلى تحرير الشمال الافريقي وتوحيده، والتي قادها زعماء أمثال حنبعل وماسينيسا ويوغورطة ويوبا الأول وابنه اغسطس يوبا الثاني الذي انتعشت الثقافة في عهده، انطلاقاً من عاصمة شرشال ووليلي. وقد جعلت هذه المواقف وغيرها بعض المؤرخين يعتبرون السكان «مفطورين على قلة الولاء» على حد قول شارل أندري جوليان[71]، وهم في الحقيقة مجبولون على حب الحرية والاستقلال.

ولعلنا هنا أن نستحضر بيتي الفرزدق المشهورين[72]، فما أصدقهما علينا نحن المغاربة :

حلل الملوك لباسنا في أهلنا
والسابغات إلى الوغى نتربل
أحلامنا تزن الجبال رزانة
وتخالنا جنأ إذا ما نجهل

وما أروع قول شاعر الصحراء المغربية الشيخ ماء العينين لارباس :[73]

68) شاعر الأمويين ثم الطالبيين (60 ـ 126 هـ)، وقد اشتهر بها شمياته، وهي قصائد مذهبية في الانتصار لبني هاشم.

69) انبعاث أمة ج 20 ص 122 ـ 123.

70) توفي يوم الجمعة عاشر رمضان 1397 هـ (6 غشت 1977 م). والبيت من قصيدته (كل الشهور نوفمبر)، وهي منشورة في ديوانه (السوانح) ص 75 ـ 77 (مطبوعات القصر الملكي ـ المطبعة الملكية بالرباط 1971).

71) في كتابه (تاريخ افريقيا الشمالية) ص 183، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة (ط الدار التونسية للنشر 1969 م).

72) ديوان الفرزدق ج 2 ص 717، ت. عبد الله الصاوي (المكتبة التجارية ـ مصر 1354 هـ ـ 1936 م).
والفرزدق هو الشاعر التميمي أبو فراس همام بن غالب (19 ـ 110 هـ).

73) من قصيدة (بني وطني) المنشورة في (باقة شعر من أقاليم الجنوب) ص 20 ـ 21 (وزارة الشؤون الثقافية ـ المغرب ـ جمادى الثانية 1405 ـ مارس 1985. وانظر كذلك مقال الأستاذ شبيهنا حمداتي ماء العينين (نماذج من أدب الصحراء المغربية وأدبائها) ق 2 : مجلة دعوة الحق س 18 ع 4 ص 100 ـ جمادى الأولى 1397 هـ مايو 1977 (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب).

فـــإنـــا دعـــاة السلم إن جنحـوا لهـــا
وإلا فنـــــار الحرب نسعرهـــــــا سعرا

ومثله قول الشاعر المدني الحمراوي :[74]

مفـــاخرنـــا في السلم والحرب لم يطـق
ســوانـــا لهـــا شفعـــاً فمـــا فتئت وترا

العنصر الثاني : في تفسير الظاهرة يكمن في التمسك بالإسلام والتأثر به على مستوى الفرد والجماعة. وغير خاف أن الإسلام دين السلام القائم على التعايش والتسامح. وقد ورد لفـظ «السلم» (بتسكين اللام) ثـلاث مرات في القرآن الكريم، و«السلم» (بفتح اللام) خمس مرات، و«السـلام» اثنين وأربعين مرة، من غير أن نشير إلى بقية الألفاظ المشتقة من هذه المادة، ومنها «الإسلام» الـذي يعني الاستـسلام لأمر الله والإخلاص لعبادته، ويطلق عليه «السلم» كـذلـك (بفتح السين وكسرها وتسكين اللام). ومنه قول الشاعر المخضرم امرئ القيس بن عابس الكندي :

فلستُ مبـــدلا بـــاللـــه ربـــا
ولا مستبـــدلا بـــالسلم دينـــا[75]

وقـول عبـد اللـه بن محمـد الأنصـاري الملقب بالأحوص :[76]

فـــذادوا عـــدو السلم عن عقر دارهم
وأرسـوا عمـود الـدين بعـد التمـايـل

ولعله يكفينـا في مجال هذا العنصر أن نقرأ قـولـه تعالى في سورة الأنفال : «وإن جنحوا للسلم فـاجنح لهـا وتوكل على الله»[77]، وقـولـه عـز وجـل في سـورة البقرة : ﴿**يـا أيهـا الـذين آمنوا ادخلوا في السلم كـافـة، ولا تتبعوا خطوات الشيطـان إنـه لكم عـدو مبين، فـإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينـات فـاعلموا أن اللـه عزيز حكيم**﴾[78].

والخطـاب في القول الكريم موجه للمومنين عـامـة، وهـو مـا يـؤكـده ورود اسم «كـافـة» الـذي يعني الجمع والإحـاطـة، والـذي هو حـال من ضمير فعل الأمر «ادخلوا»؛ ويعود على المومنين المسلمين وغيرهم؛ ويـؤكـده كـذلـك ربـط هـذا الأمر بـالنهي عن اتباع خطوات الشيطـان ومـا ينتج عنـه من زلـل. وقد ذهب بعض المفسرين[79] إلى أنـه موجـه للمسلمين خـاصـة، على حـد الاستعمـال الغـالب في القرآن، ولما للموصول من معنى المعرف بلام العهد.

والسلم هنـا المصـالحـة وإن وجهـه البعض لمعنى الإسـلام. وإلى ذلـك ذهب من قرأ بكسر السين ليفرق بين السلم (بـالكسر) بمعنى الإسـلام، والسلم (بـالفتـح) بمعنى الصلح. وهي تفرقة لا أساس لها كمـا بينـا في مقدمـة هـذا البحث. ويؤكد معنى المصالحة السياق الذي وردت فيه، إذ هي مسبوقة بمجموعة من الآيات التي تتعلق بالقتـال، تبـدأ بقولـه تعـالى : ﴿**وقـاتلوا في سبيـل اللـه الـذين يقـاتلونكم ولا تعتـدوا، إن اللـه لا يحب المعتـدين. واقتلـوهم حيث ثقفتمـوهم وأخرجـوهم من حيث أخرجـوكم، والفتنـة أشـد من القتـل. ولا تقـاتلـوهم عنـد المسجـد الحرام حتى يقـاتلـوكم فيـه، فـإن قـاتلـوكم فـاقتلـوهم، كـذلـك جـزاء الكـافرين. فـإن انتهـوا فـإن اللـه غفـور رحيم. وقـاتلـوهم حتى لا تكـون فتنـة ويكـون الـدين للـه، فـإن انتهـوا فـلا عـدوان إلا على الظـالمين**﴾[80]، وتختم بقولـه الكريم : ﴿**ولا تلقوا بأيـديكم إلى التهلكـة وأحسنـوا، إن اللـه يحب المحسنين**﴾[81].

والسلام من أسماء الله الحسنى. يقول تعـالى في سورة الحشر : ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو الملـك القـدوس السـلام المـومن المهيمن العـزيـز الجبـار المتكبر، سبحان الله عما يشركون**﴾[82]. وربما كان أصل التسمية

74) من قصيـدة (ملحمـة الجزائر)، وهي منشورة بمجلـة دعوة الحق السنـة 5 العدد 5 ص 82 ـ رمضان 1381 هـ فبراير 1962 م.
75) انظر هذا البيت والذي يليه في : لسان العرب (مادة سلم).
76) توفي سنة 105 هـ (723 م).
77) الآية 62.
78) الآيتان 206 ـ 207.
79) انظر (تفسير التحرير والتنوير) للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ج 2 ص 275 (الدار التونسية للنشر ـ تونس 1984 م).
80) الآيات 189 ـ 192.
81) الآية 194.
82) الآية 23.

كامنا في هذا المعنى السلمي الذي نتحدث عنه، وكذا في سلامته عز وجل من النقص والعيب ومما يلحق الغير من آفات الغير والفناء، كما عند غير قليل من المفسرين. يقول الشاعر الجاهلي أمية بن أبي الصلت :

سـلامــك ربنــا في كـل فجر

بريئـا مـا تعنّتـك الـذُّموم[83]

وفي القرآن الكريم دعوة صريحة للسلم يعبر عنها قوله تعالى في سورة يونس : ﴿**والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط المستقيم**﴾[84].

وقد فسرها البعض بأنها الجنة.

وهي دعوة نابعة من ثلاثة مبادئ :

1 ـ مبدأ التسامح والتعايش بين المجتمعات الإنسانية التي هي ـ لا ختلافها الذي يمس الرؤى والمكونات والمصالح بما قد يصل إلى التنافر ـ تحتاج إلى نسق لقيامها يحقق الحد الأدنى لتبادل الخدمات والمنافع والتعاون من أجلها. ولعل من أهم معالم هذا النسق التعارف الذي تحدث عنه القرآن الكريم في سورة الحجرات : ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير**﴾[85].

2 ـ المبدأ الثاني يؤكد أن التعايش ينبغي أن يقوم على الحوار الذي هو في الإسلام حوار معرفي يهدف إلى تبادل التعارف ووجهات النظر لحل المشكلات، وليس إلى التقابل الجدلي العنيف والمناظرة التي تقصد إلى الغلبة والإفحام. يقول تعالى في سورة النحل : ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين**﴾[86]، ويقول سبحانه في سورة العنكبوت : ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**﴾[87].

3 ـ المبدأ الثالث كامن في تنبيه القرآن الكريم إلى ضرورة تجنب الخصومات والنزاعات وما قد تؤدي إليه من خسران. يقول الله عز وجل في سورة المائدة لدا ذكر قصة ابني آدم عليه السلام، وقتل قابيل أخاه هابيل، بسبب الحسد الناشئ عن قبول قربان أحدهما دون الآخر : ﴿**فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين**﴾[88]. والنزاعات تؤدي إلى فتن قد تعصف بكل شيء، ولهذا يقول تعالى في سورة الأنفال : ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾[89]، ويقول في نفس السورة : ﴿**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾[90].

هنا تثار قضية كثيرا ما يساء فهمها، وهي دعوة الإسلام للجهاد. وعلى الرغم من أن حدود هذا البحث لا تستوعب بسط القول فيها، إلا أننا نود توضيح ثلاثة أمور :

الأول : أن الإسلام يرفض القتال لإرغام المخالفين في الدين على اعتناقه وإكراههم عليه. يقول سبحانه في سورة البقرة : ﴿**لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغون ويومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها**﴾[91].

الثاني : أن دعوة الإسلام للسلم لا تعني قبول العدوان والطغيان، والسكوت عن الشر والباطل، والاستسلام

83) لسان العرب (مادة سلم)، وانظر ديوان أمية بن أبي الصلت ص 480، وفيها ورد البيت على هذا النحو :

سلامك ربنا في كل فجر

بريئا ما تليق بك الذموم

ت. د. عبد الحفيظ السطلي (ط الثانية ـ المطبعة التعاونية ـ دمشق 1977).

84) الآية 25.

85) الآية 13.

86) الآية 125.

87) الآية 46.

88) الآية 32.

89) الآية 25.

90) الآية 47.

91) الآية 255.

للظلم والفساد أو ما إلى ذلك مما هو طعن في الحياة البشرية التي أقام الله شريعتها على أساس التعارف والتسامح والتعايش والتساكن.

الثالث : أن الإسلام بهذه الشريعة يعتبر الحرب خرقا للسلام وجريمة، ما لم تدع إليها حالات معينة تبيحها تكون الحرب فيها عادلة ومشروعة. وهو ما اتفقت معه فيه مختلف المواثيق الدولية الحديثة والمعاصرة التي يكفي أن نذكر منها «ميثاق الأمم المتحدة» الذي حث الدول على التوسل بالطرق السلمية لحل ما بينها من نزاع، ومنع استعمال القوة والتهديد حفاظا على السلم والأمن والعدل الدولي. وهذا ما جعله يحرم الحرب إلا في حالة الدفاع الشرعي الذي حددته المادة الإحدى والخمسون حين نصت على أنه «ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينقص الحق الطبيعي للدول فرادى أو جماعات في الدفاع عن أنفسها إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة. وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي».

لهذا، فإن الإسلام يحث على قيام الجهاد لرد كل مظاهر خرق طبيعة تلك الشريعة، وللدفاع عن مقوماتها السوية، بدءا من الدفاع عن النفس فيما يمس الفرد وأهله وماله، إلى الدفاع عن المجتمع والوطن والعقيدة، حفاظا على الحرمات حتى لا تنتهك، وحماية للذات الخاصة والعامة من أن تداس أوتهان. وفي هذه النقطة التقى الموقف المغربي ويلتقي باستمرار مع النظرية الإسلامية.

على أن الجهاد في الإسلام مخاطبة به الأمة من حيث هي أمة دعوة ودولة، وهو لا يعني أنه دين الحرب والسيف كما فهمه بعض المفكرين الخصوم، وحتى بعض المدافعين الذين يظنون أنهم بهذا القول يدفعون إلى الأخذ بما يبعد عنه الضعف ويقوي جانبه. ولو كان كذلك ـ أي دين الحرب والسيف ـ لا نتهى أمره بمجرد انتهاء عظمة دولته، ولما استمر حيا باقيا في النفوس.

وهم بهذا الزعم غالبا ما يقارنونه بالمسيحية التي شاع عنها أنها دين العفو والتسامح، وأنها تحرم الحرب، في حين أنها ليست كذلك، أي أنها ـ كالإسلام ـ تلجأ إلى السيف عند الحاجة. فمن أقوال المسيح عليه السلام في انجيل متى : «لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض، ما جئت لألقي سلاما بل سيفا»[92]. ومن أقواله في انجيل لوقا، وقد سأل أصحابه «حين أرسلتكم بلاكيس ولا مزود ولا أحذية، هل أعوزكم شيء ؟ فقالوا : لا. فقال لهم : لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك. ومن ليس له فليبع ثوبا ويشتر سيفا»[93].

ثم إن الجهاد في الإسلام ذو أبعاد ومراحل تشمل العمل السياسي وإنفاق المال، وما إلى ذلك مما يتوسل به في استرداد الحق ورد الاعتداء وحفظ الكرامة. بل إن جهاد النفس يعتبر أعلى مراحل الجهاد أو «الجهاد الأكبر» كما سماه رسول الله ﷺ.

ولعل الآية الأولى التي شرعت الجهاد ربطته بدفع الظلم، وهي قوله تعالى في سورة الحج : ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله**﴾[94].

ويؤكد هذا المعنى قوله سبحانه في سورة البقرة : ﴿**كتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾[95].

من أجل هذا، عظم الإسلام أمر الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، واعتبره أفضل من الحج والعمرة ومن كل تطوع، صلاة كان أم صياما. ويكفي لإبراز هذه القيمة أن

---

92) الاصحاح العاشر ـ الآية 34.

93) الاصحاح الثاني والعشرون ـ الآيتان 35 ـ 36.

94) الآيتان 37 ـ 38.

95) الآية 214.

نقرأ قول الله سبحانه في سورة الصف : ﴿**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة في جنات عدن، ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المومنين**﴾[96]. وقال رسول الله ﷺ : «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار»[97]. وقال : «عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[98]. وقال عليه السلام كذلك : «حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها»[99]. وفي الصحيحين[100] «أن رجلا قال : يا رسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : لا تستطيع. قال : أخبرني ؟ قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم لا تفطر، وتقوم لا تفتر ؟ قال : لا. قال : فذلك الذي يعدل الجهاد».

ومع ذلك، حين تضطر الدولة الإسلامية إلى الحرب، فإن لهذه الحرب قوانين وشروطا وأحكاما وآدابا مثالية إنسانية تضبطها، على حد قول الرسول ﷺ : «اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع»[101]، وقوله كذلك عليه السلام : «لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة»[102].

وتشمل هذه الضوابط ما بعد الحرب مما يتعلق بالأسرى، ويلخصه قول النبي الكريم : «أنا نبي الرحمة ونبي الملحمة»[103]. وهذا باب واسع فصل القول فيه فقهاء الإسلام[104].

وغني عن البيان أن الدولة الإسلامية في حال السلم تقيم علاقات سياسية واقتصادية واجتماعية، وتكون لها مبادلات على أساس المساواة والمعاملة بالمثل، والمحافظة على المصالح المشتركة، والتعاون من أجل استمرارها، مما تحدده المعاهدات والمواثيق التي يحث القرآن الكريم على التزامها، كما في سورة النحل : ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا، إن الله يعلم ما تفعلون**﴾[105]. ويظل الالتزام قائما ما لم ينقض الطرف المعاهد الميثاق فيتبرأ منه في هذه الحالة، وفق ما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام مع المشركين الذين قال فيهم الله عز وجل في سورة التوبة : ﴿**براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين**﴾[106]. وقد استثنى منهم المحافظين على العهد في قوله الكريم من نفس السورة : ﴿**إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا عهدهم إلى مدتهم**﴾[107] وقد وصل أمر الالتزام بالعهود والمواثيق حدا جعل النبي عليه الصلاة والسلام يرد من جاء من المشركين مسلما بغير إذن وليه، وفق ما يثبته صلح الحديبية، مما هو معروف وموضح في كتب السيرة النبوية.

أما العنصر الثالث والأخير في تفسير ظاهرة الجنوح للسلم في مدرسة محمد الخامس، فهو السلوك الذي تضبطه معايير خلقية تمس الفرد مثلما تمس الدولة. فالدولة المغربية لم توجد من عدم أو بالمصادفة، ولم يصطنعها الاستعمار، ولم تطرأ في ظرف عابر على إثر انقلاب أو غيره؛ ولكنها مؤسسة تاريخية مرتبطة بمختلف العوامل الفكرية والمؤثرات الاجتماعية التي صهرت

96) الآيات 10 ـ 13.
97) رواه البخاري في (الجهاد) والترمذي في (فضائل الجهاد) والنسائي في (الجهاد) وكذلك ابن حنبل في مسنده.
98) رواه الترمذي في (فضائل الجهاد).
99) رواه أحمد في مسنده.
100) البخاري في (الجهاد) ومسلم في (الإمارة). وهو وارد كذلك عند الترمذي في (فضائل الجهاد) والنسائي في (الجهاد).
101) رواه ابن حنبل في مسنده.
102) رواه الدارمي في (الجهاد).
103) رواه ابن حنبل في مسنده.
104) كابن تيمية في كتابه (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية)، وهو مطبوع عدة مرات، منها طبعة دار الكتاب العربي بمصر عام 1969 م.
105) الآية 91.
106) الآية 1.
107) الآية 4.

المجتمع المغربي، بعيدا عن أي صراع مهما كان، مما أعطاها خصوصيات تفردت بها ومميزات تلخص كيانها وكيان الأمة، ومما مكنها من الاستمرار والتطور بما يناسب تجدد المجتمع.

وهذا يعني أنها لم تقم عن طريق التسلط والقوة والعنف، ولكنها نشأت انطلاقا من رضى الأمة واقتناعها، وإجماعها على عقد تجاوز العقد الاجتماعي الذي قال به روسو (Rousseau) وبعض منظري نشأة الدول، لأنه عقد إلهي أساسه البيعة، مع وجود مجموعة من التطورات الاجتماعية العميقة التي أفضت إلى ذلك الرضى والاقتناع.

وقد أوضح جلالة الحسن الثاني هذه النقطة في الخطاب الذي ألقاه يوم الأربعاء 23 شعبان 1407 (22 أبريل 1987) حين قال : «يتساءل الجميع : لماذا هذا البلد آمن مطمئن ولله الحمد ؟ لأن مؤسساته لم تقم على السرقة، بل قامت على المشروعية منذ مولاي إدريس الأول إلى يومنا هذا، من مشروعية إلى مشروعية، ولكن في إطار المشرعية الإسلامية : البيعة، والوفاء بالبيعة، والقيام بما تفرضه البيعة، والدفاع عن المقدسات وعن الحصون وعن الإسلام. فمن الطبيعي إذن أن يكون كل مغربي مغربي قد ورث بل رضع من ثدي أمه روح المشروعية. لذا بقينا متشبثين بالمشروعية وسنبقى متشبثين بها».

والدولة المغربية بهذا دولة موحدة، أي أن سيادتها غير مجزأة. وهي كذلك دولة كاملة السيادة تتصرف في شؤونها بحرية مطلقة. والفرد في نطاقها لا يشعر بتعارض أو تصادم بين حقوقه هو كمواطن، أي سيادته، وبين حقوقها هي كمؤسسة حاكمة، أي سيادتها. ولكن بين الأمرين توازن وانسجام يمسان الإرادة والرؤية والهدف ووسائل تحقيقه في شبه مراقبة ذاتية متبادلة بين الفرد والدولة لحماية العقد من كل خرق، والمحافظة على الرباط الاجتماعي الذي يذيب التناقضات وما قد ينشأ عنها من صراع.

وإن هذا البعد الإسلامي للدولة المغربية، بجمعه بين المثالية والواقعية، وبما آل إليه في تطوير الحكم نحو نظام الملكية الدستورية بكل مقوماته السياسية والديمقراطية والاجتماعية، ليجعلنا نستحضر المفهوم الأرسطي للحكم الدستوري الذي يستند إلى ثلاثة أسس :[108]

أولها : أنه حكم يهدف إلى تحقيق الصالح العام، إذ يتميز عن الحكم الطائفي الذي يسعى إلى صالح طبقة واحدة، كما يتميز عن الحكم الاستبدادي الذي يقصد إلى صالح فرد واحد.

ثانيها : أنه حكم قانوني، أي أن الحكومة تدار فيه بمقتضى قوانين عامة لا بمقتضى أوامر تحكمية. وبذلك تكون السيادة للقانون باعتباره «العقل مجردا عن الهوى».

ثالثها : أن الحكومة الدستورية حكومة رعية راضية، فتتميز بذلك عن الحكومة الاستبدادية التي تستند إلى محض القوة.

وإذا كانت الدولة المغربية بهذا السلوك تسير على هدي قيم حميدة، فإنها في ذلك تلتزم الأخلاق الإسلامية التي تتسم بالابتعاد عن كل ما ينكره الفكر أو الذوق أو السلوك السوي، وبالحرص على التوسط الذي فيه تكمن الفضيلة. وهي أخلاق ترتبط بالجماعة، إذ تتعدى نطاق الفرد إلى مجتمعه، وتصل بينهما عن طريق المشاعر والتصرفات بروابط الانتماء والمسؤولية التي تعكسها رقابة تلقائية تتحول إلى تبعة عفوية متبادلة، بحيث لا يتحرك الفرد إلا وفي باطنه موقف الجماعة، وكذلك العكس.

فالأخلاق الإسلامية تجعل التبعة ليست فردية فحسب، ولكن تجعل لها انعكاسات على المجتمع الذي يتدخل للفصل. وهي لذلك أساس قيام هذا المجتمع، لأنها ترتبط بإرضاء مصلحة الفرد في نطاق مصالح الآخرين. والمجتمع قد يكون صغيرا محصورا في الأسرة أو القبيلة، وقد يتسع ليصبح الدولة. ورأي الإسلام في هذا الأمر يختلف عن بعض النظريات التي قال بها فلاسفة غربيون

---

108) انظر : (تطور الفكر السياسي) لجورج سباين. ت. حسن جلال العروسي ـ ص 15 (ط. دار المعارف ـ مصر).

كهيجل الألماني (ت 1831 م Hegel)، والتي تفصل الدولة عن السلوك الخلقي، باعتبارها مثلا - كما عند هذا الفيلسوف - تدخل في نطاق عقلي لا مجال فيه للقيم.

إن هذه القيم في نطاق الدولة الإسلامية تحكم العلاقة بينها وبين الأفراد في إطار الالتزام الذي هو ذاتي عفوي، وليس الإلزام الذي يفرض على الناس، فيثورون عليه حين يستطيعون، أو يواجهونه بالرفض والعبثية، أو ينقادون له بالاستسلام حين يعجزون. ولا عجب أن تسود تلك القيم الالتزام وليس الإلزام، طالما أنها تقوم على حفظ الحقوق واحترام الواجبات، وعلى التعاون والتآزر والمحبة والوئام والانسجام والتوازن والتراحم والتواد، وأنها متى سادت مال المجتمع إلى التكافل والتضامن والتكامل، ولو بالإيثار الذي هو نقيض الأثرة والطبقية وما يتولد عنهما من عقد وأحقاد وضغائن لا تلبث أن تتطور إلى صراع.

وانطلاقا من هذه القيم، فإن الدولة في الإسلام لا تجيز استخدام الوسائل غير المشروعة، وربما البشعة والهدامة، لتحقيق غايات معينة، على حد نظرية رجل السياسة الإيطالي مكياڤيل (ت 1527 م Machiavel) التي تقول مطلقا بأن الغاية تبرر الوسيلة، والتي تدعو الحاكم إلى الابتعاد عن كل المقومات الدينية والخلقية، وإلى التوسل في تصرفاته بالأساليب الشريرة البشرية والحيوانية لحفظ مصالحهلغاية، إذ الغاية الحسنة لا يتوصل إليها بالوسيلة القبيحة، كما أن الوسيلة الحسنة لا تشفع للغاية القبيحة.

وبموقف من الدين والأخلاق شبيه بالمكياڤيلية، ظهر الفيلسوف الانجليزي توماس هوبز (ت 1679 م Hobbes) متحمسا للسيادة المطلقة، وداعيا إلى القول بمذهب المنفعة، وأن الخوف هو أساس المدينة وليس النزعة الاجتماعية الطبيعية، وأن الدين مجرد مذهب في القانون وليس مذهبا عن الحقيقة؛ مع الزعم أن الإنسان وحشي بالطبع، وأنه ينفر من الآخرين ويكرههم ويتقيهم إما بالدفاع أو الهجوم، ولا يصير اجتماعيا إلا إذا اضطر لذلك.

ثم إن الأخلاق الإسلامية باجتماعيتها تلغي كل مدلول للضعف أو النقص، لأنها تسعى إلى تكميل شخصية الفرد وذات الإنسان - حاكما أو محكوما - باعتبارها عنصرا أساسيا من عناصر الكمال. وهذا على عكس بعض النظريات الفلسفية المخالفة، على حد ما نجد عند الفيلسوف الألماني فريديريك نيتشه (ت 1900 م - Nietzsche) في قوله بمذهب «إرادة القوة» في مقابل «إرادة الحياة» التي يعتبرها أساس أخلاق الضعفاء الذين لا يسعون لغير القناعة والكفاف وطلب الأمان. وهو لذلك يرى أن القيم الخلقية لا تدل على غير العجز عن الوصول إلى الكمال، أي عجز الإنسان الذي يحول جهوده من نفسه إلى الغير وإلى الآخرين متحليا بالقيم. وهي نظرية خاطئة ما في ذلك شك، لأن المتخلق بالفضائل لا يكون في موقف ضعف، ولكن في موقف قوة يتحكم في نفسه وقدرته وشهوته، ويتصرف بما يليق بكرامته الآدمية، سواء على صعيد الفرد أو على مستوى الأمة.

ولعلنا أن نتذكر هنا موقف الرسول عليه الصلاة والسلام حين فتح مكة ودخلها منتصرا مرفوع الرأس، وقد وقف المشركون أمامه منهزمين منكسري الرؤوس يتوقعون انتقامه؛ وكان هو يشعر بما يملأ نفوسهم من أحاسيس وأفكار، فسألهم : «ما ترون أني فاعل بكم ؟» فما كان منهم وهم يعرفون كريم أخلاقه إلا أن أجابوا : «أخ كريم وابن أخ كريم»، فلم يجعلهم ينتظرون طويلا قراره، وعجل لهم بقوله : «اذهبوا فأنتم الطلقاء»(109).

واستلهاما من هذا الموقف النبوي الكريم، كانت لمحمد الخامس قدس الله روحه ولجلالة الحسن الثاني دام علاه مواقف عفو وتسامح مع بعض الذين حادوا عن الطريق بقصد أو بدون قصد. ويكفي التمثيل في هذا المجال بما ورد في الخطاب الذي وجهه جلالة الملك

109) انظر الخطبة في (جمهرة خطب العرب) لأحمد زكي صفوت ج 1 ص 52، والمصادر المذكورة (الطبعة الأولى - مصر 1352 هـ - 1933م).

حفظه الله للمواطنين المغاربة سكان الصحراء المغربية يوم الخميس 17 شوال 1395 هـ (23 اكتوبر 1975 م)، وفيه قال «...وأتوجه لمن انطوت عليهم حيل المستعمرين أو لعبت بأذهانهم أطماع الطامعين فأقول لهم : لا يمكنني أن أتنكر لأخلاق النبي ﷺ، ولا لأخلاق أجدادي، ولا لأخلاق والدي رحمة الله عليه، بل واجبي أن أجمع الشمل وأن أصالح الجميع وأن أصافح الجميع؛ علي أن أقول لكم إنني أو من وأعتقد وسأفعل ما سأفوه به من قسم : إنني باسمي وباسم إخوانكم الذين هم في المسيرة أعد الجميع وأعاهدهم على التناسي وعلى الصفح وعلى طي تلك الصفحات التي لم يكونوا مسؤولين عنها تماما، بل كما قلت في طياتها كانت حيل المستعمر وأطماع الطامع»[110].

لقد كان طبيعيا والدولة المغربية ـ وفي سياقها مدرسة محمد الخامس ـ تهتدي بالنهج الإسلامي، وتسلك سبيل القيم الخلقية، أن يكون الرسول ﷺ نموذجها الذي تتبعه والمثال الذي تقتدي به. ففي خطاب العرش لعام سبعة وأربعين[111] قال الملك المجاهد طيب الله ثراه : «ولنا... خير اسوة في رسول الله ﷺ كما قال الله عز كماله». وبعد أن استعرض في نفس الخطاب جوانب من سيرته عليه الصلاة والسلام قال : «ينبغي للمومن أن يجعل هذه السيرة النبوية الشريفة نبراسا متوهجا في ضيره، ينير له طريق الرشاد في مسعاه، لا تزعزعه العراقل ولا تحجبه الشدائد، يعلم أن الله سبحانه وتعالى خلقه حرا ليعيش حرا بين إخوانه الأحرار، الإيمان قوته والعدل حجته واليقين دعامته، بانيا كل أعماله على التبصر وحسن التدبير، ممهدا للمقدمات حتى تكون أساسا متينا للوسط المنتج أحسن النهايات».

وفي خطاب سنة إحدى وخمسين[112]، أكد ـ رحمة الله عليه ـ قوة عزيمته وعلوهمته وإصراره على الكفاح وثباته على المبدأ، متوسلا بمثال الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه، فقال : «وكفى بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام برهانا ساطعا ونبراسا نيرا لامعا. أوذي صلى الله عليه وسلم فما وهنت عزيمته ولا ضعفت حجته ولا استكانت في الحق صرامته. التفت في أحرج المواقف إلى عمه حين عرض عليه المال والجاه ليتخلى عن تبليغ الدعوة فقال : والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته».

ويكفي انتماء المدرسة إلى المثل النبوي الأعلى، تأكيد جلالة الحسن الثاني أيده الله، والتذكير به في كثير من المواقف، على حد ما صرح به لدا استقبال سفير اسبانيا[113]، حين قال : «فطمئنوا عاهل اسبانيا وحكومتكم على أننا ننتمي ـ وكما قلنا ذلك علنا ـ إلى مدرسة والدنا جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، الذي ينتمي بدوره إلى المدرسة الدبلوماسية لجده الرسول الأكرم سيدنا محمد ﷺ».

وإذا كانت المدرسة النبوية هي جماع مكارم الأخلاق التي بعث الرسول عليه الصلاة والسلام متمما لها إذ أدبه الله فأحسن تأديبه، فإنها في مجال السلم الذي نحن بصدده في هذا البحث، قد أعطت أروع الأمثلة من خلال أفعاله وأقواله التي تكفي الإشارة منها إلى الحديث النبوي الشريف ذي البعد المستقبلي، وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : «إنه سيكون اختلاف أو أمر، فإن استطعت أن يكون السلم فافعل»[114].

☆ ☆ ☆

وامتثالا لهذا التوجيه النبوي الكريم، جنح المغفور له محمد الخامس إلى السلم، وكذلك جنح خلفه جلالة الحسن الثاني نصره الله، وفق نهج برزت من خلاله معالم اتجاه متكامل أصيل ومتجدد، يستمد أصالته من مدرسة الرسول

---

110) انبعاث أمة ج 20 ص 156 (المطبعة الملكية بالرباط 1394 ـ 95 هـ = 1975 م).

111) ألقي يوم 5 محرم 1367 هـ (18 نوفمبر 1947 م). انظره في المجموعة المشار إليها (من سلطان المغرب إلى شعبه الوفي) ابتداء من ص 65.

112) ألقي يوم 17 صفر 1371 هـ (18 نوفمبر 1951 م). انظره في المجموعة المذكورة ابتداء من ص 99.

113) سبقت الإشارة إليه.

114) رواه الإمام أحمد في مسنده.

عليه الصلاة والسلام وما حملت من روافد على امتداد التاريخ، وينطلق في آفاق التجديد التي اتسعت رحابها بحكم ظروف المرحلة وملابساتها وغنى التجربة الوطنية وقدرات الذات على الالتحام والمواجهة وعلى الأخذ والعطاء.

من كل ذلك انبثقت «مدرسة محمد الخامس» متميزة في سياق الفكر السياسي المغربي - وكذلك الإسلامي والدولي - بمفهومها للسلم الذي يتعدى مجرد مقابل الحرب، ليندرج داخل رؤية متكاملة ووعي بأبعاد هذا المفهوم المؤثرة على مختلف جوانب الحياة الخاصة والعامة، في محاولة جادة وموفقة لتأصيله، والإقناع بروحه القائم على التعايش وبأسلوبه المتوسل بالحوار، مع الاحتراز من كل ما يمكن أن يؤول بأنه نقص أو ضعف، ومع بلورة النظرية بالتطبيق؛ مما جعل السلم ليس مجرد شعار مفرغ من كل مضمون، ولكن حافزا للتصدي والتحدي كذلك، بدءا من الموقف ضد الاستعمار إلى طرح القضايا والمشكلات المحلية والعالمية، والسعي إلى حلها، سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية.

ويتجلى المضمون في كون المدرسة لا تعني السلام المفروض من القوي على الضعيف، ولا سلام الخاضعين الخانعين المستعبدين، فهذا سلام عندها مر لا تسيغه، وترى خيرا منه الموت الكريم، على حد ما تثبت مواقفها الثابتة المتحدية، ولكنها تعني السلام الذي يعيشه الإنسان بحرية الإرادة واختيار الذات، في ثقة بالنفس وإيمان بانتصار الحق، وفي هدوء بال وراحة ضمير، مع استقرار عقدي ومذهبي في الروح والكيان، واطمئنان ناتج عن إشباع الحاجات، دون عوز أو افتقار أو ما يثير أي خوف مهما كان، وفي توازن سوي بين مختلف عناصر النفس ومتطلباتها، ثم بين هذه النفس - باعتبارها فردا - ونفوس الآخرين.

وهذا ما يجعل نطاق السلام، من منظور المدرسة، يتسع ليشمل العلاقة بين مجتمع وآخر، ودولة وأخرى. وهو إطار لا يتحقق دون إدراك حقيقة الوجود والإحساس بالغير، والوعي بسر قيام البشرية واستمرارها، ورسالة الإنسان في الكون وما تقتضي من عزة وكرامة وحكمة وتعقل واستقامة خلقية ونزاهة فكرية، ودون مراعاة قيم يومن بها الجميع ويتبادلها، وأهمها الحرية والعدل والتقدير والاحترام والتعاون والتآزر، والرغبة في حياة الأمن والرخاء والازدهار، والسعي إليها من غير حسد أو حقد، وفي تنزه عن كل أنواع التعسف والتسلط، حتى يتاح التعايش والتكامل داخل نطاق الحق والقانون، وفي إطار حرمة الجوار وما إليها مما تفرضه الروابط والعلاقات المختلفة.

إن كل أمة تجد نفسها في فترة ما من تاريخها تعيش ظروفا وأزمات تضطر إلى مواجهتها، إذ تراها عائقا يحول دون تحقيق طموحها في النمو والتطور والتقدم، ولكن هذه المواجهة لا تكون إيجابية إذا هي لم تقترن بفهم عميق لطبيعة تلك العوائق وإدراك أسبابها وخلفياتها، وتحليلها في إطارها الخاص والعام، أي ربطها بما يعرفه العالم من تطورات اقتصادية واجتماعية، وما يشهده من تحولات علمية وتقنية تؤثر على السلوك والعلاقات.

ومن ثم، فإن هذه الأمة، تقصد أفرادها - باعتبارهم أناسي اجتماعيين - مطالبون بالاندماج. وهم يسعون إلى ذلك بحكم الغريزة، ثم بما لهم من وعي وعقل وقدرة على التمييز والاختيار. وبقدرما تتحكم هذه العناصر الضابطة في عملية الاندماج، يكون دخول الأمة إلى مجال الحضارة وتكون مساهمتها في إغنائه.

وهذا لا يتحقق إلا إذا حلت قيم السلام في جميع النفوس، بأن تزيح عن الأقوياء نزعة الأنانية والتسلط والاعتداء، وبأن تزيل من الضعفاء مشاعر الخضوع والخوف والحقد.

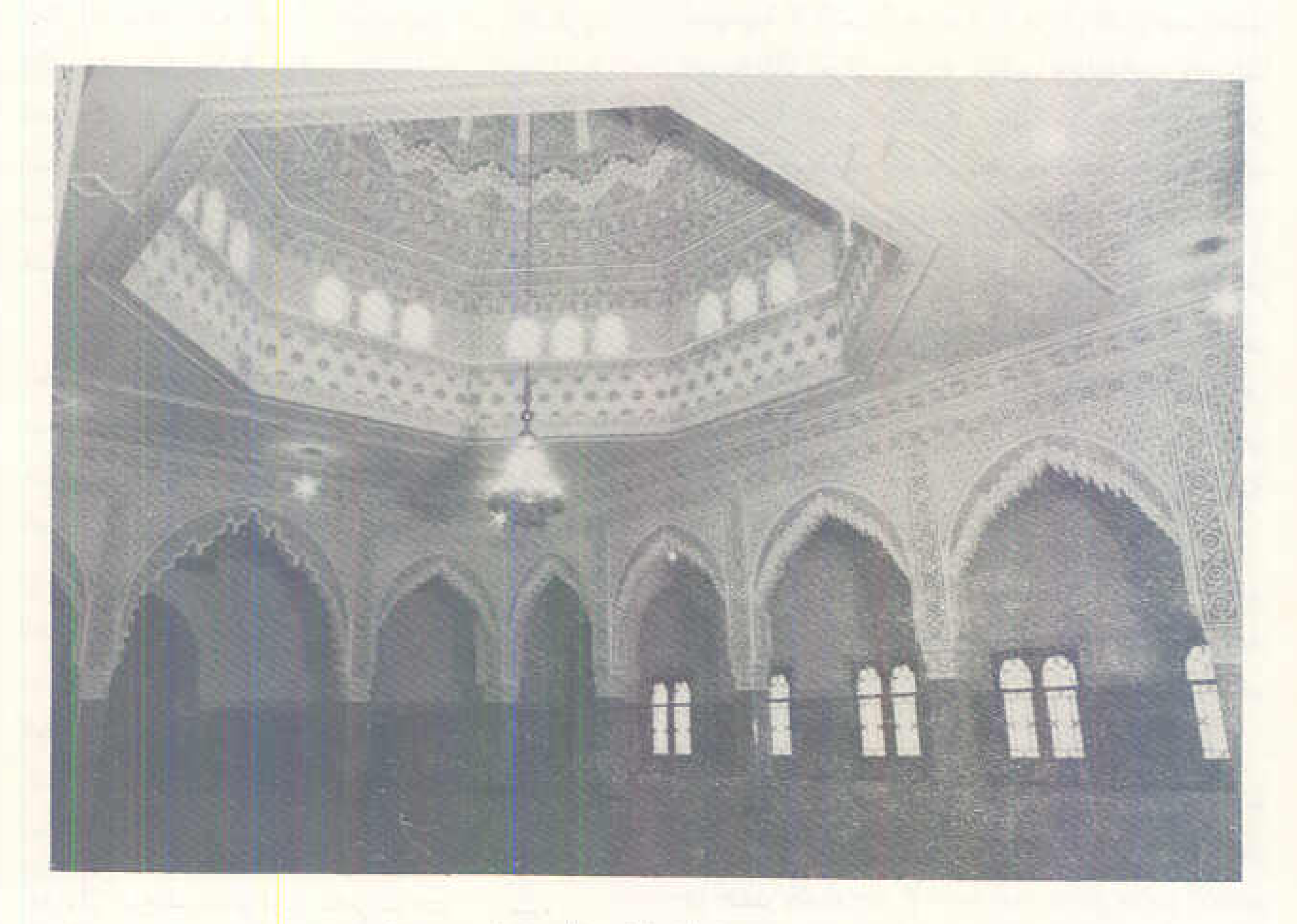
ومهما يبد في هذه المعادلة من تناقضات، فإنها قابلة للحل، إذا عاد الجميع إلى قاعدة سلوكية نابعة في الأساس من الوعي بأن الوجود الإنسانية اليوم تجاوز مفاهيم الاعتداء والاستعمار في جميع أشكالهما، وأنه لا يمكن أن يتحقق إلا في نطاق التساكن والتسامح، بعيدا عن أي شعور بالاستعلاء أو التفوق، أو أي إحساس بالنقص والضعف.

وبدون ذلك لا أمل للحضارة في الاستمرار، أي في الصمود لألوان الخراب والدمار التي صنعها الإنسان، حتى يتحول التقدم العلمي والتقني إلى ما فيه خير البشرية وليس فناءها على يديه.

إن العالم اليوم يعيش في أجواء لا يتنفس مع هوائها إلا التوتر والخوف والقلق والاضطراب، لما يسوده من فتن وحروب تجاوزت البشرية بها قانون الغاب المتمثل في تسلط القوي على الضعيف لبقاء الأقوى، إلى التقاتل الذي يصل بين الإخوة إلى حد التدمير بشتى وسائل الفتك والتخريب، بدءا من التسابق المكشوف نحو التسلح إلى الإرهاب المقنع والمنظم.

ومع ذلك، وعلى الرغم من كل عناصر التشاؤم التي تسود العالم اليوم، تبقى الجهود التي تهدف للسلام بصيص أمل للإنسانية، وبشير خير يحث على التفاؤل لإنقاذ مصير البشرية. وفي طليعة هذه الجهود ما سعت وتسعى «مدرسة محمد الخامس» إلى تحقيقه، موفقة بإذن الله وسداد منه على الدوام.

عباس الجراري



منظر لداخل مسجد - ليبرفيل - الكونغو الذي ساهم المغرب ببنائه

التكامل الثقافي بين المغرب وإفريقيا

في العصر الحديث

من خلال المصادر العربية

للأستاذ محمد المنوني

يصعد تاريخ الصلات الثقافية بين المغرب وافريقيا إلى الفترات الأولى لظهور الإسلام بالسودان، ومن الإشارات لذلك فقرة عن مملكة مالي ومضافاتها[1]، وفيها يذكر القلقشندي[2] أن كتابة هذه المنطقة بالخط المغربي على طريقة المغاربة.

ثم كانت تلاوة الجهة ذاتها للقراءان الكريم تتبع اتجاه المغرب، فيأخذون بقراءة نافع من رواية ورش، فضلا عن اختيارهم للمذهب المالكي[3].

ولما زار ابن بطوطة افريقيا، لاحظ وجود جالية مغربية منتظمة، رئيسها هو سعيد بن علي الجزولي الذي يخططه بسمة شيخ المغاربة[4]، وفي مناسبات أخرى يذكر مغاربة تتوزعهم جهات من السودان، بينهم محمد بن الفقيه الجزولي كبير جماعة البيضان بمدينة مالي[5]، وقاضيهم أبو العباس الدكالي[6]، ومحمد الفيلالي إمام مسجدهم[7]، ثم أبو ابراهيم إسحاق الجاناتي قاضي مدينة تكدا[8].

وفي مدينة تنبكتو يشير الوزان الفاسي[9] إلى وفرة المخطوطات التي تباع بها، ويلاحظ أنها تأتي من بلاد البربر حسب تعبيره، وتدر أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع.

وعن نفس البلد يقول السعدي :[10] «ولم تأته العمارة إلا من المغرب، لا في الديانات، ولا في المعاملات».

☆ ☆ ☆

والآن بعد هذا المدخل : ينتهي بنا المطاف إلى العصر الحديث، والملاحظة البارزة في هذا الصدد، تأتي من تطور هذه الصلات - مع مر الزمن - إلى التكامل

---

1) ذكر العمري في «مسالك الأبصار» أن بلاد مالي ومضافاتها تشتمل على 14 إقليما، وهي غانة، وزافون، وترنكا، وتكرور، وسنغانة، وبانبغو، وزرنطابنا، وبيترا، ودمورا، وزاغا، وكابرا، وبراغودي، وكوكو، ومالي : صبح الأعشى» المطبعة الأميرية بالقاهرة 1915/1333 : 286/5.

2) «صبح الأعشى» 298/5.

3) يذكر الشيخ عبد الله بن فودي الفلاني عند افتتاحية تفسيره : «ضياء التأويل...» خ.ع.ك 1976 : وبعد : فهذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين، وإلحاح الملحين : أن أكتب لهم تفسيرا يفهمون به كتاب الله، مع الاعتماد على أرجح الأقوال، بإعراب ما يحتاج إلى الإعراب منه، والتنبيه على القراءات المشهورة، بتبدئة قراءة نافع : رواية ورش عنه إذهي قراءتنا في هذه البلاد، وبيان الأحكام الشرعية مع رعي مذهب مالك فيها، إذهو مذهبنا في الأحكام الشرعية الفرعية...

4) «تحفة النظار»... المكتبة التجارية الكبرى بمصر 1377 هـ : 208/2.

5) المصدر 197/2.

6) المصدر 205/2.

7) المصدر 207/2.

8) المصدر 208/2.

9) «وصف إفريقيا» الترجمة العربية دار الغرب الإسلامي - بيروت 1983 : 167/2.

10) تاريخ السودان : باريس 1898 : ص 21.

الثقافي بين المغرب والسودان، وهي ظاهرة تبدو في علاقات المؤلفات، والإجازات، والقراءة على الشيوخ، وفي الكتب الدراسية، ومحفوظات الخزائن المكتبية.

ففي قطاع التأليف : نختار للنموذج الأول كتاب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لأحمد بابا السوداني، وكما هو معروف، فقد قصد مؤلفه أن يذيل به على تراجم «الديباج المذهب في أعيان المذهب» لابن فرحون، وبدأ تأليفه وهو في تنبكتو، غير أن قلة المصادر ببلده قصرت به عن إنجاز مشروعه، حتى إذا ساقته الأقدار إلى مدينة مراكش وجدبها المصادر الموفورة، وهي حقيقة يصدع بها في طالعة عدد من نسخ الكتاب المخطوطة[11]، فيقول عن تذيله للديباج : «...فما زالت نفسي تحدثني منذ قديم الزمان، وفي برهة من الأوان، باستدراك بعض من فاته ومن جاء بعده من الأعيان، فقيدت فيه بحسب المنة والإمكان، وذلك حيث كنت ببلدنا البعيدة عن نيل المقصد من ذلك لبعدها من مدن العلم والأوطان، فقصر بي الحال مع قلة الكتب هناك وعدم مساعدة الزمان، حتى تفضل إليّ من له الفضل، وأحسن إليّ من له الطول سبحانه، بوصولي إلى منبع العلم في الديار الغربية، حضرة الامامة العلية... فرأيت فيها أسباب السعادة متيسرة، وأزمة الأماني فيها مبذولة غير متعسرة، ونشدت الضالة فوجدتها أقرب إليّ من ظلي، وظفرت بما يكمل مرادي ونلت أملي، فبادرت - حينئذ - إلى كتب ذلك الذيل، مستنيرا بالطول والنيل، وقلت لنفسي : يا سعد جدي، قد ظفرت بمقصدي....».

وقد انتشر «نيل الابتهاج» بالمغرب، وأفاد منه الدارسون والمؤلفون، وإلى مخطوطاته بالخزائن المغربية، كانت طبعته الأولى في المطبعة الحجرية بفاس عام 1317 هـ.

وجاء في ترجمة العالم الفاسي محمد بن محمد بن إبراهيم العلمي الحسني[12]، أنه ألف ذيلا على «نيل الابتهاج»، باسم «إيضاح السبيل لمن بالديباج والتكميل» في مجلد متوسط يستوعب نحو 600 ترجمة، وكانت وفاة مؤلفه عام 1954/1373.

وإلى «نيل الابتهاج» كان مختصره لنفس المؤلف موضوع تكامل بين الجهتين، والقصد إلى «كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج»، فيهتم به محمد بن الطيب القادري، ويذيل عليه بكتاب «الإكليل والتاج، في تذييل كفاية المحتاج، مع زيادة مناسبة لمن إليها يحتاج»، يعرف منه مخطوطتان خ.س 1897 : مكتوبة من مبيضة المؤلف : 99 ورقة من قطع كبير، والثانية : 3717 : في حجم متوسط.

ومن ذيول هذا التكامل مساهمة أحمد باب مع الفقهاء المغاربة في الفتوى حول «ألواح جزولة»، جوابا عن استفتاء من العالم الصالح يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي، فجاءت فتواه تتصدر كراسة «أجوبة الفقهاء»[13].

ومرة أخرى يشارك في الفتوى حول نازلة استعمال التبغ، ويسجل وجهة نظره في رسالة يسميها «باللمع في الإشارة إلى حكم طبغ»، وكان كتبها بتمكروت في طريق عودته من المغرب إلى السودان عام 1016 هـ، ومنها نسخة تشتمل على 17 ورقة في حجم صغير، حيث تحفظ في خزانة تمكروت سادسة مجموعة يحمل رقم 2999[14].

☆☆☆

وننتقل - الآن - إلى التبادل التلقائي في الإجازات العلمية والأخذ عن الشيوخ، وفي هذا الصدد نشير إلى الإمام الزموري : عبد الله بن أحمد بن سعيد، كان بقيد الحياة عام 888هـ/83 - 1484م[15]، وقد أجاز بكتاب الشفا

---

11) القصد إلى مخطوطات خ س 1896 2358 4206.
ولم ترد هذه الفقرة بالنص المنشور من نيل الابتهاج.

12) الترجمة من خط مؤرخ آسفي المرحوم محمد الكانوني، مع «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» رقم 982.

13) «الكراسة» من مخطوطات خ س 5813، وجمع فتاويها عبد الله بن سعيد الهوزي.

14) محمد المنوني : «دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت» مطبعة فضالة - المحمدية 1985/1405 : ص 20، 200.

15) ترجمته في «نيل الابتهاج» المنشور بهامش الديباج القاهرة 1351 هـ : ص 161.

للقاضي عياض كلا من عمر بن محمد أقيت من تنبكتو[16]، والفقيه المختار من تنبكتو[17].

كما أن أحمد ابن القاضي تبادل المشيخة مع أحمد باب، فأخذ كل منهما عن الآخر، وفي هذا يقول العالم السوداني عن ابن القاضي [18] «....وحضرت إقراءه لفرائض الحوفي، وكان قد انفرد بمعرفتها، بحيث لا يعرف له نظير في ذلك شرقا وغربا، وكان يطير فيها طيران الباز في جو السماء، ويتصرف فيها تصرف الحوت في البحر». ثم يضيف : «وقد استجازني، وقرأ علي شيئاً من البخاري، وشيئا من تواليفي، فأجزته».

وقد كتب أحمد باب عدة إجازات باسم شخصيات مغربية[19]، واستمرت استجازته بعد ما انتقل إلى تنبكتو، وبها كتب إجازته لعبد الرحمن التمنارتي[20].

☆ ☆ ☆

وفي موازاة إقامة أحمد باب بالمغرب، نشير إلى أعلام مغاربة زاروا السودان، بدءا من سقين : عبد الرحمن بن علي بن أحمد السفياني القصري ثم الفاسي، ت 1549/956، زار السودان مرتين، ودخل مدينة جني وغيرها، قال المنجور[21] «وحدث هنالك بمحضر ملوكهم فعظموه، وأجلسوه يحدث على الفرش الرفيعة»، وطالت إقامته زيادة على سنتين.

ثم الفجيجي : إبراهيم بن عبد الجبار أحمد الودغيري، ت حوالي 1551/958، إنتقل إلى السودان، وعاش بها ما يزيد على 30 عاما نشر خلالها الإسلام بين جماعات كثيرة، إلى أن توفي بمدينة جني حيث لايزال ما تشهده محترما[22].

الثالث : الزياتي : محمد بن يوسف بن مهدي الغماري، ت 1584/992. رحل إلى الجهة ذاتها، وأقام بها إلى أن توفي بمدينة جني[23].

الرابع : ابن إبراهيم : عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن المشنزائي الفاسي، أشار المقري[24] إلى رحلته للسودان.

☆ ☆ ☆

ومن المغاربة الذين استوطنوا السودان : يحيى التادلي العالم الصالح وكان في مدينة تنبكتو[25]. وعثمان الفيلالي : من شيوخ المدينة ذاتها[26]، وقاضي جني أحمد الفيلالي[27].

☆ ☆ ☆

ونعرض ـ الآن ـ النموذج الرابع للتكامل المغربي السوداني، فنجده في تداول المؤلفات السودانية بالمغرب وتنويه أعلامه بها، وهكذا يقول المقري[28] عن الشيخ محمد بغيع : ورأيت لهذا الشيخ حواشي عجيبة على المختصر الخليلي وشراحه تدل على سعه تبحر الرجل».

ويذكر محمد بن يعقوب[29] وهو يترجم أحمد باب : «ولما ألف بعض تواليفه وكتبه أوقف عليه كل من ينسب للعلم في مراكش... فكلهم استحسنه إلى الغاية، ورأوا أن لا

---

16) «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور» تأليف الطالب محمد البرتلي الولاتي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1981/1401 : ص 177.

17) تاريخ السودان للسعدي ص 65، مع فتح الشكور ص 113.

18) «نيل الابتهاج» مخطوط خ.س 1896.

19) أثبت المقري إجازتين كتبهما له أحمد باب : «روضة الأس» المطبعة الملكية بالرباط 1964/1383 : ص 304 ـ 312.
وفي «الفوائد الجمة...» خ.س 513 : نصوص أربع إجازات من أحمد باب : واحدة لمؤلفها عبد الرحمن التمنرتي، والثانية للشيخ عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي، والثالثة والرابعة : لعبد الرحمن الوقاد التلمساني خطيب تارودانت.

20) هي المشار لها بالتعليق الأخير.

21) «الفهرست» دار المغرب الرباط 1976/1396 : ص 60.

22) «حياة الرحالين إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي وابن أخيه بلقاسم بن عبد الجبار» مقال كتبه الأستاذ محمد بن عبد الحق الودغيري، ونشره في مجلة «دعوة الحق» السنة 11 ع 2 ص 117/112.

23) «درة الحجال» لابن القاضي، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، 1971/1391 : رقم 698، مع «نشر المثاني» للقادري، دار المغرب ـ الرباط 1977/1397 : 43/1.

24) «روضة الأس» ص 336.

25) «تاريخ السودان» للسعدي ص 29، 47، 48 ـ 49، 50، وفي الرقم الأول ورد تاريخ 922 هـ.

26) المصدر ص 238.

27) المصدر ص 308.

28) «حاشية الرهوني على شرح الزرقاني للمختصر الخليلي» : المطبعة الأميرية بمصر 44/3.

29) «فتح الشكور» ص 37/36.

ـزيد عليه في الإحسان والإجادة، وكتب في ذلك بما ظهر في الثناء والتقريظ.

وشرح نفس المؤلف للمختصر الخليل يصنفه أحمد بن عبد العزيز الهلالي[30] بين الكتب المعتمدة في الفتوى.

هذا إلى أن إبراهيم التادلي : يذكر بين مؤلفاته «إختصار تكميل الديباج»[31].

وبين الشروح للمقدمة الأجرومية : نشير إلى شرحها. لقاضي تنكبتوا : أحمد بن أحمد السوداني، فيسجل عنه القادري[32] أنه متداول بفاس ومعتنى به.

ثم يعلق عليه حاشية : محمد المهدي الوزاني، حيث نشر الشرح والتعليق في المطبعة الحجرية بفاس.

وأخيرا نشير إلى تنويه محمد عبد الحي الكتاني «بضياء التأويل» للشيخ عبد الله بن فودي : «وهذا التفسير معتمد عند علماء السودان وشنجيط به يدرسون»[33].

☆ ☆ ☆

والنموذج الخامس لهذا التكامل ترسمه وفرة المخطوطات السودانية بالمغرب، حيث سيذكر بعضها ضمن ملحق هذا العرض، ونبرز منها ـ الآن ـ ظاهرة مهمة في الخزانة المغربية، فتحتفظ بخطوط زمرة من الوارقين السودانين في منتسخاتهم، وبينهم خمسة أسماء كالتالي :

الأول : أحمد بن أبي بكر بن علي بن دنبسل الفلاني، كان بقيد الحياة عام 1000، ويبدو أنه كان ولوعا بالنساخة، ووصل للمغرب من منتسخاته ثلاثة، بخط صحيح مليح على الأوضاع المغربية :

أ ـ «الرسالة القيروانية» خ.ع.ك 5 : في حجم صغير يشتمل على 796، كتبها ناسخها برسم السلطان أسكي محمد بان ـ بباء مشددة مفخمة ـ بن أسكي داود، بن أسكي الحاج محمد، وفرغ منها يوم الإثنين 13 شعبان 995 هـ.

ب ـ «الشفا» للقاضي عياض، نسخة تامة في خزانة خاصة، بها 251 ورقة في حجم متوسط، وفرغ منها يوم الخميس 14 ربيع الأخر 997 هـ.

وجاء في الصفحة الأولى منها : سند ناسخها إلى المؤلف من طريق شيخه القاضي العاقب بن الشيخ محمود بن عمر بن محمد أقيت، عن الناصر اللقاني بسنده.

ج ـ الربع الأول من «صحيح مسلم» : بخزانة الزاوية الحمزاوية في إقليم الرشيدية رقم 459، فرغ منه عشية الأربعاء 28 ربيع الثاني 1000 هـ.

وبآخره صيغة سماع ناسخه لهذا الجزء ومعه جماعة، من قراءة شيخهم الفقيه محمد بن محمود بغيع، بتاريخ الجمعة الثالث من المحرم الفاتح للعام الأول بعد الألف.

الوراق الثاني : محمد بن أبي بكر بن علي بن دنبسل الفلاني، وهو ابن أخي سابقه، يوجد بخطه النصف الثاني في سفر من «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك» للأشموني، فرغ منه يوم السبت 5 ربيع الثاني 1022 هـ.

: خ س 7188.

الثالث : المؤذن محمد بن المؤذن أحمد بن المؤذن محمد، كتب بخطه «الإتقان في علوم القرءان» للسيوطي، وفرغ منه بتاريخ 26 جمادى الأولى 1040 هـ، : برسم الإمام محمد بن محمد كري : خ س 2819، وعليه ملكية هكذا : «تملكه عبيد الله بن محمد بن عطاء الله، بثمن قدره خمسة مثاقيل تبرا بمدينة تمبكت».

الوراق الرابع : محمد فرغا بن دب الفلاني، بخطه نسخة ـ مبتورة الأول ـ من «شرح جمع الجوامع» للمحلي، باسم الذي يحليه بالفقيه النبيه، الأجل العالم المتفنن : محمد بن أحمد سرقاب سور، وفرغ منها يوم الأحد 5 شوال 1078 هـ ببلدة فر : خ.س 7522.

---

30) فيما له من الشرح على المختصر الخليلي، المطبعة الحجرية الفاسية 1292 هـ : ص 129.

31) «الاغتباط بتراجم أعلام الرباط» لمحمد بوجندار، مطابع الأطلس بالرباط 1986 : ص 253.

32) «نشر المثاني» 331/1.

33) من تعليق للمنوه به كتبه بخطه على طالعة السفر الأول من «ضياء التأويل» : خ.ع.ك 1976.

الوراق الخامس : بوجمعة بن عبد الرحمن الفلاّني، كتب «حاشية ياسين على التصريح» للأزهري عام 1136 هـ. خ س 4078.

فهؤلاء، خمسة وراقين كتبوا سبع منتسخات، وجاءت كنموذج أخير للتكامل الثقافي بين المغرب والسودان، وإلى ذلك فهي مصادر باعتبارات متنوعة، فتبرز أسماء زمرة من المثقفين، وتلقي على معلومات أحدهم بعض الأضواء، كواقع أحمد بن أبي بكر أول الوراقين، وإن روايته لكتاب الشفا وسماعه لصحيح مسلم، يدل ذلك على نشاط لدراسة الحديث والسيرة في تنبكتو أواخر القرن الهجري العاشر، هذا إلى أن انتساخ الرسالة القيروانية برسم أسكي محمد، يعتبر دلالة على أحد اهتمامات سلطان المنطقة، كما أن خمسة مثاقيل تبرا بالنسبة لاتقان السيوطي، تعرفنا بارتفاع أثمان الكتب بالمنطقة أواسط القرن الهجري الحادي عشر.

ومن جهة أخرى فإن وضع خط المنتسخات المنوه بها، ينسف الاعتبار للنماذج المشوهة للخط السوداني، وقد اعتادت بعض مؤلفات الخط العربي تقديمها كمثال ـ مزور ـ للخط السوداني.

الرباط : محمد المنوني



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يستقبل بالقصر الملكي بفاس يوم الجمعة 11 أبريل 1986 (شعبان 1406 هـ)أعضاء الرابطة الإفريقية للأحزاب الاشتراكية.

ملحق

المصادر العربية لتاريخ افريقيا
العصر الحديث

أولا : في الخزانات المغربية

1 - إجازات وتراجم :

1 - إجازة محمد بن أحمد بن محمد بن جمال الدين قاضي خان النهر والي المكي الحنفي، كتبها لجماعة من علماء التكرور، وفيهم الأشياخ عبد الكريم بن محمد بن علي الجناوي حسب تعبير الإجازة، وعبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجناوي، والقاضي عاقب بن الفقيه محمد بن عمر بن محمد أقيت، والفقيه أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت والقضية محمد بن الفقيه محمود بغيع، وغيرهم.

تاريخ الإجازة 17 رمضان 1580/988 الفوائد الجمة للتامنارتي عند الباب 2 - مخطوط خ س 513.

2 - إجازة أحمد باب بن أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيبت، كتبها للشيخ عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم (الحاحي)، بتاريخ 13 ذي القعدة 1600/1008 : مختصرة.

نفس المصدر والباب.

3 - إجازة المجيز ذاته للقاضي ابن الوقاد : عبد الرحمن بن محمد التلمساني نزيل تارودانت، بتاريخ الإثنين 13 ربيع الثاني 1598/1007، وهي مطولة وعامة.

4 - وللمجيز إجازة أخرى للمجاز ابن الوقاد، وهي خاصة بكتاب الشفا للقاضي عياض.

المصدر والباب.

5، 6 - وأحمد باب المجيز هو مؤلف «نيل الابتهاج» و«كفاية المحتاج»، حيث ترجم فيهما لجماعة من أعلام تنبكتو وغيرهم.

7 - «قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر»، اسم فهرس أشياخ الفلاني : صالح بن محمد بن نوح العمري الموفي، نزيل المدينة المنورة ودفينها عام 1803/1218. به بعض الأسماء لأشياخ المؤلف السودانين.

وقطف الثمر منشور بمطبعة مجلس المعارف النظافية في حيدر ءاباد الدكن بالهند سنة 1328 هـ.

8 - «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور» تأليف البرتلي : الطالب محمد بن أبي بكر الصديق بن محمد الولاتي، ت 1805/1219 منشور بدار الغرب الإسلامي في بيروت.

9 - «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» تأليف ابن فوديو : الأمير محمد بيلو بن عثمان بن محمد بن صالح السوداني الفلاني ت 1243/42/1827.

منشور في لندن سنة 1951، ومنه مخطوطة تصحح المطبوع : خ.ع.ك 2384.

10 - «الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد».

تأليف الكنتي : محمد بن المختار بن أحمد، ت 1828/1241.

وهو في ترجمة ومناقب والدي المؤلف : الشيخ المختار الكنتي الكبير وحرمه دفيني أزواد. مخطوط خ.ع.ج 14 ح.ع.ك 2294، خ.س 690.

11 - «بغية المستفيد في شرح منية المريد»، تأليف ابن السائح : الشيخ العربي بن محمد بن محمد بن السائح العمري الشرقاوي المكناسي، نزيل الرباط ودفينه عام 1892/1309.

شرح فيها أرجوزة «منية المريد» في التعريف بالشيخ التجاني وطريقته وأصحابه، نظم التجاني إبما بن بابا بن أحمد بيبا العلوي الشنجيطي، فيرد بالشرح والمنظومة أسماء وتراجم سودانية.

وبغية المستفيد منشورة أكثر من مرة.

12 ـ «كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب» تأليف سكيرج أحمد بن العياشي الأنصاري الفاسي، ت 1944/1363.

ترجم فيه لجماعات من السودانيين المنخرطين في الطريقة التجانية، وهو منشور في سفر.

13 ـ ولنفس المؤلف «رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب». وهو تكملة لسابقه، وبه تراجم سودانية. منشور في أربعة أجزاء.

2 ـ رحلات

14 ـ «أنس الساري والسارب، من أقطار المغارب...» إسم رحلة حجازية من تأليف ابن مليح : محمد بن أحمد بن عبد العزيز القيسي المراكشي، كان حيا عام 1636/1045 ذكر فيها ـ ص 29 ـ باشة السودان القائد علي بن عبد القادر الشرقي، ومحمد بن أحمد باب السوداني وتلميذ الأب : محمد بن عبد العزيز الدرعي.

15 ـ «شكاية الدين المحمدي» اسم رسالة شبه رحلة من تأليف أحمد بن القاضي الفوتي التنبكتي، كان حيا عام 1809/1224 من مخطوطات خ.س 6831.

16 ـ «منتهى النقول ومشتهى العقول» : اسم رحلة إدارية دون أعمالها علي بن محمد السوسي السملالي نزيل فاس ت 1893/1311. بها ذكر لبعض مناطق السودان.

من مخطوطات خ.ع.د 633 ثانية مجموع.

خ.س 50 = = =

3 ـ مصادر منشورة في باريس

17 ـ «تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس» تأليف ألفع : محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت التنبكتي، نشر ومعه تذييل عليه لبعض حفدة المؤلف ـ في باريس 1913.

18 ـ «تاريخ السودان» للسعدي : عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران التنبكتي، كان حيا عام 1655/1065.

منشور في باريس مرتين 1898، 1964.

19 ـ «تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان» لمؤلف من تنبكتو لم يذكر اسمه، وكان حيا عام 1751/1164.

نشرت في باريس مرتين 1899، 1901.

20 ـ ذيلت تذكرة النسيان بنبذة عن تاريخ مدينة سكت بالسودان.

4 ـ موضوعات قصيرة

21 ـ فتوى لأحمد بن الطالب ابن سودة المري الفاسي ت 1903/1321.

وكان موضوعها حول استغاثة أهل تنبكتو بالسلطان الحسن الأول عام 1893/1311، بعدما دهمهم الغزو الفرنسي. مصورة منها بخط المؤلف في خزانة خاصة.

22 ـ رسالة في الموضوع ذاتة كتبها قنصل المغرب بمصر الحاج عبد الواحد التازي إلى السلطات الحسن الأول منشورة ضمن «أعمال ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، ص 202 ـ 203.

23 ـ وصف معركة وقعت في قرية بركلي من بلاد السنغال، وهي قصيدة من 45 بيتا، وناظمها غير مذكور. خ.ع.د 1487 في مجموع ص 14 ـ 17.

ثانيا : في خزانات خارج المغرب

5 ـ في المكتبة الوطنية بباريس

24 ـ مجموع في تاريخ السودان رقم 5259

25 ـ كتاب في الجهاد لمؤلف سوداني رقم 5295

6 ـ **من فهرس المخطوطات الموريطانية**

2 ـ تاريخ السنغال وموريطانيا تأليف أحمد بن ابهوه الكمليلي، ت 1364 هـ.

7 ـ في فهرس المخطوطات العربية في مركز.

أحمد بابا التنبكتي في مالي

27 ـ تاريخ أزواد.

في أخبار البرابيش وحروبهم مع الرقيبات وهجار، وذكر بعض أكابرهم ودخول النصاري في تنبكتو وغير ذلك. المؤلف غير مذكور الرقم 175.

28 ـ رسالة إلى الأمير أحمد الفلاني أمير ما سنة، كتبها محمد بن المختار الكنتي.

الرقم 186.

29 ـ «إزالة الريب والشك والتفريط، في ذكر المؤلفين من علماء التكرور والصحراء وشنكيط». تأليف أبو الأعراف.

الرقم 379.

30 ـ رسالة إلى المدرس الفرنسي «هو داس» في الشكر والاتصال بكتابه : «تاريخ الفتاش» مصحوبة بنسخة مطبوعة كتبها محمد الإمام بن محمد ابن السيوطي.

الرقم 442.

31 ـ منظومة في الرد على الغربيين لتضييعهم للدين. المؤلف غير مذكور.

الرقم 660.

32 ـ «كتاب الترجمان، في تاريخ الصحراء والسودان، وبلد تنبكت وشنجيط وأروان، ونبذ من تاريخ الزمان في جميع البلدان».

تأليف محمد محمود بن الشيخ الأرواني.

الرقم 755.

33 ـ مكتوب في نسب التواسق ـ المؤلف غير مذكور ـ الرقم 798.

34 ـ مكتوب في بيان نسب أمير المومنين أحمد بن أحمد : إلى أبي بكر قاضي فوت تور. المؤلف غير مذكور. الرقم 801.

35 ـ رسالة إلى أهل مراكش وخاصة الحاج محمد بن أحمد الصحراوي وغيره من الكبراء. الرقم 800.

36 ـ ديوان رسائل كبراء تنبكتو. جامعه غير مذكور الرقم 803.

37 ـ رسائل متعددة في شأن أهل ماسن والحرب مع الفرنسيين. جامعها غير مذكور. الرقم 804.

38 ـ مكتوب في ذكر ابتداء جهاد الحاج عمر بن سعيد الفوتي، مؤلفه غير مذكور الرقم 805.

39 ـ الحق المعتمد فيها وقع بين الحاج عمر بن سعيد بن أحمد. تأليف عمر بن سعيد الفوتي. الرقم 810.

40 ـ رسالة من أحمد البكاي إلى أهل مراكش وجوابهم له الرقم 811.

41 ـ المنظومة العجيبة في الجهاد وهجران الكفار. ناظمها غير مذكور الرقم 928.

42 ـ مكتوب في شأن دخول جيش الروم في تمبكتو، وما جرى بعد ذلك في أمر الرقيبات الذين استحلوا أموال الناس. مؤلفه غير مذكور الرقم 982.

(ص 19) 43 ـ ضياء الأمراء في مالهم وما عليهم من الأشياء

تأليف عبد الله بن محمد بن عثمان بن صالح فودي الرقم 997.

44 ـ «تنبيه الإخوان عن أحوال أرض السودان» تأليف عثمان بن محمد بن عثمان فودي الرقم 1015.

ثالثا : مؤلفات خارج مادة التاريخ

وبها معلومات موضوعية دقيقة

45 ـ «فتح المطلب المبرور، وبرد الكبد المحرور، في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور» تأليف السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر القاهري.

وهو جواب عن أسئلة منوعة بعثها إليه من مالي محمد بن محمد بن علي اللمتوني : في شوال 1493/898.

وأثبت السيوطي نص الأسئلة عنها في كتابه الحاوي للفتاوي، نشر مكتبة القدسي بالقاهرة 1351 هـ : 377/1 ـ 388.

46 ـ شرح المختصر الخليلي لمحمد بن عمر بن أقد بن محمد بن عمر بن علي التنبكتي ت 57/965 ـ 1558، مخطوط خ.س 7536 ح.س 487 ز.

47 ـ «منن الرب الجليل ببيان مبهمات خليل» : اسم شرح المختصر التخليلي تأليف أحمد باب التنبكتي سابق الذكر عند رقم 2 : شرحه من الذكاة إلى أثناء النكاح. مخطوط خ.س 4468.

48 ـ شرح المختصر الخليلي تأليف محمد بن أحمد بن أبي بكر بن إبراهيم السوداني.

مخطوط خ.ع.ك 698 : النصف الثاني منه في مجلد.

49 ـ «شرح المقدمة الأجرومية» تأليف قاضي تنبكتو أحمد بن أحمد السوداني ت 34/1044 ـ 1635.

قال القادري : وشرحه متداول بفاس، «نشر المثاني» ط دار المغرب 1 /331 والشرح مطبوع في المطبعة الحجرية الفاسية ومعه حاشية عليه للشيخ المهدي الوزاني.

50 ـ «معراج الصعود» لأحمد باب التنبكتي المتكرر الذكر.

به معلومات عن تاريخ القبائل السودانية وعلاقتها بالإسلام.

ومن بين مخطوطاته واحدة خ.ع.ق 930 ضمن.

مجموع من ص 365 إلى ص 374.

51 ـ بهجة الآفاق، وإيضاح اللبس والإغلاق لمحمد بن محمد الفلاني الكشناوي ت 1741/1154.

وهي في مادة الحروف والأوقاف.

خ.س 4576.

خ.س 3055.

52 ـ ضياء التأويل» تأليف عبد الله بن محمد بن فودي الفلاني ت 1829/1245.

وهو تفسير موسع للقرآن الكريم.

خ.ع.ك 1976.

خ.س 907 في ثلاثة أسفار، مع 3867 في مجلد، ثم السفر الأول رقم 116.

53 ـ «فتوى» لأحمد باب المتكرر الذكر.

فرغ منها عند أذان ظهر الخميس 29 جمادى الثانية عام 1016 بتمكروت.

مخطوطة بدار الكتب الناصرية بتمكروت سادسة مجموع رقم 3999.

54 ـ «كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن : اختصره ابن فودي من كتابه ضياء التأويل، سابق الذكر عند رقم 52.

خ.س 6879.

إضافة

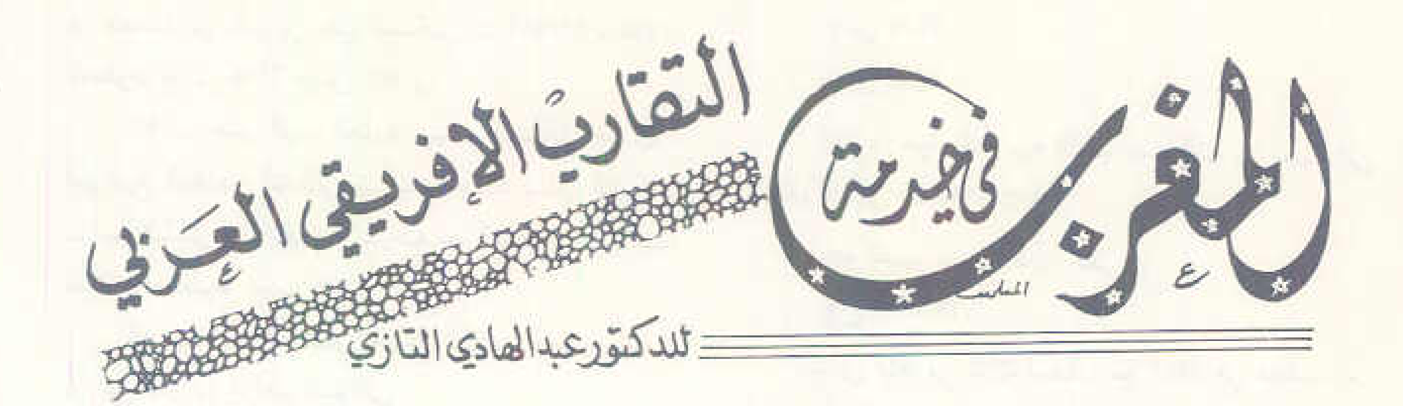
55 ـ «تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد المغرب والسودان».

خ.ع.ك 2353.

توضيح

ترد في هذا العرض إشارات، وتوضيحها كالآتي :

خ.ع.د : قسم حرف الدال من الخزانة العامة بالرباط.
خ.ع.ك : قسم حرف الكاف من الخزانة العامة بالرباط.
خ.ع.ق : قسم حرف القاف من الخزانة العامة بالرباط.
خ.س : الخزانة الحسنية بالرباط.



تقديم

عندما اقترح علي أن أساهم في موضوع العلاقات العربية الافريقية كان هناك سؤال ينتصب أمامي : هل ما إذا كان لزاما علينا قبل أن نفكر في عقد ندوات تمهيدية تهدف من جهة إلى تقريب الأفارقة بعضهم لبعض كما تهدف من جهة ثانية إلى التحام العرب بعضهم ببعض...

ويرجع هذا التساؤل مني إلى واقع حزين لم يعد خافيا علينا بصفتنا أفارقة وبصفتنا عربا، وربما بصفة لنا ثالثة :

لقد قصدت في سنة سابقة إلى عاصمة مالي في مهمة، وقد حطت بنا الطائرة فعلا في باماكو ولكن المطار لم يكن مستعدا لاستقبالنا، حيث إننا وردنا من داكار وكان علينا أن نأخذ الطائرة إلى بوبوديولاصو (Bobo Dioulasso)... ومن هذه طرنا إلى واكادوكو (Ouagadougou) ومن واكا أخذنا خطوط (ايرفرانس) إلى باماكو...

فهل كان طريق «الرجاء الصالح» هذا ضروريا ؟

وفي سنة لاحقة قصدت إلى مهمة أيضا في دمشق، وكان علي بعد أن نزلت المطار، أن أعود من حيث أتيت لأن الطائرة العربية التي أقلتني لم يكن مسموحا لها أن تنزل ركابا بعاصمة سوريا العربية لأن الظروف كانت تعرف توترا بين سوريا والعراق، وكان لزاما علي أن أستأنف الطريق إلى بيروت لأعود بالسيارة إلى دمشق...

وهكذا تكرر بالنسبة إلي طريق «الرجاء الصالح» في العالم العربي...

وذكرت كل هذا لأبرر ورود التساؤل الذي اعترض طريقي... هل نحن بحاجة إلى حوار بين الأفارقة أنفسهم حتى يتقاربوا، وبين العرب أنفسهم حتى لا يتناحروا، أم أننا سنتجاوز هذا إلى إجراء حوار على صعيد أكثر اتساعا وأكثر شمولا ؟

وقد اقتنعت أخيرا بأهمية كل من الحوارين واقتنعت أيضا بأن أحدهما يمكن ان يفيد الآخر ويعمل على إجلاء معالمه، وكان هذا الاقتناع مني مبنيا على تجارب سياسية ملموسة، فكثيرا ما أفادت مؤتمرات إقليمية في تصفية لقاءات على مستوى القمة والعكس صحيح، حيث رأينا مؤتمرات للقمة تساعد على تفاهم القواعد...

المغرب كصلة وصل...

إذا كان المغرب الأقصى قد حافظ بجدية وفعالية على صلاته ببلاد المشرق عبر التاريخ فإن حفاظه على

علاقاته بالامارات والممالك الافريقية ظل حقيقة قائمة ثابتة.

ولم يكن سبب ذلك راجعا فقط إلى الإيمان بوحدة الواقع الجغرافي والسلالي، ولكن المغرب ما انفك يعتبر هذه الوحدة قدرا ومصيرا يجب أن تتضافر الجهود من أجل الاستجابة لها والاقتناع بضرورتها، وهذا حكم من المغرب كان وليد تجارب قرون خوال بلغت فيها أقطار المغرب قمة عزها وأوج عظمتها، عندما كانت موحدة قبل أن يتناثر عقدها عندما دبت فيها روح الانفصال ونزعة الانشقاق.

لقد أدرك المغرب في صدر من أدركوا من الأمم الافريقية أن الصلات بالعالم العربي ينبغي أن لا تنفصم عراها بل يجب أن تظل في نمو وتزايد وازدهار.

سوف أتحدث هنا عن الآثار التي خلفتها تلك المشاعر الانفصالية التي كانت تستهدف أحيانا بناءنا واستقرارنا نحن المغاربة، كما سوف لا أستعرض هنا تلك الأيادي الخفية التي كانت تحرك هذا الفريق على ذاك أو ذاك على هذا، ولكني سأقصد إلى أبرز عناصر التقارب التي تضرب في جذور التاريخ والتي كانت تجسد تلك الصلات وتجعل منها حقيقة ملموسة باعتبارها الطريق الذي لا بديل له إذا كان القادة يهتمون حقيقة بقضايا الازدهار والتقدم في عالميهما الافريقي والعربي...

لقد كانت أول اتفاقية للتآخي بين الأفارقة والعرب هي التي أبرمت سنة ثمانين للهجرة 699 بين عرب قيس وقبيلة زناتة على هذا النحو :

«هذا ما شهد به أنجاد قيس عيلان لإخوانهم زناتة بني برين قيس عيلان أنا أقررنا وشهدنا على أنفسنا وعلى آبائنا وأجدادنا أنكم معشر زناتة من ولد برين قيس عيلان بن مضر بن نزار معد ابن عدنان، فأنتم ـ والحمد لله ـ اخواننا نسبا وأصلا ترثوننا ونرثكم نجتمع في جد واحد هو قيس عيلان فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، لم نزل نعرف ذلك ونتوارث علمه وصحته عن آبائنا ومشايخنا وأهل العلم بالتاريخ والمعرفة بالأنساب منا، يأخذه كابر عن كابر وعادل عن عادل فليعرفوا ذلك ويلزموا أنفسهم ومواليهم معرفته امتثالا لقوله تعالى : **﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾** وقد قال ﷺ حين خطب في حجة الوداع : «أيها الناس اتقوا الله وصلوا أرحامكم واحفظوا أنسابكم والله على ما أقول وكيل»[1].

وهكذا رأينا أول ميثاق بين العرب والأفارقة يبني دعائمه على مبدا الرحم المشترك والمعين الواحد، الأمر الذي يفسر لنا من الآن أن البحث عن أسس التقارب بين افريقيا والعرب لم يكن وليد اليوم ولكنه كما نرى كان محل اهتمام أسلافنا منذ مئات السنين.

وفي هذا الصدد يندرج عدد كبير من الوثائق التي تزخر بها مصادر المغرب الذي كان وما يزال صلة لقاء متجدد بين افريقيا والعالم العربي...

لقد وردت الدفعات العربية الأولى مع الإسلام فوجدت من القبائل الافريقية المتواجدة في الأقاليم الافريقية الغربية تجاوبا كبيرا، وانصهرت في بوتقة واحدة بالمصاهرة والجوار ووحدة العقيدة، وانسابت تنشر الثقافة العربية فيما حولها من أمصار وأقطار وراء البحر وبعضها فيما وراء نهر السينغال.

وهكذا لم تكن الصحراء حاجزا كما لم يكن المتوسط كذلك حاجزا، بل رأينا العرب يجدون لأنفسهم عن طريق المغرب ممرات منه :

طريق واحات فكيك ووادي الساورة...وطريق من سجلماسة وطريق يمتد من وادي درعة عبر مدينة ولاته ورابع يسير من قاعدة إقليم سوس إلى حوض السنغال، وخامس يسير مع الشاطىء انطلاقا من وادي نون إلى قرية اندر التي أمست اليوم اسم (ساس لوي) عند مصب نهر السنغال في المحيط.

وتعبيرا عن حرص الأفارقة والعرب معا على ضمان تلك الوشائج التي أرست قواعدها مواثيق الماضي، قاموا

1) كتاب الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ـ الرباط 1972 ص 17.

متعاونين، وتوفيرا للأمن والراحة بالنسبة للمتنقلين من هذا الطرف إلى الطرف الآخر، بحفر الآبار وإقامة الحراسة على الطريق...

ومن ثمت أمست الشعوب الأفريقية على صلة تامة بالقبائل العربية.

وفي المؤرخين من يرفع صلات العرب بتخوم افريقيا إلى تاريخ مبكر جدا فهم يربطونه بأيام عقبة بن نافع سنة 63 = 683 وموسى بن نصير سنة 89 = 708.

وهكذا يكون صدى العرب قد انتشر في توغل أولئك الرجال في جنوب المغرب ومع قوافل التجار المتجهين نحو السودان بمختلف المواد. والعائدين كذلك ببعض المحصولات الاستوائية.

غير أن في المؤرخين من كان يرى أن صدى العرب إنما تردد في تلك الجهات النائية على عهد دولة الأدارسة الذين أنشأوا أول مملكة بالمغرب الأقصى سنة 172 = فعندئذ عملوا بجد على تبليغ رسالتهم إلى شتى الجهات.

وهكذا تكون بلاد التكرور عرفت الدين الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي...

وقد سمع الناس جميعا عن الحركة الشهيرة التي قادها عبد الله بن ياسين سنة 439 = 1048 من رباطه بجزيرة عند مصب نهر السنغال، استطاع أن يجمع بها قبائل المسلمين ويبلغ إلى امبراطورية غانة القديمة ويستولي على أودغشت العاصمة.

وقد أدى ضغط الهجرات العربية إلى دفع قبائل متعددة لهجرات متوالية نحو منطقة الصحراء، وإلى توغلها في الجنوب نحو منطقة حوض السنغال والنيجر، وبعضها هاجر إلى بلاد برنو وكانم...

وفي عهد المرابطين أنشئت مدينة (تنبكتو) التي أصبحت مركزا للاشعاع العربي، حيث أمها التجار، وتدفق عليها العلماء من سائر أطراف العالم العربي بما في ذلك مصر وبلاد الأندلس، حتى صارت «مأوى العلماء ومثوى الأولياء» على حد تعبير المؤرخ عبد الرحمن السعدي.

وعندما أيقن المرابطون أنهم اطمأنوا على المراكز التي أنشأوها في غربي أفريقيا، توجهوا نحو الشمال بقيادة يوسف بن تاشفين، حيث وجدناهم يجمعون البلاد على مذهب واحد...

كما وجدناهم يؤسسون لهم عاصمة بالجنوب سنة 454 = 1062 تحمل اسم مراكش، كانت العاصمة العربية الثانية في بلاد المغرب بعد فاس عاصمة الأدارسة التي أسست عام 192 = 808.

ولم يلبث هؤلاء الأفارقة الاقحاح أن استجابوا لصريخ إخوانهم العرب الذين كانوا يعانون من عبث النصارى في المدن الإسلامية الأندلسية، وقمعهم للذين كانوا يتواجدون هناك من العرب.

وهكذا عبر الأفارقة بجيشهم إلى جزيرة الأندلس حيث شاهدنا معركة الزلاقة الشهيرة (الجمعة 11 رجب 479 = 23 أكتوبر 1086) التي اهتزت لها أركان أوروبا والتي كان لها الفضل في بقاء العرب قرونا أخرى بالديار الأندلسية.

على هذه الأسس وضعت اللبنات الأولى للتقارب الافريقي العربي فقد رأينا التلاحم بين الفريقين على أعلى مستوى وشاهدنا ما كان لوحدة المشاعر من أثر جيد على وحدة الصف.

ونتيجة لهذا التلاحم سجل التاريخ أول ولاية افريقية عربية تتحكم في اسبانيا، وكانت برئاسة أبي العلاء أبي بكر ابراهيم المسوفي.

وبالرغم من هذه المسافات الشاسعة التي كانت تفصل بين هذا الطرف وذلك الطرف، فقد شاهدت تلك المسافات آلاف القوافل التي كانت تحمل التحف النادرة والطرف العجيبة، بل والحيوانات الغريبة التي كانت تنقل إلى المغرب مثل الزرافة التي أهديت من أحد ملوك السودان إلى الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور، وقد وصفها الشاعر أحمد بن عبد الرحمن الوقشي الكناني (ت 574) لما رآها بمراكش بقوله :

حشرت إليك غرائب الحيوان

مجلوبة من نازح البلدان

وأجلها يدعونها بزرافة
صدقوا لقد جلت عن الوجدان
لبست من الصفر الأنيق ملاءة
مرقومة الجنبات بالعقيان
وكان قرنيها إذا مثلت لنا
قلمان قلم منهما الطرفان
وتقاوتت في سمتها، فوراءها
ثلث، وأمامها الثلثات
سجدت إليك كرامة فبوجهها
حجم أطاف بجرمة العينان...

عندما تفككت دولة المرابطين استطاعت بعض أقاليم غانا القديمة أن تسترجع السلطة واستطاع بعضها أن يستولي على العاصمة... وترتب على هذا خروج بعض التجار المسلمين إلى الصحراء حيث أسسوا مدينة (ولاتة) التي أصبحت مركزا تجاريا منذ نهاية القرن السادس الهجري = 1203 م.

لكن الحكم لم يلبث أن استقر في يد (مالي) التي خلفت (غانا) في عظمتها وفي اتساع رقعتها، ولقد كان من أعظم ملوك امبراطورية مالي منسى موسى الذي خرج في رحلة مشهورة لحج بيت الله عام 723 = 1323، فاصطحب معه نحو عشرة آلاف مرافق، وكانت قافلة تضم ثمانين جملا يحمل كل منها ثلاثة قناطير من الذهب الخالص بقصد توزيعها على المشاريع الإنسانية في المشرق العربي.

وتحدث الرحالة المغربي ابن بطوطة عن هذه المملكة التي زارها عبر سجلماسة بعد عشرين سنة من ذلك التاريخ 753 = 1352 فقدم لنا وصفا ممتعا وطريفا وهاما كذلك عن مركز من المراكز التي كانت لها صلات بالعالم العربي تأثيرا وتأثرا...

ولم يكن غريبا أن نجد ذلك العاهل الافريقي الجليل يتعرف في موسم الحج وفي جبل عرفات بالذات على ابراهيم بن محمد الأنصاري الساحلي المعروف بالطويجن، الذي ترجم في غير ما كتاب.

وقد أصبح ابراهيم الساحلي يعيش بمملكة مالي حيث حظي بمنزلة كبيرة عند العاهل الافريقي... وأقام عنده موصول البر مصون الكرامة على حد تعبير المؤلفين...

وبعد أن عاد الساحلي إلى بلاد المغرب ليعيش ردحا من الزمان بجانب العاهل المغربي أبي الحسن المريني، قصد مرة أخرى الديار الافريقية عبر صحراء المغرب، حيث وصل الحقل بملوك تلك الديار ورجال حكمها ولقن من جهة أخرى ما كان يتوفر عليه من علوم ومعارف.

وقد كان الساحلي عارفا بالهندسة المعمارية، فاخترع القبة العجيبة التي بناها لملك مالي والتي وصفها ابن خلدون بهذه العبارة :

«أطرف ابراهيم الطويجن السلطان منسى موسى ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها إجادته، وكان صناع اليدين وقد أضفى عليها من الكلس ووالى عليها بالاصباغ المشبعة فجاءت من أتقن المباني ووقعت من السلطان منسى موسى موقع الاستغراب... حيث وصله العاهل بمبالغ سنية من المال...».

وقد كان منسى موسى هذا على صلة قوية بملك المغرب، حيث وجدناه يبعث بسفارة هامة كانت تشتمل على عدد من أعيان مملكته مع ترجمان يكشف عن العواطف. وقد أحسن السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد (731 ـ 752 = 1330 ـ 1351) إلى وفادة سفارة مالي، وعندما عزمت البعثة على العودة إلى وطنها أرسل معها سفارة مغربية برئاسة كاتبه أبي طالب ومولاه عنبر حيث أنفذه إلى ملك مالي **الجديد منسى سليمان...**

وحتى نتصور أمن الطريق التي تسلكها الوفود نذكر أن العاهل المغربي أمر عرب الصحراء بخفارة السفارة، حيث وجدنا الشيخ علي بن غانم يشمر لمصاحبة السفارة إلى أن بلغت مالي...

ليس هذا فقط، ولكن المهم أن نعرف أن السفارة المغربية عادت مصحوبة بسفارة جديدة من مالي الأمر الذي يؤكد ما قيل عن **الجسر** الدائم الذي يربط بين افريقيا والعالم العربي عن طريق ديار المغرب.

ونحن إذا ما أردنا أن نقوم بجرد للسفارات المتبادلة بين المغرب وبين الممالك الافريقية لوجدنا أنفسنا أمام لائحة طويلة عريضة لأسماء افريقية كانت تقصد بلاد المغرب بين الحين والآخر وأسماء كذلك من المغرب كانت تقصد تخوم افريقيا.

وعلى نحو ما تم بالنسبة للخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور (الموحدي) فقد أهديت للعاهل المغربي السلطان أبي سالم (المريني) زرافات من طرف سلطان امبراطورية مالي منسى جاطة في أوائل سنة 76 = 1361.

وقد تولى ابن خلدون وصف هذه الوفادة التي تركت أصداءها مدوية ردحا من الزمان : وكان من قول ابن خلدون نفسه بهذه المناسبة :

ورقيمة الأعطاف جالية
موشية بوشائع البرد
وحشية الأنساب ما أنست
في موحش البيداء بالقرد
تسمو بجيد بالغ صعدا
شرف الصروح بغير ما جهد
طالت رؤوس الشامخات به
ولربما قصرت عن الوهد
قطعت إليك تنائفا وصلت
اسادها بالنص والوخد

هذا إلى رائية ابن زمرك في الغرض المذكور :

موشية الأعطاف رائقة الحلى
رقمت بدائعها يد الأقدار
راق العيون أديمها فكأنه
روض تفتح عن شقيق بهار
ما بين مبيض وأصفر فاقع
سال اللجين به خلال نضار
تحكي حدائق نرجس في شاهق
تنساب فيه أراقم الأنهار

لم يكن قصدي بإيراد مثل هذا الشعر أن أستعرض لونا من ألوان الحياة الأدبية في عصر ابن خلدون، ولكن قصدي بإيراده على طوله أن أرسخ في ذهن القراء صلات الود العميقة التي تجمع بين الافريقي والعربي، حيث رأينا المسافات الطويلة تطوى وتذلل الصعاب حتى يسعى ذلك إلى هذا وهذا إلى ذاك حاملا معه كل ما قد يعبر عن الفرحة ويترجم عن الوجدان.

وإن الظاهرة الفريدة التي يمكن أن نلاحظها في سائر المؤلفات المغربية القديمة هي الظاهرة التي تتحدث ليس عن التقارب الافريقي العربي، ولكن عن وحدة المشاعر وائتلاف النوازع...

ولا بد أن نلتفت هنا قليلا إلى لقطة قدمها إلينا الرحالة المغربي ابن بطوطة وهو يقوم بزيارة أرض عمان على الطرف الآخر من العالم العربي المقابل لشرق افريقيا...

لقد شعر ابن بطوطة وهو في ظفار في أقصى الجناح الشرقي من العالم العربي بشبه قوى بين أهلها وبين أهل المغرب، وهذه القولة التي مضى عليها زهاء سبعة قرون تؤكد نفسها بصفة ملحة وتجعل الزائر العماني المغربي لا يشعر هو الآخر بفرق بين هاتيك الديار، وهذه حقيقة أخرى تجعلنا الزائر العماني المغربي لا يشعر هو الآخر بفرق بين هاتيك الديار، وهذه حقيقة أخرى تجعلنا نقف طويلا أمام ما رواه المؤرخون عن أصول صنهاجة (المحرفة إلى السنغال) وعن أن أصلهم من حمير على حد تعبير ابن بطوطة، وقد قوى من انطباع الرحالة المغربي، أنه لاحظ وهو في ضيافة خطيب المسجد الأعظم عيسى بن علي أن أسماء جواريه أيضا مستعملة في عرب افريقيا، وقد لاحظ كذلك أن أكثر أهل ظفار تتملكهم عادات وخصائص لا تختلف عن العادات والخصائص المغربية...

وإن تلك الرواية من ابن بطوطة لا ينبغي أن تؤخذ على أنها مجرد افتراض ولكنها إفادة تاريخية هامة عثرت أقدام بعض الباحثين الغربيين الذين كانوا وما يزالون يحاولون تمييع الصلة بين إفريقيا والعالم العربي.

ولنترك ابن بطوطة لنسمع في بعض الرجز الذي يعود إلى العصر الوسيط عن الصلات القوية بين القبائل الإفريقية والقبائل العربية :

لقد سمعنا عن صلات صنهاجة بالعالم العربي، وها نحن نقرأ عن زناتة التي تسكن الخيام وتكسب الأغنام، ودروب الخيل وتنتجع المراعي وتحفظ الأنساب وتموت دون الأعراض وهذا هو شاعرهم يقول :

لم تـــزل زنـــاتــــة مــــع العرب
مجـــــــاورين في مراعيهم حقب
مـــــــذهبهم كمــــــذهب الأعراب
لقربهم في الأرض والأنســــــــــاب
مـــا بـــدل الـــدهر سـوى أقـوالهم
ولم يبـــــــدل مقتضى أحـــــوالهم
بـــــل فعلهم أربى على فعـــــل العرب
في الحــــال والصـــواب[2] ثم في الأدب

لقد امتزج العرب والأفارقة وأمسى فريق يرى في الفريق الآخر مكملا له، لا يستغني عنه، بل وأمسينا نشاهد طائفة من العرب تتغلب على مشكل اللغـــة فتتعلم اللهجـــات الإفريقية ولا تتردد في استعمال بعض المفردات الإفريقية في مؤلفاتها المكتوبة بالعربية.

وفي مقابلة هذا وجدنا عدداً مهماً من أعلام الأدب العربي كانوا ينتمون لأروقة إفريقية وقد نبغوا في اللغة وأصبحوا يؤدون بها معاني تفوق في الروعة ما ينطق به الأدباء العرب.

ولنقرأ هـــذين البيتين الجميلين للشـــاعر الإفريقي الكانمي إبراهيم بن يعقوب الذي أنشد أبا يوسف يعقوب المنصور الموحدي، لما دخل عليه :

أزال حجــــــابـــــــه عني وعيني
تـــزال من المهـــابــــة في حجـــــاب
وقربني تفضلــــــــــــــه، ولكن
بعـــدت مهـــابـــة عنـــد اقترابي

لقد كان المغرب الأقصى - وما يزال - بمثل نقطة الاتصال الأعظم بين العالم الإفريقي والعربي بحكم موقعه، وحكم مبادراته وبحكم استعداده.

ونحن نتحدث عن مظـاهر هـذا التقـارب لابـد أن نلاحظ أن من أهم المستوردات الأسـاسيـة إلى الديـار الإفريقية منذ الأيام الأولى، المخطوطات والكتب، وقد كانت مناطق اقتنائها بالدرجة الأولى من المغرب... أضف إلى هذا مهنة الوراقة التي وجدنا العواصم الإفريقية ذات الصلة بالمغرب تتوفر على عدد من المصانع الخاصة بها.

ويمكن لكل واقف على الكتب الإفريقية سواء كانت من التي ما تزال بالخزائن الإفريقيـة أو التي نقلت إلى المكتبات الأوروبية أن يلاحظ طابع وأثر الخط المغربي عليها....

وقد نسخ المؤرخون الأفارقة كتبهم بالخط المغربي، وعنهم نقل الباحثون والمترجمون، وقد وقفت منذ بعض الوقت في متحف باوندي على وثائق سياسية تتعلق بالإقليم كتبت بخط مغربي أصيل وليس الخط فقط... ولكن التطلع إلى النسب العربي والتحلي بزيه واختيار معاصره.

وبالمقابل نجد البيوت العربية والمحسوبة على العرب في ديار المغرب متأثرة بطائفة من التقاليد الحضارية الإفريقية... في العادة وفي المائدة، وفي السلوك والآداب، بل إننا أصبحنا لا نميز عادة وعادة ولا نستطيع أن ننسب أصل هذه لتلك الجهات أو تلك إلى هذه الجهات.

وقد صادف انهيار امبراطورية مالي أواخر القرن الخامس عشر، سقوط دولة بني مرين وبداية دولة بني وطاس...

ولقد مكن ذلك الانهيار من ظهور مملكة سنغاي التي أمست تحتل جل المراكز التي كانت لأمبراطورية مالي.

وبالرغم من أن الوطاسيين لم يكونوا في درجة قوة المرينيين، إلا أنهم مع ذلك وجدوا أن من الضروري أن يربطوا علاقاتهم بحكام مملكة سنغاي علاوة على احتفاظهم بعلاقاتهم مع ما تبقى من أمراء مالي...

2) الصواب : كلمة تعني في الاصطلاح المغربي أرق أنواع المجاملة وحسن السلوك، ومنه المثل المغربي (الصواب تيمرت) أي أن مجاملة الناس تتعب وتنهك، مرّته : أتعبه.

وهكذا وجدنا سفارة في تنبكتو برئاسة أحد أعمام الحسن الوزان أو (ليون الإفريقي) صاحب كتاب وصف إفريقيا، الذي كان رفيقا لعمه وهو ابن سبع عشرة سنة إلى الأسكية يعني (الأمير) محمد توري.

وبالرغم من أن المصادر تخذلنا حول أغراض السفارة المغربية في تنبكتو، إلا أن كل القرائن تدل على أن الهدف ربما كان يقصد إلى استمزاج الرأي حول المد البرتغالي الذي يستشري في القارة، ولا نستبعد أن يكون الهدف أيضاً معرفة ما كان يقصد «الأسكية» الحج من اتصالاته مع «الخلافة» بمصر وحمله «تقليدها» على بلاد التكرور...

ولا بد لنا إضافة إلى هذا أن نذكر بعلاقة مملكة مالي أو ما تبقى منها على الأصح بدولة البرتغال.

فلقد تحدثت بعض المصادر عن سفارة[3] من مالي إلى ملك البرتغال كانت تهدف إلى إبرام تحالف معه ضد مملكة سنغاي، حيث نجد أن الملك يوحنا الثاني يستجيب للنداء فيرسل بدوره سفارتين إلى ملك مالي : إحداهما راحت عن طريق جامبيا ولم يعرف مصيرها والثانية نجحت في الوصول إلى تمبكتو عام 1483 = 887 ـ 888.

ومن المعلوم أن الهدف الحقيقي للبرتغاليين من إرسال بعثاتهم تلك لم يكن هو مساعدة مالي ضد سنغاي بقدر ما كان يهدف إلى المزيد من التعرف على المناطق الداخلية في غرب إفريقيا.

ومما يدل على ذلك أن البرتغاليين كانوا يراقبون الموقف عن كثب بين مالي وسنغاي وما أن بلغتهم انتصارات الاسكيا سنّي (1464 ـ 1492) على سلطنة مالي حتى بادروا أي البرتغاليون إلى تحويل اتصالهم بسنغاي بدل مالي، ونجحوا بذلك في الحصول على امتيازات من سلاطنة سنغاي لبناء القواعد والمراكز التجارية وقد امتدت هذه المراكز حتى بلغت إقليم أدرار...

وقد كان من الآثار التي ترتبت على الاستكشافات البرتغالية :

أولاً : نجاح البرتغاليين في القضاء على تجارة القوافل العربية التي كانت تربط بين شمال إفريقيا وغربها وتحويل طريق القوافل من الداخل إلى سواحل المحيط الأطلسي، بدلاً من سواحل البحر المتوسط، وقد ساعد على ذلك تدهور منطقة البحر المتوسط بسبب تحول التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح، الأمر الذي ترتب عليه إضعاف الروابط العربية لشعوب غرب إفريقيا !

ثانياً : معاناة شعوب غرب إفريقيا نتيجة السيطرة البرتغالية على سواحل غرب إفريقيا وما أعقب ذلك من سيطرة القوى الاستعمارية الأخرى....

وقد تمثلت أكبر معاناة في تهريب الأعداد الضخمة من الأفارقة للعمل في المزارع الأمريكية الأمر الذي كان يؤدي إلى نقص عدد السكان.[4]

مصرع ملك البرتغال على يد الجيش المغربي في وادي المخازن وأثر ذلك على التقارب الإفريقي العربي.

وان الذين يتحدثون عن أسس التقارب بين العالم الإفريقي بالعالم العربي، لا بد لهم أن يدركوا بإجلال كبير وتقدير زائد، تلك المعركة العظيمة التي واجهت فيها المملكة المغربية الأمبراطورية البرتغالية على أرض المغرب في مكان يحمل اسم وادي المخازن، شمال البلاد، لا يبعد عن مدينة القصر الكبير إلا ببضع كيلومترات...

لقد حملت المعركة في التاريخ العالمي اسم معركة وادي المخازن أو معركة القصر الكبير.. وربما سميت أيضا معركة الملوك الثلاثة، لأنها شهدت بالفعل مصرع ثلاثة ملوك !!

---

3) The voyages of Cadamosto and other Documents on Western Africa in the Second half of the XV th. Century. London 1937.

4) د. جمال زكريا : العلاقات العربية الافريقية ـ الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ 1957.

ويتعلق الأمر بالوقعة التي دارت رحاها يوم 30 جمادى الأولى عام 986 = 4 غشت 1578 والتي لقي فيها الملك دون سباستيان ملك البرتغال حتفه، ولما يمض على ابتداء الصدام سوى ساعات قلائل.

لقد عملت هذه المعركة على بلورة الصلة الإفريقية العربية، حيث شاهدنا في هذا اليوم كما شاهدنا بالأمس وقعة الزلاقة بالأندلس الاخوة في ساحة المعركة يقاتلون لصد الهجوم الغادر الذي شنه قادة البرتغال على المغرب أملا في الاستيلاء عليه تمهيداً لاكتساح بقية أقطار إفريقيا، لكن الأمر الذي لم يكن في الحسبان، هو أن ينهار الجيش البرتغالي أمام الجيش المغربي فينهار بذلك وجوده في بقية أقطار الشمال الإفريقي...

وليس هذا فحسب بل ينهار وجوده في أقصى بلاد المشرق على شط الخليج ويتنفس العرب الصعداء في البحرين وعمان، بل وفي الشرق الأقصى.

لقد كتب الناس بكل لسان عن هذه المعركة الكبرى وجل الملاحظين ممن كتبوا عنها بموضوعية وتجرد، كانوا يتفقون على أنها أي المعركة كانت سببا من الأسباب البارزة لتجدد اللقاء بين إفريقيا والعالم العربي، فلولا التضامن ولولا التلاحم بين الأفارقة والعرب في تلك الأيام العصيبة لذهبت منذ ذلك الوقت المبكر آمال السابقين واللاحقين.

ومن المهم أن نجد طائفة كبرى من المؤرخين الأجانب وعلى رأسهم روبرت لينندن، يعترفون بأن الفضل في كسر شوكة البرتغال في الشرق العربي، إنما يرجع لانهزام الجيش البرتغالي واندحار ملكه في غرب شمالي القارة الإفريقية أمام الجيش المغربي!

وما أظنني بحاجة إلى إبراز هذه الغزوة على خريطة العالم كله، فقد غيرت فعلا معالمه وأمست الأمبراطورية البرتغالية في خبر كان.

لابد للأفارقة أينما كانوا وخاصة منهم الذين ابتلوا بالاستعمار البرتغالي أن يحفظوا تاريخ رابع غشت 1578 من أجل أن يتتبعوا نتائجه وآثاره في بلادهم... انهم سيدركون لا محالة أثر تلك الهزيمة المنكرة التي مني بها الجيش البرتغالي... عشرات القطع كتبت باللغة العربية وباللهجات المحلية في هذه المناسبة، طائفة من الكتب صدرت باللغة الإنجليزية والبرتغالية والإسبانية والفرنسية عن هذا الحدث العظيم.

ويقول أبو فارس عبد العزيز الفشتالي الأديب والمؤرخ والوزير على ذلك العهد من نونية طويلة تعرضت للموقعة المذكورة :

من الألاء جرّعن العدا غُصصَ الرّدى
وعفّرن في وَجهِ الثّرَى وَجْهَ بسيانِ

فكم هنأت أرضَ الفرَاتِ بكَ العَلا
ووافَت بكَ البُشرى لأرض عُمَانِ!

أن نذكر نهر الفرات هنا من طرف شاعر إفريقي يعيش على ساحل المحيط الأطلسي، وأن نذكر أرض عمان الذي كان يعني في فترة من التاريخ طول المساحة التي تستوعب جنوب الخليج اليوم، أقول : أن نذكر ذلك لا يعني شيئاً غير مساهمة إفريقيا في إلهاب جذوة النضال الوطني بالمشرق أو بالحري في التجاوب مع نوازع العرب في الخليج.

وهكذا فإن كان الملاح العربي ابن ماجد تحسر على عرب إفريقيا في أرجوزته الشهيرة التي يقول فيها عن البرتغال :

وهي الذي قد قهر المغاربه
والأندلس في حكمة مناسبه

فإن الشاعر المغربي أبا فارس ينهيء ذرية ابن ماجد بسنوح الفرصة للإجهاز على الوجود البرتغالي، ليس فقط في بلاد المغرب، ولكن أيضاً في بلاد المشرق...

فكم هنأت أرض الفرات بك العلا
ووافت بك البشرى لأرض عمان!!

ويقول شاعر مغربي آخر هو أبو عبد الله محمد الهوزالي :

وحسبك من (وادي المخازن) وقعة
بها الشرك حتى آخر الدهر ناعس



مؤتمر برلين

صورة لجانب من هذا المؤتمر الذي عقد عام ١٨٨٤ — ١٨٨٥ في برلين ويمثل نقطة بداية خطيرة بالنسبة لتاريخ افريقيا المعاصر . ففي هذا المؤتمر الذي تزعمه بسمارك وليوبولد وساسة اوروبا تم تقنين اسس لتقسيم افريقيا بين الدول الاوروبية دون مراعاة لاي تكامل اقتصادي او لغوي اوحضاري ، بل قسم المؤتمرون القارة الى اشلاء لا تتكامل مع نفسها ، ولكن مع الدول الاوروبية المستعمرة . ولم تنته آثار مؤتمر برلين السيئة باستقلال المستعمرات ، فلعنة هذا التقسيم العشوائي تلاحق الدول الجديدة في صورة نزاع على الحدود او ادعاء سيادة او رغبة في تكامل اقتصادي .

وضاقت على (بسيان) كل طريقة
وذلت لنا منه الأنوف الغطارس
ولو أيقنوا منها النجا ببناتهم
لزفت لنا أبكارهم والعرائس

وقال شاعر مغربي يتحدث عن بطل المعركة :

سقاهم بكأس ما سقوا قط مثله
هو السم في أمعائهم وهو ناقع

وقال آخر مشيراً لمدينة القصر الكبير :

فالقصر جرّ لقيصر الحتف الذي
أبقاه منقطع العرى بعراء !

إن الحديث عن وقعة وادي المخازن مهما طال، ومهما تشعب، فإنه يعني في الواقع الحديث عن ملحمة عالمية استفاد منها الأفارقة والعرب على السواء في المشرق والمغرب ولقد كان من عيون الشعر المعاصر الذي قيل فيها من طرف الأستاذ الرئيس علال الفاسي :

تجلى لدى وادي المخازن بأسهم
وحين التقى الجمعان وانقطع الصبر
وقام سباستيان بين جموعه
يجرئه «المسلوخ» والخائن الغمر
يجابهه المنصور من قلب جحفل
بهم من سراة الشعب طائفة وقر
فيا ويحهم لم يعرفوا قدر من لقوا
من الأسد حراس العرين ولم يدروا
وما هي إلا جولة تصدق اللقاء
من القوم حتى أغرق الخائن النهر

ومن حقنا أن ندعو إلى تأسيس لجنة دولية لدراسة هذه الوقعة دراسة علمية موضوعية لمعرفة آثارها الإيجابية على التقارب الإفريقي العربي فلقد جعلت هذه المعركة

حدا للجيش البرتغالي سواء في إفريقيا وآسيا وما من شك في أن حدثا عظيماً كهذا من شأنه أن يحدث ردود فعل مختلفة سواء خارج القارة الإفريقية أو داخلها...

الحفاظ على العلاقات الإفريقية العربية كان وراء الصدام بين المغرب وسنغاي !

ونرى لزاماً أن نرفع لبساً وقع فيه كثير من الذين تحدثوا بصفة خاصة عن مملكة سنغاي التي اختفت من خريطة الممالك الإفريقية في أعقاب نزاع مسلح بينها وبين المملكة المغربية.

إن الدراسات الحديثة أخذت تلقي الضوء على ماورد في بعض المصادر القديمة المعاصرة من إشارات عن الأسباب الخفية التي كانت وراء الصدام... كما أنها أي تلك الدراسات الموضوعية أخذت تكشف بعض الحقائق التي خفيت على بعض الذين كتبوا متأثرين بالنظرة السطحية إلى الموضوع... وقد كان بعض الكتاب المعاصرين ممن حرروا صفحات حزينة ولكنها لم تكن مستوعبة لجوانب الموضوع.[5]

في كلمات قليلة قبل أن أدخل في الموضوع أشير إلى بعض الأحداث التي عرفتها القارة الإفريقية، وخاصة المنطقة العربية الجنوبية منها...

فلقد ظهرت في القرن الخامس عشر حركات انفصالية في أمبراطورية مالي التي كانت تستقطب عدداً من الإمارات والممالك وكانت صديقاً حميماً للمملكة المغربية على ما رأينا.

وقد مكن انهيار الأمبراطورية المالية من ظهور مملكة سنغاي بزعامة قائد ليبي، وقد كان أبرز ملوكها على بير (1464 ـ 1492) وكان يعكس الدفاع عن الحضارة الزنجية الإفريقية ضد الدخيل الأجنبي على حد تعبير كورنفان في (تاريخ إفريقيا...).

وقد تغلب على تنبكتو وجيني ومنطقة الضايات وهيمن على معادن الذهب وبيتو وأصبح يملك الملاحة في نهر النيجر وهو الذي حمل اللقب الملكي (أسكية) كما تقول....

ولما توفي علي بير عوض بالأسكية محمد توري 1528/1493 الذي وجدناه عام 903 = 1497 يقصد الحجاز، ليس فقط لقضاء فريضة الحج ولكن للاتصال في المشرق بصنيعة من صنائع الأتراك في مصر وقد خلعوا على الأسكية الحاج لقب (خليفة) بمثلهم ببلاد التكرور !! نعم لقد حصل الأسكية الحاج على تقليد الإمارة والخلافة من المتوكل الثاني عبد العزيز بن يعقوب الذي كان يعيش بمصر في خريف ما كان يسمى «بالخلافة العباسية» قبيل أن يصل السلطان سليم عام 1520 ليجرد المتوكل الثالث محمد بن يعقوب من آخر مظهر من مظاهر الخلافة ولو أن الخليفة كان يعين عمليا من طرف سلطان الترك منذ زمن...

لقد وسع الأسكية الحاج فتوحات الأمبراطورية التي أصبحت تغطي القسم الأكبر من السينغال ومالي والنيجر الحالي، ولما فقد بصره عام 1528 نحي عن الحكم من طرف أولاده الذين تنازعوا على الحكم من بعده طويلاً... واستقر الحكم أخيراً في يد أسكية داود الذي ورث أيضاً «التقليد» الذي كان «الحاج» عاد به من المشرق.

لقد كان ذلك «التقليد» في نظر الملوك المغاربة السعديين تقليداً من الأتراك، بل انه كان يعني التهديد سيما بعد أن تألق نجم خير الدين بربروس وأخيه في سماء المغرب الأوسط منذ عام 1512 مع بداية الدولة السعدية بالمغرب.

وقد كان يتناهى إلى السعديين أن أمبراطورية سنغاي تواصل الاتصال بممثلي العثمانيين في الآيالات التي أصبحت خاضعة للأتراك... أو لم يتحدث القلقشندي في

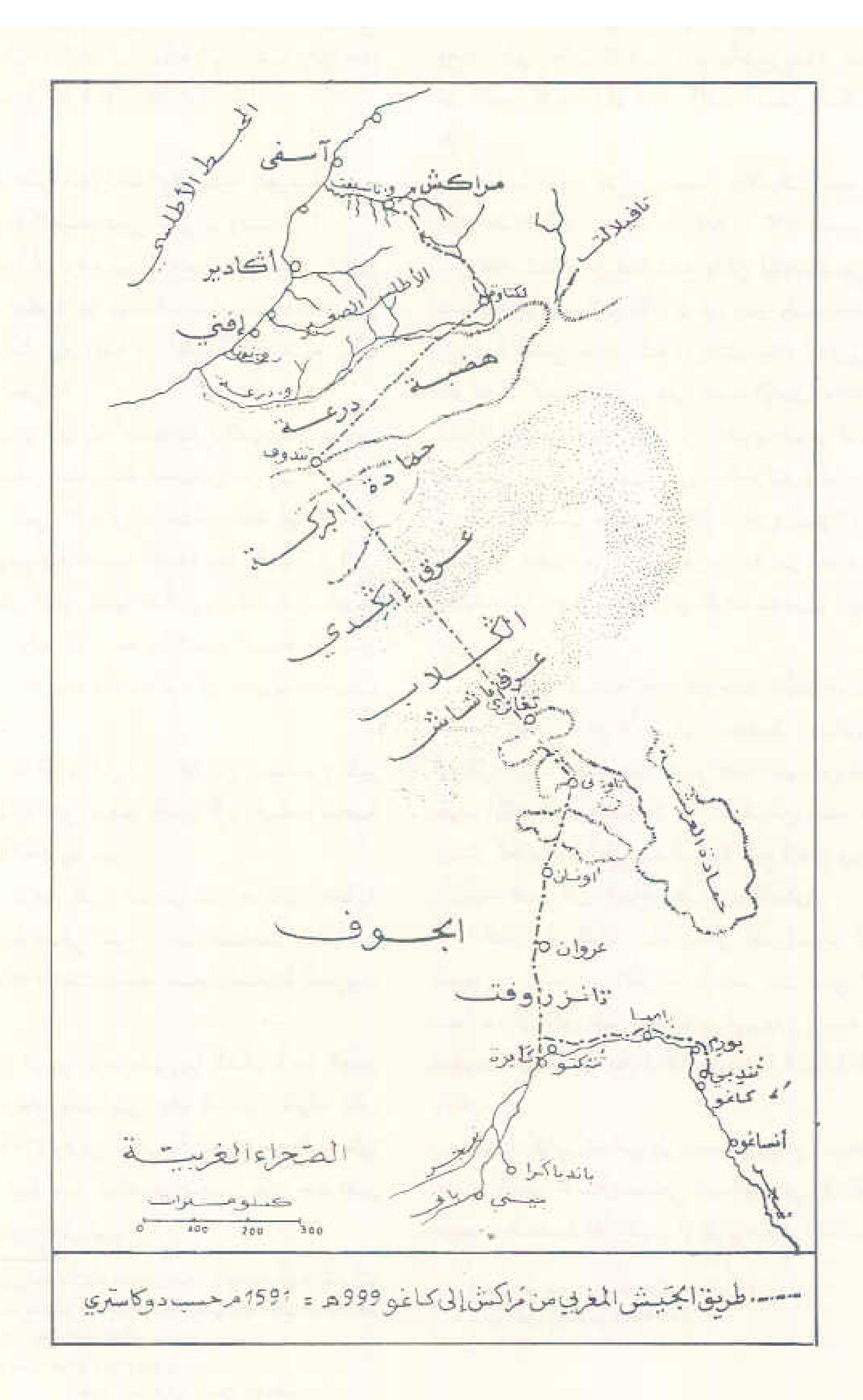
5) كان مما أخبرني به الأستاذ الرئيس علال الفاسي رحمه الله، أنه توصل من الأمير شكيب أرسلان برسالة يثني فيها على ما ورد في شعر الأستاذ علال حول هذه الواقعة :

وعد إلى السودان وارف ظله

بجيش كصبح في الدجى بثه الفجر

ثم يتراجع عما كان يراه حول الموضوع...

حاضر العالم الإسلامي 3، 41 ـ 42.



-----طريق الجيش المغربي من مراكش إلى كاغو 999هـ = 1591م حسب دوكاستري

صبح الأعشى عن الأتراك الذين استقدموا من مصر وكانوا يقومون على حراسة سلاطنة سنغاي.[6]

وبالرغم من أننا ما نزال ننتظر إفادات أرشيف اسطانبول حول هذا الموضوع، إلا أننا مع ذلك نذكر أن بعض المصادر المغربية تتحدث عن اتفاقية حلف بين سنغاي وتركيا أثناء وجود بعثة من سنغاي باسطانبول حوالي سنة 988 = 1581 أيام أسكية داود.[7]

وهناك حقيقة أخرى تتحدث عن تخوف مملكة بورنو من زحف أمبراطورية سنغاي عليها... الأمر الذي يفسر تطارح تلك المملكة بدورها على اسطانبول وإرسال سلطانها أبي العلاء ادريس إلى السلطان مراد الثالث طالبا للمواد العسكرية...

فعلا راحت بعثة سنة 984 = 1576 من ملك بورنو إلى اسطانبول تحمل رسالة إلى الباب العالي أجاب عنها هذا الأخير برسائل احتفظت أرشيفات اسطانبول ببعض مبيضاتها العربية والتركية وهي تحمل تاريخ 5 ربيع الثاني عام 985 = 23 يونيه 1577، وقد عهد إلى ممثل الباب العالي بتسليمها إلى بورنو.[8]

ويظهر أن انحياز الأتراك لمناصرة سنغاي في الأخير هو الذي كان وراء تقاعسهم عن الاستجابة لعروض مملكة بورنو...

ومن هنا تتحدث عن مبادرة السلطان أبي العلاء ادريس الثالث ملك بورنو بإرسال سفارة من لدنه إلى العاهل المغربي سنة 990 = 1582 فور شعور ادريس بالخطر الذي يهدده.

وقد خصت المصادر المغربية المعاصرة فصولاً طويلة لمقدم سفارة بورنو، وعن الاستقبال الضخم الذي خصص لها مما يبرر انشغال المنصور السعدي ورغبته من جهته في أن يترجم لملك بورنو عن مركزه بالمغرب سيما ونحن لا نجهل الحساسيات التي كانت تتملكه وهو يسمع عن الأطماع التركية في المنطقة...

ولنفتح كتاب (مناهل الصفا لأبي فارس الفشتالي) وزير المنصور السعدي لنقتبس منه هذه الإفادات ممزوجة ببعض الإيضاح.

«ثم وصل في أواخر عام 990 = أواخر 1582 رسول مملكة بورنو من[9] ملوك السودان، وجلب في هديته ما جرت عادتهم أن يجلبوه من مهادتهم... ووافى السفير أمير المؤمنين المنصور بالله بمعسكره على رأس الماء من ظاهرة فاس... ثم سلك به على سبيل الترقي إلى القبة العربية... قبل أن يؤدي الرسالة بين يدي أمير المؤمنين ويقضي فروض التهنئة ويعرب عن مقاصد مرسله في الاعتراف للإمامة الكريمة... ثم سير به إلى معسكر ولي عهد الخلافة العليا أبي عبد الله محمد الشيخ» إلى آخر الوصف الطويل العريض لهذه السفارة الإفريقية.

وقد كان الغرض البارز من هذه الوفادة هو على يؤكده الكاتب الفشتالي، طلب المدد من أمير المؤمنين بالعساكر والأجناد وعدد البنادق ومدافع النار لمجاهدة من يليهم بقاصية السودان...

وقد تجددت هذه السفارة بين مملكة بورنو... وانتهت في الأخير إلى عقد حلف بين المملكتين الإفريقيتين ضد التهديد الأجنبي من جهة وضد الإلحاد من جهة أخرى.

وهنا نرى من الفائدة لموضوعنا أن نذكر بما ورد في مخطوطة إسبانية معاصرة للأحداث مجهولة المؤلف نشرها الكونت هنري دوكاستر، ويرجح أن يكون المحرر لها أحد الدبلوماسيين الإسبان المعتمدين لدى البلاد السعدية من أمثال باثالزار (Bathalzar) قنصل الملك فيليب الثالث.[10]

---

6) القلقشندي : صبح الأعشى، 5، 282 ـ 297.

7) Les Relations entre le Maroc et l'Empire Sonhaï dans la Seconde moitié du XVIème Siècle P. 50.

8) ZAKARI DRAMANI ISSIEFOU : Les Relations entre le Maroc et l'Empire Sonaraaï dans le Seconde moitié du XVIème Siècle, Paris, 1975, p. 51 et 325.

9) كل المصادر العربية تكتبها بفتح الباء.

10) D castries : la Conquete du Sahara, par el Mansour 1591. Hesp 1923 P. 475-476.

لقد تحدثت المخطوطة الإسبانية عن قيام الأتراك بشن هجوم عنيف عن طريق مصر، على مملكة بورنو من اجل إخضاع تلك المملكة، ورغم أن المصدر المذكور لم يتعرض لتاريخ هذا الهجوم الذي يمكن أن يكون قبل أو بعد تقرب مملكة بورنو لدى ملك المغرب، إلا أن الأمر يدل على أن الأتراك ما انفكوا سائرين في مخططهم لتطويق المملكة المغربية بعد أن أعجزهم الاستحواذ عليها وضمها إلى إيالاتهم الأخرى : طرابلس وتونس والجزائر.

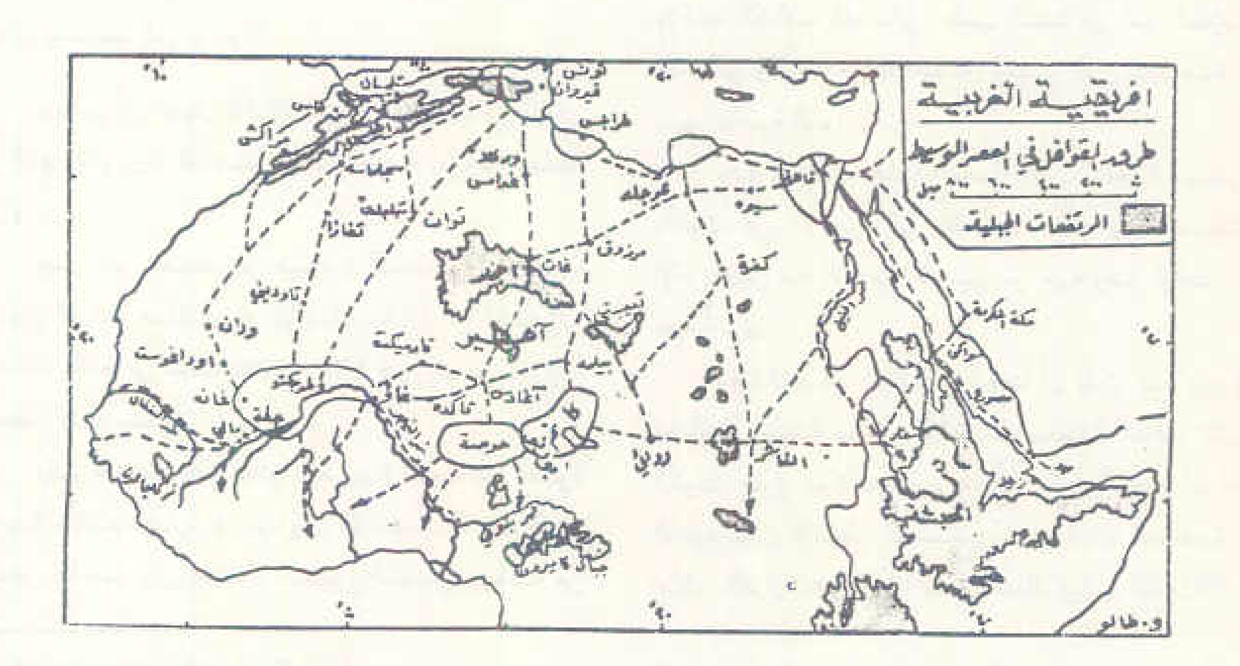
وقد ذكرت المخطوطة المذكورة أنه لم يقهر الأتراك سوى العطش وسوى مقاومة مملكة بورنو الضارية...

وبالإضافة إلى هذا، فإن المخطوطة تؤكد أن طائفة من الأتراك استسلموا أمام ملك بورنو الذي تراه يدخلهم في خدمته ويكون منهم فرقة أمست درعاً لبلاده التي كانت تتاخم بعض القبائل التي تناوئه.

لقد أصبحت مملكة بورنو أمام عدد من الاختيارات، فإما أن تسير في ركب الأتراك الذين أرهقوها بفرض الاتاوات عن طريق ولاتهم بالمشرق واما أن تستلم أمام حملات القبائل الوثنية أو المسيحية المجاورة، وإما أن تقبل شروط الأسكية داود الذي كان يطمح إلى ضم جميع الأقاليم إلى حكمه وإما أن تتحالف مع جيرانها المغاربة...

وهكذا تم اختيارها على مصادقة الجيران الذين أجهزوا بالأمس على سلطان البرتغال، الأمر الذي اشتهر ببلاد المغرب على ما نلاحظه أيضا في الرسائل المرفوعة إلى ملك المغرب من بعض عماله في الجنوب من الذين تحدثوا عن سفير مملكة بورنو.

وفي أثناء اتصالات مملكة المغرب مع مملكة بورنو، كان الخليفة أحمد المنصور يخطط أيضاً لإقناع أسكية سنغاي، سيما والأيام تثبت على التوالي تضاعف أطماعه للتوسع في الصحراء،[11] كما تثبت تقديم يد المساعدة من طرف السلطان المذكور للبرتغال، علاوة على اختيارهم الإيالات التركية الشرقية طريقاً لنشاطهم التجاري بدل المغرب. ان كل التقارير التي ترد من جنوب البلاد تؤكد المخاوف التي كانت تساور العاهل المغربي حول هيمنة محتملة للأتراك على بلاده والتمهيد لذلك بفرض حصار



(11) De castries : op. cit. p. 169.

عليها من الجنوب... وبالتالي اكتساب نافذة نحو المحيط الأطلسي !! أو لم يرسل الأتراك سنة 989 = 1581 وفادة إلى توات مؤلفة من بعض الشيوخ لإذكاء التمرد بالصحراء في بداية أيام الأسكية داود.[12]

إن كل المؤرخين الذين تحدثوا عن العلاقات المغربية التركية، سواء كانوا مغاربة أو غيرهم لاحظوا بوضوح آثار الجفوة المهولة والهوة السحيقة التي طبعت العلاقات غداة تحقيق المغاربة للنصر في وقعة وادي المخازن، فلقد طيّر السلطان المنصور أخبار المعركة إلى مختلف جهات العالم وأحاط القادة علما بتوليه الحكم وذلك بواسطة حركة ديبلوماسية مكثفة تحدثت بها التقارير السياسية وكان على رأس أولئك القادة سلاطين آل عثمان، السلطان مراد الذي بعث للسلطان أحمد المنصور سفارة تحمل هدية استقلها المنصور كما يقول المؤرخون، بل وأنف منها فتشاغل عن الوفد العثماني وتركهم مهملين بحضرته وتأخر عن الجواب...

وكان وزير الدفاع العثماني الذي يحمل اسم (علوج) يحمل الحقد الزائد للسلطان المنصور فلم يزل يسعى به عند السلطان مراد، ويذكر هذا السلطان بضرورة الحذر من ملك المغرب الذي لا ينسى أن رأس والده محمد الشيخ ظل معلقاً في اسطانبول ردحاً من الزمان، بينما بقيت جثته بالمغرب في مراكش..! وهو ثاني اغتيال سياسي يوجه لقادة المغرب من خارج المغرب بعد أن كان الأول يتمثل في الإمام ادريس الذي صفته عصابة بعثها العباسيون.

لقد تصعدت الأزمة حتى لقد أعطيت (علوج) الإشارة بمنازلة السلطان المنصور وهو ما يزال يعيش نشوة انتصاره على البرتغال وقد أدرك المنصور خطورة الأمر فتوجه بسفارة إلى اسطانبول كان لها في عرض البحر حديث طويل مع القائد المذكور... حوالي تاريخ 989 = 1581.

الحديث في تلك الجفوة يطول عند المؤرخين ولي عنها صفحات مسهبة في كتابي «تاريخ المغرب الدبلوماسي».

وقد قصدت بالإشارة إليها هنا أن أشرح كيف أن العثمانيين بقدر ما فوجئوا بالانتصار على البرتغال، كانوا يتشوشون من المغرب وقد حقق ذلك النصر المبين.

لنعد بعد هذه الإفادات التاريخية إلى علاقات سنغاي بالمغرب...

سبع سنوات من محاولات السلطان أحمد المنصور لإقناع الأسكية داود...

لقد تحدث الناس، وهم يستعرضون بواعث الحملة المغربية على سنغاي، تحدثوا عن حاجة المنصور إلى مورد مالي جديد... أن سنغاي تتوفر على مناجم الذهب، ووجد آخرون في السبب الديني مبرراً للحملة، فإن داود ليس من آل البيت وبالحري ليس قريشيا ولذلك فإن عليه أن يقدم بيعته وفق مبادىء الشرع الإسلامي - إلى من تتوفر فيه شروط الحكم.

وآخرون رأوا أن المنصور السعدي كان يرغب في ضم مملكة (تغازي) للمملكة المغربية على نحو ما كانت عليه في السابق !

وقوم قالوا إن المنصور كان يقصد إلى مجاهدة الوثنية ومحوها في تلك الأقاليم... وإن الذين يتتبعون غضون التاريخ لا يترددون في الاعتقاد بأن جل هذه الأسباب إن لم تكن كلها أسباب سطحية ولا تكون السبب العميق للمشكل...

إن الذين يتحدثون عن الباعث المادي كانوا يذكروننا بما قيل حديثاً عن المسيرة الخضراء وأنها كانت تهدف إلى كسب الفسفاط !

وإني على يقين بأن المنصور السعدي كان أعظم وأكرم من أن تخدعه جلجلة القطع الذهبية وأن الحقيقة أن موقفه كان على نحو موقف الحسن الثاني اليوم من تلك القولة.

لقد أكد جلالته باستمرار أن مبدأ الحفاظ على الوحدة الترابية أن له دور بارز في تقرير السياسة المغربية، وقد

---

12) ZAKARI, D.I. : op. cit. p. 330.

كتب في مذكراته أنه ليس للمغاربة عقلية «أغنياء الحرب» ولو كان لي الاختيار ـ يقول العاهل ـ بين عودة هذه الأراضي وبين الفشاط لاخترت بكل اطمئنان التخلي عن الفشاط !

إن الأمر كان أكبر من المال.... وأكبر من تحرير عقد بيعة للسلطان المنصور... والأمر كذلك أكبر وأعظم من أن يتعلق باسترجاع منجم من مناجم الملح أو الذهب...

ولكن الأمر كان يتعلق بخوف شديد يستبد بالعاهل الذي كان يتأكد بأن الإسبان والأتراك لايترددون في نسف حكمه متى سنحت الفرصة.

إن الأتراك من جهة والإسبان من جهة أخرى تجمعهم مصلحة واحدة تتلخص في إضعاف المغرب وإنزافه... إن الأسباب العميقة ترجع للتهديد والوعيد... الأمر الذي يفسره تبادل الغارات بين الطرفين وتبادل الشتائم والتراشق في الكلام الذي كان يبدو واضحاً من خلال الفتاوي التي كان العلماء يصدرونها حول استغلال المعادن.[13]

لقد كان الاستعمار الأوروبي والمد التركي يتجه نحو المنطقة يوما عن يوم، وان تسلط أية جهة على سنغاي كان يهدف نسف المغرب، أو بالأحرى حمله على تبعية جهة ما، وكان هذا يعني بالنتيجة فصل إفريقيا عن العالم العربي.

ومن هنا أثيرت قضية التقليد الخلافي الذي منح لسنغاي من طرف الأتراك... وهل موقف سنغاي الموالي للأتراك وللإسبان كذلك جدير بأن يجعل له حد، ليس فقط لصالح المغرب ولكن لحفاظ إفريقيا على «أفريقتها» دون ما أن يسمح «للعنصر العجمي» بالتسرب لداخل القارة...

وأملا في تحقيق هذا الهدف بعث السلطان المنصور برسالة جديدة إلى الأسكية إسحاق وفي هذه الرسالة يذكر العاهل المغربي سلطان سنغاي بالدور الذي ينبغي أن تقوم به مملكته كترس حصين يحفظ السودان من طواغيت الشرك...

وقد وصل المبعوث المغربي الذي كان يحمل الرسالة الملكية في صفر 998 = دجنبر 1589 حيث يتحدث المؤرخ السعدي عن رؤية المستندات، ومن الطريف أن نجد رسالة من الأسكية إسحاق إلى السلطان أحمد المنصور يقول فيها «إن جد آل أسكية يمني حميري من ذرية سيف بن ذي يزن الذي بشر جد النبي بما سيكون عليه حال الحفيد ﷺ، فيكون ابن ذي يزن آنذاك قد آمن بالنبي العربي قبل ظهوره».

ونذكر هنا أن هذه النسبة، أعني نسبة قادة سنغاي إلى اليمن فاجأت بعض المعلقين من المستشرقين الذين أوردوا ـ مع ذلك ـ الحديث الذي رواه صاحب كتاب «النزهة» عن الإمام التكروري عندما قال : إن أسر أسكية إسحاق ذكره بما تقتضيه نسبته إلى الأصل العربي...»

وقد كان جواب أسكية إسحاق على سفارات السلطان المنصور ورسائله سببا في تصعيد حالة التوتر الموجود فعلا بين الطرفين...

وأنا على مثل اليقين إن لم يكن اليقين كله، من أن العنصر الأجنبي لعب دوراً جدا هام في تعميق الهوة بين سنغاي والمغرب... ولابد أن الكتاب والمحررين كانوا يعملون بوحي من جهات بعيدة عن الساحة الإفريقية العربية ما في ذلك شك...

مهما يكن فقد جمع السلطان المنصور مجلس الشورى لعرض الأمر عليه، وليس يهمنا هنا أن نعرض لتفصيل المداولات التي جرت بين المستشارين، ولكن الذي يهمنا أن نقرأ في عرض العاهل المغربي هذه الجملة التي تحمل كل مشاعر الخوف من أن تندس بين إفريقيا والعرب عناصر أجنبية عن المزاج الإفريقي العربي.

---

13) تخضع مسألة استغلال المعادن لقضية : هل أرض المغرب فتحت صلحا أو عنوة والقضيتان تأخذان حيزا واسعا في كتب التاريخ والفقه الاسلامي.
الجزنائي : جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ـ نشر الفريدبيل، طبعة الجزائر، 1923، ص 5 ـ 22.

لقد تدخل السلطان المنصور ليخاطب المستشارين بهذه العبارة... والأقاليم الإفريقية قد شغلت لهذا العهد بمن استولى عليها من العجم على حد تعبير أبي فارس عبد العزيز الفشتالي في كتابه مناهل الصفا، وكان شاهد عيان...

«فصرف الوجهة لأصقاع الجنوب وممالك السودان أحق وأولى بالتقاف العزائم... فهي وإن كانت أصعب مراما فإنها أغزر نفعا... على الاستكثار من الأسطول لغزو عدو الدين والإجلاب عليه في عقر داره حسبما هو مبنى النية الصالحة»...

إن سياق الحديث يوحي بأن السلطان المنصور يقصد بالعجم جهتين اثنتين : فهو يقصد إسبانيا التي ورثت البرتغال بعد وقعة وادي المخازن، ولكن الذين يعرفون لغة المنصور ويعيشون صراعه الظاهر والخفي مع الأتراك لا يسعهم أن يتجاهلوا أن القصد أيضا إلى الأتراك، ولذلك فإنه قبل أن نعيش أيام الصدام المؤسف الذي شهدته الساحة الإفريقية أثناء سنة 999 ـ 1000 = 1591 ـ 1952 نرى لزاماً علينا أن نستعرض وثيقتين معاصرتين... وكلتاهما ترسم صورة كئيبة للتداخل الأجنبي أو (العجمي) ما سماه السلطان المنصور أمام مجلس الشورى.

الوثيقة الأولى : عبارة عن التقرير الذي وقعه ميلشيور بيطوني (Mélchior de Petoney) من جزيرة أركين (Arguin) جنوب الرأس الأبيض إلى دون ميكيل دي مورا (Don miguel de moura) كاتب الدولة في لشبونة بتاريخ 20 يناير 1591 حول التجارة السرية المزدهرة داخل القارة الإفريقية :[14]

«...أما فيما يتعلق بالتجارة مع هذه الجزيرة أركين، فإن معاليكم يجب أن تكونوا على بينة أنه إذا كان على جلالة الملك أن يرسل في كل عام إلى هنا مركبين أو ثلاثة مراكب محملة بالبضائع الهولاندية والإسبانية كالأساور والسكاكين والأجراس والكتان والمرايا وبعض الحاجيات الصغيرة الأخرى، فإن جلالته يستطيع أن يقوم بأعمال وافرة الخير هنا، فعلى بعد خمسين فرسخاً في داخل البلاد يملك السكان المحليون (Meors) مناجم عديدة غنية بالذهب إلى درجة أنهم يحملون ذهبهم إلى هذا الحصن للتجارة والتبادل معنا، ومقابل حاجيات بسيطة تافهة يعطوننا قطعة ضخمة من الذهب، ولأنهم لايجدون سلعا للتبادل هنا، فإن هؤلاء السكان من المدن يحملون ذهبهم إلى مدينة فاس على بعد 250 فرسخاً، هناك يستبدلون الذهب بالحاجيات أو السلع المذكورة أعلاه، وبهذه الطريقة أيضا يستطيع جلالته أن يوقف هذه التجارة ويحول دون حصول ملك فاس على هذه الكمية الضخمة من الذهب... فالثياب القرمزية اللون والبنفسجية تلاقي إقبالاً كبيراً في هذه الأنحاء، والأرض خصبة إلى حد كبير في داخل البلاد وتنتج كميات كبيرة من الحنطة ولحوماً من كافة الأنواع وكمية وافرة من الفاكهة وكذلك فإن كان ممكنا فإنه يستحسن أن تتصلوا بجلالته لكي يرسل هو بنفسه مركبين أو يأذن لمعاليكم بالتبادل التجاري معنا، وإننا نتوفر هنا على مرفأ صالح جدا تستطيع المراكب أن ترسو فيه على مقربة من الحصن.

والبلاد التي تقع فيها جميع مناجم الذهب تسمى مملكة دارها (Darha) وفي هذه المملكة عدد كبير من المدن والقرى، وفي كل مدينة وبلدة متنفذ مع عدد من الجنود وهؤلاء الحكام المتنفذون هم أسياد المدن وأصحابها، وهناك مدينة بين هذه المدن تدعى كوتون (Cauton) وأخرى كزوينجطن (Xonigeton) كما أن هناك مدنا أخرى توبكير (Tubguer) وأزرك (Azrgue) وأمادير (Amader) وكاهيرك (Quaherque) وكذلك بلدة فاراو (Farao) وهذه المدن كلها عامرة وكبيرة ويقطنها سكان المدن، كما أنها غنية بأنواع كثيرة من المواشي وبالشعير والتمور وتوجد هنا كميات وافرة من الذهب فوق الرمال بجانب الأنهار إلى درجة أن السكان المذكورين من المدن يحملون هذا الذهب شمالاً إلى مراكش، وجنوباً إلى مدينة تومبوت

---

(14) De castries : Sources inedites, Serie Saadienne Angleterre, II, p. 44-45.

(Tombut) في بلاد الزنوج، وفي مدينة تقع على بعد 300 فرسخ من إمارة دورها (Dorha) وهذه المملكة هي على بعد 60 فرسخاً من هذه الجزيرة ومن حصن أركين (Arguin).

لذلك أتوسل إليكم أن تطلعوا صاحب الجلالة على كل ذلك، لأن المدن والقرى المذكورة ليست أبعد من سفر عشرة أيام من هنا، وإنني أتمنى من كل قلبي لو استطاع صاحب الجلالة أن يرسل تاجرين أو ثلاثة لكي يطلعوا على حالة البلاد ووضعها ويسافروا إلى المدن المذكورة ويتعرفوا على مدى ثروتها التجارية، فأي رجل يستطيع أن يسافر بأمان في تلك الأماكن، وهكذا ودون أن أزعج معاليكم بالمزيد من التفاصيل أستميحكم لإنهاء رسالتي.

وحرر في جزيرة وحصن أركين (Arguin)
في 20 يناير 1591 خادم معاليكم :
ميلشيور بيطوني

وبعد هذا التقرير الذي لا تخفى دلالته وآثاره على مملكة كالمغرب والذي كتب قبيل الصدام بين المغرب وسنغاي، بعد ذلك نريد أن نسوق هنا أهم مقاطع نسخة من رسالة فريدة بعث بها السلطان أحمد المنصور الذهبي إلى إحدى الشخصيات المشرقية الكبرى من التي اعتاد المنصور أن يراسلها والتي كان يهمها الوضع السياسي للأقاليم الإفريقية على ذلك العهد، وهو مخطوطة تقع ضمن مجموعة تحتفظ بها الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك/278.

وهذه الرسالة رغم أنها لا تحمل تاريخا ولا تحدد مكاناً، بل ولا تعين اسم الجهة التي تقصدها الرسالة، إلا أننا نستكشف من ثناياها أنها تتعلق بموضوع المواجهة المسلحة بين المغرب وسنغاي، كما نستكشف أنها أي الرسالة كتبت بعيد المواجهة المذكورة...

«والذي يتقرر لديكم أنه منذ هلك فلان صاحب كذا (أسكية الحاج سنة 994 = 1586 ملك سنغاي) فسدت في تلك البلاد الأحوال وظهر الاختلال وتبدلوا الشرائع، فلم يضرب قط بين اثنين منهم عقد نكاح، ولا وقع التزواج على وجه مباح... مع ما هم عليه من التشبه بأهل الأصنام في اتخاذ التصاوير والتماثيل وضرب النواقيس ونزع القلانس عند السلام... فرفعنا عن تلك الجهة غائلة عدو الدين... فإن صاحب بلد كذا كان ملك الكثير من سواحل البلدان، ولما تغلب الطاغية (فيليب الثاني) على فلان (البرتغال) زاد استئسادا فوق ما كان وزاداد شرها إلى الاستيلاء على القاصي منها والداني، لكونه كما لايخفى أقوى من صاحب كذا يدا وملكا وسلطاناً، ولقد ملك اليوم من سواحل البلاد كذا وكذا وبلغ به الشره لالتهامها حتى نقل إليها الرجال من ثغوره وجعلها أهم أموره، واحتفل لها باتخاذ سفن يريد بها ملك مسرب الماء منها في البحر، ثم اتخذ سفنا أخرى صغاراً ليتأتي له تصعيدها مع الماء حتى يستولي على سائر البلاد الكدائية ويورثها الكفر... مع أن أمرها أسهل عليه من كل متناول لما يتأتى له من سرعة الوثبة عليها بأسطوله الذي يسافر به إلى الهند على الدوام ذاهبا عليها وجائيا، ولما خشينا على من بها من المسلمين سوء المغبة... وخفنا أن أهملنا عدو الدين حتى يصل أممها المتراكمة السواد الوافرة الأعداد، أن يستشري الداء ويغور الدواء، وعلمنا من ذلك أن أهل البلاد لايطيقون عن أنفسهم دفاعاً... ووافق ذلك ما كان من استدعائهم لنا واستجارتهم بنا وموافاة إرسالهم إلينا وتطارح وفودهم علينا.... تعينت علينا إجابتهم فتوجهنا إليها حماية للإسلام وتخذيلاً لعباد الأوثان والأصنام، لا لأجل مطمعة أو منفعة وإلا فنفقاتها إلى اليوم هي من عندنا ومن طريقنا وبلادنا... وهي اليوم من كل ما يخاف منه آمنة مطمئنة وأكابرهم كلهم عندنا هنا وهناك، قد انثالوا على إيالتنا ومغتبطين بولايتنا شاكرين ما شملهم وشمل بلادهم من معداتنا...» إلى آخر النص الذي أوردناه بكامله في كتابي «تاريخ المغرب الدبلوماسي» (فصل العلاقات المغربية التركية).

فهذه الوثيقة أيضاً مما يكشف عما كان يقصده السلطان أحمد المنصور بكلمة (العجم) الذين يهيمنون على الديار الإفريقية كما يكشف عن مدى اهتمام الأتراك بالموضوع وتدخلهم في الشؤون الإفريقية...

لقد قصدت بإيراد محتوى هذين الوثيقتين التدليل على أن ما كتب لحد الآن عن أسباب الصدام بين مملكة المغرب ومملكة سنغاي، كان مما يحتاج إلى تدقيق نظر

إن لم يكن محتاجا إلى مراجعة شاملة، إذ ليس من السهل علينا أن نقتنع بوجود شهوة مغرضة من ملك كالمنصور في مواجهة مسلحة عمل كل ما في وسعه على تجنبها...

لم تكن نيتي في هذه الورقات أن أتعرض لتفاصيل هذا الاحتكاك الذي أدى كما هو معلوم إلى نهاية مملكة سنغاي، لكن الذي حدا بي إلى التركيز على هذه الإشارات هو لفت نظر الزملاء الذين كتبوا أو يكتبون على هذا الصدام... إلى الحذر من مسايرة أسلوب بعض المؤرخين الأجانب الذين كانوا يكرعون من معين واحد، أنه لابد لهم أن لا يغفلوا عن ظروف المنطقة وتخوف المغرب من كل تدخل خارجي كيفما كان لونه وشكله في إفريقيا... يجب على المؤرخين لهذه الفترة ولهذه المواجهة بالذات أن لا يغفلوا عن أن المغرب أصبح منذ طرد العرب من الأندلس يعيش في الحالة استنفار نظرا لما كان يحيط به من كل جانب، وانه نتيجة لذلك ظل حذرا من كل حركة في المنطقة، ظل مستعداً للجواب عن كل بادرة !

لقد كان مبعث الصدام ـ كما سمعنا ـ من تدخل السلطان المنصور وكما تؤكده الوثيقة الأولى والثانية هو التدخل الأجنبي في الشؤون الإفريقية.

ولهذا فإن الاحتكاك كان مظهراً من مظاهر الصراع من أجل مبادىء معينة : المبدأ الذي لايرى مانعاً من الاستعانة بأجانب، والمبدأ الذي يعتبر إقحام الأجانب في إفريقيا، ليس من شأنه أن يحفظ استقلال القارة الإفريقية والتزاماتها فيما بينها... ولابد من أن نعيد إلى الذاكرة هنا أن الحكومة المغربية أخذت تتحدث بعد هذه الأحداث عن طرد الأتراك من شمال إفريقيا، بل وعن تخليص العراق والشام، أيضاً من الأتراك، أما بالنسبة إلى الإسبان فإن من المهم أن نعرف أن السلطان أحمد المنصور أخذ يفكر في إضعاف اسبانيا عن طريق تصفية مستعمراتها بالهند الشرقية والغربية تمهيداً لنصرة قضية العرب بالأندلس.

ومن هنا جاءت سفارة الكاتب عبد الواحد عنون إلى الملكة إليزابيث الأولى في نهاية القرن السادس عشر (رمضان سنة 1008) على ما ذكرته المصادر الأروبية التي عالجت تاريخ المغرب الدبلوماسي.

وقد كتب السلطان المنصور باعتباره أحد أقطار القارة الإفريقية، كتب إلى قادة المشرق بمجرد ما تفاهم مع هولاندا في شأن اسبانيا كتب إلى شرافة الحجاز التي كانت تمثل آنذاك الجناح الأيمن للعالم العربي والإسلامي السلطنة العربية الشرعية...

لقد أرسل إلى الشريف أبي محاسن حسن بن أبي نمي صاحب مكة والمدينة خطاباً بواسطة السفير الشيخ محمد بن عبد القادر.

كما كتب إلى قاضي القضاة المالكية بمصر الشيخ أبي عبد الله محمد بن البكري الصديقي وإلى الشيخ أبي عبد الله محمد بدر الدين القرافي...

وكان مضمون الرسائل أخبار قادة المشرق بالقرار الذي اتخذه المنصور باسترجاع الأندلس...

لقد أدركت الوفاة السلطان المنصور دون أن تتحقق جميع مشاريعه ودون أن تظهر جليا آثار تدخله في إفريقيا بهدف القضاء على وجود «العجم» بها.

ومهما قيل عن المبررات التي دفعت بالمنصور إلى حركته تلك أو دفعت بإسحاق إلى موقفه ذلك، فإن أحداً لا يستطيع أن يتجاهل الآثار الإيجابية التي كانت لهذه الحركة، خاصة فيما يتعلق بتعميق الشعور العربي في تخوم إفريقيا...

لقد عملت تلك الأحداث فعلا على تثبيت الثقافة العربية بتلك الجهات كما عملت من جهة أخرى على تغذية البلاد العربية بطائفة من الأفكار التي انبثقت عن العلماء الأفارقة...

أمامي الآن عدد من المحاورات التي جرت بين فقهاء تلك الجهات وفقهاء هذه الجهات تلك المحاورات التي قربت المسافة بين الفكر العربي والفكر الإفريقي إن صح أن الفكرين يتميزان أحدهما عن الآخر. حوار الشيخ أحمد بابا مع السلطان أحمد المنصور حول الجهة التي كانت

تستحق أن تنال من اهتمام المنصور وهل هي جنوب المغرب أو شرقه ؟

وأمامي نماذج من الرسائل والاستفتاءات التي بعث بها السلطان المنصور إلى مشايخ الأزهر حول استمزاج رأيهم فيما أبداه علماء المغرب...

يضاف إلى هذا ما ظهر ببلدان إفريقيا ذاتها من مؤلفات وفتاوي حول الحالة الحاضرة.

إن جولة قصيرة في تلك الجهات تدل على أن تلك الحركة على الرغم مما احتف بها كانت جسراً من الجسور القوية التي أحكمت الوثاق بين العالم العربي وغرب إفريقيا على الخصوص بل وبالسودان الحالي كذلك.

إن كثيرا من الفضل في إحكام الصلات بين الأفارقة والعرب يرجع لردود الفعل التي خلفتها تلك الحركات والهجرات التي انسابتا في جنبات إفريقيا، وأنه بفضل تلك التفاعل أمكننا اليوم أن نجد في قلب إفريقيا أصولا عربية لا تقل إتقانا وإحكاما عما عهد في البلاد العربية الأخرى، فلقد عين السلطان أحمد المنصور القضاة في كل مكان وأجرى الأحكام الشرعية ونشر لغة القرآن.

وإن مجرد إلقاء نظرة على ما خلفته المنافسات بين المذاهب الإسلامية في المنطقة ليؤيد ذلك الأثر الذي خلقه الوجود العربي بين ظهراني الأفارقة...

ولا بد لي أن أذكر بهذه المناسبة بأنه لم يكن من قبيل المجازفات في القول ما أبرق به الرئيس سيكوتوري إلى مجلس الجامعة العربية الذي انعقد بالدار البيضاء في أوائل الستينات أبرق يعلن في رسالته تضامن الشعوب الإفريقية مع الشعوب العربية في النضال ضد الاستعمار، ويؤكد فيها أن علاقات إفريقيا بالعالم العربي علاقة قوية تعود إلى مئات السنين.

ورغم أن الملوك السعديين بعد وفاة أحمد المنصور تعرضوا لظروف داخلية قاسية فقد ظلوا على صلة تامة بتلك الجهات يستفيدون منها ويفيدون ونذكر على سبيل المثال مأثرة يرجع الفضل فيها لذلك الاتصال، ويتعلق الأمر بانتشار الحرف العربي وتمكن الدين من القوم في أواسط إفريقيا، الأمر الذي يفسره كل سنة تجمع الحجاج في شكل قوافل لقصد الحجاز أداء لمناسك الحج وتعرفا على ذلك العالم الآخر.

وقد شاهدنا أيضا أواسط القرن الحادي عشر الهجري = السابع عشر الميلادي عدداً من الانتفاضات في المغرب، كانت تستهدف مناصرة الوجود العربي في إفريقيا ومناهضة المد التركي الذي كان لا ينظر إلى اللغة العربية، ولا إلى العنصر العربي بنفس النظرة التي يخصصها للغة التركية والنعصر التركي...

إن العثمانيين أتراك قبل كل شيء، أي أنهم ليسوا عرباً، والإيالات المغربية بالعربية، بل وتعتبر نفسها عربية... وهم أي الأتراك ليسوا أفارقة، والممالك الإفريقية تعرف بلاد المغرب قبل أن تتعرف على بلاد أخري.

ومن هنا قرأنا عن الحملات التي كانت تشن بين الفينة والأخرى ضد النفوذ العثماني سواء منها الحملات الدبلوماسية أو الحملات المسلحة.

وقد كان في أبرز الذين حملوا على الأتراك المواطن الإفريقي الأمازيغي، أبو القاسم الزياني الذي استغرب ذات يوم من أنهم أي الأتراك إذا استحسنوا من شخص ما عملا من الأعمال واكتشفوا أن القائم به عربي، قالوا : ما ألطفه لولا أنه عربي !!

وهي حملة من الزياني لها دلالتها التي لا تخفى، فقد كان ينتسب إلى أسرة أمازيغية من صميم إفريقيا لقد نشأ في أحضان الأسرة المغربية التي عرفت أوج أيامها في عهد المرابطين وعهد الموحدين عندما ازدهر قلم الإنشاء العربي في دواوينهم وفي مراسلاتهم الداخلية والخارجية حيث وجدوا فيه أي في الحرف العربي علاوة على قداسته وجدوا في الوسيلة الكفيلة بالتفاف البلاد على كلمة واحدة...

لقد قرأنا في الرسالة التي بعثها أول ملوك الدولة العلوية إلى أحمد عصمان بتاريخ 1064 = 1654 قرأنا شجبه للمد التركي في تونس وتلمسان وانتقاده صنيع الحكام المغاربة السابقين الذين لم يسعوا لتصفية تلك الأمصار من

وجود الأعجام على حد تعبيره. كانت الرسالة من إنشاء الشيخ التاجموعتي والقاضي رضوان ونصها الكامل محفوظ بالخزائن المغربية وهو يعبر بصفة غير مباشرة عن أن التقارب بين العرب وبين الأفارقة لم يكن محل نقاش وعلى العكس من ذلك وجدنا التشنج على أشده بين الأفارقة العرب من جهة، والأتراك من جهة أخرى...

لست أقصد بمثل هذه الإفادات النيل من المد التركي في جل أقطار الشال الإفريقي ولكنني أقصد إلى القول أن تجاوب إفريقيا مع العالم العربي كان ظاهرة واضحة المعالم....

وإلا فماذا نفسر تطارح شراقة مكة والحجاز على مملكة المغرب وهو من صميم إفريقيا، رافعين عقيرتهم بالشكوى من معاملة الأتراك لهم طالبين العون والغوث...

وبماذا نفسر التقارب الملحوظ بين مختلف تلك الأقطار العربية وبين المغرب الذي يعتبر البوابة العملية لغربي القارة الإفريقية...

لا بد أن نجد في كل ذلك معنى انسجام القارة مع إخوانها العرب ووقوفها مع المغرب لصالح صلات مستمرة ودائمة...

وقد قامت تركيا سنة 1103 = 1692 بتقديم شكوى من المغرب إلى ملك فرنسا لويز الرابع عشر، تزعم فيها أن اتفاقا مزعوماً أبرم بين مملكة المغرب وإيالة تونس لتصفية الوجود التركي بإفريقيا !!

وقد وجدنا في الوقت ذاته خطابات تهديد للمملكة المغربية من اسطانبول حيث تساءلت تلك الخطابات عن السبب في عدم تحرير بقية الثغور المغربية والاستغلال بوجود الأتراك في إفريقيا، الأمر الذي لم يتردد السلطان مولاي اسماعيل في الجواب عنه مخاطبا الأتراك بما مفاده :

«وماذا منعكم أنتم من تحرير وهران إلى الآن مع أنها في متناول اليد ولكنكم عوض صرف الجهد في تخليصها تسمحون لأنفسكم بإذاية الأعراب هناك».

وحتى نتصور جيدا كيف أن هذا البلد الإفريقي كان يتطوع لحماية الإيالات الإفريقية من كل تدخل أجنبي، ليس فقط من الجانب التركي، ولكن من الجانب الفرنسي كذلك... ينبغي أن نرحل إلى الأرشيف الفرنسي لنجد من جهة أخرى رسالة احتجاج قوية اللهجة تصدر عن المغرب إلى فرنسا بصدد الاعتداء الذي وقع على تونس من طرف الجيش الفرنسي.

ويتعلق الأمر بالقلق الشديد الذي عم المغرب وهو يسمع عن قصف المدفعية الفرنسية لمدينة سوسة في أعقاب رفض الباشا أبي الحسن علي باي إرضاء المطالب الفرنسية المتعلقة بتسريح المرجان من بحر طبرقة وتقديم المساعدة للأسطول الفرنسي، حتى يحتل كورسيكا إلى مطالب أخرى... لقد هال المغرب أن تتعرض تونس للعدوان نتيجة لرفضها التواطؤ ضد بلد افريقي آخر، وبالتالي رفضها للخضوع أمام تلك المطالب المجحفة...

وهكذا نجد رسالة تحمل تاريخ 6 ذي القعدة 1184 = 1770 موجهة من العاهل المغربي إلى لويس الخامس عشر، وقعها عنه الوزيران المعروفان : أحمد المهدي الغزال، وعبد الهادي السلاوي.

لقد أعطى الملك محمد الثالث مهلة أربعة شهور لكي تعيد فرنسا النظر في سياستها إزاء تونس، وإلا فإنه مضطر لإشهار الحرب على الدولة الفرنسية الأمر الذي جعل فرنسا تجيب عن الاحتجاج موضحة الأسباب التي دفعت بها لقصف المدينة...

وفي إطار التقارب بين الأفارقة والعرب ضد الدخيل الأجنبي نشير للاتفاق السري الذي أبرم بين ملك المغرب وداي الجزائر، والذي كان يهدف للعمل يدا واحدة لتطهير السواحل المغربية من الاحتلال الاسباني (من وهران إلى سبتة) على ما تذكره المصادر الأروبية.

إن ذلك الاتفاق ـ لو أنه نجح ـ لكان خاتمة المطاف في تاريخ الاحتلال الاسباني للثغور المغربية... لكن المناورات الأجنبية أفشلت ذلك التقارب وهي ـ أي المناورات الخارجية ـ ظاهرة كما قلنا تتصدى لكل محاولة وطنية تهدف لتكتل الأفارقة والعرب...

ولا بد لنا ونحن نستعرض مظاهر التقارب التلقائي بين الأفارقة والعرب أن نشير أيضا إلى الإنذار الذي وجهه

المغرب إلى الدول الأروبية التي كانت تهدد الجزائر وتعتزم اقتحام ترابها أواخر عام 1199 = 1785، لقد كان مما ورد في الإنذار : «فالذي قبل منهم ـ أي من الأجانب ـ كلامنا ورجع ولم يدخل الجزائر وغيرها من مراسيهم فنحن معهم على الصلح والمهادنة كما كنا والذي أراد منهم دخول الجزائر ومراسيهم ولم يمتثل ما أمرناه به فنحن معه على المحاربة» على حد تعبير التصريح الملكي الذي يحتفظ به أرشيف المكتبات الأروبية...

ولقد تجسم هذا التقارب وتجسد حتى لأصبح موضوعا للتقارير الدبلوماسية التي يجريها السفراء.

وأعتقد أنه من المفيد لتصور الموضوع أن نستعرض هنا تقريرا سريا رفعه السفير اسماعيل افندي بعد مهمة له من الباب العالي لدى الملك محمد الثالث... إن التقرير الذي يحمل تاريخ 15 ربيع الأول عام 1201 ـ يناير 1787 يعطي صورة واضحة لما نسميه اليوم التقارب الافريقي العربي، حيث شاهدنا رأي العين تلاحم الأفارقة الذين يوجدون على شط المحيط الأطلسي مع العرب المتواجدين على البحر الأحمر على الرغم من سائر أنواع المقاومة التي كانت تبديها تركيا لكسر ذلك الانسجام بين هذا الجناح وذلك الجناح.

قال السفير التركي في هذا التقرير :

«...لقد حضرت مع العاهل المغربي صلاة الجمعة بمسجد السُّنة وقد تبين لي أن ملك المغرب مستعد لتقديم جميع ما في خزائنه من مال للقضية الإسلامية التي تظل المعين الصافي الذي يجتمع حوله الأفارقة والعرب بدون تمييز... وقد فهمت من مولاي محمد (محمد الثالث) أنه يعتب على الباب العالي ضعفه أمام الظلم الذي يحيق بالعرب وآل البيت في ولاية الجزائر...

«وفي أثناء إقامتي ـ يقول السفير اسماعيل افندي ـ ورد على المغرب من أعراب الجزائر يحكون عما يلقونه من عنت وظلم يمجهما العقل ويرفضهما الشرع... ان الاحترام الذي يتمتع به الملك محمد الثالث في سائر أقطار افريقيا من شأنه أن يعجل بأيامنا في تونس وطرابلس إذا لم يقم الباب العالي بأخذ زمام المبادرة...».

ويختم التقرير بتنبيه الباب العالي «إلى أن ذلك الاحترام الذي يتمتع به العاهل المغربي يتعدى الساحة الافريقية إلى بلاد المشرق فلا ننسى أنه يصاهر أشراف مكة، فقد زفت الأميرة لبابة ابنة الملك محمد الثالث إلى الأمير سرور سنة 1182 = 1769، بينما زفت الأميرة حبيبة إلى ابن الشريف سرور وأنه بالفعل ابن عم لأشراف الحجاز، وقريب كذلك حكام اليمن، وفوق هذا فإن مصر موالية له بحكامها وعلمائها...».

لقد كان التقرير صادقا إلى حد كبير عندما رسم للسلاطين الأتراك تلك الوشائج القوية التي تربط بين قادة افريقيا وبين العالم العربي والتي مآلها حتما إلى لقاء سواء أرضي الباب العالي بذلك أم لا ؟

إنه ينبغي لنا لكي نتصور جدية التقرير فيما يتعلق بالتقارب والترابط بين الديار الافريقية والبلاد العربية... أن نقف قليلا أمام ظاهرتين اثنتين :

أولاهما الخطابات والرسائل المتلاحقة التي كانت تنطلق من قادة المغرب إلى قادة المشرق وكلها تجعل الحديث عن اتصال الأنساب لازمة لها تبتدئ بها قبل الخوض في الموضوع الذي خصصت له الرسائل...

ثانيتهما أن الخزينة المغربية (بيت المال بالمصطلح القديم) كانت تخصص سنويا مبالغ سنية تتقدم بها على شكل مساعدات للقبائل العربية الموجودة في شبه الجزيرة العربية وأطرافها.

ان تاريخ الجزيرة العربية يجب أن ينشده الباحثون في خارج الجزيرة العربية في القارة الافريقية، والعكس صحيح أي أن على الذين يبحثون في تاريخ افريقيا أن ينشدوه في الجزيرة العربية وهذه الأطروحة وحدها تبين مدى التكامل والترابط والتقارب الذي يوجد بين الطرفين...

نحن أمام وثائق مخطوطة توجد ليس في الأرشيفات الوطنية ولا في الخزائن العامة ولكن في نظارات الأوقاف بمدينة فاس... تتضمن هذه الوثائق كشفا بالمبالغ التي أرسلت من غرب افريقيا لأهل ينبع وأهل بدر وأشراف

الحجاز السجلماسيين والعلميين وغيرهم بمكة والمدينة والوادي والطائف وجدة واليمن أيضا...

ولا بد أن نعرف أن الأتراك كانوا لا ينظرون بعين الرضى للصلات الوثيقة التي كانت تربط افريقيا بالمشرق وبخاصة أمراء الجزيرة العربية، بل إنهم أي الأتراك كانوا يعتقدون أن مساعدة المغرب لأعراب الحجاز تهدف إلى إضعاف مركز العثمانيين ليس فقط في الحجاز، ولكن كذلك في إيالات الشمال الافريقي...

وإذا كان علينا أن نعالج أسس الحوار بين الأفارقة والعرب، فإن من الواجب علينا أن لا ننسى الحوار والتفاهم بين الأفارقة فيما بينهم، وبين العرب فيما بينهم كما قلنا منذ البداية لأن ذلك من شأنه أن يمتن هذا الجانب وذاك لصالح تقارب أقوى صرحا وأمتن أساسا...

وان المغرب بحكم أنه اشتهر من بين المجموعة الدولية بأنه الملتقى الطبيعي للعالم الافريقي والعالم العربي، وانه الركيزة التي يمكنها أن تحقق التفاهم بين دول القارة، ان المغرب بحكم ذلك رأيناه يمسي مقصدا للولايات المتحدة الأمريكية نفسها في بداية أيامها، تلوذ به لتحقيق السلام بينها وبين ولايتين من ولايات افريقيا هما طرابلس وتونس حيث رأينا الكونكريس الأمريكي يصادق على إرسال خطاب باسم الرئيس جورج واشنطون إلى الملك محمد الثالث بتاريخ 23 يونيه 1787 يطلب إليه أن يقوم بمساعيه الحميدة لدى الولايتين من أجل بناء علاقات أفضل بين أمريكا من جهة وبين تونس وطرابلس من جهة أخرى.

ان هذه الرسالة بما تبعها من ردود فعل تكشف عن التلاحم الذي كانت تتراءى معالمه بارزة شامخة حتى في أرجاء القارة الأمريكية وعلى بعد مسافات المحيط الأطلسي.

وإذا كنا تحدثنا عن العمل الافريقي العربي المشترك ضد تدخل تركيا بالرغم مما يربط بينها وبين معظم دول المنطقة فمن الضروري أن نتحدث عن العمل الافريقي العربي المشترك ضد تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في الشؤون الافريقية العربية على عهد الرئيس الأمريكي طوماس جيفر سون.

وهكذا شاهدنا المغرب يشهر الحرب على الولايات المتحدة سنة 1218 = 1803 ويحجز السفينة الأمريكية سيليا (Selia) وقد قامت أمريكا بحجز السفينة المغربية (مبروكة) التي كانت تقل الزاد والعتاد إلى طرابلس الغرب التي كانت تحاصر السفينة الأمريكية (فيلا ديلفيا).

قد يبدو أنه من باب التهويل القول بأن سلطان المغرب مولاي سليمان أعلن الحرب على الرئيس الأمريكي ولكن الواقع هو ذلك على ما نقرأه في المصادر الافريقية وكذلك في الوثائق الأمريكية التي اعتبرت هذه المبادرة من المغرب مثلا على التضامن الذي يطبع العلاقات الافريقية العربية...

ومما نسجله على هامش استيلاء الأسطول المغربي على قطعة من الأسطول الأمريكي أن سفارة من تونس برئاسة الشيخ ابراهيم الرياحي كانت توجد في حضرة العاهل المغربي أثناء وصول البشريات بحجز المركب الأمريكي فأنشأ قصيدة ميمية طويلة يهنئ فيها العاهل المغربي على لسان تونس وكان مما ورد فيها قوله :

دلائل فضل الله فينا تترجم
وان غفلت عنها طوائف نُوَّم
ومن أكرم النعما ولاية من له
علينا وفينا حكمة وتحكم

وهكذا وجدنا أن الحيز الافريقي والحيز العربي معا يتضافران على طول الزمان وبصفة تلقائية من أجل لقاء دائم مستمر...

ولنعد بعد هذه الجولة في الشمال الافريقي إلى جنوب القارة لنرى مشهدا آخر من المشاهد التي تعبر عن تضافر القوى من أجل دعم العلاقات الافريقية العربية، تضافر القوى ضد بعض الاتجاهات العنصرية التي كانت تحاول التفريق بين أبناء القارة.

ويتعلق الأمر بالحروب التي دارت رحاها في بلاد التكرور بين الفلانيين من جهة وخصومهم من جهة أخرى،

والتي لخص الحديث عنها ابن فودي في مخطوطته «انفاق الميسور».

وقد تجلى من خلال هذا الكتاب مدى دور المغرب في التوسط لمبدا التقارب بين الأعراب والأفارقة، حيث قرأنا الرسائل المتبادلة بين السلطان مولاي سليمان ملك المغرب وبين الشيخ عثمان الفلاني بتاريخ 18 جمادى الثانية عام 1225 = أواسط يوليه 1810، لقد تحدثت هذه الرسائل عن الصلات القوية بين العرب وبين التكارير كما تحدثت عن الأختام المنقوشة بالحروف العربية والمطلوبة من لدى أمراء الأقاليم الافريقية إلى المملكة المغربية على ذلك العهد...

وتمضي هذه الصلات العربية الافريقية في طريقها بعد وفاة السلطان مولاي سليمان وتنصيب خلفه السلطان مولاي عبد الرحمن حيث نجد رسائل بتاريخ 25 شوال 1269 = 1852 تتحدث عما أخبر به القائد التلمودي عامل العاهل المغربي على إقليم الصحراء من «هناء السودان بعد وفاة أمير فلان وخلافة ولده من بعده بموافقة أهل الحل والعقد الخ».

إن الحديث عن مثل هذه الرسائل وعن المبعوثين الذين كانوا يحملونها يعتبر من الحديث الجاري الذي ظل معروفا إلى أن استعاد المغرب استقلاله من جديد عام 1956.

وإذا ما تجاوزنا هذه المعطيات التي ترجع في معظمها لوثائق سياسية فإننا سنجد أنفسنا أمام عناصر أخرى وراء التقارب الافريقي العربي... تلك هي العناصر المتمثلة في المذاهب الإسلامية التي كان تقوم بدورها في تقريب هذا الجانب إلى ذلك الجانب الآخر...

لقد اهتم الأستاذ البولوني (تادوز لويكي Tadeuz Lewicki) بأمر انتشار الإسلام في افريقيا بصفة خاصة واستطاع أن يستخلص حقائق تاريخية جد هامة لم يكن عنها غنى بالنسبة للذين يشتغلون بأمر الخريطة الإسلامية في القارة...

ولا بد أن نعيد إلى الذاكرة هنا أن الإسلام عرف طريقه إلى تلك الأقاليم النائية عبر كاو (Gao) وكوكيا (Koukia) منذ القرن القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي...

ومن المهم أن نعرف أن ذلك الإسلام الأول وصل عن طريق الخوارج الاباضية الذين كانوا يطاردون من طرف المذهب السني الذي هيمن على شمال القارة... كما وصل الإسلام لتلك الأنحاء بواسطة كل الذين اختاروا طريق الهجرة بعيدا عن المطاردات بما في أولئك بعض آل البيت من الذين لم يستطيعوا معايشة الحركة المعادية التي ظهرت ضد الأدارسة في المغرب الأقصى...

وهكذا نتصور بسهولة ملاحقة المذهب السني لتلك المذاهب في تخوم افريقيا كما ندرك السر الذي كان وراء تشييد عدد من المدارس والمعاهد الإسلامية على ساحل النيجر حتى يتمكن المذهب المالكي من الظهور على غيره[15].

ومعنى هذا أنه كان هناك مد وجزر بين المذاهب الإسلامية الرائجة على ذلك العهد، ولا يخفى ما في هذا «التدافع» من جدوى على التقاء الفكر...

ولا بد أننا جميعا نسمع عن أسرة كبيرة تحمل في قلب افريقيا اسم توي (Touie) بتاء مثناة. ان هذه الكلمة - وهي من أصل سونينكي (Soninké) - تعني من ناحية الاشتقاق (براني) أي من خارج البلاد... ولكن المعنى الذي كانت تحمله الكلمة في العصر الوسيط عندما قام ابن بطوطة بزيارة قرية زاغري[16] (Diagheri) يتلخص في أن «التوريين» هم أهل السنة المالكيون من البيضان الذين كانوا مع تجار السودان (الوانجراته)، إلى جانب جماعة من الخوارج الاباضية البيض أيضا ممن كانوا يتميزون عن «التوريين» بلقب صغنغو (Saghanogho) الذي يختصرونه إلى (صانو) هكذا نجد أن كلا من المعتنقين سواء لمذهب السنة أو الاباضية كانوا أصلا من الأفارقة البيض قبل أن يمتزجوا بإخوانهم الآخرين ويصبحوا سودا...

15) ZAKARI : op. cit. p. 390.
16) ابن بطوطة : الطبعة الفرنسية 4، 394 - 395.

ولا بد أن الذين يحملون اليوم لقب (توري) يرثونه من أجدادهم أو يستعيرونه من طرف المتقدمين عن طريق تقليد أو ولاء على نحو ما سمعناه عن أسرة فوديو الشهيرة...

ولا بد أن المؤرخين المهتمين بالبحث عن أسس التقارب بين القارة الافريقية والعالم الإسلامي والعربي لاحظوا آثار الطرق الصوفية على سلوك المواطنين هناك، حيث وجدناهم أي المؤرخين يتتبعون ملامح الطرق الصوفية وبخاصة الطريقة القادرية والشاذلية والتجانية والسنوسية.

لقد عرفنا عن نهضة الإسلام الأولى هناك في عهد دولة الأدارسة وعن نهضته الثانية على عهد دولة المرابطين، هنا نحن نشاهد نهضة له ثالثة على أيدي مشايخ الطرق والاخوان من كل نوع، ابتداء من النصف الثاني للقرن الثاني عشر الهجري = أواسط القرن الثامن عشر الميلادي.

لقد كانت تلك النهضة في الواقع كرد فعل عندما دخلت الدعوة البروتستانية من كل جانب إلى افريقيا وضاعفت الكنيسة الكاثوليكية في القارة مجاهدتها فهنا كان لا بد أن ينتبه الإسلام لمقاومة النصرانية وأن يشتد الصراع بين هاتين القوتين المتقاتلتين.

ولا ندري بالضبط متى اقتحمت طريقة الشيخ عبد القادر الكيلاني دفين بغداد (ت 561) تلك الديار الافريقية ولكن الذي نعلمه أن آثار أورادها توجد في كل منعرج من المنعرجات وفي كل زاوية من زوايا القارة...

ولابد أن نشير إلى أن الشيخ محمد بن فودي (فوديو) صاحب مخطوطة «انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور» أتى على ذكر ورد السادة القادرية الذي قال عنه : إنه من أجل الأوراد لأنه يغني عن كل ورد ولا يغني عنه ورد...[17].

وبعد أن ساق النص الكامل له قال إنه «الورد الذي يأخذ عنه المريدون والسالكون وانه أخذه عن شيخه القاضي محمد العافية ولقنه إياه كما تلقنه من الشيخ المختار... وأجازه فيه وفي أحزاب الشيخ كلها وأنه ما منعه من سرده - يقول الشيخ ابن فودي - إلا خوف التطويل».

وما قرأناه عن الطريقة القادرية وجدنا مثله عن الطريقة الشاذلية التي تنتسب للشيخ أبي الحسن علي الشاذلي المولود في قرية من قرى غمارة القريبة من مدينة سبتة المغربية، والشاذلي كما نعلم من تلامذة الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش الذي يوجد ضريحه على مقربة من مدينة تطوان شمال المغرب.

ولابد أن المؤرخين أدركوا دون شك أثر الطريقة التجانية في تقريب الإنسان الافريقي بعضه إلى بعض بل وتعرف العنصر الافريقي على العنصر العربي حيث أصبح مريدو هذه الطريقة ينصهرون جميعا في بوتقة واحدة وأصبحوا يكونون اخوة ذوي شعور واحد.

وكلنا نعرف أبا العباس أحمد بن محمد التجاني الذي ارتحل من مسقط رأسه (عين ماضي) وهو ابن إحدى وعشرين سنة لطلب العلم بمدينة فاس فأصبح فقيها مالكيا ملما بالأصول والفروع عارفا بالآداب، وكانت له حلقات علمية بالعاصمة العلمية، وقد حج عام 1186 = 1773 وعاد إلى فاس وصار شيخا للطريقة التي تنتسب إليه، وله يرجع الفضل في تربية العدد العديد من المواطنين في افريقيا السوداء والبيضاء... وفي سنة 1278 = 1862 ظهر أحد الدراويش من بلاد ماسينا (Macina) في أواسط افريقيا من أتباع الطريقة التجانية فأسس مملكة مستقلة، ويتعلق الأمر بالحاج عمر الفوتي الذي توفي عام 1865 وهو في حرية مع زنوج ماسينا... وقد خلف الحاج عمر سلطنة اسمية عظيمة للطريقة التجانية اعتمد في نشر تعاليمها على وسائل سلمية تتمثل في التجارة والتعليم على نحو ما كانت عليه الطرق الصوفية الأخرى. لقد كانت الطريقة التجانية إحدى الجسور المتينة والقوية التي خدمت وبصفة جد نظيفة، وجد صادقة قضية التقارب بين الأفارقة والعرب، ولم يستطع الاجهاز عليها إلا الفرنسيون الذين قضوا عليها باحتلالهم لتنبكتو في فاتح 1894.

---

17) المخطوطة : ص 235 - 240.

وحسبنا أن نعرف أن الفضل في انتشار الحرف العربي بتلك التخوم يرجع لتلك الطرق التي كانت تفرض على مريديها الالتزام بأوراد معينة علاوة على حثها على استظهار كتاب العربية الأكبر : القرآن الكريم...

وان المغاربة الذين انطلق الإمام الشاذلي من بلادهم والذين تحتضن عاصمتهم فاس مشهدا للشيخ عبد القادر الكيلاني وتضم رفات الشيخ التجاني، أعرف الناس بمن يتردد سنويا على ديارهم من سكان افريقيا السوداء ولاشك أن في كل ذلك مؤشرات صادقة تعبر عن جانب من الجوانب المضيئة في حياة التقارب بين العالم الافريقي والعالم العربي...

وهناك عامل آخر مهم من عوامل التقارب وهو أيضا لا يخرج عن العوامل التي حفظها التاريخ الماضي، بل هو العامل الشاخص في دنيا العلاقات، وأعني به طريق التبادل التجاري... ان هذا العامل الذي عرفه الأمس البعيد يجب أن يعرفه الغد القريب ويجب على الدول الافريقية والدول العربية أن ترفع من حجم تبادلها التجاري فيما بينها، بل أن تعطي الأسبقية لبعضها البعض...

وقد أحسنت صنعا بعض الدول العربية التي قررت أن تتوجه بكامل ثقلها إلى القارة الافريقية تستفيد منها وتفيد، فليس ثمت أولى من إنعاش علاقاتنا عن طريق تبادل خيراتنا فيما بيننا قبل أن «نهدي خيرنا لغيرنا» على حد التعبير السائر...

وهكذا فإن الهيئات الاقتصادية في جامعة الدول العربية تضطلع بمسؤولية كبرى على نحو ما تضطلع به الهيئات الثقافية والاجتماعية في الجامعة...

وهناك مشكل من المشاكل الكبرى التي تقف أحيانا في طريق ذلك التقارب المنشود وهو مشكل اللغة ومشكل اللهجات المتعددة... أمامنا عدد من الاختيارات للتغلب على هذا المشكل : هناك اختيار اللهجة الغالبة لفرضها على اللهجات الباقية وهو حل لا يخلو من إثارة بعض الحساسيات على أن هناك اختيارا يتمثل في ترك اللهجات كما هي وعلى ما هي وتشجيع لغة أجنبية هي اللغة التي توحد بين الجميع.

وقفت شخصيا على بعض الأنظمة في افريقيا فرضت لغة أروبية كأداة رسمية للاتصال ووقفت على أنظمة أخرى تعبر باللهجات المحلية رغم تكاثرها لكن وجدت أنظمة أخرى تسلك طريقا ثالثا وسطا... طريق التدرج والتدريب...

إنني لم أكن مقتنعا بأن الطريق الذي سلكته الدول المتعاقبة على المغرب في الماضي كان يعتمد على القوة في نشر اللغة العربية وحمل الناس على ترك لغتهم الأصلية ولهجاتهم المحلية، وإنما كانت طريقة المغاربة تعتمد على سياسة جد حكيمة، تلك تعريب الدواوين الرسمية واعتماد القضاء في فض المنازعات وتسجيل العقود، على نصوص مكتوبة باللغة العربية...

وقد كانت تلك الدول عبر التاريخ تترك للزمن وحده أن ينسي القوم لهجتهم المحلية واستعمالهم للدارجة، وقد نجحت هذه السياسة إلى حد كبير لدرجة أننا نجد من بين الأفارقة السود من أمسى ينظم رقيق الشعر وينشئ جميل النثر على ما أشرنا إليه في البداية.

وهكذا فإن ما يسمى اليوم الجنرال (تايم Time) كان معروفا ومسلوكا في قضية التعريب. ان عندنا في المغرب مثلا ثلاث لهجات : تمازيغت وهي لهجة الأطلس وعندنا تشلحيت وهي لهجة جنوب المغرب وعندنا في الشمال لهجة تاريفيت.

ولكن الذي يجب أن نعرفه هو أن أبناء هؤلاء الناس يتلقون دروسهم باللغة العربية وان في هؤلاء الأبناء من يدافع عن اللغة العربية بغيرة زائدة تفوق أحيانا ما نقرأه عن بعض الكتاب الذين ينتسبون لبلاد العرب.

أريد أن أخلص من كل هذا إلى الحقيقة التالية : وهي أننا في مواجهة اللغات القومية في سائر بلاد افريقيا، يجب أن نقوم قبل كل شيء بإيصال الأساتذة العرب إلى الأماكن النائية لا بفكرة مقاومة ما يتكلم به الناس من مئات اللهجات ولكن بهدف المساهمة في الأخذ بيد الناس في طريق لغة القرآن.

لعلنا نعلم جميعا أن الاتحاد السوفييتي لم يستطع لحد الآن، وأعتقد أنه لن يستطيع أن يقضي على مئات اللغة وآلاف اللهجات التي يزخر بها الاتحاد السوفييتي وكذلك تراه يماشي تلك اللغات في الوقت الذي يقوم فيه طبعا بجعل اللغة الروسية لغة الإدارة ولغة الإشارة...

يجب أن نعرف أن يوسف بن تاشفين الذي كان يعمل على نشر اللغة العربية في افريقيا، اضطر ذات يوم إلى اشتراط معرفة اللغة البربرية على من يتصدى للخطبة في المسجد الأعظم بمدينة فاس العاصمة الإسلامية الأولى حتى لا يوهم الناس أنه يقاوم لهجتهم.

أريد أن أؤكد بهذا ما قلته من أن الوسيلة الوحيدة تتلخص في التفكير بصفة حكيمة وغير مرتجلة في إيجاد البديل.

وعندما نتحدث عن دور الاستعمار الأروبي في خنق أنفاس اللغة العربية ومحاولة فرض لغته محلها، فإننا ننسى أن نذكر أن الاستعمار الأروبي كان جد حاذق في تخطيطه لمقاومة اللغة العربية، وكذلك فإن حربه لها كانت حربا ماكرة تستهدف الشارع والبيت والمكتب والبيئة والمناخ.

وبهذا تدركون السر في مضي المغرب قدما ولكن بحكمة في تعريب سائر الأجهزة... لقد كان المغرب يعرف الطريقة الماكرة التي غزت بها فرنسا اللغة العربية التي توحدنا ولذلك كان على المغرب المستقل أن يسلك نفس الأسلوب حتى يضمن النجاح لخطته، سيما بعد أن فشل في القيام بالتعريب الارتجالي في أعقاب إحراز المغرب على حريته...

ان طريق التدرج... وإلقاء الضوء على الطريق قبل الأخذ في السير ضروري لوصولنا إلى الهدف المنشود...

ولقد قمت بزيارة في عام 1980 إلى كل من داكار وكوناكري وساحل العاج وياوندي ولاغوس... كانت زيارة قصيرة ولكنها كانت ثرية بالمعلومات، ثرية بالانطباعات، ثرية بالأفكار.

إن كل الطرق معبدة لمواصلة المسيرة الافريقية العربية... إن الطلبة يتكاثرون باستمرار، وان التفتح على العالم العربي ما انفك يزداد يوما عن يوم... وان الحاجة ملحة إلى وجود أماكن للدراسة وإلى اكتشاف أنواع التخصصات فماذا ينبغي للعرب أن يقوموا به في هذا الصدد...

ان افريقيا التي قدمت عطاءاتها بسخاء للعالم العربي، ان جامعاتها وكلياتها مفتوحة، وقد آن الأوان أن نتخلص من تخاذلنا وأن يستفيد بعضنا من بعض... لقد وجدت أن بعض الكليات في العواصم الافريقية لا تقل متانة عن الكليات في الجهات الأخرى إن لم تكن أمتن... فلم لا نخطط لخلق تبادل منظم للطلبة بين الدول العربية والدول الافريقية.

وإنه لمن حسن الحظ أن نشهد ميلاد اتحاد المؤرخين الأفارقة الذي مد العون إلى اتحاد المؤرخين العرب في محاولة جدية وواعية لتعرف احدهما على الآخر...

لقد كان لي شرف الاتصال بهذا الفريق في العراق وذلك الفريق في الكامرون والسنغال ولمست مدى استعداد الطرفين لبناء علاقاتهما على أسس بناءة وخلاقة...

ولا بد أن أكون في حديثي هذا صريحا لأتوجه إلى الذين يهمهم أمر هذا التقارب من اخواني الأفارقة وأطلب إليهم أن يسارعوا بخطواتهم إلى الأمام وأن يبحثوا وبدون شعور بالتردد، عن كل ما من شأنه أن يضمن سير «الدوريات» وتنظيم المؤتمرات و«اللقاءات»... وأن يشجعوا نشر الرسائل و«الأطروحات» التي تتناول تاريخ المنطقة وعلاقاتها بالدول العربية، بل وعلاقاتها بعضها مع بعض، مع الحذر كامل الحذر من كل من يقصد إلى الوقيعة بين الاخوة، أو إساءة تفسير الماضي والدس إلى العلاقات...

وان على الاتحادين معا تقع تبعة توعية الجماهير الافريقية والعربية التي كم هي متعطشة ومحتاجة إلى ذلك النوع من التثقيف.

وان الأمل معقود على **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** التي تحتضن لحسن الحظ أعضاء ينتسبون للقارة الافريقية وأعضاء ينتسبون للعالم العربي،

فليس هناك من مؤهل لتفقد حاجيات هذا التقارب غير هذه المنظمة...

وبعد فإن أبرز الأضواء التي تسهل علينا مسيرتنا :

أولا : أن نعمل على تفقد مقاطع التاريخ الذي يجمع العرب بافريقيا لكن نصيغه صياغة جديدة تتفق والحقائق التي ظهرت، أو تظهر باكتشاف الوثائق والمستندات.

ثانيا : أن نستفيد جيدا من الوسائل التي وحدتنا بالأمس فإنها لم تكن عبثا أو وسائل عابرة ولكنها وسائل متينة وقوية ويتعلق الأمر بدرس الطرق الصوفية والمذاهب الإسلامية وآثارها في افريقيا ليس فقط بين الأفارقة أنفسهم، ولكن كذلك بين العرب.

ثالثا : أن تقوم الجهات العربية بتمويل الدوريات الافريقية التي تجعل اللغة العربية في صدر لغاتها الرسمية الأمر الذي يتحقق لأول مرة في تاريخ القارة السمراء...

رابعا : أن نحاول أن نجد للغة العربية مكانا بين اللغات الأجنبية الأخرى لا تقل عنها مكانة، ولكن دون أن يكون عندنا شعور مناوئ ضد الجهات الأخرى، المهم أن نتقارب كيفما يتفق وكيفما كان... ولنا من الماضي أحسن درس وأصدقه.

الرباط : **د.عبد الهادي التازي**

مصادر باللغة العربية

ابن بطوطة : تحفة النظار في عجائب الأسفار وغرائب الأمصار
طبعة فرنسا ـ (أربعة أجزاء).

التازي عبد الهادي : وقعة وادي المخازن، مجلة رسالة المغرب (الرباط) عدد 28 مارس 1949 تاريخ المغرب الدبلوماسي (عشر مجلدات) جاهز للطبع.

التكروري أبو الملقن : طبقات الأولياء (مخطوط) تحقيق د. عبد الله الجبوري بغداد.

د. الجمل يحيى : الصلة بين الأنظمة القانونية الافريقية والأنظمة القانونية العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1977.

د. حريز سيد حامد : خواطر حول تطوير العلاقات العربية الافريقية في المجال الثقافي 1977.

د. حسن يوسف فضل : انتشار الإسلام في إفريقيا، مطبعة الخرطوم 1979.

د. خلف الله محمد أحمد : الجذور التاريخية للعلاقات الثقافية بين العرب والأفارقة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1977.

د. أبو العز محمد صفي الدين : افريقيا بين الدول الأروبية ـ القاهرة 1958.

د. سعودي محمد عبد الغني : مشكلة اللغة في افريقيا. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1977 قضايا افريقية (سلسلة عالم المعرفة) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت).

د. الشاطر خليفة : الروابط الثقافية بين الوطن العربي وشعوب القارة الافريقية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1977.

الشنقيطي أحمد الأمين : الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ـ الطبعة الثانية 1978 ـ 1958.

ابن فودي محمد بن عثمان : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور.

الفشتالي عبد العزيز : مناهل الصفاء في مآثر موالينا الشرفاء نشر د. عبد الله كنون ـ ثم تحقيق د. عبد الكريم كريم.

د. فنطر محمد : الصحراء صلة بين افريقيا السمراء وأقطار المغرب الكبير...

د. قاسم جمال زكرياء : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، معهد البحوث والدراسات العربية 1977. الروابط العربية الافريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية معهد البحوث والدراسات العربية 1977.

القلقشندي أحمد : صبح الأعشى في صناعة الانشا...

كنون محمد : حل الأقفال في شرح جوهرة الكمال ـ طبعة فاس الحجرية.

كنون عبد الله : رسائل سعدية ـ معهد مولاي الحسن ـ تطوان.

لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي، نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض تعليقات الأمير شكيب أرسلان ـ القاهرة 1352.

المؤتمر الإسلامي العام : المكتب الدائم القدس (قسم التوجيه) افريقيا الغربية... مطبعة القدس.

مؤلف مجهول : الذخيرة السنية ـ الرباط 1972

رسائل مخطوطة مغربية بالخزانة العامة رقم ص ك /278.

الناصري أحمد : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ـ دار الكتاب، الدار البيضاء 1954.

مصادر باللغة الأجنبية

Boville. E. W. – The caravans of the old Sahara
The battle of ZA cazar, Londons 1952

Cadamosto, A.
The voyages of cadamosto and other documents on western.
Africa in the second helf of the XV the century, Londons, 1937.

Caillée René :
Journal d'un voyage à Tombaucto et a jemie, Paris, 1830.

De castrie :
La coinquete du Sahara par Mansour 1591 – Hesp. 1923.
Les sources inédites de l'Histoire du Maroc, Série Saâdienne, Angleterre T. II.

Issifou, Zakari Dramant :
Les relations entre le Maroc et l'enpire Sonnahaï dans la seconde moitié du XVème siècle, thèse université de Paris 1974-1975

Leon l'African Jean :
Description de l'Afrique
Trad, Par A. Epaulard, Rabat 1956.

Mourre Michel :
Dictionnairenaire d0Histoire universelle, Paris, 1968.

Stewart, Charles :
The role of Shaykh Sidia and the qadiriyya in Southern Mauritania X fand 1970.

الدعوة الإسلامية في أفريقيا

ونظرة على

أحوال المسلمين ببعض أقطارها الغربية

للأستاذ أبوبكر القادري

إن أعمال المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب ـ السنغال، بدكار، كانت ناجحة حيث أكدت الارتباط العريق بين الشعبين المغربي والسنغالي وتعلق اخواننا السنغاليين بالمغرب وبجلالة الملك، حيث يعتبرون مبادرته الخاصة بتكوين هذه الرابطة مبادرة سامية تدل على اهتمامه بربط العلاقات من جهة والحفاظ على المد الإسلامي والثقافة الإسلامية في أقطار إفريقيا الغربية من جهة أخرى.

وقد أكد المتدخلون أن تعاون العلماء في القطرين الشقيقين لابد وأن يعطي النتيجة المرجوة لمواجهة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي سواء من طرف الصليبية والصهيونية أو من طرف بعض المذاهب المنحرفة.

وقد أثار إعجابي طلب الأخوة من بعض الدول الإفريقية الانضمام إلى الرابطة، وهذا يدل على أن المغرب يأتي دائما بأفكار رائدة، وأن دوره التاريخي في نشر الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية وتوجيه الأفكار حول النظرية الإسلامية السنية دور لازال حيا يقظا وأن الأنظار متجهة إليه ليؤدي رسالته الإسلامية الحضارية والحيوية.

كما أن هناك ظاهرة تثير الانتباه وهي أن الشعب السنغالي أظهر تمسكه واعتزازه بهذه الخطوة التي خطتها العلاقات المغربية السنغالية في قارتنا الإفريقية.

فالقارة الإفريقية تعتبر من أكبر القارات الخمس من حيث المساحة، وسكانها من أطيب الناس أخلاقا، وأحسنهم أرومة، كما يعتبر موقعها الجغرافي من أحسن المواقع استراتيجية وأمنعها حمى.

وإذا كانت الظروف القاسية التي مرت بها جعلت الغربيين خاصة يصفونها ببعض الصفات المغرضة حيث كانوا يعبرون عن الأمكنة المجهولة بأنها مثل مجاهل افريقية فان العرب والمسلمين بالعكس من ذلك، اتصلوا بها من قديم، وعرفوا عنها الكثير ولاقت من اهتمامهم وعنايتهم وحبهم ما لاقته بلادهم نفسها.

والقارة الافريقية انجبت كثيرا من المفكرين والمصلحين، والقادة المحنكين.

لقد كانت القوافل تذهب إليها وتعود منها سواء من البلاد المغربية أو عن طريق صعيد مصر، منذ قرون خلت، فكانت متصلة بتلك الأقطار المجاورة لها بسبب تلك القوافل التجارية التي كانت تحمل إليها السلع المختلفة وتعود بريش النعام والعاج والذهب.

والأفارقة اتصلوا بالإسلام منذ زمن بعيد وتقوت عرى الأخوة بينهم وبين إخوانهم العرب المسلمين منذ القرن السابع والثامن الميلاديين وكان التزاور يقع بين الجانبين باستمرار، فكان العرب يقصدون القارة الافريقية بقصد التجارة أحيانا وبقصد نشر الدعوة الإسلامية أحيانا أخرى، وكان الأفارقة يقصدون البلاد العربية للتجارة والحج وزيارة قبر الرسول عليه السلام. يقول الدكتور إحسان

حقي في كتابه عن افريقيا الحرة، لم تقف الرحلات العربية عند شواطئ القارة بل كان العرب يضربون في البلاد كلها مع أهلها الأصليين وكثير من هؤلاء العرب قد استوطنوا البلاد ولم يبرحوها بعد ذلك وكان للعرب والمسلمين في هذه القارة ممالك وإمارات امتدت حتى المحيط الأطلسي ولا أدل على هذا من انتشار اللغة العربية والدين الإسلامي في كل بقعة من بقاع هذه القارة مع العلم بأن المسلمين لم يرسلوا مبشرين بالدين يحترفون التبشير خاصة ولا فتحوا البلاد فتح حرب، وقد سمعت محاضرة لأحد السياح الفرنسيين قال فيها : لقد وصلت إلى بعض القبائل التي قلما يصل إليها إنسان، لانعزالها عن العالم، فرأيت القوم يدينون بالإسلام[1].

لقد دانت شمال افريقيا بالإسلام ابتداء من القرن الأول لهجرة الرسول كما وصل الإسلام إلى غرب افريقيا عن طريق الصحراء من المغرب العربي والطريق الساحلي إلى السينغال ومنها إلى بقية أنحاء غرب افريقيا.

ولقد تكونت امبراطوريات وممالك ذات سلطان كبير، وانتشر الإسلام بين جنباتها انتشارا عظيما خصوصا بعد قيام دولة المرابطين 1042 م.

وكانت هذه الامبراطوريات تدعى بامبراطوريات «غانا» و«مالي» و«السينغال» كما أن الإسلام انتشر انتشارا عظيما بين قبائل الفولا والهوسا والمادنجو وغيرها.

أما إفريقيا الشرقية فلقد شرح الله صدرها للإسلام، بواسطة التجار المسلمين الذين كانوا يفدون عليها بقصد التجارة وكانوا يقومون في الوقت نفسه بواجبهم في الدعوة والتبشير فهدى الله على يدهم أقواما كانوا في منتهى التطلع لمن يعطيهم المثل في السلوك الحسن والاستقامة واتباع الدين الذي ينقذ الإنسانية من الضلال.

والواقع أن المسلمين سواء منهم البرابر المغاربة أو العرب المهاجرون كانوا يتحملون الصعاب ويخترقون الصحاري ولا يبالون بالأخطار في سبيل نشر عقيدتهم.

1) إفريقيا الحرة ص 18.

2) حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان نقلا عن كتاب السيد بوني موري.

فلقد ذكر السيد بوني موري صاحب كتاب الإسلام والنصرانية في افريقيا «ان زنوج السودان تلقوا القرآن من جهتين إحداهما البربر المسلمون (المغاربة) والثانية قوافل العرب التي كانت تخترق فزان والواحات إلى «تمبكتو»[2].

والتاريخ يشهد للمرابطين بما قاموا به من نشر الدعوة خصوصا الأمير أبا بكر بن عمر الذي امتد نفوذ المملكة التي أسس سنة 1087 إلى جميع البلاد المعروفة الآن بساحل الذهب والداهومي وبلاد نيجيريا إلى بحيرة التشاد، وكانت السلطنة تنقسم إلى أربعة ممالك وكانت قاعدتها جنة (Ojéné) التي كنت ترى فيها التجار والعلماء من المغرب الأقصى والجزائر ومصر وكانت سفائن هذا السلطان تسري في النيجر، وقوافل الصحراء تحمل البضائع إلى أطراف السلطنة[3].

وأبو بكر بن عمر هذا من تلامذة مؤسس الدولة المرابطية الفقيه الداعية المجاهد عبد الله بن ياسين المتوفى في الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة 451 هـ والمدفون بموضع يعرف «بكريفلة» في قبيلة زعير قرب مدينة الرباط بالمغرب الأقصى وعبد الله بن ياسين هو الذي ولى أبا بكر بن عمر الرئاسة بعد وفاة أخيه الأمير يحيى بن عمر اللمتوني، قال صاحب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى[4] كان أبو بكر بن عمر رجلا صالحا ورعا غزا جزولة من بلاد السوس وفتح مدينة ماسة وتارودانت، وقضى على قوم من الرافضة يقال لهم البجلية وارتحل إلى كثير من القبائل والجبال يفتحها ويصحح أمر الدعوة فيها، وكان في مقدمة جيشه ابن عمه الصالح المجاهد يوسف بن تاشفين الذي تولى الأمر بعده بالمغرب، والذي عند توليته له (بعد قصة طويلة) وصاه قائلا :

«إني قد وليتك هذا الأمر وإني مسؤول عنه، فاتق الله تعالى في المسلمين، واعتقني واعتق نفسك من النار، ولا تضيع من أمور رعيتك شيئا، فإنك مسؤول عنه والله

3) حاضر العالم الإسلامي نقلا عما كتب السيد بوني موري صاحب كتاب : الإسلام والنصرانية في إفريقيا.

4) الاستقصاء جزء 2 ص 12 (بتصرف).



(أ) تمبكتو (مالي)

مدينة صغيرة منزوية في الوقت الحاضر ، لكنها بنيت عام ١١٠٠ م واصبحت في العصور الوسطى ذات شهرة تجارية عالمية لكونها محطة نهائية للقوافل التي تعبر الصحراء من المغرب الى الاقليم السوداني . كما كان لها شهرة علمية ذائعة الصيت (جامعة (الكورة الاسلامية)) .



(ب) نيروبي (كينيا)

مدينة حديثة انشأها المستوطنون البيض وحكومة المستعمرة الانجليزية السابقة . اختير موقعها بالصدفة على الهضبة الافريقية الشرقية ، ولكنها اصبحت الان اكبر المدن في شرق القارة (٣١٤ الف شخص) كما اصبحت مركزا هاما للمواصلات البرية والجوية .

تعالى يصلحك ويمدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل في رعيتك، وهو خليفتي عليك وعليهم»[5].

ولقد توفي هذا الأمير شهيدا من سهم مسموم أصابه في شعبان سنة 480 هـ رحمة الله عليه.

لقد ذكرت أن قوافل العرب كانت تخترق الواحات إلى «تمبوكتو» ومدينة «تمبوكتو» هذه مدينة شهيرة اختطها الطوارق سنة 1077 وكانت مركزا علميا ممتازا ومكانا لنشر الاشعاع الإسلامي في أرجاء افريقيا جميعها كما كانت سوقا للتجارة في أواسط افريقيا.

ومن المعلوم أن الإسلام كان يجد طريقه إلى قلوب الأفارقة دون ضغط أو إكراه وكانوا يرون فيه المنقذ من عوامل النقص والمركبات التي كانوا يشعرون بها، خصوصا بعد تسلط الاستعمار الغربي عليهم فلقد كتب المستر «اتربوري» يقول «بمجرد ما يدخل الزنجي في الإسلام يشعر بكرامة نفسه، وبعد ان كان يعتقد ذاته عبدا يصبح في نظر نفسه حرا»[6].

إن الإسلام انتشر في إفريقيا منذ مدة طويلة وبالأحرى منذ أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن ولقد قال بعض المؤرخين أنه كان في السودان في القرن الثامن عدة مدارس قرآنية، وتزايد انتشاره بعد قيام دولة المرابطين في القرن الحادي عشر، وزاد انتشاراً ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي على يد أتباع الشيخ العلامة الصوفي السلفي سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه حيث إن هؤلاء قاموا بواجبهم في الدعوة إلى الله، فأتوا على طريق مدينة (توات) المغربية وهي واحة في النصف الغربي من الصحراء المغربية.

ثم انتقلوا بعد ذلك إلى مدينة «تمبوكتو» السالفة الذكر.

أطماع الغربيين في إفريقيا :

وابتداء من القرن السابع عشر للميلاد، اتجهت أطماع الدول المسيحية إلى الاستيلاء على إفريقيا، فنظمت البعوث والإرساليات من البروتستانيين أولا ثم الكاثوليكيين ثانياً، ونشط هؤلاء في الدعوة لديانتهم ومحاولة تمسيح بعض الأفارقة.

ومنذ ذلك الوقت والصراع بين الإسلام والمسيحية على الأراضي الإفريقية يتزايد ولقد اشتد هذا الصراع ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر للميلاد، فكانت المسيحية تعتمد على رجال الاستعمار الذين وطئت أقدامهم الأراضي الإفريقية وكان الإسلام يدافع عن نفسه بنفسه أي بواسطة جماعات المتطوعين من رجال الصوفية الصحالين.

دور الصوفية :

وهنا جاء دور رجال الطرق القادرية والتيجانية والشاذلية والسنوسية فلقد أبلى هؤلاء البلاء الحسن في نشر الدعوة الإسلامية بالتي هي أحسن، والحفاظ على طابع إفريقيا الإسلامي وتربية المريدين ونشر العلم والمعرفة والقرآن فيما بينهم.

لقد أسسوا المراكز في كثير من الجهات والأنحاء فالقادرية مثلا أنشأت مراكز في «كنكا، تمبو» بجبال «فوتا جالو» ومردو بلاد «المادنجو» ومواطنهم على نهر «غامبيا» لنشر الدعوة وتربية الأفراد. وكانوا يؤسسون المدارس القرآنية والعلمية ويوجهون الطلبة المجدين لإتمام دراستهم بمدارس فاس والقيروان وطرابلس والأزهر.

وبعدما يحصلون على بغيتهم يعودون إلى بلادهم لنشر العقيدة والمعرفة بين مواطنيهم.

شخصيات إفريقية :

ولقد برز من الأفارقة الذين تثقفوا وتربوا التربية الإسلامية السليمة عديد من الأشياخ والعلماء والمجاهدين أمثال الشيخ عثمان دان جوديو الذي قام بحركة إصلاح كبرى في الحوسة بنيجيريا والنيجر والذي ترك بعد وفاته تسعين تأليفاً مخطوطاً وكذلك أخوه الشيخ عبد الله الذي

5) الاستقصاء جزء 2 ص 20.

6) حاضر العالم الإسلامي.

ترك بدوره خمسة وسبعين مؤلفاً. وكان الشيخ عثمان من المريدين للشيخ عبد القادر الجيلاني.

وحفيد الشيخ عثمان هو الشهيد الداعية المرحوم أحمد أوبيلو الذي اغتالته الأيدي القذرة بنيجريا سنة 1965 والذي كان له دوره العظيم الممتاز في نشر الإسلام والدفاع عنه في نيجيريا.

ومثل الشيخ أمادو 1818 ـ 1845 وابنه الشيخ أمادو سيكو 1845 ـ 1853 فلقد كان الشيخ أمادو من رجالات الصلاح والتقوى ومن الذين يترفعون عن أخذ الهبات والهدايا، فكان يعيش من عمل يده، حيث يصنع حبالا يدوية يبيعها وينسخ المصاحف فيبيعها ويتعيش من مداخليها.

ولازال ذكر هذا الداعية الكبير ينتشر في الأوساط وصلاحه مضرب الأمثال.

وفي السينغال برزت شخصية إسلامية فذة، هي شخصية الحاج عمر بن سعيد طال الذي تولى القيام بالدعوة إلى الله ونشر الإسلام فيما بين 1854 ـ 1860 أما الشيخ أمادو بامبا مؤسس الطريقة المريدية 1886 فقد كان من القلائل الذين اشتهروا بالعلم والزهد والصلاح ومن المقاومين للاستعمار وأذنابه، الأمر الذي جعل السلطات الفرنسية إذ ذاك تبعده منفيا إلى الكابون سبع سنوات ثم تنفيه بعد ذلك إلى موريطانيا، وأخيرا ترغمه على الإقامة الاجبارية في بيته وفي قريته إلى أن توفي رحمه الله سنة 1927.

والشيخ أمادو هذا أدى فريضة الحج سنة 1920 وطاف ببعض الأقطار العربية فقصد «بغداد» وتعاطى الدروس فيها، وكانت هوايته جمع الكتب فجمع منها الكثير، وتعاطى للتأليف ولقد حكى عنه الأستاذ فانسان مونتي أنه وضع تفسيرا في عشرين مجلدا لم يظهر منها إلا مجلد واحد طبع بطنجة سنة 1962 وعنوانه : «ضياء النيران» ولقد اعتمد في تفسيره حسبما قيل على أكثر من مائة تفسير وكان في نيته أن يضع تأليفا عن تاريخ السودان.

ومن دعاة الإسلام المجاهدين في مكافحة الاستعمار الشيخ موسى أمينو الذي سقط صريعا في مقاومة الفرنسيين المحتلين لبلاد النيجر أثناء بعض المعارك إلى غير هؤلاء من الدعاة المصلحين والمجاهدين الأبرار.

وما دمت أشرت إلى الدور الذي قام به العلماء العاملون والمجاهدون الأبرار فلا سجل هنا أن هؤلاء الرجال على اختلاف مشاربهم وتعدد اتجاهاتهم وتنوع مدارسهم، سواء منهم التيجانيون والقادريون أو السنوسيون والشاذليون كانوا أمثلة صالحة في الزهد والاعراض عن حطام الدنيا وفي نشر العلم والفصل في النزاعات بين الناس وفي الانتصار للمظلومين والدفاع عنهم، وفي الدعاية إلى الله عن طريق الموعظة الحسنة، وحث الناس على الاشتغال والعمل خصوصا تعاطي الفلاحة التي كانت العامل الأساس في الازدهار الاقتصادي[7].

لقد كانوا ينشئون المدارس والكتاتيب القرآنية والربط وينشرون العلم والتقوى بكل ما يستطيعون الأمر الذي أثار اعجاب أحد الرهبان المسيحيين فكتب يقول : «لولا نفوذهم الروحي لا صبح عدد من قرى بلاد الولوف عبارة عن ملاجئ للقتلة واللصوص وقطاع الطرق.

اللهجات الإفريقية :

إن سكان إفريقيا لا يتكلمون لغة واحدة، وليست لهجاتهم متحدة ولكن لكل قبيلة لغتها ولهجتها فهناك الولوف في السينغال، والفلانيد في غينيا وبامبارا أمالانكي بمالي، والحوسة بالنيجر ونيجيريا، والسواحلية بشرق إفريقيا، أما أكثر اللغات انتشارا في الأوساط الإسلامية فهي السواحلية والحوسة والفلانية.

الدعاة يدرسون اللهجات المحلية

وهذه اللغات أو اللهجات كان يتقنها الدعاة الإسلاميون والعلماء المصلحون وكانوا يترجمون معاني

7) راجع ما كتبه المسيو فانسان مونطاي والذي لخصه في «الإيمان» الأخ الأستاذ الصديق بن العربي.

القران إليهـا، حتى يستطيعوا أن يغزوا قلوب الأفـارقـة بالمواعظ والتعاليم القرآنية.

ويقول الخبراء في هذه اللهجات أن المفردات العربية غزتها ودخلت فيها واعتبرت جزءا منها.

اللغة العربية بإفريقيا

وبالإضافة إلى تلك اللهجات نستطيع أن نقول بأن اللغة العربية صارت تفرض وجودها منذ القديم وصار الكثيرون من الأفارقة المسلمين يتكلمون بهـا، معتبرين إياها لغة الدين والحضارة وساعد على كثرة انتشارها إذ ذاك الكتاتيب القرآنية التي كـانت مفتوحـة في كـل الأنحاء والتي يدخلها أبناء الأفـارقة المسلمين على اختلاف حيثياتهم.

وبالرغم عن المقاومة التي أبداها الاستعمار للغة العربية حيث أراد لدى بسطه نفوذه أن يجعل لغته هي اللغة المفضلة، بالرغم عن ذلك فإن العربية بقيت منتشرة لدرجة أن الأستاذ الفرنسي فانسان مونتي عميد جامعة دكار أكد أن بحثا نشر بالسينغال سنة 1960 وتبين منه أن كل قرية في السينغال يوجد بها أربعة أو خمسة أشخاص على الأقل يستطيعون كتابة العربية وقراءتها.

الهجوم الأجنبي

لقد هجم الاستعمار على اختلاف جنسياته على إفريقيا، وقسمها أطرافا وأجزاء فقسم منها احتلته الجيوش الفرنسية وآخر استولت عليه الجيوش البرتغالية، وثالث صار يمتصه الاستعمار الانجليزي ورابع حل به الاستعمار الاسباني والبلجيكي بالإضافة إلى ألمانيا التي انتزعت منها مستعمراتها اثر الحرب العالمية الأولى، وكانت كل هذه الطوائف الاستعمارية تعمل على تسخير إفريقيا والإفريقيين لمصلحتها وتستنزف كل طاقاتها وخاماتها وجميع إمكانياتها مستعملة كل الوسائل الجهنمية لفرض سيطرتها، ودوام استغلال خيراتها.

الأساليب المسيحية

وفي الوقت الذي كان الاستعمار يقوم بأعماله المنكرة كانت الارساليات التبشيرية تبذل الجهود تلو الجهود لتركيز شريعة الصليب وتحويل إفريقيا إلى قارة مسيحية.

ومن الغريب أن هذه الأساليب المسيحية، كانت تتنافس فيما بينها تنافسا قويا فالارساليات البروتستانية تريد أن تغنم أكثر، والارساليات الكاثوليكية تعمل على توسيع دائرتها وحتى البروتستانيون والكاثوليكيون يتنافسون، مع بعضهم بعضا أيهم يكون له الاتباع الكثيرون.

كل هذا والعالم الإسلامي جميعه هو بدوره في محنة مع الاستعمار ومع التخلف الذي حل به في القرون الأخيرة.

لقد بذلت الأرساليات المسيحية كل إمكانياتها لا لنشر المسيحية بين الوثنيين فحسب ولكن لزعزعة المسلمين الأفارقة عن عقيدتهم الإسلامية السمحاء.

فاستعملوا المدرسة والمستوصف والكنيسة والوظيف والمال والنفوذ لجلب الأفارقة لهم والضغط على انتشار الإسلام في ربوع إفريقيا.

الإسلام يتزايد انتشاره

ولما رأوا أن الإسلام بالرغم عن ذلك يسابقهم ويتقدم عليهم وقفوا متسائلين مشدوهين ترى ما هي الأسباب التي جعلت من الإسلام دينا متقبلا من الأفارقة بهذه السهولة ؟ ما هي أسباب تقدم الإسلام ؟ أنهم يبذلون المال، ويؤسسون الكنائس، ويعيش رهبانهم بين الادغال في الغابات يبشرون ويدعون، ولكن الاستجابة بالرغم عن ذلك قليلة، فلقد ذكر الأستاذ مونتي السالف الذكر أن راهبا قدم قرية في الداهومي سنة 1949 قصد تنصير سكانها، وبعدما مكث في القرية عشر سنوات كاملات، قدم إليها شيخ طريقة وبعد عشر سنوات أخرى كانت النتيجة كما يلي : عشرة أفراد من

السكان اعتنقوا المسيحية، ونصف سكان القرية اعتنقوا الإسلام. بل انه يحدث أن يعتنق الإسلام سكان قرية بكاملها.

إن هذه النتائج الواضحة دفعت بعض الملاحظين الأجانب، للتعمق في أسباب نجاح انتشار الإسلام، وسر تقدمه بالسرعة والسهولة التي ينتشر بها، فتأكد لهم أن اعتناق الإفريقي للإسلام لا يؤدي به إلى الانفصال عن مجتمعه بعكس المسيحية وأنه عندما يعتنق الإسلام يشعر بالتساوي المطلق مع كل إخوانه المسلمين في أنحاء المعمور، وأن الإسلام يرفع من مستواه ويخلصه من الشعور بالنقص ومن كل المركبات وأن المسلمين مع بعضهم بعضا لا يوجد فيهم ومن ضمنهم طبقات ودرجات بعضها أشرف من البعض الآخر لأن الله يقول : ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ ولأن النبي عليه السلام يقول : «لا فضل لعربي على عجمي ولأبيض على أسود إلا بالتقوى» بالإضافة إلى أن المرأة الإفريقية عندما تعلن إسلامها تشعر بمكانتها هي أيضا، وتتمتع بجميع الحقوق التي يتمتع بها الرجل بما في ذلك إرث زوجها الذي كانت تحرمها منه تقاليدها وعاداتها.

المسيحية لا تغالب الإسلام

إن هذه الدراسات التي قام بها بعض العلماء الغربيين لأسباب انتشار الإسلام جعلتهم يقتنعون بأن المسيحية لا تستطيع أن تغالب الإسلام عن طريق الكم والعدد ولذلك اتجهوا إلى الكيف أي اتجهوا إلى تكوين العديد من الشخصيات المسيحية تكوينا ثقافيا صحيحا حتى يستطيعوا بواسطة هذه النخبة التي يكونون أن يحافظوا على وجودهم والاستمرار في سيطرتهم وضمان مصالحهم، وهكذا اتجهوا الاتجاه الجدي إلى تأسيس المدارس النموذجية ورعاية الملتحقين بها من أبناء الأفارقة ومساعدتهم بكل ما يستطيعون من حول وقوة.

النشاط المسيحي

لقد فتحوا المدارس المتعددة هنا وهناك، وكانوا يشترطون أن لا يلتحق بها إلا من قبل التعميد أي ارتضى أن يدخل في المسيحية، وهكذا صارت هذه الطريقة تعطي ثمرتها فكثر المتخرجون من تلك المدارس وتابعوا دراستهم العليا بالعواصم الغربية ورجعوا إلى بلادهم يفرضون وجودهم الثقافي والمسيحي أيضا.

فإذا ما رأينا أن أغلبية النخبة في البلاد الإفريقية نخبة مسيحية، فلنعلم أن ذلك له أسبابه وتخطيطاته.

ضعف تخطيط المسلمين :

وبالعكس من ذلك فإن المسلمين الأفارقة والدعاة الصوفيين لم يستطيعوا أن يغيروا من أساليبهم ويطوروا من مشاريعهم، إذ بقيت الكتاتيب القرآنية على حالها من التدهور والانحطاط والجمود بل أن بعض أرباب الطرق أنفسهم حادوا عن خطة المؤسسين الأولين، ولم يبقوا في المستوى الذي كان ينبغي لهم أن يحافظوا عليه.

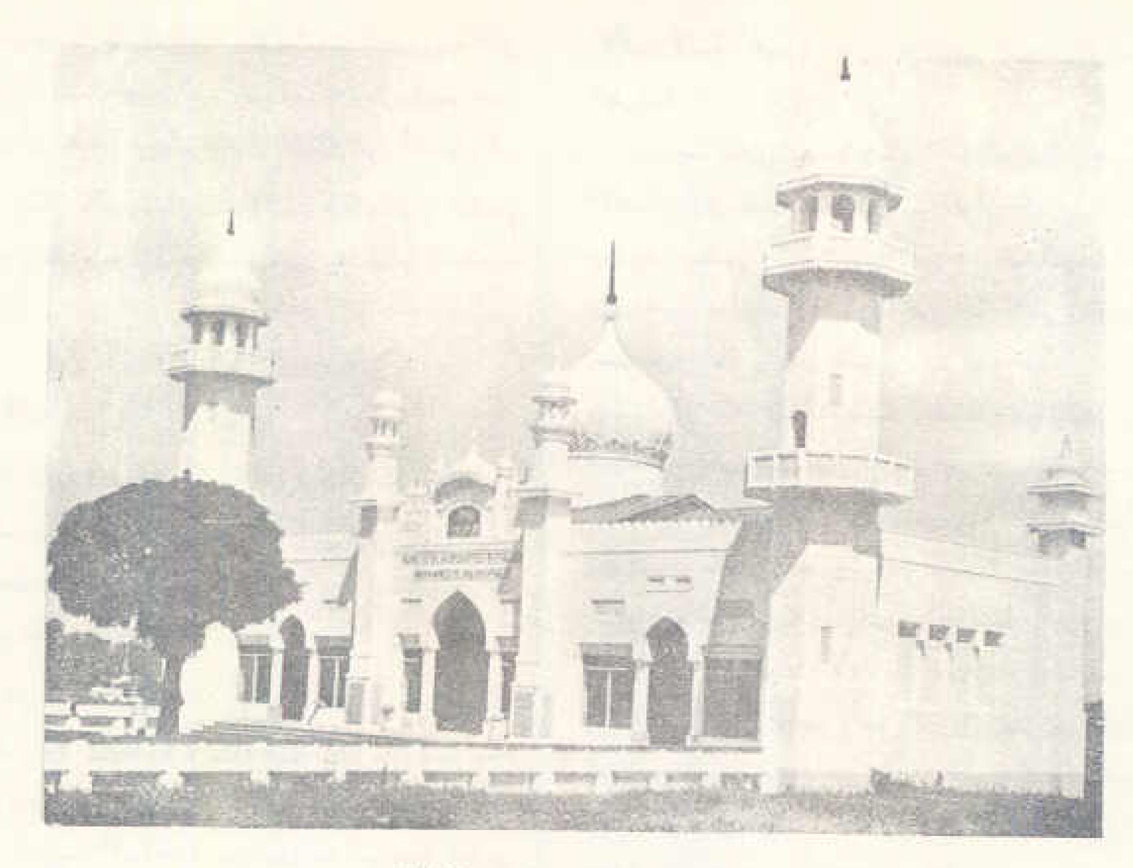
وهكذا بعدما تحررت الأقطار الإفريقية وجد المسلمون أنفسهم أمام حقيقة مؤلمة، فعددهم من حيث العدد كثير، ولكن اطاراتهم وممكناتهم الثقافية قليلة.

كل هذا والارساليات المسيحية لازالت تقوم بدورها وتتلقى الاعانات والامدادات من جميع أنحاء العالم المسيحي، بينما الدول الإسلامية مقصرة كل التقصير في مد إخوانها الأفارقة ومساعدتهم على الخروج من تخلفهم والالتحاق بالركب الحضاري، ومساندتهم لحماية عقيدتهم والذود عنها.

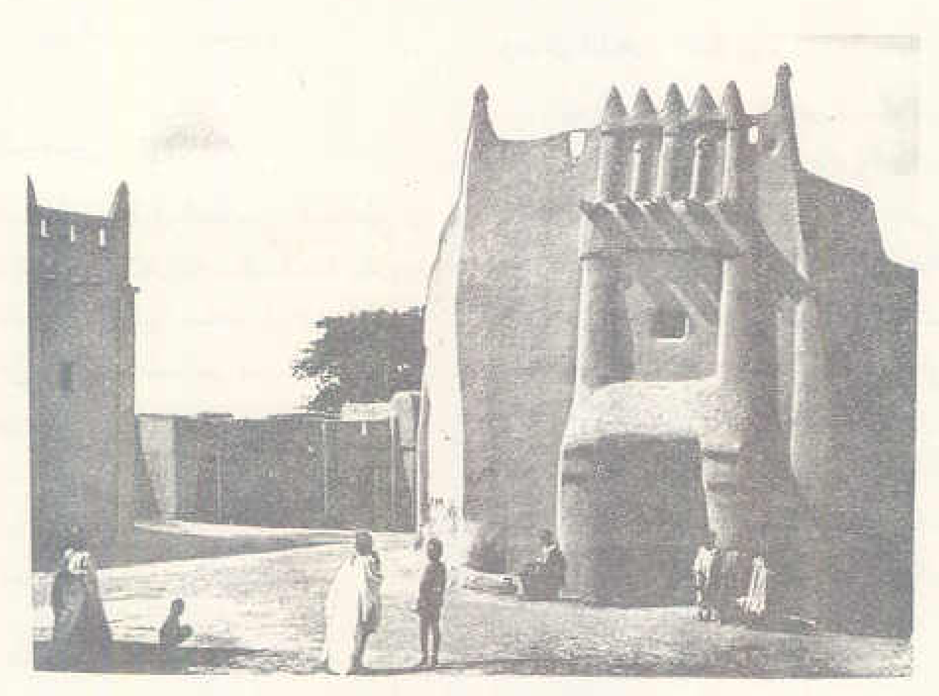
استنجاد الجماعات الإسلامية

لطالما استنجدت الجماعات الإسلامية، والمسؤولون المسلمون في بعض الحكومات الإفريقية بالمسؤولين العرب والمسلمين أن يمدوهم بالاعانات الضرورية لبناء بلادهم والحفاظ على وجودهم والدفاع عن عقيدتهم ولكن الاستجابة لا تكون في المستوى المطلوب.

ولقد أتيح لي أن أتصل ببعض الدعاة المسلمين في بعض الأقطار الإفريقية كفولتا العليا وسيراليون وغيرهما، فذكروا لي أنهم في صراع مع الصليبيين ومع الجماعة



جامع كذولي (كمبالا ـــ اوغندا)



(ب) البناء السوداني التقليدي (مالي)

ينتشر هذا النوع من البناء في نطاق السودان من النيل الى السنغال ، وهو بناء من الطين المقوي بالاخشاب ، ومعظم هذه الابنية الضخمة ما هي الا سور كبير عال يلف مساحة داخله يوجد بها المنزل وتظهر اشكال الفنون على اختلافها في صورة الاشكال المعمارية لواجهة البيوت

الأحمدية وأنهم إذا ما تلقوا بعض الاعانات الضرورية التي تمكنهم من تأسيس بعض المدارس وبناء بعض المساجد، يستطيعون أن يقنعوا من لم يدخل الإسلام في الدخول إلى الإسلام، ولكن المسؤولين المسلمين في منتهى التقصير والاهمال، وعدم إعطاء العناية لنشر عقيدتهم الإسلامية المثلى.

إفريقيا قارة إسلامية

إن الأغلبية الساحقة من الأفارقة مسلمون، ولذلك فانها تعتبر بحق قارة إسلامية فواجب المسلمين عموما والعرب خصوصا أن يبذلوا في مساعدتها ما يستطيعون بل وفوق ما يستطيعون.

إن تحرير هذه القارة من أيدي الاستعمار كان حدثا هاما في تاريخ الإنسانية وأن انبعاثها آت لا ريب فيه، ولكننا نريده انبعاثا إفريقيا عربيا إسلاميا، تتقوى به المجموعة العربية الإسلامية، ويتقوى به الوجود العربي الإسلامي ودوره في بناء الحضارة الإنسانية ونشر ألوية العدل والسلم والامان بين الناس.

واجب مفكري المسلمين

وإن أول واجب على مفكري المسلمين وقادتهم أن يقنعوا المسؤولين في البلاد العربية والإسلامية بضرورة مساعدة ومساندة الشعوب الإفريقية مساندة غير مشروطة لا من أجل خروجها من تخلفها الاقتصادي فحسب، ولكن من حيث مساعدتها على رفض تبعيتها الفكرية والسياسية لمن كانوا يحتلونها.

واجب الأعضاء المؤتمرين :

وإن من أهم ما ينبغي أن تتدارسه دراسة واعية ومسؤولة وسائل استرجاع اللغة العربية مكانتها في الأقطار الإفريقية وأعطاء فكرة واضحة حول الدعوة الإسلامية، وتجديد أساليبها، وضمان نجاعتها.

الأفارقة اخوة العرب ولغتهم الحضارية هي العربية :

ففيما يتعلق بموضوع نشر اللغة العربية وتعميمها في الأقطار الإفريقية ينبغي أن ندرك أن الأفارقة المسلمين يعتبرون أنفسهم جزءا لا يتجزأ من إخوانهم العرب المسلمين وأن لغتهم الثقافية والحضارية هي اللغة العربية، وأنهم في عهد مجدهم لم يكونوا يعتبرون لهم لغة حضارية غيرها، وأن ربط حاضرهم بماضيهم يتطلب منهم تعميم دراستها وتعلمها، لأنهم كمسلمين لا بد لهم من لغة حضارية يرتبطون روحيا بها ويتعاملون مع إخوانهم بواسطتها ويفكرون بتفكير أهلها وما هذه اللغة إلا اللغة العربية التي كانوا يتعاملون بها ويدينون الله بها، ويؤلفون كتبهم بفصاحتها، وأن اللغات الأجنبية الطارئة رغما من قيمتها الثقافية لا تعتبر لغتهم لأنهم يشعرون أنها لغة الدخيل المستعمر الذي استعمرهم وفرض عليهم وجوده السياسي والاقتصادي واللغوي كرها فوجودها المفروض في الواقع يخدش في كرامتهم، ويقدح في ثقافتهم.

وسائل التحرر الفكري :

إن إفريقيا المسلمة تحررت سياسيا من الاستعمار فينبغي أن نساعدها لتتحرر فكريا واقتصاديا من تبعية الاستعمار ولا يتيسر ذلك إلا بالعمل على تأسيس مدارس عربية إسلامية تكون الأجيال وتخلق الدعاة الصالحين وفي الوقت نفسه يجب على الدول والحكومات العربية والإسلامية أن تفتح مدارسها وكلياتها في وجه التلاميذ والطلبة الأفارقة، وتمدهم بالمنح الضرورية ليرتووا من ألوان المعرفة، ويتزودوا بالثقافة الإسلامية الصحيحة.

يجب أن يوضع تخطيط لتطبيق ما ذكر بعد الاتصال بالمسؤولين في الجماعات الإسلامية ورجال الفكر الإسلامي في البلاد الإفريقية.

أساس الارتباط الأخوة

ويجب أن يشعر إخواننا الأفارقة أن روح الأخوة بيننا ليست منبعثة من أطماع اقتصادية أو تسخير بشري

ولكننا نريد أن نمتن أواصر الأخوة معهم، لأننا نشعر أننا وإياهم أمة واحدة، تربطنا بهم أواصر الدين واللغة والأهداف المشتركة يسرهم ما يسرنا ويحزنهم ما يحزننا وأن عدونا المشترك هو الاستعمار والصهيونية والتخلف والإلحاد.

إن إخواننا الأفارقة المسلمين لازالوا يعانون كثيرا من المشاكل فأنظار المستعمر لازالت متجهة إليهم ورجال الكنيسة يقومون بنشاطات كبرى، والجماعات الأحمدية بدورها قائمة بنشاط عديم النظير في غير ما قطر إفريقي.

نشاط الجماعة الأحمدية :

ومن المعلوم أن هذه الجماعة الأحمدية وصلت إلى غرب إفريقيا بعد الحرب العالمية الأولى، وانها تبث دعايتها وأفكارها بكثير من الحماس والصبر والاناة، وكان أول عمل قامت به تكوين جماعة صغيرة من المنتسبين في مدينة «فريتاون » ثم تأسيس مدرسة ابتدائية بعدما اعتنق مذهبها بعض رجال الطبقة الحاكمة ولعل ذلك بإيعاز من الإنجليز لأن أول داعية للأحمدية وصل إلى غرب إفريقيا أتى من لندن وذلك سنة 1921. وتتابع نشاط هذه الجماعة فصارت تؤسس الفروع والمساجد وتبني المدارس في كثير من مدن «سيراليون» وركزت نشاطها في «ركوبر» و«مجبوراكا» في المحافظة الشمالية من سيراليون ولقد كتب لي أحد الاخوة «بفريتاون» عاصمة سيراليون تقريرا في الموضوع جاء فيه بالخصوص ما يلي :

«اتجهت أنظار الأحمدية إلى مدينة «بو» العاصمة المحمية في عهد الاحتلال ونظم المسؤول عن الجماعة هناك اجتماعا دعا إليه رجال الدين لمناقشة أوجه الخلاف بين أئمة المسلمين وبين الأحمدية، وانتهز الأحمدية الفرصة فوزعوا مطبوعاتهم عن الإسلام باللغة الإنجليزية فتلقفها الناس المتعطشون إلى معرفة شيء عن الإسلام بلغة يفهمونها، وفي عام 1945 قامت الأحمدية بتأسيس مدرسة ابتدائية في المدينة وأصبحت «بو» منذ ذلك الوقت المركز الرئيسي للجماعة في كل (سيراليون) خاصة بعد أن أسوا هناك مدرسة ثانوية وافتتحوا مكتبة وصيدلية وتمركز معظم دعاتهم في تلك المدينة. لقد تتابع نشاط الجماعة فصارت تشتري الأراضي وتبني المراكز والمدارس وتفتح المكتبات لبيع الكتب والأدوات المدرسية، وتعدت ذلك فصارت تساهم في المشروعات الاقتصادية فأقامت مصنعين أحدهما لتحويل «الزنك» إلى بعض الأدوات والثاني لاستعمال دواليب العاج».

وسعت هذه الجماعة اتصالاتها بالطبقات الشعبية والنخبة من المثقفين والمسؤولين من الوزراء وغيرهم وكان من جملة الذين اعتنقوا مبادئها المسؤول الأول عن شؤون الثقافة والتعليم الإسلامي السيد «إيبي كمارا» وهو نائب سابق ورئيس مجلس إدارة شركة الكهرباء وأحد كبار المحامين.

لقد كان كل هذا في الستينات ولست أدري ما وقع بعد ذلك وإنما الذي قصدت إليه أن الحركة الإسلامية تلاقي خصوما معابدين، ومبشرين مشابرين، ومستغلين للإسلام متعددين.

تقصير الدول الإسلامية

كل هذا والمسؤولون في الدول الإسلامية واقفون موقف المتفرج، ولربما لا يدري البعض منهم ماذا يدبر هنا وهناك ضدا على الإسلام وعلى الوجود الإسلامي بتلك الديار.

إننا لا ننكر أنه توجد عدة جمعيات وجماعات إسلامية، تبذل أقصى ما تستطيع ذودا عن الإسلام، وصونا لحرماته، وتبشيرا بتعاليمه كما لا ننكر أن هناك شخصيات إسلامية تقوم بواجبها في الدوعة والتبشير، والاتصال بالمنظمات والمعاهد الإسلامية في البلاد العربية لتمدها ببعض ما تحتاج إليه من المعونات سواء منها المعونات المادية أو المعونات البشرية مثل امدادها بالمعلمين والأساتذة والمرشدين.

وإذا كنت لا أتوفر على المعلومات الضرورية في هذا الميدان فأني أعرف أن مصر العربية المملكة السعودية والمملكة المغربية بذلت بعض الجهد في تدعيم الوجود



ربما كان هذا هو موقع غانة القديمة، وهذه صورة بيت كشف عنه التنقيب في كمبي صالح المدينة الإسلامية.

الإسلامي بما تستطيع ولكني لا أعتقد أن ذلك في المستوى المطلوب.

ومن أجل ذلك فإننا مدعوون لاعطاء الموضوع ما يستحقه من عناية ودرس، وأن ينتج عن اجتماعنا هذا اتخاذ مقررات عملية، تنهض بشؤون الدعوة الإسلامية في كل إفريقيا المسلمة، وتدفع بالمسؤولين في البلاد الإسلامية إلى تحمل مسؤولياتهم التاريخية نحو قارتهم وإخوانهم.

مقترحات :

وان من أهم ما يجب العمل على تحقيقه :

1) التزام الدول الإسلامية بتأسيس مراكز ثقافية إسلامية تعمل على تزويد المسلمين بكل ما يحتاجون إليه من مصاحف قرآنية وكتب دراسية وغير ذلك.

2) دراسة وسائل فتح مدارس إسلامية ابتدائية وثانوية وإمدادها بما تحتاجه من معلمين وأساتذة وكتب.

3) استضافة جماعات من الطلبة والتلامذة في بعض الأقطار الإسلامية وتكوينهم تكوينا إسلاميا صحيحا يمكنهم من القيام بواجباتهم في نشر الثقافة الإسلامية وتنظيم شؤون الدعوة.

4) تكوين جماعات من الوعاظ والمبشرين والدعاة وتوجيههم إلى البلاد الإفريقية بصفة منتظمة ليقوموا بواجبهم التبشيري ويردوا على الشبهات والأكاذيب التي تنشر ضد الإسلام.

5) ويشترط في هؤلاء الدعاة أن يكونوا من الأمثلة المحتذاة في الصبر والأناة والتحمل، ومن المتشبثين بالمبادئ الإسلامية والمتحلين بالأخلاق الحميدة.

6) توجيه جماعات من القراء في مناسبات الأعياد الدينية والوطنية بشرط أن يكونوا هم أمثلة صالحة لحملة القرآن الكريم.

7) تنظيم لقاءات مع الشباب المسلم الإفريقي وتزويده بالمعلومات الضرورية وحشد ذهنه بالحجج التي يستطيع مصارعة الخصوم بها.

8) فتح مستوصفات وصيدليات يقصدها الأفارقة عموما ويقدم فيها الدواء بالمجان أو بأثمان منخفضة.

9) فتح مساجد في كل المدن والقرى المفتقرة إليها والبحث عن أشخاص صالحين للامامة والدعوة إلى الله.

10) إحصاء الجماعات والجمعيات الإسلامية، ودراسة أوضاعها، والتعاون مع الجماعات الصالحة منها وإمدادها بما تحتاجه من معونات تساعدها على القيام بماموريـاتها الإسلامية.

11) تنظيم مهرجانات قرآنية سنوية، يدعى لها بعض الشخصيات من الأقطار الإسلامية وتعطى فيها الجوائز للممتازين في التجويد القرآني.

12) تنظيم سلسلة من المحاضرات والندوات الثقافية تعالج القضايا الإسلامية وتوضح معالم الطريق للمتعطشين إلى المعرفة من إخواننا الأفارقة المسلمين.

13) فضح المستغلين للإسلام من الأحمدية والقاديانية والبهائية وغيرها وتوضيح أن هذه الجماعات لا تمت إلى الإسلام بصلة.

14) التفكير في طبع جرائد ونشرات باللغات المتكلم بها هناك، توضح فيها المبادئ والأخلاق الإسلامية، وتنشر التعاليم الصحيحة التي يدعو إليها الإسلام.

15) دفع الحكومات الإسلامية العربية إلى زيادة التعاون والتكاثف مع المسؤولين الأفارقة وبذل المساعدات الكافية لهم، وإيثار إفريقيا على غيرها من البلادات في الاستثمارات الاقتصادية والانمائية حتى يزدهر الاقتصاد الافريقي عموما، وحتى يقع الاستغناء عن مساعدة الأقطار والحكومات المناوئة.

إن القارة الإفريقية قارتنا، ونحن أجزاء منها، وسكانها إخواننا وأحباؤنا واهتمامنا بشؤونها سيجعلها إن شاء الله تلعب دورها العظيم لا في نشر العدل والأمن والاطمئنان في المعمور فحسب، ولكن في بعث الحضارة الإسلامية ونشر الأفكار الإنسانية وتعميم الرخاء والهناء في البلاد وصدق الله العظيم الذي قال وقوله الحق : **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم**

أئمـــة ونجعلهم الــوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنـودهما منهم ما كانـوا يحـذرون﴾ ﴿واعتصمـوا بحبـل اللـه جميعـا ولا تفرقـوا، واذكروا نعمـة اللـه عليكم إذ كنتم أعـداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾.

نظرة على أحوال المسلمين ببعض أقطار إفريقية الغربية :

إن الدارس لأحوال أقطار إفريقيا الغربية يلاحظ أن نسبة المسلمين العددية تفوق غيرهم بكثير فهناك أقطار يبلغ المسلمون فيها أزيد من تسعين في المائة كالسينغال وغينيا مثلا، وأقل نسبة للمسلمين في بعض الأقطار كساحل العاج تبلغ خمسين في المائة.

ومعلوم أنه كـان للمغرب دور مهم في نشر الإسلام وبالأخص على حوض السينغال وأعالي النيجر حتى بلاد التشاد حيث كانت القبائل في عهد المرابطين تدخل في دين الله أفواجا، الأمر الذي أدى إلى قيام دول إفريقية إسلامية قوية في بلاد السودان الغربي مثل صنغاي ومالي وغيرها، كما كانت للمغرب علاقات تجارية واسعة مع بلاد السودان والبلاد الواقعة جنوب الصحراء بالإضافة إلى أن كلا من الطريقة التيجانية والطريقة القادرية بالمغرب قامتا بدور فعال في نشر الدين الإسلامي والتبشير به.

وإن امتزاج المسلمين العرب مع المسلمين الزنـوج وتصاهرهم معهم أدى إلى محو الفوارق وإزالة المركبات وجعل المسلمين هناك يشعرون بارتباطهم الدائم بإخوانهم في العالم الإسلامي يتألمون لآلمهم ويفرحون لفرحهم، الأمر الذي يخيف المستعمرين والصليبيين والصهيونيين، ويجعلهم يقرأون ألف حساب لمستقبل إفريقيا المتحررة التي يخشون أن تصبح عمليا إفريقيا الإسلامية.

وهـذا مـا يفسر الحملات التي يقـوم بهـا التبشير المسيحي والمجهودات والإعانات التي تبذلها إسرائيل لتقوية العنصر المناوئ للإسلام، ولتكوين إطارات كفأة لا تدين بالإسلام حتى تبقى الأقطار الإفريقية في قبضة يدها وحتى توقف المد الإسلامي الذي أصبح يهدد وجود الديانة التي مهدت للاستعمار وتشجعت من الاستعماريين وهو ما يفسر استيلاء طائفة من المسيحيين والوثنيين حاليا على الحكم ببعض هذه البلدان رغم أكثرية سكانها المسلمين.

فالإسلام والمسيحية هناك في صراع خفي، والمسيحية تحاول أن تحل مكان الإسلام في إفريقيا، وهي تنفق على ذلك بغير حساب، والمبشرون على اختلاف مذاهبهم سواء منهم الكاثوليكيون أو البروتستانت نشطون كل النشاط في تشييد الكنائس وبناء المدارس وتوزيع الإعنات والإسلام لا يتلقى أية إعانة تذكر من البلاد الإسلامية وإنما يدافع عن نفسه بنفسه أو كما قال لي أحد المعلمين الإفريقيين : أنه نور من الله يشق طريقه لنفسه رغم ما يتلقاه معتنقوه من عنت وحرب وإرهاق.

ولسنا بصدد توضيح الأسباب التي جعلت الإسلام ينتشر بكثرة في أقطار إفريقيا فقد تكفل بذلك الباحثون المسلمون والأجانب على السواء.

ولكني أود أن أؤكد بهذه المناسبة أن رسالة قادة المسلمين لازالت مستمرة وأن آمال سكان إفريقيا الغربية المسلمين قوية في مساعدتهم لهم وإمدادهم بكل ما من شأنه أن يحمي عقيدتهم ويصون كيانهم الإسلامي. ان سكان كل الأقطار الإفريقية يعانون كثيرا من المشاكل التي تتخبط فيها الدول المتخلفة، فزيادة على تخلفهم الاقتصادي وقلة الإطارات الفنية والتخلف الفكري لدى أغلبية المجتمع فإن مشاكل أخرى عقائدية وفكرية يعاني منها السكان.

إن أغلبية المسلمين هنـاك ليس لهم من الإسلام إلا الانتساب إليه فهم لا يدركون حقائقه وهم لا يستطيعون التعرف إلى مراميـه وتعـاليمـه، وحتى أداؤهم للشعـائر الإسلامية إنما هو مجرد عمل تقليدي، لا يتذوقون روحه، ولا يدرون حتى معنى الألفاظ والكلمات التي يتلونها أو تتلى عليهم أثناء الصلوات وكل هذا ناتج عن انتشار الجهل

وعدم معرفتهم للغة العربية (إلا القليل) التي بها يتعبدون والتي بها نزل القرآن وبها يتلى عليهم.

لقد حضرت أداء صلاة الجمعة في كثير من مساجد إفريقيا الغربية : دكار، أبيدجان، باماكو، كوناكري، فكان الخطيب يلقي خطبة الجمعة بلغة عربية ربما كان لا يدري لها هو نفسه معنى فأحرى السامعين والمنصتين، وهذا ما يفقد لصلاة الجمعة حكمتها حيث إنها ما شرعت فيها الخطبة إلا لإرشاد المسلمين وتوجيههم في حياتهم الدينية والدنيوية.

إنه لا ينبغي أن ينكر ما قامت وتقوم به بعض الطرق الدينية كالتيجانية والقادرية وبعض الجماعات الإسلامية كجماعة فولتا العليا وسيراليون من دعوة إلى الإسلام وتبشير به ولكن هذه الطرق نفسها في حاجة إلى من يأخذ بيدها حتى لا يبقى الإسلام محرفا وحتى تزول منه الأساطير والأوهام التي ألحقوها به.

ولقد استطعت أن أجتمع مع بعض الشخصيات الشابة في بعض الأقطار التي زرتها فوجدتها متألمة من الأوضاع التي عليها إخوانهم متخوفة على مستقبل الإسلام هناك حيث إن التبشير يخلق إطارات ويكون مثقفين وينشىء مدارس بينما المسلمون لا يتلقون أية مساعدة جادة من إخوانهم لتكوين نخبة مسلمة شاعرة بمسؤولياتها مثلما يعمل المسيحيون.

كما وجدتها متذمرة من أساليب بعض الطرقيين وتعاليمهم والتي يدركون أنها أصبحت تنفر الأفراد والجماعات الواعية من المسلمين، ولا تستطيع أن تقف أمام التيارات والمذاهب والأفكار المعاصرة والمنحرفة

ويزيد من خطورة الوضع أن المدارس الرسمية الموجودة في بعض الأقطار الإفريقية يتصرف فيها ويديرها مسيحيون يعملون جهدهم ليكون المعلمون بها من المسيحيين وحدهم ويضعون العراقيل أمام التلاميذ المسلمين، كما يقومون بتأدية الشعائر الدينية أمام التلاميذ حتى يقلدوهم ويسيروا على منوالهم يضاف إلى ذلك أن بعض معلمي اللغة العربية في بعض الأقطار يعانون اضطهادات ومتاعب يعرضون للطرد من الوظيف إذا ما بدرت منهم أية بادرة تتعلق بالنشاط الإسلامي. ولقد اتصلت بي جماعة من هؤلاء وعبرت لي عن ألمها من الأوضاع التي تعانيها وأسفها من فقدان المساندة من أية حكومة إسلامية.

ورغما عن الدعاية التي تقوم بها بعض الحكومات الإفريقية فإن اللغة العربية لا تلاقي مناصرة ولا مساعدة ولا تأييدا بل بالعكس من ذلك ينظر إليها كشبح مخيف رغم تطلع الكثير من الطبقات الشعبية لتعليمها لأبنائهم حيث يعتبرها الأفارقة المسلمون من تراثهم الوطني باعتبارها اللغة التي نزل بها القرآن، والتي يتوقف على معرفتها أداء الواجبات الدينية ومعرفة أحكام الدين.

ومن الغريب الذي يجب أن يذكر بهذه المناسبة، أن إسرائيل محاولة منها في التودد إلى الأفارقة وتحايلا في استجلاب رضاهم اقترحت على الجماعة الإسلامية بسيراليون أن تزودها بمعلمين للعربية ولكن الجماعة أدركت المغزى من هذا العرض فرفضته. كما أن السفير الإسرائيلي قدم للجماعة الإسلامية بفولتا العليا جملة وافرة من المصاحف القرآنية ولكن الجماعة المذكورة لم ترض أن تتلقى هذه الممنونية من إسرائيل.

وهذا كله يبين بوضوح أن إسرائيل تشعر بالحاجيات التي يتطلع إليها المسلمون فتريد أن تؤثر عليهم بكل ما من شأنه أن يكسبها عطفهم.

كما تبث دعايتها من طرق أخرى وذلك بإعطاء القروض وتأسيس الشركات وإعارة الخبراء والفنيين وبذل المنح لبعض الطلبة والطالبات الأفارقة الذين يوجدون بفلسطين المحتلة ويتجاوز عددهم المائة والعشرين.

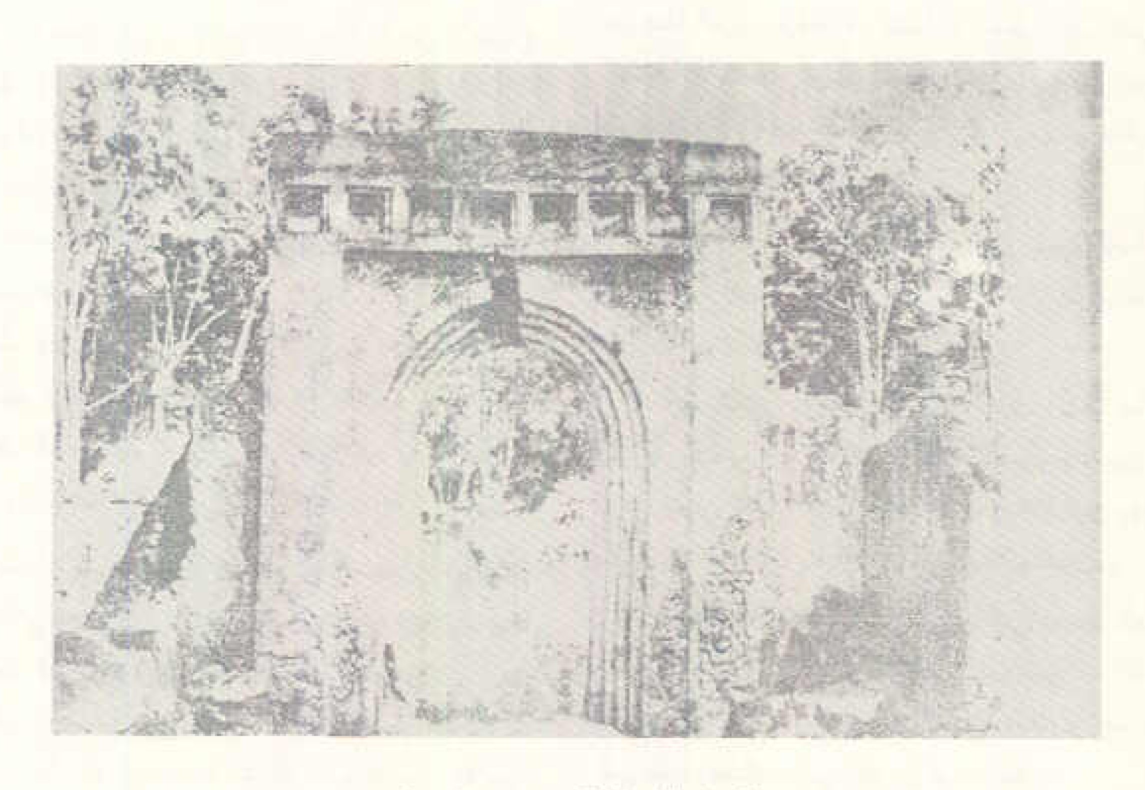
ووسط هذا الخضم من المشاكل التي يعانيها المسلمون يضاف عنصر جديد هو النشاط الذي تقوم به الجماعة الأحمدية التي تتستر بستار الإسلام ولكنها تعمل على تحريفه وإعطائه معاني وتفسيرات جديدة.

فالجماعة الأحمدية ـ كما قلنا ـ نشيطة كذلك ولها إمكانيات مالية ضخمة لسنا ندري من أين تتلقاها، فهي



(أ) منزل مستوطن (كينيا)

أقام هذا المستوطن الأوروبي منزله على الطراز الإنجليزي، ولكنه استفاد من الخامات الإفريقية في بناء المنزل لصلاحيتها لمقاومة حرارة الشمس، وعلى هذا فالمزج المعماري الأوروبي والإفريقي سطحي وبسيط.



ب - كينيا - الجامع في قيدي، بني حوالي سنة 1450

تعمل على بناء بعض المساجد والمدارس وهي تؤثر حتى على النخبة من الإفريقيين، وكمثال على ذلك أذكر أن الحاكم العام لكامبيا كان قد التحق بالجماعة الأحمدية وأهمية منصبه تجعله يؤثر في العامة ويقدم المساعدات للمتمذهبين بمذهبه، وكما أن جماعة مهمة من المسلمين في سيراليون اعتنقت هذا المذهب وصارت تدعو إليه، وتوجد جماعة إسلامية أخرى بفولتا العليا تدعو إلى ترك صلاة الجمعة وتدعي أنها ليست بواجبة، وتعمل جاهدة على نشر فكرتها، ورغم مواجهة المسلمين لها وقيامهم ضدها فإنها سائرة في خطتها تعمل بجد وتكسب الأنصار، ولسنا نجد تعليلا لذلك إلا أن يدا تعمل على محو معالم الإسلام والقضاء على مشخصات الجماعة الإسلامية.

ورغما عن هذا كله فليس هناك ما يدعو إلى اليأس ولا إلى التخوف الكبير على الإسلام فالمسلمون رغم جهلهم وتخلفهم وانتشار البدع والأفكار السخيفة بينهم والحروب المسلطة عليهم من مختلف الجهات رغما عن هذا كله فهم متمسكون بإسلامهم معتزون بدياناتهم معتبرون أن الإسلام هو مظهر شخصيتهم والمحافظ على كيانهم.

فهناك طائفة من الشباب المثقف تتقد غيرة على الإسلام وحبا فيه، وتعلقا به، وتعمل جاهدة على بث الوعي الإسلامي الصحيح، ولقد حكى لي أحدهم وهو الدكتور صامبا من «كامبيا» أن شباب المسلمين المثقف شعر بعد الاستقلال بمركزه الإسلامي وأصبح مدفوعا بنوع من التحدي لإظهار شعائر الإسلام فصار يؤدي الصلوات ويؤدي صلاة الجمعة بالأخص في مظهر ينم عن روح صادقة وإخلاص مكين، كما اجتمعت بطائفة أخرى من الشباب المسلم المثقف بأبيدجان تشعر نفس الشعور وتبذل نفس المساعي.

ولكن هؤلاء وغيرهم من الجماعات الإسلامية ينتظرون العون، ويستغيثون بالدول الإسلامية لتمدهم بالمساعدات والإعانات حتى يبقى الإسلام قويا حيا في قلوب معتنقيه وحتى يستطيع أن يصد أمام الهجمات التي تهدف إلى تحطيمه وإفنائه.

المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسنغال جسد إرادة التعاون الإسلامي بين البلدين :

لذا جاء المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال استجابة لتطلعات علماء البلدين الشقيقين إلى استئناف الدور الحضاري الإسلامي المتميز الذي قام به المغرب والسينغال عبر الأزمان لنشر الإسلام واللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية في إفريقيا الغربية أولا وفي مناطق عديدة من القارة الإفريقية. ويمكن القول إن المؤتمر جاء في الوقت المناسب ليعبر عن حقيقة التعاون الإسلامي بين البلاد الإسلامية الإفريقية عبر قنوات ثقافية وفكرية وتعليمية وبواسطة الصيغة التي اختارها البلدان والمتمثلة في (رابطة علماء المغرب والسينغال) التي أراد جلالة الملك الحسن الثاني أن تجسد الإرادة المشتركة في العمل الإسلامي الخالص لوجه الله، ولمصلحة الشعبين الشقيقين اللذين تربطهما أواصر متينة ليست وليدة اليوم وإنما هي وليدة قرون من الزمان.

كان المؤتمر ناجحاً من كافة الوجوه، سواء من حيث التنظيم والتأطير والإعداد والرعاية وحسن التنسيق، بقدر ما كان موفقا في إحداث الأثر العميق في أوساط علماء البلدين وعلماء الأقطار الإسلامية الأخرى التي شاركت في أشغاله وهي : موريتانيا، وغامبيا، ونيجيريا، وغينيا، وتشاد. هذا الأثر الذي تجلى في الانسجام التام الذي كان يسود اللقاءات الجماعية والثنائية، ويهيمن على أعمال اللجان، وعلى الجلسات العامة، على المناقشات والمحادثات التي جرت على هامش المؤتمر. وهذا مكسب مهم، إذ شعر الجميع أنهم في ضيافة بلد شقيق، وفي دار الإسلام، وفي جوار إخوة أشقاء. الأمر الذي خلق التواصل الفكري بين علماء الأمة الإسلامية في هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي.

ولقد جسد المؤتمر كل هذه المعاني، وكان مناسبة لصلة الرحم مع أهل العلم وحماة الثقافة الإسلامية في تلك الديار. وتجلت هذه المعاني بوضوح في الكلمات التي ألقيت في افتتاح المؤتمر واختتامه وكانت الكلمة القيمة

للرئيس السينغالي عبده ضيوف معبرة عن قوة وعمق الانتماء الإسلامي للسنغال الشقيق ومترجمة للشعور العام الذي يملأ جوانح الشعب السينغالي نحو المغرب وملكه، شعور الارتباط بالهوية الإسلامية والتمسك بها والعض عليها بالنواجد ورفض كل هوية دخيلة تصطدم مع حقيقة هذا الشعب المسلم الوديع المسالم الطيب المتمتع باليقظة وبالحماس للعمل من أجل دعم الصحوة الإسلامية. كما كانت كلمة السيد عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية صريحة في التعبير عن الدور الطلائعي الذي ما فتىء المغرب يقوم به بقيادة جلالة الملك لنشر كلمة الحق ولتقوية الأخوة في الله ولتعميق التعاون الإسلامي مع الأقطار الشقيقة في إفريقيا وفي طليعتها الشعب السينغالي والدولة السينغالية. وعكست هاتان الكلمتان مدى الارتباط القايم بين البلدين، ومبلغ حرصهما لإعطاء دفعة جديدة للتعاون في المجال الإسلامي البالغ الحيوية.

ولعل مؤتمراً في هذا الحجم، وعلى هذا المستوى من التنظيم أن يكون فرصة للتفكير الجدي في حاضر ومستقبل الإسلام والمسلمين في إفريقيا. وقد ساعد على هذا النوع من التفكير تعدد المشارب الثقافية بين الوفود المشاركة وتنوع المستويات الفكرية. فكان هناك علماء ودعاة ومفكرون وأساتذة الجامعة وعمداء بعض الكليات الأصيلة والحديثة ورؤساء المجالس العلمية ورجال التربية والتعليم وأطر عليا من بعض التخصصات وجمع غفير من الحضور المثقفين المهتمين بالدعوة الإسلامية وبالعمل الإسلامي العام، الأمر الذي ساعد على تلاقح الأفكار وتبادل الآراء وخلق تجانس علمي بان أثره داخل المؤتمر خارجه، وكل هذا انعكس على نتائج المؤتمر مما سيكون له بإذن الله تعالى انعكاسات قوية على آفاق الدعوة الإسلامية ليس في القارة الإفريقية فحسب بل في العالم الإسلامي بحكم الترابط القائم بين أقطاره في هذا المجال بالخصوص. وقد اهتمت توصيات وقرارات المؤتمر بهذا الجانب اهتماما ملحوظا وهو مما ينسجم وطبيعة مؤتمر تنظمه رابطة علماء غايتها الأولى نشر الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج بالأسلوب القرآني الرشيد.

ولعل من أهم القرارات الصادرة عن المؤتمر الأول لعلماء المغرب والسينغال وأولاها بالتسجيل وبالاحترام أيضا هو القرار الذي اتخذ بالإجماع لمساندة المغرب في وحدته الترابية، وفي حفاظه على مكتسباته الوطنية المشروعة في صحرائه المسترجعة، وهي مساندة لم يُملها اعتبار المجاملة ولكن اقتضتها الموضوعية والمسؤولية التي يتحملها العلماء في البلد الشقيق وفي البلدان المشاركة في المؤتمر تُجاه دينهم وأمام الله. ولذلك حكم المؤتمر على مرتزقة البوليساريو من الوجهة الإسلامية باعتبارهم خارجين عن الجماعة الإسلامية وعن الطاعة وعن البيعة، وسجلوا حكمهم في قرار هام نعتز به نحن المغاربة ويعتز به أيما اعتزاز كل مسلم لأنه قرار إسلامي محض ويعبّر عن حقيقة هؤلاء المرتزقة المارقين الذين باعوا أنفسهم للشيطان ولأعداء الله والحق والحرية.

ثم هناك قرارت أخرى تتعلق بالدعوة في إفريقيا، وأسلوب الدعوة القائم على القاعدة القرآنية ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾، وقضية التعليم الديني، ونشر اللغة العربية، والقضايا الإسلامية العالمية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية المقدسة والتضامن مع الشعب الفلسطيني، وقضية أفغانستان المسلمة، وقضية الشعب الإرتيري الإفريقي المسلم. إن هذه القضايا وغيرها عالجتها بدقة وتركيز اللجان المتفرعة عن المؤتمر العام وهي : «لجنة الدعوة الإسلامية»، ولجنة «القضايا الإسلامية»، ولجنة «التربية والتعليم». وقد أعطى المؤتمر اهتماماً كبيراً لقضية الدعوة وفق المنهج القرآني القائم على العلم والمعرفة والتفتح والمرونة واعتبار المسلمين إخوة بعيداً عن مظاهر التطرف والغلو واتباع هوى النفس وإثارة الحزازات والخلافات المذهبية التي لا تمس العقيدة في شيء.

وبالمناسبة أود أن أنوّه بظاهرة هامة تسود العلاقات بين المغرب والسينغال وهي (الوحدة المذهبية) فالشعبان على مذهب واحد، هو مذهب إمام دار الهجرة مالك بن

أنس رضي الله عنه، وهو المذهب السني الذي يجمعنا مع المنطقة كلها.

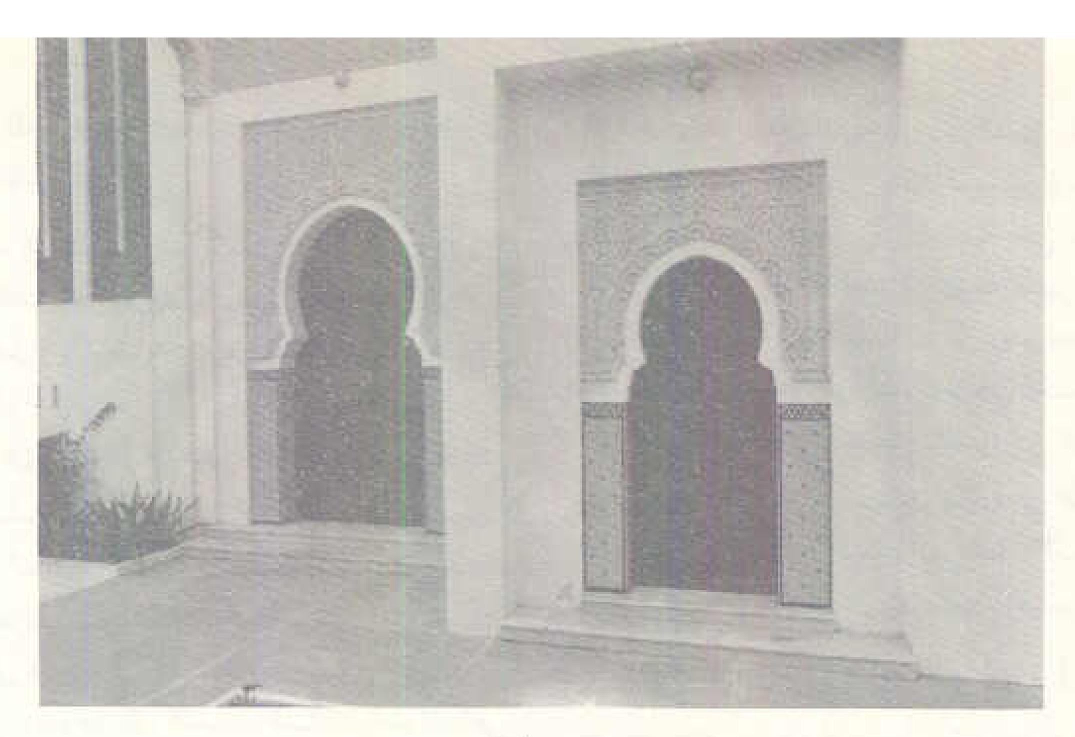
أضف إلى ذلك أن الطرق الصوفية في السينغال مثل الطريقة القادرية والطريقة التيجانية لهما انجذاب نحو المغرب وميل إليه وتعلق به. وإخواننا في السينغال يعتزون بأن الإسلام جاءهم من الشمال أي من المملكة المغربية. وقد عبروا عن مشاعرهم هذه في الكلمات والقصائد التي ألقيت بالمناسبة، فكنت تجد شاعراً منهم يقول في معرض حديثه عن الصحراء المغربية : (صحراؤنا) وكأنه يتحدث عن صحرائهم فعلا لاعتقادهم أن قضية المغرب هي قضيتهم. وهذه أعلى درجة في المحبة وفي التعلق وفي الميل الوجداني والروحي إلى المغرب. كما أن إخواننا في السينغال يبدون تعاطفاً واحتراماً عميقين لأمير المؤمنين جلالة الملك ويعتبرونه أبا روحياً للجميع. وهذه الكلمات والقصائد صدرت من الشيوخ ومن الشباب. فهناك إجماع على حب المغرب وحب عاهله العظيم، والنظر إلى هذا الوطن نظرة كلها إجلال وتقدير وإكبار. وهذه ظاهرة عامة ألحظها كلما زرت السينغال الشقيق. وجاء هذا المؤتمر ليتيح الفرصة لإخواننا هناك ليفجروا عواطفهم وليعبروا عن مشاعرهم الأخوية الجياشة. ويكفي أن يقال بهذا الخصوص أن أكثر من 2000 مواطن سنغالي من جميع الأعمار ومن مختلف المستويات شاركوا في الجلستين الافتتاحين والاختتامية للمؤتمر في القاعة الكبرى للمعرض الدولي بضاحية العاصمة دكار. فكانت القاعة تضج بتصفيقاتهم الحارة المتواصلة كلما ذكر اسم جلالة الملك والدور الإسلامي للمغرب.

إن متابعة القرارات مسألة ضرورية ومؤكدة. وأنا أتمنى أن يتيسر تطبيق جميع هذه القرارات والتوصيات نظراً لجديتها ولأهميتها ولحاجة المسلمين في البلدين إليها. وعندي أن المسألة الجديرة بالاهتمام وبالرعاية في هذا الوقت هي الإعلان الرسمي عن قبول علماء موريتانيا وغامبيا وتشاد ونيجيريا وغينيا الذين طالبوا بالانضمام إلى رابطة علماء المغرب والسينغال لتأكيد ما أعلنه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية عن هذا القبول. ولا يهم الآن الصيغة أو الإطار التنظيمي، ولكن المهم هو الإعلان الرسمي عن ضم علماء هذه الأقطار إلى الرابطة. ففي ذلك تقوية لها وتزكية لجهودها وتأمين لمردودية أفضل وأحسن في النتائج. ثم، وهذا أيضاً مهم لابد من وضع مخطط دقيق لعمل الرابطة، لتقوم على أساس منهجي لخدمة العقيدة الصحيحة ولنشر الإسلام الحقيقي وللدعوة إلى الله بالحكمة وبالعلم وبالأسلوب الذي ينفع ويمكث في الأرض، نظراً للتحديات التي تجابه المسلمين في هذه الأقطار، والتي تستهدف المساس بعقيدتهم، وبوهويتهم، وبكيانهم الإسلامي.

تقوية الرابطة تفتح المجال أمام أقطار أخرى مطلب ضروري. وهنا أرى من الواجب أن أشيد مرة أخرى بالجهد الذي بذلته وزارة الأوقاف لعقد هذا المؤتمر، فلولا هذا الجهد المنظم والمكثف لما أمكن الوصول إلى النتائج الطيبة التي وصل إليها المؤتمر. وأرى أن مسؤولية الوزارة في هذا الصدد، أعني وضع مخطط جديد يناسب الحجم المنتظر للرابطة، مسؤولية كبيرة. ولابد أن يتحمل المغرب، كالعهد به دائماً دوره كاملاً، في هذا السبيل، لأن هذا قدرهُ، وتلك رسالتُه.

لابد إذن من متابعة الجهد ومواصلة العمل لتطبيق القرارات وإلا ضاعت الجهود، وهي جهود مخلصة لاشك في إخلاصها. وأرى مرة ثانية أن تطبيق المقررات مرهون بوضع هذا المخطط على أسس منهجية لاستيعاب الدول الشقيقة الأخرى.

وأود أن أفتح قوسين هنا لأشير إلى الظاهرة الجديدة في السينغال الشقيق، وهي فسح المجال أمام الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية بصفة رسمية في المدارس الابتدائية. وهذه خطوة جيّدة سيكون لها مردودها في المستقبل وفي الحاضر أيضاً. ولكن هناك ملاحظة أساسية لابد من تسجيلها في هذا الحديث، وهي أن المدارس الحكومية في البلد الشقيق لاتلقن للتلاميذ أية حصة في الدين الإسلامي. وهذا أمرٌ غريب وهو وضع في حاجة إلى مراجعة انسجاماً



الكونغو



ليبروفيل الكابون



ليبروفيل الكونغو

مع طبيعة الشعب السينغالي المسلم المتدين والذي نسبة المسلمين منه 95 بالمائة.

وإنني أغتنم هذه الفرصة لأتوجه شخصياً إلى فخامة الرئيس عبده ضيوف، وهو القائد المسلم، والمثقف المتبصر العارف لحقائق التاريخ ولماضي بلاده ولحقيقة شعبه، أتوجه إليه ليتولى مع حكومته وبرلمان شعبه إعداد برنامج وطني لتدريس الدين الإسلامي في المدارس الحكومية على اختلاف مستوياتها وهذا لايتنافى مع حرية غير المسلمين الذين لهم الحق في أن يتلقوا حصصا في تربيتهم الدينية والقرآنية وفق عقيدتهم.

وهنا لابأس من التذكير بما كانت هيأته وزارة التربية الوطنية في عهد الدكتور عز الدين العراقي من ترجمة كتب منهج التربية الإسلامية إلى اللغة الفرنسية لتستعين بها الأقطار الإسلامية الناطقة بالفرنسية. ويمكن أن يتم تعاون شامل بين البلدين في هذا المجال تيسيراً على الشعب السينغالي الشقيق في إيجاد الأداة الطيعة لدراسة أمور دينه الحنيف.

إنني أوكد على أهمية هذا الموضوع حتى يأخذ الشعب السينغالي حظه من التوجيه الإسلامي عبر القنوات الرسمية. وليس هذا بعزيز على همة الرئيس عبده ضيوف الذي نذكر لفخامته أنه خطا خطوات واسعة على طريق تقوية الانتماء الإسلامي لبلاده مما سيجعلها مقراً لمؤتمر القمة الإسلامي السادس في يناير عام 1990.

لا أحد ينكر أن للمغرب دوراً رائداً وطلائعياً في هذه المنطقة. وأعتقد أن هذا المؤتمر هو علامة على الوعي المسؤول بهذا الدور. ولكن أمامنا مهام كبيرة ومسؤوليات ثقيلة لابد أن ننهض بها. أذكر على سبيل المثال أن المغرب بنى بالعاصمة السينغالية مسجداً عظيما يحمل اسم مسجد محمد الخامس على الطراز المغربي الصرف : وهو معلمة إسلامية تشهد بدور المغرب الإشعاعي. ولكن قيل لنا إن هذا المسجد لا يفتح أبوابه في وجه المؤمنين إلا يوم الجمعة لصلاة الجمعة فحسب. ويقفل في سائر الأيام. ولا تؤدى فيه الصلوات الخمس. وهو وضع غير طبيعي. ثم إن المسجد في حاجة إلى الصيانة والعناية بمرافقه.

إنه من واجبنا أن ندعو إلى فتح هذا المسجد في سائر الأيام ليؤدي رسالته. وإذا كان خصاص في الموظفين الدينيين والأطر المسيرة للمسجد فليتحمل المغرب بالتعاون والتنسيق مع المسؤولين السينغاليين، مسؤوليته وليقم بواجبه وليكمل دوره الذي بدأه.

وعلاوة على ذلك يوجد بالعاصمة السينغالية معهد إسلامي أنشأه المغرب أيضاً وهو في حاجة إلى إعادة النظر في الوظيفة التي يقوم بها. ويكفي أن أشير إلى أن المعهد لا يفتح أبوابه إلا في الساعة السادسة مساء، كما أن بيوت إيواء الطلبة الملحقة به مقفلة. فلماذا لايستغل هذا المعهد الاستغلال الجيد والمدروس، ويمتلىء بالطلبة والدارسين الذين يفدون عليه ليتفرغوا للعلم. وهنا، ولا شك، تبرز مسؤولية وزارات التربية الوطنية والثقافة والأوقاف عندنا التي نغتنم هذه الفرصة فندعوها أن تتحرك بالتنسيق مع وزارة التعليم العالي في السينغال لإعطاء نفس جديد لهذا المعهد الذي هو من معالم التعاون بين البلدين.

إن الاهتمام بهذا الطلب ودراسته سيجعل المعهد المذكور يعطي الثمرة التي أنشيء من أجلها، وسيكون أطراً مثقفة ثقافة إسلامية عالية لا تستفيد منها السينغال فحسب، ولكن تستفيد منها كل الأقطار الإفريقية.

سلا : أبو بكر القادري



كان لعلماء فاس وقضاتها وعدولها إلى عهد قريب طريقة في كتابة الأعداد، اخترعوها لتقييد التركات والفرائض في تقسيم الإرث لا يعرفها إلا هم، وذلك للتعمية على من تسول له نفسه تغيير العقود وتزييفها، وقد نظم شيخ الإسلام أبو السعود عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1091 هـ (1680م) رجزاً في بيان أشكال هذه الأرقام المسماة «بالقلم الفاسي»، ولفظة القلم هنا، معناها صور الأرقام ونظامها في الحضارات المختلفة فيقال، القلم الرومي للحساب اليوناني، والقلم الهندي والقلم الغباري، ونظام القلم الفاسي لا يرتكز على الصفر وإنما يعطي للشكل قيمة خاصة، وعدد هذه الأشكال سبعة وعشرون : تسعة للآحاد، وتسعة للعشرات، وتسعة للمئين، معنى هذا أن صور الآحاد من واحد إلى تسعة وصور العشرات من عشرة إلى تسعين وصور المئين من مائة إلى تسعمائة...

أما الآلاف فهي : لآحاد الآلاف صور الآحاد المذكورة وتحتها مطة وصور عشرات الآلاف العشرات المذكورة وتحتها مطة وصور مئات الآلاف هي صور المئين المذكورة وتحتها مطة بمعنى أن صور آحاد الآلاف تسير من ألف إلى تسعة آلاف وعشرات الآلاف تسير من عشرة آلاف إلى تسعين ألفا صور مئات الآلاف تسير من مائة ألف إلى تسعمائة ألف.

أما آلاف الآف وهي ما يسمى اليوم الملايين فهي لآحدها صور الآحاد المذكورة وتحتها مطتان وصور عشرات الملايين العشرات المذكورة وتحتها مطتان وصور مئات الملايين فهي صور المئين وتحتها مطتان.

وكما يظهر ذلك في اللائحة المصورة قبله التي استخرجتها من رجز جدنا أبي السعود الفاسي وقد ألف العلامة القاضي أبو العباس أحمد بن العياشي سكيرج شرحا لهذه المنظومة سماه «إرشاد المتعلم والناسي في صفة اشكال القلم الفاسي» طبع على الحجر بفاس سنة 1316 هـ. (1898م) وقد ورد فيها قوله : «اعلم أن وضع هذا القلم إنما قصد به الاختصار في الوضع العددي والتعمية على العوام خوف التبديل والتغيير ولما كان قليل الدوران بين العدول المتقدمين لا يعرفون غالبا إلا من له ممارسة وبحث واعتناء بالأمور وقد فشا ظهوره عند السادة الفاسيين فنسب

9 8 7 6 5 4 3 2 1

90 80 70 60 50 40 30 20 10

900 800 700 600 500 400 300 200 100

وهكذا الى تسعه آلاف 1000

وهكذا الى تسعين الفــا 10.000

وهكذا الى تسعمائـه الــف 100.000

وهكذا الى تسعــه آلاف ألف 1000.000

وهكذا الى تسعيــن ألــف الــف 10.000.000

وهكذا الى تسعمائه آلاف الــف 100.000.000

إليهم وليس من وضعهم بل هو مأخوذ من القلم الرومي». وفي هذا نظر إذ لو كان أصله يونانيا وهو ما تعنيه لفظة الروم عند العرب يبقى له أثر بالمشرق وأما الاتصال المباشر للمغاربة بالحضارة اليونانية فإنه لم يقع قط والحضارة العربية المغربية لا تعرف الحضارة اليونانية إلا عن طريق ما وقع من ترجمة لآثارهم أيام العباسيين ثم إن قوله :

إن هذا القلم كان قليل الدوران بين العدول المتقدمين فالمقصود بذلك ما قبل القرن العاشر وإلا فلدينا وثائق كثيرة من رسوم عدلية ومن رسائل سلطانية وغيرها مؤرخة بالقلم الفاسي. وفي خزانتي التي ورثتها عن أسلافي كتب لسيوطي زمانه أبي زيد عبد الرحمن الفاسي المتوفى سنة 1096 هـ. (1685) مكتوبة بخطه ومؤرخة بالقلم الفاسي ومن هذه الوثائق تركة لزوج جدنا أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي السعود عبد القادر الفاسي. وقد توفيت سنة 1151 هـ (1743) وكل ميراثها وتقسيمه على ورثتها بالقلم الفاسي..

ومع البحث ملحق بهذه الوثيقة التي مر عليها إثنتان وخمسون ومائتا سنة.

ثم إن واضعي القلم الفاسي جعلوا أشكالا للكسور وهي عبارة عن أعداد الآحاد مع مدة صغيرة في أسفل الشكل إلى اليسار هكذا :.

عُشُر عُشُران 3 أعشار، وهكذا إلى تسعة أعشار

أما منظومة أبي السعود الفاسي التي شرحها القاضي سكيرج فهي :

لواحد الأعداد هاء واقفة
ثان كمطة شبه في الصفة

والثالث ارْسُمَنْه لامَ الألف
لكن يُمناه بذيل قد ردف

والرابع المخلاب راسه يمين
والعين خامس وسادس يبين

صورة هاء غير أن عقدها
إلى اليمين وارسمن بعدها

علم سبعة كشكل الأربعة
لكن رأسه شمالا ارْفعه

والكاف واقف وهاء واقفة
هو الثمانية ياذا المعرفة

والكاف تسعة وَرُدّ صَرفَه
داخله وعاشريا في الصفة

مردودة وشدة للعشرين
وَلِي اجْعَلَنْهَا صورةَ الثلاثين

ثمت يبقى شكل أربعينا
لمى لخمسين وللستينا

صح ولسبعين شبه داره
وشدة من فوقها إشارة

إلى اليمين علم الثمانين
ولمح أثِر بها للتسعين

وبعده ارسمن لنظم المئين
فمائة كصى ارسم ومائتين

يـاء وتحت شرطة بغير مين
ففهمنه ورتبه باليقين

وثالث المئين ياء أخرى
وفوقها مد منحت النصرا

ورابع المئين لام الألف
وهي لخمسمائة لنعترف

والعين ستمـــائـــة قـــد ميـــزت
بشرطـــة داخليـــا وخصصت

واليـــاء فـوق اليـــاء سبعمـــائـــة
ثم الثمـــان الـــواو تحت شـــدة

وشـــدة من فـوق يـــاتـعمـــائـــة
والمـــد تحت الهـــاء في عشر مـــائـــة

وهكـــــذا مراتب الآلاف
تجعـــل مـــدا لكـــل الأحرف

هذا وإن القلم الفاسي لم يبق أحد يعرفه من عدول فاس وقضاتها، وفي الماضي كان كل من يدلي برسم عدلي لدى أحد القضاة يبدأ هذا الأخير بالتعريف بالعدلين الموقعين عليه وبالقاضي الذي جعل عليه علامته ثم ينظر في أشكال القلم الفاسي ويصدق على الكل بما يسمى الإكمال أي يجعل الوثيقة معمولا بها. لذا يعتبر هذا التحقيق الذي قمت به مفيداً للمؤرخين المختصين في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العصور السابقة وسأعمل على نشره بكيفية موسعة حتى تعم الفائدة به.

الرباط : محمد الفاسي



طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا الغربية

في العصر الوسيط

للدكتور إبراهيم حركات

المغرب أخ شقيق لافريقيا الغربية منذ ما قبل التاريخ، فالأرض المغربية إلى جانب الصحراء الكبرى في رأس لائحة مناطق القارة الإفريقية التي أعطت لهذه القارة أقدم سكانها وهم الزنوج، فليس غريباً أن تبدأ العلاقات المغربية مع افريقيا الغربية من الإنسان الموغل في القدم.

وفي وقت غير محدّد، ولكنه قبل الميلاد بعهد طويل كانت علاقات تواصل بين الشمال وما وراء الصحراء، ودخل الجمل في العهد الروماني عن طريق عناصر سورية ليفتح آفاقاً جديدة من التعامل في المجالات الإنسانية والاقتصادية بعد أن أصبح الفرس أقل احتمالا لصعوبات المناخ وأعز وجوداً.

وتبدأ معلوماتنا تتسع أكثر فأكثر، مع دخول الإسلام إلى الشمال الإفريقي. فالسرايا الإسلامية تتوغل في السوس الأقصى الذي ينتهي في عرف ابن خلدون إلى الساقية الحمراء. ولا نعلم على التحديد أين وصل جيش موسى ابن نصير، ولكنه كلف نجله مروان بإخضاع هذه المنطقة التي عاد منها بغنائم عظيمة وسبْي وفير. وفي عهد الوالي العام عبيد الله بن أبي الحبحاب عين على السوس نجله اسماعيل. وهذا يحملنا على الاعتقاد بأن الطريق الرئيسي بين المغرب وافريقيا الغربية كان في هذه الحقبة يمر بسوس والصحراء الغربية. وفي هذه الفترة قام حبيب بن أبي عبيدة، حفيد عقبة بن نافع بالتوغل في مناطق مسوفة، وبلغت سراياه السنغال، ويرى دونيزپولم أن هذه الحملة كانت الغاية منها هي مقايضة نسيج الشمال وملحه بذهب السودان وعبيده وصمغه، لكن الرواية الإسلامية إذا تحدثت عن الغنائم لا تذكر المقايضة ولا الذهب في هذه الحقبة على الأقل. وآخر ولاة إفريقية في العهد الأُموي توغلت جيوشه باتجاه أودغست عبر درعة وتندوف، حيث حفرت آباراً في طريقها. ويتحدث البكري عن أعقاب الجيش الأُموي بغانا وأفاد أنهم كانوا يعيشون في شبه عزلة عن الغانيين. وفي هذه المرة يتضح لنا وجود طريق صحراوي عبر تندوف يحتمل أن يكون متصلاً بطريق سجلماسة ولو أن هذه المدينة نفسها لم يكن لها وجود. وكيفما كان الأمر فمرور الجيش إلى السودان لابد أن يكون من طريق مطروق، ومن جهة أخرى فإن الحملات الإسلامية اتّسمت في هذه المناطق غالبا بالعنف. ودخول الإسلام تكتنفه الافتراضات فهناك من يجعل إسلام قسم من صنهاجة افريقيا الغربية على يد عقبة وأن هؤلاء الذين أسلموا تولوا جهاد السودان من جيرانهم كما في روض القرطاس. لكن لا نبالغ في إعطاء هذا الإسلام السوداني المبكر صبغة

متكاملة، فيكفي أن عبد الله بن ياسين وجد أوضاع صنهاجة في المجال الإسلامي تثير الغرابة. وعلى أي حال فقد تحكمت صنهاجة في طريق درعة - غانا لفترات متفاوتة. غير أن ظهور الأدارسة أعطى نفسا جديدا للعلاقات المغربية السودانية، فإن الأمير عبد الله بن ادريس الثاني أنشأ تامدولت التي قال عنها مؤلف الاستبصار، إنها على رأس نهر درعة أي عند مصبه على المحيط. وقال : إن العمارة كانت متصلة بينها وبين درعة على مسافة ستة أيام سيرا. وبالطبع فإن تامدولت فتحت علاقات مع غانا وهي علاقات اقتصادية، كما أن الأدارسة قاموا بدور طيب في التوعية الدينية. بل إن الأدارسة بشهادة ابن خرداذبه مدوا نفوذهم السياسي إلى منطقة زاغة بالنيجير، وابن خرداذبه يسميها بلاد زاغي بن زاغي[1]، وفي الواقع لم يهتم الأدارسة وحدهم بإفريقيا الغربية فإن تاهرت الرُسْتُمية قامت بمهمة مشابهة عن طريق سجلماسة وورارغلة. ولا يمكن أن نفهم من هذا أن حركة نقل العبيد كانت نشطة في الأسواق الشمالية. فهذا النشاط سيتخذ أبعادا جديدة مع المرابطين. ولاريب أن مدينة كاغو العريقة جذبت إليها تجار الذهب في العهد الإدريسي. والحميري يقول عنها بعد أربعة قرون إنها أكثر بلاد السودان ذهباً، وتجارة الذهب لم تشمل الشمال الإفريقي وحده، بل الأندلس أيضاً. وفي هذه الفترة الموازية للعصر الإدريسي بلغت غانا حدا من الترف بسبب مواردها من تجارة الذهب، وكانت القوافل المغاربية خلال العصر الوسيط تتجه إلى مراكز النخاسة خصوصا بنهر السنغال حيث تصحب الرقيق وتقتني كميات من الذهب والعاج. وفي أواسط القرن العاشر الميلادي كانت أودغست عاصمة غانا تابعة لزعيم صنهاجي ذكر مؤلف الاستبصار أن منطقة نفوذه امتدت عبر مسافة شهرين في مثلها، وهي مسافة تعادل مليون كيلومتر مربع تقريبا وكانت عمارتها متصلة كما قال.

ويبدأ التعرف أكثر فأكثر على مناطق السودان بعد ظهور عبد الله بن ياسين. وهذا على الأقل ما يرجحه الحسن الوزان الذي يرى أن هذا التاريخ هو منطلق للتعرف على هذه المناطق، وهذا بالطبع يخالف الحقائق التاريخية السابق ذكرها. وإذا كان المرابطون قد عملوا على نشر الإسلام لدى جيرانهم الأفارقة فإن ذلك فتح باب التواصل البشري والاقتصادي على أوسع نطاق بين الشمال والجنوب، حتى إن تجار الشمال أخذوا يتعلمون لغات السودان كما قال الحسن الوزان.

واتخذ المرابطون في جيوشهم عددا كبيرا من السودان، والواقع أن العنصر السوداني شارك في الفتوح الأولى للأندلس، ولكن لا نعلم إذا كانوا من سودان الغرب أو إفريقيا الوسطى، وفي معركة الزلاقة وحدها ساهم مالا يقل عن عشرة آلاف منهم، بل يمكن القول بالتأكيد أن فرقة الرماة منهم كان لها دور حاسم في الانتصار الإسلامي. وقبل المرابطين كان العنصر السوداني مع الحموديين الأدارسة بالأندلس، فضلا عن وجودهم لدى الزيريين والحماديين. وتحكم العنصر الصنهاجي بشكل حاسم ولعدة قرون في الطريقين الصحراويين، المار أحدهما من سجلماسة إلى مالي ثم النيجير، والثاني من السوس الأقصى عبر الساحل باتجاه غانا. ولهذا الغرض كانت سجلماسة أول مركز قصدته الهجومات المرابطية. كما أن المرابطين اعتنوا بمدينة نول لمطة وهي غير بعيد من تامدولت التي بدأت تتخلى عن مكانها للمدينة المذكورة والتي تحدث عن أهميتها غير واحد من الجغرافيين لا سيما مؤلف الاستبصار.

ويبدو الانتشار الإسلامي بغانا واضحاً من خلال التأثير المرابطي خلال القرن الحادي عشر، فحتى العاصمة الغانية تكونها مدينتان إحداهما خصصت للمسلمين الذين يتوفرون على مساجد كثيرة فضلاً عن مسجد آخر داخل المدينة الوثنية الغانية. وينسب Basil David Suy غانا أو بالأصح عاصمتها الأولى إلى جماعة من يهود سوريا الذين استوطنوا المنطقة خلال أواخر القرن الثالث للميلاد، ولا يمكن تحديد مدى صدق هذه الرواية مالم تكن قد تناولتها وثائق لاتينية أو عبرانية.

وأتاح التوغل المرابطي والصنهاجي عموماً في الأقطار والمواقع التي تتوفر على الذهب إمكانية حصول المرابطين على كميات غير قليلة من هذا المعدن الثمين، وهكذا يتحدث البكري عن دنانير الذهب الخالص التي

كانت تتعامل بها تادمكة الصنهاجية، كما أن العملة الرائجة في عموم المناطق المرابطية كانت لها قوة رواج خارجها لصفائها. وخلافاً لما هو متعارف من أن أقطار السودان ظلت تتعامل بنظام المقايضة حتى بزغ نجم الاستعمار، فإن المكوس التي وضعتها الدولة الغانية على الملح والنحاس والأمتعة كانت بعملة مسكوكة من الدنانير والمثاقيل، وهذا ما سجله البكري في القرن 11م واعتبر ذهب غانا أجود الذهب. ومعلوم أن الأندلس كانت تحصل على الذهب إما عن طريق تجارتها أو من طريق المغاربة، وكيفما كان الأمر فالبكري الأندلسي كان يعرف جيداً ما يروج في وطنه، ثم إن غانا أُمِّمت في هذا العصر مناجم الذهب، وهذا شبيه بما اتخذه الفاطميون من إجراءات بالنسبة لذهب النوبة، ولم يكن الاستغلال العمومي مسموحا به إلا بالنسبة لدقيق التبر، وذلك حتى لايكثر الذهب لدى الجميع فيقل الطلب عليه وتنزل قيمته، وكانت غيارُوا على ضفة النيجير أهم مناجم غانا ذات الذهب الجيد.

كان الدور الصنهاجي بالغ الأهمية في ربط العلاقات بين الشمال والجنوب، وبدون الوساطة الصنهاجية كانت العلاقات ستبقى في نطاق محدود بين الشمال والجنوب، وذلك أن المرابطين حكموا الشمال وأضافوا إليه الجزيرة الإيبيرية التي هي مستهلك ذو أهمية في ذلك الوقت سواء شقها المسيحي أو الإسلامي. ثم إنهم راقبوا في النهاية، الجزر الشرقية التي فتحت لهم طريق الجزر الأوروبية الأخرى كسردانيا وصقلية، وبذلك حلوا إلى حد كبير، محل وسطاء مغاربة وغيرهم. والأهم من هذا أننا نرى العنصر السوداني لا يتحرك نحو الشمال لذاته إلا بشكل محدود فهو يستقدم شراء للعمل في الجيش أو لخدمة الحكام، وحتى في الجيش لاثرى ضباطا كبارا يبرز دورهم في المسؤوليات العليا من بين أفراد هذا العنصر، ومع ذلك فهذا العنصر يؤدي دوراً جليلاً في موقعة الزلاقة وفي حماية الحصون الأندلسية قبل ذلك وبعد ذلك (كانت غرناطة التي حكمها بنو زيري قبل المرابطين تتوفر على حامية سودانية كما يذكر ابن الخطيب في الإحاطة).

وإذا كان المرابطون قد راقبوا طريق غانا المار من درعة، فإن طريق الصحراء الغربية احتفظ بمكانته بل ازدادت هذه المكانة قوة، فقبلهم كان التجار الهواريون من أغمات يتوجهون إلى أقطار السودان الغربي محملين بقناطير النحاس وآلات الحديد والعطر والتوابل وثياب الصوف وغيرها من البضائع. وبدون شك كان لتجار اليهود دور بارز في هذا المجال أيضاً، فقد كان لهم بالسوق الأغماتي مقام رئيسي، وعندما نقل المرابطون عاصمتهم من أغمات إلى مراكش فقد كان هذا يعني القضاء على النمو الاقتصادي لأغمات وذلك ما حصل فعلاً.

وقد انطلق المرابطون من عمق التراب السنغالي، وبالذات من جزيرة شمال نهر السنغال، وقام عبد الله بن ياسين بنشاط واسع في مجال الدعوة الإسلامية ونشر المذهب المالكي. وكذلك تابع أبو بكر بن عمر هذه المهمة بين القبائل الوثنية، وكان من أبرز القضاة الذين تعاونوا معه أبو بكر المرادي ذو الأصل القيرواني الذي نسب إليه إدخال علم الاعتقاد أو التوحيد إلى المغرب والسودان، كما وضع كتاب السياسة الذي يحتمل أن أبا بكر بن عمر وكبار مساعديه قد اطلعوا عليه، وهكذا توغل الإسلام بعيداً في افريقيا الغربية تارة عن طريق المرابطين، وطوراً عن طريق بعض زعماء السودان المسلمين، وهكذا أسلمت جهات عديدة من حوض النيجر، وكان من أقوى المناطق النائية المجاورة للملثمين منطقة الزافون. ويذكر ياقوت في معجم البلدان أن الزافون كانوا مسلمين ذوي منعة وقوة، وأنهم كانوا أعرف بسياسة الملك من الملثمين، وأن يوسف بن تاشفين كان يعظم ملكها المعاصر له، واستقبله يوسف بن تاشفين بقصره باحترام فائق، ويشير الحِمْيري إلى شعب رَاكْنُو بَدل الزافون، ويقول إنهم بربر.

ويعتبر الحسن الوزان، سكان مالي أول شعوب السودان سبقا إلى الإسلام بافريقيا الغربية في عهد أبي بكر بن عمر، غير أن مثل هذا الحسم يصعب قبوله لأنه يلغي دور التجار القدامى وإمارة تامدولت الإدريسية التي امتد نفوذها إلى نهر النيجير، لكن مما لاشك فيه كان دور المرابطين تصحيحياً من جهة وتوسعا في الدعوة الإسلامية من جهة أخرى، أما التكرور الواقعة على نهر النيجير في

القطر المالي الحالي فقد أسلمت على يد ملكها ورجابي الذي توفي سنة 432 هـ، أي أن إسلام المنطقة تمّ قبل الانطلاقة المرابطية، وفي هذا الوقت كما في القرن التالي كانت تكرور ذات حضارة زاهرة، وتؤخر رواية الاستبصار قليلاً، إسلام التكرور، بالنسبة لرواية البكري، كما أن الاستبصار ينسب إسلام هذه الجهة إلى وزجاي بن ياسين، وربما كان أخا لعبد الله بن ياسين.

وهناك مملكة قوية أخرى هي سنغاي التي نشأت على حوض النيجير بين إقليم تمبكتو وحدود نيجيريا الحديثة، ومعالمها السكانية تتضح خصوصاً منذ القرن العاشر. وهي خليط من بربر لمطة الليبية، والزنوج المحليين والسوركو القادمين من بحيرة تشاد على ما يحتمل، وهم صيادو سمك، واستولى ضياء بن قيس على غاو في أوائل القرن 11م وجعل منها عاصمة لسنغاي التي كانت تجاور لمتونة أدرار كما يذكر باذل دافدصن. وبسنغاي وجدت شواهد قبور منقوشة بالعربية مما يدل على التأثير القوي الذي كان للشمال في هذه المنطقة التي امتزج فيها الدم الصنهاجي والزنجي. ويتحدث البكري عن إسلام كاغو بينما كان من حولها وثنيين. وكانوا يتلقون عن طريق المغرب والمناطق الداخلية، الملح والودع والنحاس والفربيون Euphorbe وهو نبات طبي ينمو في المناطق المدارية. ويعد القرن الحادي عشر بالنسبة لافريقيا الغربية، والجزء الغربي من شمالي افريقيا فترة انبعاث الحكم الوطني، أو بالأحرى فترة قيام أول حكم وطني قوي بالنسبة لغالبية المنطقة. إن الانطلاقة المرابطية كانت من غير شك ذات تأثير في سريان هذه الروح الوطنية حيث نجد نظام حكم آخر ينشأ في هذا القرن بكانم وبورنو، وهو حكم إسلامي ووطني امتد من تشاد إلى نيجيريا والكامرون (كاني، مجلة البحوث التاريخية بليبيا ـ يناير 1981).

ويبدو أن المغرب أحكم صلاته التجارية بغانا خلال القرن الثاني عشر، متخذاً من المحور الممتد من تارودانت عبر الصحراء المغربية وموريتانيا الساحلية طريقاً دائب الحركة بعد أن تراجع المرابطون إلى مراكزهم القديمة بالصحراء. ويذكرنا هذا النشاط بسالفه في العهد الإدريسي، لكن الموحدين لم يغامروا بالزج بجنودهم فيما وراء مشارف نول ودرعة جنوباً، فاكتفوا بتوطيد علاقاتهم الاقتصادية بغانا بعيداً عن المغامرات الحربية، وفي هذه الفترة بلغت كل من تارودانت وإيغلي شأواً بعيداً في مجال إنتاج قصب السكر وتصنيعه وتزويد الشمال الإفريقي والأندلس بأجود أنواعه، وكانت إيغلي تزود أقطار السودان بالنحاس المسبوك أي على شكل سبائك كما عند الإدريسي الذي يجعل من أوليل آخر مراسي المغرب حيث مواطن جدالة.

ويظهر أن العلاقات لم تكن على ما يرام في بعض الفترات خلال القرن الثاني عشر، فالمنصور رفض هدية من السودان هي عبارة عن فيل. ومع أن الهدية ربما كانت من تجار السودان بعيدا عن الرسميات فإن رفض المنصور لها لم يكن سوى رد فعل ضد بعض مواقف حكام السودان. وهكذا فالأمير أبو الربيع سليمان والي سجلماسة وأقاليمها وجه مذكرة إلى ملك غانا يستنكر العراقيل التي توضع أمام صغار التجار المتجهين من المغرب، ويذكره بأن اختلاف الدين بين الجانبين لا يمنع من حسن التعايش، وأن الجانب المغربي بإمكانه أن يعامل تجار السودان بالمغرب بالمثل، لكنه لا يستصوب هذا الاتجاه. وقد نقل المقري في نفح الطيب (ج 4، طبعة القاهرة 1949) هذا الجزء من المذكرة المشار إليها، عن رحلة التُّرْجُمي المصري الذي عاصر الموحدين.

وشهد القرن الثالث عشر تطورات جديدة، فمن جهة، حرصت بعض مراكز القوى الشعبية بسوس على أن تحل محل الدولة في مراقبة طريق غانا عبر السوس الأقصى، ومن جهة ثانية بدأ المغرب ينظر إلى العلاقات مع السودان نظرة فيها انفتاح دبلوماسي وفكري اتسع أكثر فأكثر خلال القرن التالي. وهكذا نشأت إمارة بني يدر بسوس في أواخر العصر الموحدي، واستقدمت مجموعات بني معقل الحسانيين الذين كانوا يستوطنون حوض ملوية، وذلك بحجة وجود علاقة دم بين مؤسس هذه الإمارة وبني معقل. وابتداء من هذه الفترة، وبالرغم من حرص الحكومة المركزية على ضمان وحدة المغرب في مفهومه الواسع نجد

الصحراء الجنوبية والغربية مع تبعيتها بالولاء والبيعة للسلطة المغربية تصبح وسيطاً رسمياً للمغرب، لدى أقطار السودان، وذلك من طريق كل من معقل ومسوفة. فمنهما الأدلاء، والموفدون الرسميون المرافقون للوفود المركزية إلى أقطار السودان، وبدون معقل ومسوفة لم يكن باستطاعة المغرب الرسمي لفترة تمتد من القرن 13 إلى 19 أن يضبط علاقاته بافريقيا الغربية بشكل مستمر وطبيعي، وينبغي أن نعتبر هذه الخطة نجاحاً بارعاً للدبلوماسية المغربية التي تعد من أعرق الدبلوماسيات العالمية، وعن طريق معقل ومسوفة، زعماء وأدلاء ووسطاء، وأيضاً كطلبة بمعاهد المغرب وكأساتذة ومسؤولين عسكريين وإداريين، نجح المغاربة في تنشيط علاقاتهم بافريقيا الغربية؛ بل إن القرويين استقبلت منذ القرن 13م، أعدادا كبيرة من طلاب بورنو وكانم، كما ذهب زملاء لهم إلى كل من القاهرة وتونس، وبهذا الصدد يقول كاني في مجلة البحوث التاريخية السابق ذكرها إن الأزهر والقرويين ساهما مساهمة مهمة في نقل المعرفة إلى كانم وبورنو وإلى مناطق أخرى في السودان الأوسط، وإذا كان الأمر هكذا بالنسبة لافريقيا الوسطى فما الذي تكون عليه علاقات المغرب مع افريقيا الغربية الأقرب نسبياً ؟

وخلال القرن 14 عاد طريق سجلماسة ـ السودان الغربي إلى أشد ما يكون نشاطاً وحركة، فسجلماسة تتوفر على نسبة كبيرة من التجار والسكان الزناتيين الذين يجدون في الدولة المرينية الحماية والمنعة، وفي هذه الفترة يتحدث ابن بطوطة عن تبادل الملح في تغازي بالذهب ويقول : وبالملح يتصارف السودان، كما يتصارف بالذهب والفضة... وقرية تغازي على صغرها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر.

وهكذا فإن القرن الرابع عشر يمثل أوج نمو العلاقات بين افريقيا الغربية والمغرب في العصر الوسيط، بل إن هذه الحقيقة تشمل باقي الشمال الإفريقي في تبادله مع أقطار السودان، وعندما تحكم المغرب في محور تلمسان مع السودان في عهد أبي الحسن المريني أحكم سلطان مالي منسا موسى صلاته بالعاهل المغربي وأظهر ارتياحه لبسط السلطة المغربية نفوذها على مملكة بني عبد الواد. وكتعبير عن حسن مشاعره، بعث أبو الحسن بهدايا وتحف إلى معاصره المالي الذي كان ضمن وفده ترجمان صنهاجي، كما أن العاهل المغربي بعث وفدا لهذا الغرض، وأمر بعض بني معقل من سكان الصحراء باصطحاب الجميع إلى ملك مالي وأثناء ذلك توفي منسا موسى فخلفه منسا سليمان وهلك هو أيضاً بعد أن أعد هدايا، سودانية إلى نظيره المغربي، فألحق بها خلفه منسا جاطه زرافة، واستقبلها حينئذ أبو سالم في عرض رسمي وشعبي وكبير، وقد فصل ابن خلدون تبادل الوفود والهدايا بين المغرب ومالي (ج 7).

والواقع أن علاقات المغرب بمالي حظيت باهتمام الطرفين معا، وكان ابن بطوطة أبرز ممثل دبلوماسي في هذا العصر عن البلاط المغربي، ووصف بدقة مشاهداته، سواء عبر الطريق الصحراوي الذي قاده إلى مالي، أو أوضاع السكان أو العصر السلطاني بمالي، وسجل حسن التعايش بين أهل هذه البلاد ومن يخالطهم من البيض ومعظمهم من المغرب وباقي الشمالي الإفريقي. وينسب الوزان الأسرة الحاكمة بمالي منذ ظهور المرابطين حتى أواسط القرن 16م. إلى سلالة أبي بكر بن عمر اللمتوني[2] (Léon, p. 466). ووصف ابن بطوطة والحسن الوزان تمبوكتو عاصمة مالي التي كانت سوقاً تجاريا زاهراً يرتبط بصلات وثيقة ودائمة مع أسواق الشمال الإفريقي وتتعامل بالذهب سبائك، وتأتيها المخطوطات والخيل من أقطار المغرب. ويتحدث الوزان عن ازدهار الحركة العلمية بهذا المركز النشيط، كما أن جني المالية كان يتجه إليها محور سجلماسة وتصنع ثياباً قطنية جيدة وتتلقى من القوافل المغربية، الملف والنحاس والأسلحة.

إن بعض الحضارات الإفريقية تراجعت في أعقاب العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، والوزان يصف ما وصلت إليه بورنو من كآبة وانحطاط ديني وسياسي واجتماعي، وذلك بسبب غزو بَرْذاوة ذوي الأصل التشادي، لكنه يؤكد استمرار جلب الخيل من أقطار المغرب إلى المنطقة، وقد كانت الخيل من أعز ما تحتاج إليه الدول الحاكمة بأقطار السودان.

ومن الذين تناولوا بالوصف أقطار افريقيا الغربية، القلقشندي في صبح الأعشى والذي رجع إلى جملة من المصادر بعضها في حكم المفقود، ومنها كتاب لسعيد الدكالي الذي اعتبر مالي مجاورة لجنوبي مراكش، وهو يقصد الأقاليم التابعة لها، ويلاحظ أن لمتونة كانت تابعة لمملكة مالي خلال القرن الرابع عشر، لكن مع احتفاظها بحكم محلي، وانتشر مذهب مالك على نطاق واسع بين المسلمين وحكامهم، بافريقيا الغربية والوسطى ولعلماء مصر والمغرب دور أكيد في هذا المجال، كما أن ملوك مالي كان لهم نشاط بارز في نشر المذهب المالكي، وقد جلب منسا موسى الفقهاء، من الشمال إلى بلاده.

وهكذا يمكن إجمال مظاهر التبادل والعلاقات بين المغرب وافريقيا الغربية والتي ظلت بعض مؤثراتها قائمة حتى يومنا هذا، فيما يلي :

1 - في الميدان الاقتصادي، يصدر المغرب الكتب والخيل والنحاس والأسلحة وأنواعاً من المنسوجات والبضائع المغربية والتي يكون فيها وسطا، بينما يستورد الذهب بصفة أساسية، بالإضافة إلى بعض المنتوجات القطنية والعاج وريش النعام.

2 - في الميدان البشري يستقدم المغرب عدداً كبيراً من السودان للعمل في الجيش والخدمات الخاصة، ويذهب إلى أقطار السودان تجار مغاربة قد يستقر بعضهم هناك نهائيا، وبعض قصور ملوك السودان تضم جواري من الشمال.

3 - في العادات والتقاليد، أخذت إفريقيا الغربية بالزي المغربي كما نقل القلقشندي عن سعيد الدكالي، وأخذ المغرب ببعض المؤثرات الموسيقية لاسيما استعمال الطبل.

4 - في الميدان الفكري والعقائدي عمل الدعاة والفقهاء المغاربة على نشر الإسلام والمذهب المالكي وراجت المؤلفات المغربية والإسلامية عن طريقهم، وانتشر الخط المغربي الذي عم كل افريقيا الغربية وافريقيا الشمالية، وقصد المغرب عدد كبير من طلبة السودان كما أن ثمرة هذا العمل المغربي، أدت إلى ظهور علماء كبار من السودان بعد هذه الفترة خصوصاً، فقصدوا المغرب أو قصدهم طلابه.

ومعظم هذه العلاقات بل وأهمها انبنى على التعايش السلمي وروح الأخوة الإفريقية والإسلامية، وما حدث من صدامات بين صنهاجة وجيرانهم بأقطار السودان، لايختلف في شيء عما حدث بين القبائل السودانية نفسها.

وأهم ملاحظة يمكن أن يختم بها هذا العرض هي أن غالبية المراكز السودانية النشيطة في مجال العلاقات مع المغرب تتمحور حول المواقع المائية، خصوصا نهر السنغال وحوض النيجير، ومعنى هذا أن الصلات بين المغرب وهذه المواقع كانت تمثل علاقات شعب متحضر بنظرائه. والحضارة لم تختص بالمناطق المذكورة وحدها في افريقيا الغربية، لكن الحاجة والظروف الجغرافية ووسائل الاتصال كان لها دور في أولويات المغرب وجيرانه.

الرباط : ابراهيم حركات

---

1) هم دون شك قبائل الزغاوة بقطر النيجير، ويشير ياقوت إلى بلما من مدنهم، (وهي لا تزال موجودة) ويذكر ياقوت زغاوة نقلا عن غيره أنهم كانوا شعبا يعبد ملوكه ويعيش على الزراعة، وتحدث الوزان عن زاغ زاغ (الطبعة الفرنسية، ص 477، وانظر تعليق Epaulart، نفس الصفحة).

2) المعروف أن الأسرة التي حكمت مالي خلال القرن 14 م هي أسرة كيتا.



للدكتور عثمان بناني
أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

رغم مرور ما يقرب من ستة قرون على ما كتبه ابن بطوطة وابن خلدون عن إفريقيا جنوب الصحراء، فإن كتاباتهما عن السودان الغربي بصفة عامة ومملكة مالي الإسلامية بصفة خاصة ما تزال تعتبر الأساس المتين الذي تقوم عليه البحوث والدراسات الإفريقية حول هذا الموضوع.

ومنذ البداية تجب الإشارة إلى عبارة «السودان الغربي» لم ترد أبدا في كتابات ابن بطوطة وابن خلدون، بل وحتى في كتابات المؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين الذين سبقوهما بالاهتمام بهذه المنطقة، بل حتى عند هؤلاء الذين جاءوا بعدهما في القرون الخمسة التالية، لأن هذه العبارة لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر عندما تم اكتشاف منابع نهري النيل والنيجر، وعرف حينئذ أنهما نهران منفصلان عن بعضهما كل الانفصال وليسا نهرا واحدا كما كان يعتقد من قبل. وقد أطلق الأوروبيون اسم «السودان الغربي» على منطقة نهري السنغال والنيجر، بينما أطلقوا اسم «سودان وادي النيل» وكذلك «السودان المصري» على المنطقة الواقعة جنوب مصر، وهكذا ظهرت عبارة «السودان الغربي»، أما الجغرافيون والمؤرخون والرحالة المسلمون ومنهم ابن بطوطة وابن خلدون، فقد كانت كلمة «السودان» تعني منطقة أوسع بكثير من المنطقة المسماة حاليا بالسودان الغربي. وبالنسبة لهم، فقد كانت إفريقيا السوداء جنوب الصحراء عبارة عن ثلاثة أقسام هي : قسم بلاد السودان وهي المنطقة الممتدة جنوب الصحراء من المحيط الأطلسي في الغرب إلى نهر النيل في الشرق، وقد اعتقدوا أن نهر النيل هو نهر النيجر وأنهما نهر واحد ولذلك سموا نهر النيجر بالنيل وبحر النيل، والقسم الثاني هو بلاد الحبشة، والقسم الثالث هو بلاد الزنج[1].

أما عن سبب اختيار ما كتبه ابن بطوطة وابن خلدون عن السودان الغربي كموضوع لهذه الدراسة، فذلك يرجع أولا وبالدرجة الأولى إلى :

- تميزهما عن غيرهما تميزا واضحا بمميزات سوف نتحدث عنها فيما بعد، وإلى المنزلة العالية التي يحتلانها في قائمة المؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين الذين

1) سنستعمل في هذه الدراسة عبارة «السودان الغربي» لأنها أكثر تحديدا من كلمة «السودان» ولأنها هي المنطقة التي جرت فيها الأحداث التي اهتم بها وأشار إليها ابن بطوطة وابن خلدون في كتاباتهما.

2) هذا هو الذي دفع ابن فضل الله العمري إلى الإهتمام في كتابه «مسالك الأبصار من ممالك الأمصار» بذكر أخبار مملكة مالي وأفرد لها الباب العاشر بأكمله، ويدل على ذلك ما ذكره في فاتحة كتابه أنه لم يقصد «...من المعمورة سوى الممالك العظيمة...».
(ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. القاهرة، دار الكتب المصرية، 1924، ص 4).

كتبوا عن السودان الغربي واهتموا بشكل مباشر أو غير مباشر بالعلاقات بين المغرب وهذه المنطقة جنوب الصحراء الكبرى.

- ثم يرجع أيضا إلى كون الأول مغربيا والثاني مغاربيا، وقد كانا في القرن الرابع عشر الميلادي أكثر الناس معرفة بالعلاقات بين المغرب والسودان الغربي عبر الصحراء التي بينهما.

لقد عاش ابن بطوطة وابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي، هذا القرن الذي تميز بظهور اهتمام عام عارم في المشرق والمغرب بما يجري في منطقة السودان الغربي باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي وباعتبارها مركزاً هاما من مراكز التجارة العالمية.

وربما يكون من الملائم الإشارة إلى أنه في بداية هذا القرن الرابع عشر الميلادي كانت هناك في القارة الإفريقية ثلاث قوى رئيسية هي دولة المماليك في مصر ومركزها القاهرة، ودولة المرينيين في المغرب ومركزها فاس، ودولة مالي في السودان الغربي ومركزها نياني، وكانت هذه القوى الإسلامية الثلاثة متصلة فيما بينهما اتصالا سياسيا وتجاريا وثقافيا، وكانت كل منها قوة مستقلة كل الاستقلال ومركز دائرة تجارية واسعة النطاق[2].

وربما نستطيع الآن أن نتساءل عن المعرفة الجديدة التي جاء بها ابن بطوطة وابن خلدون عن السودان الغربي والتي كانت تختلف عن المعرفة السائدة حينئذ عن هذه المنطقة. وربما يصبح سؤالنا أكثر بساطة إذا ما صغناه على الشكل التالي : ماذا كان يعرفه المغاربة خاصة والمسلمون عامة عن السودان الغربي قبل ابن بطوطة وابن خلدون، وماذا فعله الاثنان لتنمية تلك المعرفة أو لتغيير جوانبها السلبية، أي لتصحيح ما فيها من أخطاء وإعطاء صورة شبه واقعية وصحيحة لتلك القوة المتنامية في السودان الغربي ؟

كان المسلمون يعتمدون على مصدرين رئيسين لمعرفة ما يجري خلف الصحراء :

المصدر الأول : الرواية الشفوية، وهذه مصدرها السودانيون أنفسهم والمسلمون المترددون على السودان للتجارة والزيارة، وأحيانا للعمل والاستقرار.

المصدر الثاني : الكتابات التي كتبها كبار المؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين الذين اهتموا بالسودان الغربي وتحدثوا عنه في كتاباتهم.

أما عن المصدر الأول، فإن الرواية الشفوية إذا لم تكن محكومة بشروط خاصة، كثيرا ما ينتج عنها الخلل والآراء المعتلة العقيمة والمعلومات البعيدة عن الصحة والصدق، وقد امتلأت بذلك كثير من الكتابات التي اعتمدت على الرواية الشفوية في حديثها عن السودان الغربي وعن شعوبه وأحواله، وهي الكتابات التي سأشير إليها فيما بعد[3].

هذا عن المصدر الأول، أما المصدر الثاني وهو الكتابات التي وضعها كبار الجغرافيين والمؤرخين والرحالة المسلمين الذين تحدثوا عن السودان الغربي وأقصد بالذات علي بن حسن المسعودي المتوفى سنة 957 م صاحب كتاب «مروج الذهب»، وأبو القاسم ابن حوقل المتوفى سنة 977 م صاحب كتاب «المسالك والممالك»، وأبو عبيد الله البكري المتوفى سنة 1094 م صاحب كتاب «المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب»، ومحمد بن عبد العزيز الإدريسي المتوفى سنة 1167 م صاحب كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، ثم ياقوت الحموي المتوفى سنة 1228 م صاحب كتاب معجم البلدان، وأخيرا ابن سعيد الغرناطي المتوفى سنة 1274 م صاحب كتاب «كتاب جغرافيا في الأقاليم السبعة». هؤلاء سبقوا ابن بطوطة وابن خلدون، وهم الذين شكلوا معرفة ناس ما قبل منتصف

3) وكنموذج أذكر ما كتبه ابن خلدون في مقدمته عن حكاية أوردها أبو عبيد الله البكري في كتابه «المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب» : «...وهذه الحكاية من مناهب العامة ومباحثهم الركيكة، والبكري لم يكن من نباهة العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا أو يتبين خرقه فنقله كما سمعه (ابن خلدون : المقدمة. بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1967). ص 448.

القرن الرابع عشر الميلادي عن السودان الغربي وعن إفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة بما كتبوه عن هذه المنطقة.

وتجب الإشارة هنا إلى أنه لم تكن هناك معلومات أكيدة عن السودان الغربي ولا عن أحواله وما يجري فيه من أحداث قبل دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا، فالفينيقيون واليونان ثم الرومان كانوا يعتبرون المنطقة الواقعة خلف الصحراء الكبرى «أرضا مجهولة مرعبة»، ولذلك لم يترك لنا مؤرخوهم شيئا موثوقا به عن هذا الجزء من إفريقيا. نعم، لقد تحدث الكتاب اليونان والرومان عن الزنوج الأفارقة القادمين من وراء الصحراء الكبرى منذ القرن الثاني الميلادي، ولكن كتابات هؤلاء الكتاب كانت تعتمد أساسا على ملاحظاتهم ودراساتهم لحياة وسلوك وعادات وتقاليد الزنوج العبيد الذين نقلوا من مواطنهم الأصلية إلى شمال إفريقيا ثم إلى أوروبا[4].

ولكن بمجرد دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا في أواسط القرن السابع الميلادي، بدأت أخبار السودان الغربي تصل بشكل مباشر عن طريق التجار ثم الحجاج إلى الشمال وإلى الشرق الإسلامي. ونظرا لاهتمام العرب الشديد بالدراسات الجغرافية ـ وهو الاهتمام الذي حتمته فتوحاتهم العسكرية واتساع امبراطوريتهم وتجارتهم الواسعة ثم الحج إلى الديار المقدسة ـ فقد استطاعوا التعرف على العديد من المناطق البعيدة والمجهولة مثل المناطق الإفريقية جنوب الصحراء، وحددوا مواقعها على خرائطهم وربطوها بمراكزهم الحضارية والتجارية في امبراطوريتهم. وتكفي الإشارة إلى أن محمد بن موسى الخوارزمي المتوفى سنة 844 م هو الذي أضاف مملكة غانة إلى الخريطة التي وضعها بطليموس في منتصف القرن الثاني الميلادي والتي كانت حدودها الجنوبية تقف فقط عند «جزر كناريا» التي أطلق عليها اسم «جزر السعادة». ولذلك فإن الفضل الكبير في استكشاف منطقة السودان الغربي وفي كشف أحوالها وأخبارها، وكذلك الحديث عن الصحراء التي تفصل بين شمال إفريقيا وهذه المنطقة، والحديث عن المراكز التجارية بهذه الصحراء، وإبراز كل ذلك في كتابات ولأول مرة في التاريخ، يرجع إلى هؤلاء المؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين الذين ذكرنا بعضهم. وبفضل هؤلاء دخل تاريخ السودان الغربي ضمن تاريخ العالم، وأصبح في إمكان القارئ العربي والإسلامي أن يتعرف على هذه المنطقة، في الوقت الذي كان فيه الأوروبيون وغيرهم من غير العرب والمسلمين لا معرفة لهم بما يجرى خلف الصحراء الكبرى[5].

ولكن، ومع ذلك، ورغم الفوائد الجمة التي يجنيها الباحث في الدراسات الإفريقية الخاصة بالسودان الغربي عند الإطلاع ودراسة وفحص وتمحيص ومقارنة ما كتبه هؤلاء، فإنه من الصعب علينا اعتبار كثير منهم مؤرخين أفارقة بالدرجة الأولى وبالمعنى الحقيقي للكلمة، وذلك لأن ما قدمه لنا بعضهم، لم يكن دراسة منهجية للتغيرات التي حصلت بمرور الوقت في السودان الغربي وإنما كان مجرد وصف ومعلومات عن المنطقة أو المناطق التي زاروها إذا كانوا قد زاروها بالفعل. وهذه المعلومات نفسها لم تكن معلومات عن أحداث متوالية خاصة بفترة زمنية معينة ومحددة، وإنما كانت معلومات عن أحداث منها ما هو معاصر للكاتب، ومنها ما يكون قد حصل في زمن آخر وذكرها الكاتب في سياق الأحداث المعاصرة له. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه بصفة عامة ليست لدينا أية إمكانية لتقييم صحة تلك المعلومات ومصداقيتها ومصدرها. وكمثل على ذلك فإننا في كثير من الأحيان لا نعرف هل هي ملعومات ناتجة عن شهادة عيان وصل إليها الكاتب شخصيا وبشكل مباشر، أم أنها معلومات وصلت للكاتب عن طريق شخص

---

(4) BABA IBRAHIMA KAKE: GLOSSAIRE CRITIQUE DES EXPRESSIONS GÉOGRAPHIQUES CONCERNANT LE PAYS DES NOIRS (D'APRÈS LES SOURCES DE LANGUE ARABE DU MILIEU DU VIII° A LA FIN DU XIII° SIÈCLE. (PARIS, PRÉSENCE AFRICAINE, 1965). P. 10.

آخر معاصر له، أم أنها مجرد أخبار متداولة بين الناس وإشاعات، أم أنه نقلها من الكتاب الذين سبقوه[6].

ولهذا يمكننا القول باختصار أن المعرفة التي كانت منتشرة في المغرب وحتى في المشرق عن السودان الغربي وأحواله وشعوبه في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي لم تكن رغم أهميتها القصوى تتلاءم مع الشهرة التي أصبحت تتمتع بها هذه المنطقة. وهذا هو الذي جعل ابن بطوطة يسعى لزيارة المنطقة والاطلاع على أحوالها، وهو الذي جعل ابن خلدون يكتب عنها ويشير إليها إشارات عديدة في مقدمته وفي ثنايا تاريخه ثم يفرد لدولة مالي عدة صفحات تعتبر من أهم ما كتب عن تاريخ هذه المملكة الإفريقية.

وقد يكون من المفيد أن نشير إلى أن السودان الغربي كان قد بدأ يتغير منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، فقد بدأ يتوحد شيئا فشيئا تحت زعامة مملكة مالي، ولم تصل نهاية هذا القرن حتى كانت هذه المملكة قد بلغت درجة كبيرة من الظهور والانتشار، وبدأ ملوكها يعتبرون دولتهم جزءا من دار الإسلام، ولذلك بدأوا يذهبون إلى الشرق ويزورون القاهرة ويحجون إلى البقاع المقدسة، وبدأوا يرتبطون بعلاقات المودة والإخاء مع ملوك المغرب ومصر، ولكن في نفس الوقت بدأت العلاقات مع مصر تقوى وتصبح أقوى من العلاقات التي بين مالي والمغرب، وبدأت دولة مالي تظهر على الساحة الإسلامية، ولم يصل منتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى كانت لمملكة مالي شهرة واسعة النطاق لما تتمتع به من ثروة وجاه[7].

وفي هذه الفترة بالذات زارها الرحالة المغربي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة.

بدأ ابن بطوطة رحلته إلى «جوف إفريقيا» كما قال، في 18 فبراير 1352 م وعمره 48 سنة، أي بعد تجربة طويلة وخبرة هائلة اكتسبها أثناء رحلة حافلة استمرت سنين عديدة تجول خلالها في معظم بلدان العالم المعروف في وقته. وقد استغرقت رحلته إلى السودان عشرين شهرا عاد بعدها إلى مدينة فاس في أواخر سنة 1353 م.

وبمجرد وصوله أعطى السلطان أبو عنان أوامره لكاتبه محمد بن جزي لكتابة ما يمليه عليه ابن بطوطة من وصف لرحلاته، وبذلك ظهر إلى الوجود كتاب «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار». وقد أملى ابن بطوطة عن ظهر قلبه ما يذكره على كاتب السلطان، وهذا يفسر لنا ما نلاحظه في سياق رحلته من بعض المبالغات والهفوات الجغرافية، وهذا ينطبق بصفة خاصة على رحلته الأولى إلى الشرق. وبسبب هذه المبالغات والهفوات تعرض ابن بطوطة لكثير من النقد، وفي بعض الأحيان لكثير من التجريح حتى بالنسبة لما ذكره من معلومات عن السودان الغربي، على الرغم من أن ما تلاه على ابن جزي كان ما يزال طريا وحاضرا في ذهنه نظرا لقرب حدوثه، وقد شك الكثير في بعض الأخبار والمعلومات التي أعطاها عن بعض البلدان، بل اتهم بأنه لم يزر إطلاقا بعض المناطق التي ذكر أخبارها في رحلاته[8] وقد هاجمه أيضا معاصروه، وأشير هنا إلى أن ابن خلدون وقد سمعه والتقى به شخصيا في مدينة فاس، استنكر ما

---

5) أفضل مرجع يمكن الاطلاع عليه للتوسع في هذا الموضوع هو كتاب : CUOQ, JOSEPH : RECUEIL DES SOURCES ARABES CONCERNANT L'AFRIQUE OCCIDENTALE DU VIIIe AU XVIe SIECLE (BILÀD AL-SUDAN). (PARIS, EDITIONS DU CENTRE NATIONAL DE LA RECHERCHE SCENTIFIQUE, 1985). 515 p.

6) FAGE, J.D. : « L'ÉVOLUTION DE L'HISTORIOGRAPHIE DE L'AFRIQUE », HISTOIRE GÉNÉRALE DE L'AFRIQUE, TOME I. (PARIS, UNESCO, 1980). P. 47.

7) يقول محمود كعت في تاريخ الفتاش (ترجمة هوداس والمنشور سنة 1913) في الصفحة 67 : «...كانت مملكة مالي غنية جدا، ولم يكن هناك أجمل منها في العالم بأسره سوى الشام».

8) هاجم أبو القاسم الزياني ابن بطوطة هجوما عنيفا في كتابه «الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا»، وذكر أن أحد طلبة السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 ـ 1789) أخبره أنه «كان يسرد على السلطان رحلة ابن بطوطة وساق كلام ابن تيمية في الاستواء والنزول... فقال له السلطان سيدي محمد، أطو ذلك الكتاب وبعه في السوق وكل ثمنه لحما، هذا رجل كذاب من أهل التجسيم كمن نقل عنه، فو الله لو حضر بين يدي لأضربن عنقه، فقد تحقق عنه ما وسمه به أهل الأندلس من الكذب، وسيما إذ هو من أهل البدع». (أبو القاسم الزياني : الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، الرباط، وزارة الأنباء، 1967. ص 581 ـ 582).

يحكيه ابن بطوطة، بل وتحادث مع وزير السلطان أبي عنان المريني في شأن إنكار أخباره وفضحه، إلا أن الوزير، وهو فارس بن وردار المشهور، نصحه الا يفعل ذلك لأنه لا يستطيع استنكار شيء لم يره. وكان ذلك درسا بليغا لابن خلدون الذي لم يكن عمره يزيد حينئذ على 21 سنة، وقد ذكره في مقدمته في الفصل الذي يبحث «في أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أصلها». وربما يكون هذا هو الذي جعل ابن خلدون يكتب في هذا الفصل ما يلي : «...ولا تنكرن ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شيء من أمثاله ...فكثير من الخواص إذا سمعوا أمثال هذه الأخبار بادر بالإنكار، وليس ذلك من الصواب...»[9].

ورغم ذلك لم يعتبر ابن خلدون أحاديث وحكايات وروايات ابن بطوطة ولم ينظر إليها نظرة جدية، وفيما عدا هذه الإشارة الوحيدة التي ذكرناها، لم يشر ابن خلدون إطلاقا في مقدمته ولا في أي صفحة من صفحات كتاب العبر لتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار».

وبالنسبة لنا، فإن ما جاء به ابن بطوطة من معلومات وأخبار عن منطقة السودان الغربي يعتبر في الدرجة الأولى من الأهمية، وذلك لأن هذا الرجل لم يكن جغرافيا نقالة، أو من أصحاب الموسوعات أو من الأدباء، بل كان شخصا عاديا للغاية، لا يتمتع بأي مواهب خاصة، ولا تنعكس في رواياته أفكار عميقة أو ملاحظات دقيقة، إلا أنه شخص شاهد الكثير وعرف كيف يصور ما شاهده بدقة وبساطة، وقد جعلت منه الأقدار جغرافيا على الرغم منه إن صح هذا التعبير، وصنعت منه لونا من الرحالة نادرا عند المسلمين، ذلك هو الرحالة الذي يستهدف الرحلة لذاتها ويضرب في مجاهل الأرض استجابة لعاطفة جياشة لا تقاوم، ورغبة جارفة في التعرف على الأقطار والشعوب. وهو ـ على نقيض الغالبية العظمى من الجغرافيين المسلمين ـ لم يجمع مادته من صفحات الكتب، بل جمعها عن طريق التجربة الشخصية وعن طريق محادثاته مع شخصيات تعرف عليها عرضا خلال رحلاته. وبصفة عامة فإنه لم يعتمد كثيرا على الرواية الشفوية كما سيفعل ابن خلدون فيما بعد. وقد شغل الاهتمام بالأماكن الجغرافية مكانة ثانوية بالنسبة لاهتمامه بالناس، وهو بالطبع لم يفكر في أن يجري أي نوع من البحث والتحقيق في مجال الجغرافيا، ولعله ـ ونتيجة لهذا بالذات ـ أصبح كتابه تحفة النظار تحفة حقيقية، إذ أنه صورة معبرة وصادقة للمجتمع الإسلامي في السودان الغربي في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، فهو خزانة تمتلئ بمادة غنية لا في مجال الجغرافيا التاريخية أو تاريخ عصره فحسب، بل عن جميع حضارة ذلك العهد، فتراه يعرض لجميع الظواهر الاجتماعية بالسرد حتى تلك التي يهملها المؤرخون عادة، فتمر أمام انظارنا مراسيم البلاط في مملكة مالي وأزياء الناس المختلفة وعاداتهم وتقاليدهم وحرفهم وأصناف الأطعمة والمواد الغذائية.

والحقيقة أن ابن بطوطة تحدث حديثا صادقا أمينا عن كل شيء شاهده في رحلته السودانية، وهو في نهاية الأمر لم يكن يستطيع غير ذلك، لأن الحديث عن الرحلة وتسجيل هذا الحديث بيد كاتب السلطان، كان بشكل أو بآخر تقريرا مقدما للسلطان أبي عنان، وهذا بالذات هو الذي جعل الباحثين في مختلف مجالات البحوث والدراسات الإفريقية يهتمون بما قاله اهتماما شديدا ويدرسونه دراسة دقيقة أدت في نهاية الأمر إلى رد الاعتبار إليه وإلى إعلان الثقة في رواياته، وبصفة خاصة تلك التي ترتبط برحلته في السودان الغربي. وقد بلغت ثقة بعض الباحثين في ابن بطوطة الحد الذي أصبحوا يشكون في صحة بعض المعلومات التي جاءت في مصادر أخرى ولم يذكرها الرحالة في رحلته. وهكذا أصبح «المسكوت عنه» في رحلة ابن بطوطة يثير الشك ويحتاج إلى إعادة النظر[10].

9) ابن خلدون : المقدمة (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1967)، ص 322 وما بعدها.

10) KI-ZERBO, J. : « INTRODUCTION GÉNÉRALE », HISTOIRE GÉNÉRALE DE L'AFRIQUE. Op. Cit, pp 25-26.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن رحلة ابن بطوطة لقيت ما تستحقه من عناية واهتمام عند عبد الرحمن السعدي صاحب كتاب تاريخ السودان، فقد ذكر هذا المؤرخ الإفريقي الفذ اسم ابن بطوطة في كتابه، ولاشك أنه اطلع على رحلته واعتمد على بعض ما جاء فيها من معلومات، وهذا وحده رد اعتبار لا مثيل له من مثقف سوداني لرحالة مغربي زار وطنه وتحدث عنه بأمانة وصدق.

ويمكن القول في نهاية الأمر، أن ابن بطوطة ترك لنا منجما من المعلومات القيمة التي استغلت وتستغل حاليا لتوضيح بعض جوانب التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي والفني لمملكة مالي، ويكفي أن نذكر أن هذه المعلومات قد استعملت في تحديد موقع نياني عاصمة مملكة مالي[11]، ومدى استغلال الملح والنحاس في السودان الغربي، ومراكز إنتاج الذهب، ودور الفن الشعبي في الاحتفاظ بتاريخ الشعب في ذاكرة الناس، وانتشار اللغة العربية ومدى انتشار الإسلام والتقاليد الإسلامية، ومدى اختلاط الإسلام كعقيدة بالتقاليد الوطنية القديمة، وعلاقات مملكة مالي بالمشرق من ناحية وبالمغرب من ناحية أخرى، وتحديد الطريق الذي كان يربط منطقة السودان الغربي بمنطقة شمال إفريقيا. ويذكر ابن بطوطة في رحلته أن سلطان مالي منسا سليمان أقام حفلة عزاء بمناسبة وفاة السلطان المريني أبو الحسن، وقد حضرها الأمراء والفقهاء والقاضي والخطيب الذين قرأوا القرآن ودعوا للسلطانين أبي الحسن رحمه الله ومنسي سليمان[12]. أليس في هذا وحده الدليل على الرابطة الإسلامية القوية التي كانت تربط بين المغرب والسودان الغربي في هذا العصر ؟

هذا عن ابن بطوطة، أما ابن خلدون، فقد كتب هذا المؤرخ مقدمته بعد إملاء ابن بطوطة لرحلته بحوالي 23 سنة[13]، وإذا كان هذا الأخير قد قام بذلك في وقت كان فيه السودان الغربي مزدهرا، فقد كتب ابن خلدون مقدمته ثم باقي كتاب العبر فيما بعد في وقت كان الانهيار قد بدأ يصيب ليس السودان الغربي فحسب، بل أيضا المغرب ومصر على حد سواء، وبدأت العلاقات تتأثر والتجارة تتعثر، ولم يعد ملوك مالي يزورون القاهرة ويذهبون للحج كما كان يفعل ملوك الفترة من عام 1260 م إلى عام 1351 م، حيث كان الحج إلى بيت الله الحرام قد أصبح من الفضائل العظمى التي تذكر للملوك الكبار[14].

لقد استكمل ابن خلدون معلوماته عن السودان الغربي عندما انتقل إلى القاهرة سنة 1382 م واطلع على ما كتبه ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار وممالك الأمصار[15]، ثم ظل يستكمل معلوماته ويضيف معلومات جديدة كان يستقيها من الحجاج السودانيين القادمين للحج والمارين على القاهرة، أي أنه اعتمد الرواية الشفوية في ما كتبه عن السودان الغربي، أي أنه اعتمد الوسيلة التي يعتمدها حاليا المؤرخون الأفارقة والمتأفرقون باعتبارها أحد العناصر الأساسية لكتابة تاريخ مملكة مالي. ونظرا لقيمة المعلومات التي جاء بها ابن خلدون، والسياق الذي قدمت فيه تلك المعلومات، وما جاء في المقدمة من تفسير للتاريخ على ضوء تطور الأوضاع الاقتصادية للمجتمع البشري في صورته البدوية والحضرية والمدنية، فقد اعتبره المؤرخون الأفارقة مؤرخا إفريقيا عظيما بل ومؤسس علم التاريخ الإفريقي، ليس فقط لأنه خصص في مقدمته حيزا هاما لجغرافية إفريقيا ولتاريخها، وإنما أيضا لأنه أثار مسائل وقضايا لم يحدث أن أخضعت قبله لفحص منظم،

---

11) حول مشكلة تحديد موقع نياني عاصمة مملكة مالي انظر :
MAUNY, RAYMOND : TABLEAU GÉOGRAPHIQUE DE L'OUEST AFRICAIN AU MOYEN AGE. (DAKAR, IFNA, 1961). P.P. 122, 123, 124.

12) رحلة ابن بطوطة. بيروت، دار صادر، [د.ت]. ص 282.

13) حرر ابن خلدون «المقدمة» بقلعة بني سلامة بالمغرب الأوسط سنة 780 هـ الموافق لسنة 1378 ميلادية، ثم استكمل كتاب العبر عندما سافر إلى مصر سنة 1382 م.

14) آخر ملوك مالي الذي زار مصر وذهب للحج كان هو الملك منسا موسى، وتم ذلك في عام 1351 م. وفي عهد هذا الملك زار ابن بطوطة مملكة مالي. وبعد هذه السنة توقف ذهاب ملوك السودان الغربي للحج لمدة 145 سنة، إلى أن قام ملك السنغاي الاسكيا محمد بالحج إلى مكة المكرمة سنتي 1496 / 1497 م.

15) FAGE, J. D. : Op. Cit., p. 48 -

وكذلك لأنه تميز عن كل من سبقه من العلماء المسلمين، ليس فقط بكونه قد وضع فلسفة للتاريخ، وإنما - وبصفة خاصة - لأنه لم يكن يصدق كل المعلومات التي كانت تصله عن السودان الغربي، بل كان يغربل تلك المعلومات ويحاول الوصول إلى الحقيقة خطوة خطوة، مستعملا في ذلك النقد والتحليل والمقارنة[16].

ولهذا - ولهذا بالذات - يعتبره المؤرخون الأفارقة مؤرخا إفريقيا معاصرا، وإليه يرجع الفضل في معرفة كثير من الحقائق عن السودان الغربي وبصفة خاصة عن مملكة مالي وعلاقاتها مع الأقطار الإسلامية شمال الصحراء الكبرى.

والحقيقة أن ما كتبه ابن خلدون عن مملكة مالي يعتبر القاعدة الصلبة المتينة التي يقوم عليها تاريخ هذه المملكة. ولابد من الإشارة إلى أن ابن خلدون توقف في حديثه عن مملكة مالي عند عام 1390 م، فهو لم يذكر الأحداث التي جاءت بعد ذلك، بل سكت عنها رغم أنه ظل يجمع الروايات الشفوية عن هذه المنطقة حتى قبيل وفاته سنة 1406 م. ومن العجيب أن المصادر الأخرى كلها نهجت نهج ابن خلدون ولفها الصمت فيما يتعلق بأخبار ملوك مالي بعد سنة 1390 م، بما في ذلك تاريخ السودان للسعدي وتاريخ الفتاش لمحمود كعت التنبوكتي.

وقد اهتم ابن خلدون بإبراز العلاقات التي كانت بين المغرب في عهد السلطانين أبي الحسن وابنه أبي عنان من بني مرين، ومملكة مالي في عهد ملكيها الكبيرين منسا موسى ومنسا سليمان اللذين زارا مصر وذهبا للحج وتركا وراءهما سيلا من الأخبار التي أصبحت أساطير وحكايات في حوليات المشرق العربي.

ونفهم من حديث ابن خلدون أن العلاقات بين المغرب ومملكة مالي بلغت أوج ازدهارها بصفة خاصة في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، وهو يشير إلى ذلك بقوله : «...كان بين هذا السلطان منسا موسى وبين ملك المغرب لعهده من بني مرين السلطان أبي الحسن مواصلة ومهاداة سفرت بينهما فيها الاعلام من رجال الدولتين واستجاد صاحب المغرب من متاع وطنه وتحف ممالكه مما تحدث عنه الناس... وتوارثت تلك الوصلة أعقابهما»[17].

وتجب الإشارة إلى أن ابن خلدون أورد في مقدمته معلومات في منتهى الأهمية عندما تحدث عن «الجزر الخالدات»[18]، وقد اعتبرها ضمن منطقة السودان الغربي، وهذه المعلومات التي ذكرها تهم الباحثين في الانثروبولوجيا، ولكنها تهم أيضا وبالدرجة الأولى الدراسين المهتمين بالمحاولات المبكرة التي قام بها الأوروبيون للتغلغل في جنوب **المحيط الأطلسي في** محاذاة الشواطئ الغربية **للقارة الإفريقية**[19].

أما عن المعرفة التي أضافها ابن بطوطة وابن خلدون إلى ما كان يعرفه الناس عن السودان الغربي، فبالنسبة لابن بطوطة فقد أشرت إلى موقف ابن خلدون منه، والواقع أن عامة المؤرخين والجغرافيين المسلمين الذين عاصروه أو جاءوا بعده، نظروا إليه نظرة استخفاف شديد لا يستحقها، وقد اعتبرت رحلته وربما حتى الآن عند الأغلبية الساحقة من المثقفين والمتعلمين المسلمين رحلة مغامرات وتسلية فقط لا غير، بينما على العكس من ذلك، فقد استفاد منها الأوروبيون استفادة كبرى، إذا ترجم الألمان في سنة 1808 م الجزء الخاص بمالي من موجز للرحلة كان قد

16) انظر المرجع السابق، ص 47.

17) ابن خلدون : كتاب العبر. (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1967). المجلد السادس، ص 416.

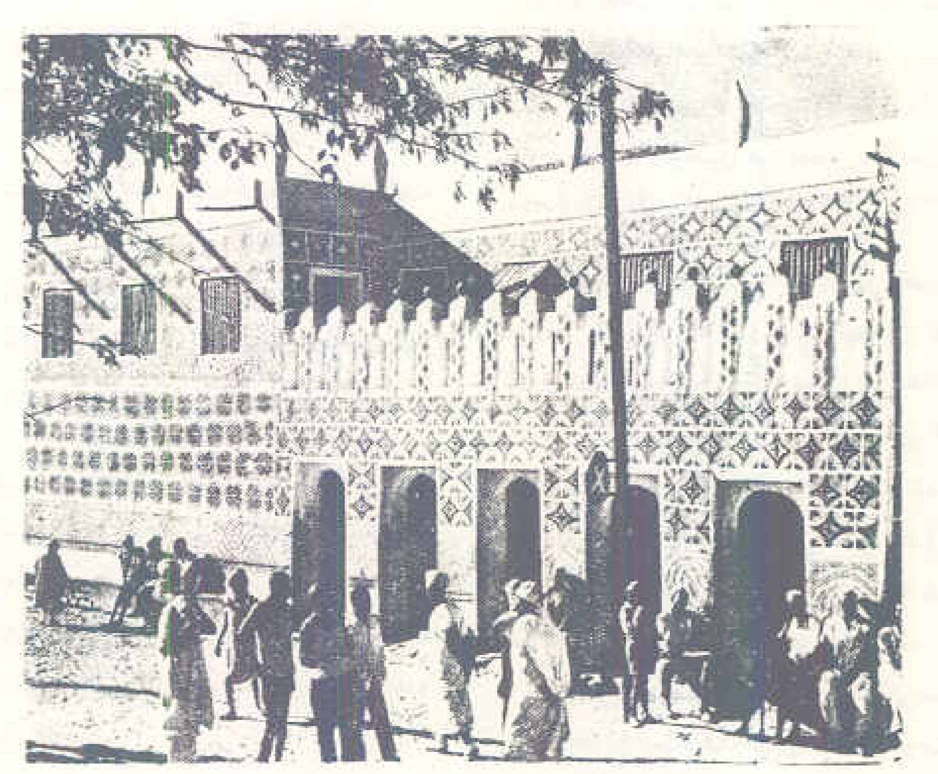
18) هي جزر الكناريا، وكانت تعرف أيضا بجزر السعادة.

19) اننا نعلم أن بعض البحارة من مدينة جنوة الإيطالية كانو قد وصلوا إلى جزر الكناريا سنة 1336 م. وبدأ الأوروبيون منذ هذا التاريخ يزورون هذه الجزر ويكتسبون الخبرة الثمينة والتجربة الناتجة عن الابحار في المحيط الأطلسي الذي كان يسمى حينئذ ببحر الظلمات، والذي لم يكونوا يعرفون نظام رياحه ولا اتجاه تياراته. وقد كان الوصول إلى جزر الكناريا هي القفزة الأوروبية الهائلة من الشواطئ الشمالية للبحر الأبيض المتوسط إلى جزر في المحيط الأطلسي جنوب مضيق جبل طارق، وقد كانت تلك هي البداية الحقيقية لحركة الاكتشافات العظيمة التي أوصلت البرتغال والإسبان إلى شواطئ السودان الغربي الأطلسية ثم الأمريكتين والشرق الأقصى في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي.

وضعه شخص اسمه البيلوني في القرن السابع عشر الميلادي، وقد سمى الألمان هذا الجزء بـ «الرحلة الإفريقية». ولاشك أن الرحالة هنريش بارث (BARTH) اطلع عليه قبل أن يبدأ رحلته المشهورة إلى السودان الغربي في سنة 1850 م، وأنه استفاد من وصف ابن بطوطة الدقيق للطريق الصحراوي الرابط بين شمال إفريقيا وغربها.

ولكن يبدو أن الفرنسيين هم الذين استثمروا الرحلة واستفادوا من معلوماتها أكثر من غيرهم، فقد عثروا على مخطوطة كاملة لتحفة النظار في إحدى مكتبات الجزائر عندما احتلوها سنة 1830 م، وقام بأول ترجمة فرنسية لبعض أجزائها البارون دو سلان في سنة 1843 م[20]، ثم استطاع المستشرقون الفرنسيون في عام 1858 م إخراج أول طبعة كاملة للرحلة مصحوبة بترجمة فرنسية في أربعة أجزاء، ولاشك أنها أعطتهم حينئذ صورة واضحة عن المناطق الصحراوية جنوب المغرب وعن منطقتي نهر النيجر وتمبكتو التي احتلوها في نهاية القرن التاسع عشر.

أما عن ابن خلدون، فإنني أحيل القارئ الكريم على أعمال ندوة ابن خلدون الممتازة التي عقدتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط في فبراير 1979، وبصفة خاصة على البحث القيم الذي قدمه أستاذنا الكريم العلامة سيدي محمد المنوني، فإن في ذلك ما يكفي للاطلاع على مدى استفادة الذين جاءوا بعد ابن خلدون من المعرفة الجديدة التي قدمها للإنسانية.



المعمار العربي المختلط في زندر (جمهورية النيجر)

يمثل هذا البيت اندماج نوعين من المعمار : العربي والسوداني، انصهرا في تكامل فائق الجمال. البيت لأحد تجار زندر التي كانت محطة هامة للتبادل التجاري بين إقليم السودان والبحر المتوسط عبر الصحراء.

20) DE SLANE :JOURNAL ASIATIQUE, MARS 1843, p.p. 181-246.



تطوّر الإسلام في إفريقيا

للأستاذ عبد اللطيف أحمد خالص

كتب للإسلام أن ينتشر انتشاراً واسعاً في عدد من الأقطار والقارات بفضل جهاد دعاته الأولين ونضال هداته السابقين، الذين بذلوا أرواحهم وراحتهم لبسط نفوذ الإسلام، ورفع ألوية تعليماته في كل زمان ومكان...

وإذا كان المرء يعجب أيما إعجاب، لما عرفه هذا الدين الحنيف من سرعة في الانتشار، وقوة مدهشة في الإقبال عليه من طرف سكان شبه الجزيرة العربية، وما حواليها، خلال فترة قصيرة من الزمن، فإن هذا الإعجاب يزيد عندما نرى كيف أن العقيدة المحمدية المطهرة استطاعت في ظرف وجيز، لايتعدى قرنا أو قرنا ونصفا من الوصول إلى أقطار نائية، وقارات بعيدة، دخلها المسلمون فاتحين ملوحين براية القرآن الكريم، وحاملين بنود الجهاد والدعوة، وكل همهم في ذلك الجهاد الأصغر والأكبر أن تردد في هذه البقاع كلمة : «لا إلاه إلا الله محمد رسول الله» وهكذا نرى أن الإسلام غزا، في ظرف قصير جدا، ربوع الجزيرة العربية، والشام، ومصر، وتونس، والجزائر والمغرب، والأندلس، ويتبين من هذا أن الإسلام بفضل تطوع حملة رسالته الأولين، يكتسح قارات ثلاث هي : آسيا وإفريقيا وأوروبا، وينتشر في أمصار عديدة، وأقطار كثيرة، كانت في عاداتها وتقاليدها وعباداتها، ولغاتها متفرقة، متباعدة ومتباينة كان للإسلام وحده فضل توحيد صفوفها، ولمّ شتاتها، وجمع كلمتها، ومن يدري ؟ فلعل هذه الوحدة في العقيدة هي التي كانت تنشدها تلك الأقطار، وهي التي جعلت أبناءها يقبلون على الإسلام رغبة ورهبة، ويفتحون ذراعهم لاحتضان دعاة الرسالة المحمدية الأولين الذين حملوا القرآن في يد والسيف في يد أخرى ابتغاء في الاستشهاد وابتغاء مرضاة الله ولعل في الإقبال والترحاب عرفهما المولى ادريس الأكبر في بلادنا المغرب خير مثال على مانقول.

وقد ينبهر المرء عندما يقف على ما عرفه الإسلام من انتشار في قارتنا السمراء، إفريقيا التي يمكن أن نؤكد، دون مبالغة، أنها من القارات القلائل التي حظي فيها الإسلام بشيوع مبادئه، وذيوع تعاليمه وبطرق ووسائل تختلف في كثير من الأحيان عن الطرق والوسائل التي استعملها الدعاة المسلمون الأولون لنشر الإسلام في أصقاع أخرى...

نعم ! لقد وجد المسلمون الأولون في فجر حياتهم صعابا جمة في غزو القارة الافريقية، فعمرو ابن العاص، لم يتمكن من الدخول إلى مصر بين عشية وضحاها، فقد كان عليه أن يجهز جيشا كبيرا، وأن يدفع بهذا الجيش الإسلامي

الكبير إلى أرض صعبة لم يتحقق غزوهـا أو بحرب عوان، وإن كانت مصر كما قال عمرو بن العاص :.. أرضها ذهب، ونيلها عجب، وهي لمن غلب».

وما قيل عن فتح مصر، وعن عمرو بن العاص يمكن أن يقال عن القيروان وعن المغرب وعن الفاتحين الأولين لهما أمثال عقبة بن نافع، وموسى بن نصير وغيرهما من هؤلاء الأبطال الذين نذروا نفوسهم للجهاد وحمل مشعل راية الإسلام والذين لم يعقهم عن مواصلة الكفاح في سبيل نشر الدعوة الإسلامية إلا المحيط الذي لم يكن يعرف هؤلاء الدعاة أن وراءه أراضي أخرى حتى قال عقبة بن نافع : لو عرفت أن وراء هذا البحر أرضاً أخرى لخضت عبابه لنشر الإسلام» وحتى قال أصحابه عن صدق وإيمان : لو تعرضت بنا ثبج هذا البحر لدخلناه...

هكذا بدأ الإسلام يغزو إفريقيا من الشمال، ويتوجه منها إلى أوربا على يد طارق بن زياد حيث أقام حضارة إنسانية كادت تفوق ماعرفته الشام والعراق من عز ومجد وبذخ ومدنية كانت هي سبب انطلاق النهضة الأوربية، وطريقا للتطور والتقدم الذين يعرفهما العالم منذ القرن الماضي.

وقد شاءت الأقدار الإلاهية أن تواصل الأجيال اللاحقة من المسلمين عمل الآباء فتشق للإسلام أودية جديدة، وطرقاً حديثة لمواصلة مسيرة الهدي المحمدي عبر القارة الإفريقية.

ويكفي أن نقرأ ما كتبه المؤرخون المسلمون الأولون، والرحالة السابقون كابن حوقل، والبكري، والإدريسي، وياقوت الحموي، وابن بطوطة، وابن خلدون، وليون الإفريقي لنقف على السبل التي اجتازها الإسلام ليصل إلى إفريقيا الغربية عن طريق المغرب وتونس، وإفريقيا الشرقية عن طريق مصر واليمن...

وإذا كان الإسلام في شمال إفريقيا قد انتشر، وتوفرت له أسباب التمكن والاستقرار والتطور، فإن هذا الإسلام نفسه قد انتشر في بقية أجزاء القارة الإفريقية المسلمة دون أن تتوفر له، مع كامل التحسر والتأسف، دواعي التوسع والتقدم، بل ظل يتأرجح، بين مد وجزر، نظرا للعوامل التي سنتعرض لها فيما بعد، والتي يتعين على المسؤولين في دول شمال إفريقيا أن يعتبروها، وينكبوا على علاجها بكل حكمة وتبصر.

لقد قدر لي أن أقوم برحلات ثلاث عبر القارة الإفريقية زرت، خلال كل منها، جميع الأقطار الإفريقية المستقلة ماعدا جنوب إفريقيا والأقطار التي ما زالت تخضع لحكم أجنبي والجمهورية الجزائرية التي لم يرد الله أن أزورها إلى الآن لسبب لا يعلمه إلا هو رغم قرب الديار ورغم انني بدأت حياتي العملية والصحافية على الخصوص من أجل الجزائر عندما عرضت على جريدة «العلم» الغراء في وسط الخمسينيات من هذا القرن العشرين أن أقوم بتغطية الثورة الجزائرية مرتين أو ثلاث من كل أسبوع وذلك بتخصيص صفحة من صفحات الجريدة المذكورة للكتابة عن الثورة الجزائرية.

وقد كانت رحلتي الأولى سنة 1962، كما جرت الرحلة الثانية خلال سنة 1965، أما الرحلة الثالثة فتمت في سنة 1968، ولم يقتصر اتصالي بالقارة الإفريقية على هذه الرحلات الثلاث التي دامت كل منها شهراً أو ما يزيد على الشهر ولكني قمت بزيارات مختلفة كثيرة لعدد من الأقطار الإفريقية في شرق إفريقيا وغربها كالصومال وتنزانيا وأوغندا وكينيا والسنغال والكابون في نطاق المهمات الإدارية التي أنيطت بي طوال مسؤولياتي الإدارية المتعددة والمتقلبة بين وزارات التعليم والشبيبة والرياضة والشغل والإنعاش الوطني والتكوين المهني والإعلام إضافة إلى الأعمال الصحافية والثقافية التي انتدبت لها في هذه الأمصار الإفريقية.

أما الرحلات الثلاث فكانت غايتها إسلامية محضة، وكان الهدف منها الدعوة إلى قضية العرب والمسلمين الأولى ألا وهي قضية فلسطين قبل أن يكون لمنظمة التحرير الفلسطينية وجود، وفي الوقت الذي كان يتكفل بالدفاع عن هذه القضية المؤتمر الإسلامي يوم كان على

رأسه سماحة المغفور له الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين والزعيم الفلسطيني الكبير رحمه الله.

كان في رفقتي في هذه الرحلة الأولى التي تمت في سنة 1962 الأستاذان الجليلان السيد رياض العابد وهو محام سوري وموسى أبو السعود، وهو فلسطيني كان يمثل فلسطين في بلادنا، قبل أن يصبح لمنظمة التحرير الفلسطينية، تمثيلية قائمة الذات في رباط الفتح.

لم يكن قد مضى على استقلال الكثير من الدول الإفريقية وقت طويل؛ وكانت معظم هذه الدول تعيش تحت رحمة الدول المستعمرة (بكسر الميم) التي أغدقت عليها والعطايا حتى تظل تابعة لها رغم حصولها على الاستقلال. وكان على رأس هذا الدول مسؤولون وحكام لم يتحصنوا بالجهاد في سبيل نيل الاستقلال بل إن هذا الاستقلال أعطى للكثير من شعوبهم للتخلص منها ولإخضاعها بطرق أخرى لمشيئة المستعمر الذي فرض عليها آنذاك رؤساء ومسؤولين تابعين له أصلا وفصلاً، يعمل المستعمر ما يشاء، ويتخذ منهم لمصالحه كيف شاء.

ومنذ ذلك الحين آمنت شخصيا بأن هؤلاء القادة لن يظلوا يسيرون شعوبهم، وأن هذه الأخيرة ستنقلب عليهم لا محالة. وكذلك كان. وأحمد الله أن من بين هذه الشعوب وبين هؤلاء القادة كان عدد من الرؤساء المناضلين الذين أحرزوا على الحرية والاستقلال لشعوبهم بفضل كفاح هؤلاء القادة الذين يمكن أن نذكر منهم، بكل فخر وإجلال، السادة الشيخ سكوتوري رحمه الله وقوامي نكروما رئيس دولة غانا والرئيس المرحوم موديبوكيتا رئيس دولة مالي.

وقد ترتب عن هذا الاستقلال استمرار لوضع استعماري جديد ظاهره استقلال فارغ المحتوى، وسيادة مخنوقة في واقعها، وباطنه مواصلة استغلال هذا الشعوب من طرف الدول الأجنبية التي كانت تحكمها فيما سبق؛ ومعنى هذا بقاء وضعية الولاء للأجنبي، وتبعية عمياء للسياسة التي ينهجها الاستعمار الغربي بما في ذلك الخضوع لتعليماته، والتعامل مع الدول الحليفة للغرب كإسرائيل التي أحكمت قبضتها على هذا الدول حديثة العهد بالاستقلال، الشيء الذي مكن إسرائيل من بسط سيطرتها على هذه الدول فأضحت تمدهم بالخبراء في كل ميدان، وتوفر لهم المساعدات المالية والمادية بسخاء كتهجيز الجيوش الإفريقية والمخابرات ودواليب الاقتصاد مما دفع بهذه الدول الإفريقية إلى ربط علاقات وطيدة مع إسرائيل، وجهل كل شيء فيما يتعلق بالخلاف القائم بين الدول العربية والإسلامية وبين إسرائيل.

ولعل هذا الوضع يعد من العوامل الأولى التي حالت بين هذه الدول المسلمة في معظمها وبين تتبعها للنهج الإسلامي الصحيح الذي أخذته عن بعض دول شمال إفريقيا واليمن وغيرها من الدول الإسلامية، وقد كان علينا في هذه الرحلة أن نعرف هذه الدول الإفريقية قادة وشعوباً بالوضعية في فلسطين، وما يلاقيه الإخوان الفلسطينيون من اضطهاد وعنت، وظلم وطغيان من طرف الإسرائيليين الذين طردو السكان الأصليين لفلسطين، واحتلوا أراضيهم، وأقاموا دويلة إسرائيل بالقضاء على فلسطين وعلى الفلسطينيين وقد كنا نحمل في هذه الرحلة رسائل ملكية سامية إلى رؤساء هذه الدول الذين كانوا يستقبلون الوفد العربي الإسلامي الفلسطيني الذي يسلمهم هذه الرسائل التي بعث لهم بها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وسوف لا أعدو الحقيقة إذا قلت بأن هؤلاء القادة ما كانوا ليستقبلوا أعضاء الوفد ويتفهموا القضايا التي يعرضها عليهم لو لم يكونوا مبعوثين من طرف ملك بلاد إفريقية سبق لها أن دعت إلى مؤتمر القمة الإفريقي بالدار البيضاء قبل ذلك بأقل من سنتين.

ليس مقصودي من هذا العرض أن أتحدث عن رحلة مضى عليها أزيد من ربع قرن وسبق أن كتبت عنها حلقات عدة في هذه المجلة نفسها أي «دعوة الحق» الغراء. وقد يعتقد البعض أنها بعيدة عن موضوع تطور الإسلام في إفريقيا الذي اخترته لهذا البحث؛ ولكني أريد أن أصل بهذه الإشارة إلى أحد العوامل الرئيسية التي طرأت على الإسلام والمسلمين في إفريقيا والتي تتلخص في الجهل الذي يتعلق بقضايا المسلمين، بقضيتهم الأولى وأعني بها

قضية فلسطين ويرجع ذلك أساسا إلى استحواذ الأجانب ـ مسيحيين ويهود وملحدين وغيرهم ـ على عقول المسلمين الأفارقة، وعلى مصالحهم رغم خروج هؤلاء الأجانب من الحكم في الظاهر كما يرجع إلى الانفصال التام الذي عرى أواصر التعارف والوئام بين المسلمين. وإذا أضفت إلى هذين العاملين عاملا ثالثا لا يقل أهمية عن الأول والثاني وهو ضعف المسلمين وقلة الوسائل العلمية العملية التي يتوفرون عليها مما جعلهم يعيشون على تقاليد وعادات يعتبرونها إسلامية وما هي إلى الإسلام في شيء وإنما هي اتباع لما رأوا عليه آباءهم دون معرفة دقيقة بالإسلام وعباداته ومعاملاته وأصوله وعقائده ـ أقول ـ إذا أضفت هذا العامل والواقع المر إلى العاملين الأول والثاني، أدركت الوضع المؤسف الذي يوجد عليه الإسلام في إفريقيا. والحالة المؤلمة المزرية التي يعيش فيها المسلمون في القارة السمراء.

أما الرحلة الإفريقية الثانية إلى إفريقيا فقد قمت بها وحدي سنة 1965 لمواصلة الدعوة والتعريف بالقضية الفلسطينية استمرارا للمهمة الأولى: والحقيقة أني وجدت، بابتهاج كبير وسرور عظيم، أن الإسلام ينتشر انتشاراً واسعا في القارة الإفريقية، ولكني وجدت وضع المسلمين لايزيد إلا فقراً، وحالتهم لا تزيد إلا بؤسا بينما وقفت على الوعي السياسي الذي بدأ يظهر في المجتمع الإفريقي عموماً والإسلامي منه خصوصاً. فقد كان مر على خروج منظمة الوحدة الإفريقية إلى الوجود، بضع سنوات، وتحقق داخل هذه المنظمة بعض الوعي بالقضية الفلسطينية من الوجهة السياسية على الأقل. وكان للاتصالات التي جرت بين القادة الأفارقة وبعض القادة العرب من إفريقيا الشمالية ومصر والسودان وموريتانيا والصومال تأثير لا بأس به في موضوع قضية فلسطين، كما أن بعض رؤساء بعض الدول العربية والإسلامية قام قبل هذه الفترة وخلالها بزيارات لبعض الأقطار الإفريقية كما أن البعض من القادة الأفارقة زاروا بعض البلاد العربية، فنتج عن هذا التزوار وعي بالقضية العربية كما نتج عنه ظهور تعاون مابين الأقطار العربية والإفريقية كما انصب، بصفة خاصة، على الميدان الديني والثقافي والاجتماعي. ومع ذلك فقد كان الأفارقة الذين قدر لي الاتصال بواسطة سفرائنا وسفراء بعض الدول العربية والإسلامية، يعربون على مختلف المستويات سواء كان هؤلاء الأفارقة، رؤساء أو وزراء أو شيوخ طرق أو أصحاب مؤسسات تعليمية أو تربوية أو دينية أو مطلق المواطنين الأفارقة يقدمون الأوضاع المؤسفة التي عليها الإسلام والمسلمون في إفريقيا في صور حالكة تدعو إلى الأسى إذ لم يكونوا يتوفرون على مساجد لإقامة شعائر دينهم، ولا مؤسسات لتعليم أبنائهم وبناتهم، وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة يرضونها لهم كما كانوا في حاجة ماسة إلى الكتب الإسلامية والعربية ومصاحف القرآن.

وأما العامل الرابع الذي كان ـ وما زال مع الأسف الشديد لحد الآن ـ يعوق تطور الإسلام والمسلمين في القارة الإفريقية فهو تعدد اللهجات المحلية التي يعسر على الأفارقة التفاهم بها حتى فيما بينهم وحتى في القطر الواحد، وتمكن اللغات الأجنبية من فرنسية وإنجليزية وإسبانية وبرتغالية وغيرها كالإيطالية والألمانية على مستوى أقل في عقول كثير من المسؤولين والمثقفين الأفارقة، وسريان هذا التمكن داخل المجتمع الإفريقي والأوساط الشعبية. فكيف يمكن لمجتمع يعيش هذا الوضع في لغة التخاطب أن يفهم لغة القرآن، ويدرك أسرار كتاب الله إذا لم يتمكن من لغة الضاد ويحسن استعمالها في القراءة والكتابة والعبادة ولغة التخاطب.

وإني مازلت أتذكر في لوعة وأسى كيف كان المسلمون الأفارقة في بعض أمصارهم يقبلون علي، ويتقدمون لي بمطالب يسيرة مستعجلة كالحصول على مصاحف القرآن الكريم، وبعض الكتب المدرسية التي تعلم قواعد الدين، وتحبب قواعد اللغة العربية إلى نفوس أبنائهم الأمر الذي جعلني، بمجرد رجوعي إلى أرض الوطن، وتقديم تقرير في الموضوع، أقف بنفسي على المجهودات التي بذلتها الدولة المغربية بأمر من صاحب الجلالة لصالح هؤلاء المسلمين خصوصا ما تكلل منها بالتوفيق كبناء

مسجد دكار العظيم، وتوجيه بعض الكتب والمؤلفات الدينية في اللغة العربية، وبعض الكتب المدرسية والمجلات وغيرها من المنشورات.

وقد أبى الله سبحانه وتعالى إلا أن أقوم برحلة إفريقية ثالثة سنة 1968 صحبة وفد مغربي صرف ترأسه الأستاذ الأخ السيد أبو بكر القادري، وكان في عضويته، الأخ الأستاذ السيد عبد الكريم حجي الوطني الغيور المعروف في سلا والمغرب بأسره. وقد جاءت هذه الرحلة تلبية لطلب من المؤتمر الإسلامي، وبعد المصيبة العظمى التي حلت بالمسلمين على إثر احتلال الأراضي العربية في كل من مصر وسوريا وشرق الأردن والقدس الشريف. وقد رعى هذه الرحلة وأنفق عليها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الذي أمر رئيس الوفد بتوجيهاته الإسلامية العربية السامية، وبرسائل ملكية إلى إخوانه رؤساء الدول الإفريقية، وبنسخ عديدة من المصحف الحسني الذي أمر جلالة الملك بطبعه بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم. وقد تكفل الأستاذ الأخ أبو بكر القادري بتسجيل مراحل هذه الرحلة التي دامت أقل من شهر، ولم يقم الوفد خلالها إلا بزيارة ثماني دول هي كامبيا، والسنغال، وغينيا، وسيراليون، ومالي. ولقد كان للاتصالات التي أجراها أعضاء الوفد، والخطابات المؤقرة التي كان يلقيها رئيسه الفذ الداعية الإسلامي الموفق أثر كبير في نفوس المسلمين الأفارقة كما كان للخطابات الملكية التي سلمت للرؤساء والمسؤولين على مختلف المستويات السياسية والثقافية والاجتماعية والمصحف الحسني دور كبير في توعية هؤلاء بقضية المسلمين الأولى.

والحقيقة أننا وجدنا الشعوب الإفريقية، بوجه عام، والمسؤولين المسلمين، بوجه خاص، أخذت تستيقظ من سباتها بعد الانتفاضات التي عرفتها بعض الأقطار الإفريقية، وبعد الثورات والانقلابات التي هزت ربوع بعض البلدان كما وجدنا، والحق يقال، كثيراً من المسؤولين واعين بمخاطر الاحتلال الصهيوني للأراضي العربية، ومتأثرين جدا لما أصاب القدس الشريف من انتهاك لحرمته، أدى إليه الاستيلاء على المسجد الأقصى من استنكار في نفوس المسلمين الأفارقة. وقد وقف أعضاء الوفد على الأوضاع المزرية التي يعيش فيها المسلمون، والمضايقات والإغراءات التي يقوم بها خصوم الإسلام سواء كانوا مسيحيين أو ملحدين أو لا دينيين، كما وقف الوفد على الجهود المشكورة التي يبذلها دعاة الإسلام لبث الدعوة الإسلامية في نفوس مواطنيهم، ونشرالرسالة المحمدية في الأوساط الإفريقية بوسائل محدودة جداً، وفي ظروف من الصعوبة بمكان رغم المنافسات التي يقوم بها خصوم الإسلام الذين يبنون المدارس، ويشيدون المؤسسات العديدة، ويطعمون الطعام بسخاء، ويوفرون وسائل العلاج بدون حساب، ويستغلون ظروف تعاسة المسلمين، وضعف إمكانياتهم، ليبشروا برسائل سماوية وأرضية. ومع ذلك فقد سعدنا ونحن نرى إخواننا الأفارقة يقبلون على الإسلام، ويدخلون في دين الله أفواجاً أفرادا وأزواجاً، ويسلمون جماعات وزرافات في وقت واحد بينما يبذل خصوم الإسلام قصارى الجهود، ولا ينضم إلى صفوفهم إلا أقل القليل، ولا يندرج في سلكهم إلا النزر اليسير.

لم تتوقف اتصالاتي بالقارة السمراء عند هذه الرحلات الثلاث؛ ولكنني قمت بزيارات محدودة لبعض الأقطار الإفريقية منذ أزيد من عشرين سنة مكنتني من الوقوف على أحوال إخواني المسلمين الأفارقة فقد زرت الصومال والسنغال مرات عديدة، وطفت بأرجاء تنزانيا، وكينيا وأوغندا؛ وهي كلها بلاد مسلمة عرفت هذا الدين الذي صادف هوى في نفوس أبنائها الذين مالوا في أول أمرهم إلى الخوارج ثم ما لبثوا أن عادوا إلى الإسلام المتسامح والمبني على الجدال بالحسنى، والإقناع بالطرق المنطقية الخلابة، وقد يطول بنا الحديث لو أردنا استعراض الوسائل التي تلقى بها هؤلاء الأفارقة الإسلام.

وإذا كانت بعض الأقطار في إفريقيا الشرقية قد انغمرت في بحبوحة السعادة الأبدية التي يمنحها الإسلام عن طريق بعض الدعاة الواردين من اليمن القريب من

شواطئها، وعن طريق مصر والسودان بواسطة رجال مومنين هاجروا إلى الله ورسوله إلى هذه الأقطار بغية نشر الإسلام في ربوعها فإن أقطار إفريقيا الغربية سعدت بتلقي الرسالة المحمدية عن طريق رجال وفدوا عليها من المغرب وتونس وموريطانيا؛ وقد حمل هؤلاء القوم الذين كانوا يتكونون من عرب وبربر الإسلام بوسائل سلمية وحربية؛ فقد حملوا السيف لنشر الإسلام أولا كما حملوا المصاحف والكتب ثانيا؛ فتلاقى السيف والقلم للقيام بواجب الدعوة وهذا عمل أبناء وحفدة عقبة بن نافع والمولى ادريس الأول، وعمل المرابطون، والموحدون والمرينيون والسعديون والعلويون على بث الوعي الإسلامي في الربوع الإفريقية لايريدون من وراء ذلك إلا وجه الله.

وإن مما يطرب قلب كل مغربي ويشرح صدره أن يسمع خلال اتصالاته بالمسلمين الأفارقة أن العلماء والدعاة منهم لا يعرفون عن الإسلام، وعلوم الشريعة وفنون اللغة العربية إلا ماورد من المغرب سواء من مراكش وكلية ابن يوسف أو عن طريق فاس وجامعة القرويين، وأنهم لايقرءون إلا ابن عاشر والشيخ خليل ومطبوعات السلطان العالم مولاي عبد الحفيظ العلوي، وأنهم لحد الساعة يتلون القرآن في المصاحف الحسنية، ويتلقون بابتهاج كبير مجلتي «دعوة الحق» والإرشاد التي أكد لي أحدهم أنه اختار مقالاتي فيها كخطبة لإحدى الجمع.

إن هذا الإقبال الإفريقي العربي على بلادنا يحتم علينا أن نضاعف الجهود لإمداد إخواننا المسلمين في جنوب الصحراء بكل ما يحتاجون إليه من كتب، ومؤلفات، وما يتوقعون عليه لبث الدعوة الإسلامية من علماء ومدرسين، ومواصلة مساعداتهم المادية لبناء المساجد والمعاهد، وقبول أبنائهم وبناتهم ولمتابعة دراساتهم في بلادنا حتى نواصل بهذا العمل ما قام به أجدادنا من سعي محمود، وجهد جهيد، وحتى يظل حبل الاتصال بيننا وبينهم ممدوداً.

وإذا كان معظم هذه الشعوب ما زال متمسكا بالمذهب السني المالكي، فإن من واجبنا أيضاً أن نيسر لهم وسائل التمكن من هذا المذهب، وطرق الحفاظ عليه لأن بعض الدول الإسلامية أخذت توجد جهودهم نحوهم لتجرهم إلى مذاهب وتيارات ما أظن الأفارقة يقبلونها، ولكنها تبذل لهم بسخاء، وتعرض عليهم بكرم وجود، فهي تمدهم بمساعدات وأموال كثيرة، وهي تبعث لهم بمؤلفات ومجلدات تدعو إلى ملل ونحل لا قبل لهم بها، وهي تشيد المؤسسات الثقافية والدينية والاجتماعية وهي مساع محمودة في حد ذاتها ولكني أرى أن واجب الدول الإسلامية يفرض عليها مواصلة هذا العمل؛ ولكن الواجب الديني يفرض أن تنظم هذه المساعدات وأن يتم إحداث جهاز للتنسيق فيما بين الدول الإسلامية يمكن أن يكون هو المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم أو غيرها : كما أن هذا التنسيق الإسلامي يجب أن لا يمنع المغرب من مواصلة مجهوداته الفردية نظرا لما كان له من سبق في الميدان ونظرا للعلاقات الوطيدة القائمة بين بلادنا وهذه الدول الإفريقية، ونظرا لحسن الجوار فيما بيننا وبينها.

إن تطور الإسلام في القارة السمراء يتحقق بخطى ثابتة، وانتشاره في ربوعها يسير سيراً مطردا يدعو إلى التفاؤل والارتياح، وإذا كنا لم نتعرض هنا بتدقيق للتأثيرات التي تغشى المجتمع الإسلامي في إفريقيا والتي يتحتم علينا الوقوف عندها لمعرفة تفاصيلها وجزئياتها ودقائقها نظراً لضيق المجال والوقت فإننا نرجو أن تخصص في المستقبل دراسة وافية عن هذا الموضوع لنتأكد من تشبث الأفارقة الذين يعيشون وراء الصحراء بكل من يفد عليهم من المملكة المغربية، وكل ما يرد عليهم من كتب ومؤلفات ومبادئ من بلادنا.

الرباط : عبد اللطيف أحمد خالص



زرت في صيف 1987 جمهورية التشاد مشاركا في الدورة التدريبية لموجهي اللغة العربية؛ تلك الدورة التي أشرفت عليها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم. وبما أنني كنت مسؤولاً، في هذه الدورة عن وحدة التربية الإسلامية فقد تيسر لي الالتقاء بعلماء أجلاء متخصصين في الدرس الإسلامي. منهم مَن أوقف حياته على تاريخ التشاد الإسلامية كالشيخ الصديق عثمان علي محمد صاحب «رسالة في سبيل الحق والإسلام» التي طبعت بمطبعة النيل للطبع والنشر بالخرطوم. وكتاب «لمحات من تاريخ التشاد الإسلامي» الذي سيطبع، إن شاء الله، بالرباط برعاية المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم التي يديرها بقوة وأمانة العلامة السيد عبد الهادي بوطالب حفظه الله وأعانه في جهوده المشكورة التي يبذلها للرفع من مستوى الأمة التربوي والثقافي والعلمي. وكالعلامة الأديب شاعر التشاد الصديق عباس محمد عبد الواحد مدير المدينة الجامعية للملك فهد بانجامنا عاصمة التشاد، صاحب ديوان «الملامح» المطبوع بمطبعة أسعد ببغداد سنة 1983.

وكالعلامة المقرئ الشيخ يوسف إسحاق مدير معهد القراءات بانجامينا وكالأستاذ الصديق محمد طاهر آدم مدير معهد محو الأمية المشرف على مدرسة الجيل الصاعد بالعاصمة. وكالأستاذ المقرئ الحافظ هشام جبل المسؤول عن تكوين الأطر بمديرية التعليم العربي بوزارة التربية الوطنية وكالعلامة الدكتور محمد موسى رئيس شعبة اللغة العربية بكلية الآداب التابعة لجامعة التشاد وكالأستاذ المدني التيجاني صابون مدير التعليم العربي بوزارة التربية الوطنية وكالمربي فضول المفتش العام بالتعليم الثانوي، وكالأستاذ الباحث محمد بركة معروف وكالشيخ مهدي عبد الواحد صاحب كتاب «مكانة المرأة في الإسلام».

لاشك أن ذكر جميع المبدعين والباحثين الذين التقيت بهم في التشاد سيخرج كلمتي عن القصد الذي قصدت إليه وهو التحدث، ولو بإيجاز، عما تختص به الآن التشاد المسلمة.

لقد استرعى انتباهي فيها ثلاثة أمور؛ أحْرِص أن أشير إليها، ولو باقتضاب شديد.

الأمر الأول : تمسك هذا البلد بالمذهب المالكي الذي يطبق تطبيقاً أميناً في كل الأمور الدينية والدنيوية. ومما تجدر الإشارة إليه حرصهم الشديد على دراسة موطأ الإمام مالك الذي تعقد من أجل تحصيله حلقات دراسية، لا في المساجد الكثيرة المنتشرة في كل من أنجامنا العاصمة الإدارية وأبشة العاصمة العلمية للبلد، وإنما أيضاً في الزواية، وحتى في بعض ساحات أحياء المدن حيث يتجمع الأهالي للاجتماع إلى شروح أساتذة متخصصين في الموضوع.

الأمر الثاني : عمق تخصص شيوخ التشاد، لاسيما الذين درسوا في «أبشة» **في تفسير كتاب الله.** ولهم في ذلك منهج يتبع من قديم. الشيوخ الشباب

يفسرون القرآن للطلبة المبتدئين انطلاقاً من تفسير الجلالين؛ فإذا حصل التلاميذ ذلك انطلقوا إلى حلقات شيوخ أكبر سنا وأوسع تجربة وأكثر علما بكتاب الله ليستمعوا منهم إلى تفسير الطبري؛ فإذا ما أنهوا ذلك انضموا إلى الشيوخ الكبار المبرزين يدرسون عليهم الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، فالبحر المحيط لأبي حيان الغرناطي.

تقام بجانب هذه الحلقات التفسيرية حلقات صغرى لدراسة النحو العربي. وهكذا يوجد، بجانب حلقة تفسير الجلالين، درس لشرح لامية الأفعال لابن مالك عن مستويين اثنين؛ يقدم في المستوى الأول شرح بحرق الصغير، وفي المستوى الثاني شرح بحرق الكبير.

أما بجانب حلقة تفسير الطبري فتدرس معاني الحروف في مستويين اثنين. يخصص المستوى الأول للجني الداني في حروف المعاني لابن أم قاسم في حين يخصص المستوى الثاني لِلْمُغْنِي اللبيب لابن هشام.

وتدرس بجانب حلقة تفسير القرطبي وأبي حيان أمهات كتب النحو العربي في مستويين كذلك؛ يدرس شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك في المستوى الأول ويدرس كتاب سيبويه؛ في المستوى الثاني.

الأمر الثالث : اهتمامهم بالقرآن وبقراءاته.

لقد أثار اهتمام التشاديين بالقرآن وقراءاته انتباهي، ولعل التشاد هو البلد الوحيد المسلم الذي يمكن فيه للطفل أن يحفظ في الكتاتيب القرآنية القرآن بإحدى الروايات الأربع.

أ - رواية الدوري عن أبي عمرو البصري من طريق أبي الزعراء؛ تدرس هذه الرواية بكثافة في شرقي التشاد وفي أبشة العاصمة العلمية لهذا البلد الشقيق على الخصوص.

يكتب الأطفال رواية أبي عمر الدوري من طريق أبي الزعراء على الألواح كما تفعل أو كنا نفعل نحن هنا في المغرب، وهذا نموذج من هذه الألواح المستعملة من طرف أطفال التشاد، نلاحظ أن النص كتب على اللوح بالرواية المذكورة مكتوبة بخط تشادي (الإفريقي الجميل) على منهج المغاربة في الرسم إلا ما اضطروا إلى مخالفته تسهيلاً على المتعلمين مثل نقط النون في آخر الكلمة، وهي مخالفة لا تكاد تذكر. كما أنهم يشيرون في ألواحهم إلى الآية بثلاث نقط؛ وهو أمر خاص بالقراء الخطاطين لمصاحف أبي عمر الدوري من طريق أبي الزعراء. وهم



يستعملون للكتابة على الألواح أقلام قصب رقيق ينبت بكثرة في التشاد ودواة من فاكهة يابسة أفرغ جوفها؛ وهذه صورة للقلم والدواة.



صورة للقلم والدواة

وحفاظ القرآن الكريم التشاديون مولعون بنسخ كتاب الله برواية الدوري، يحرصون أشد ما يكون الحرص على تسفيره تسفيراً فنياً رائعاً بجلود ذلك المعز الأبيض الذي يصل تعداده في جمهورية التشاد، حسب إحصائيات وزارة الفلاحة، إلى أكثر من مليوني رأس، يقصد كلّ صباح المراعي، كما شهدت ذلك بنفسي في جل المناطق التي زرتها حتى بدون راع.

وهذا نموذج من هذه المصاحف المخطوطة التي تفضل بعض القراء التشاديين العلماء فأهداني نسخة منها غاية في الإتقان سليمة من كل خطأ.

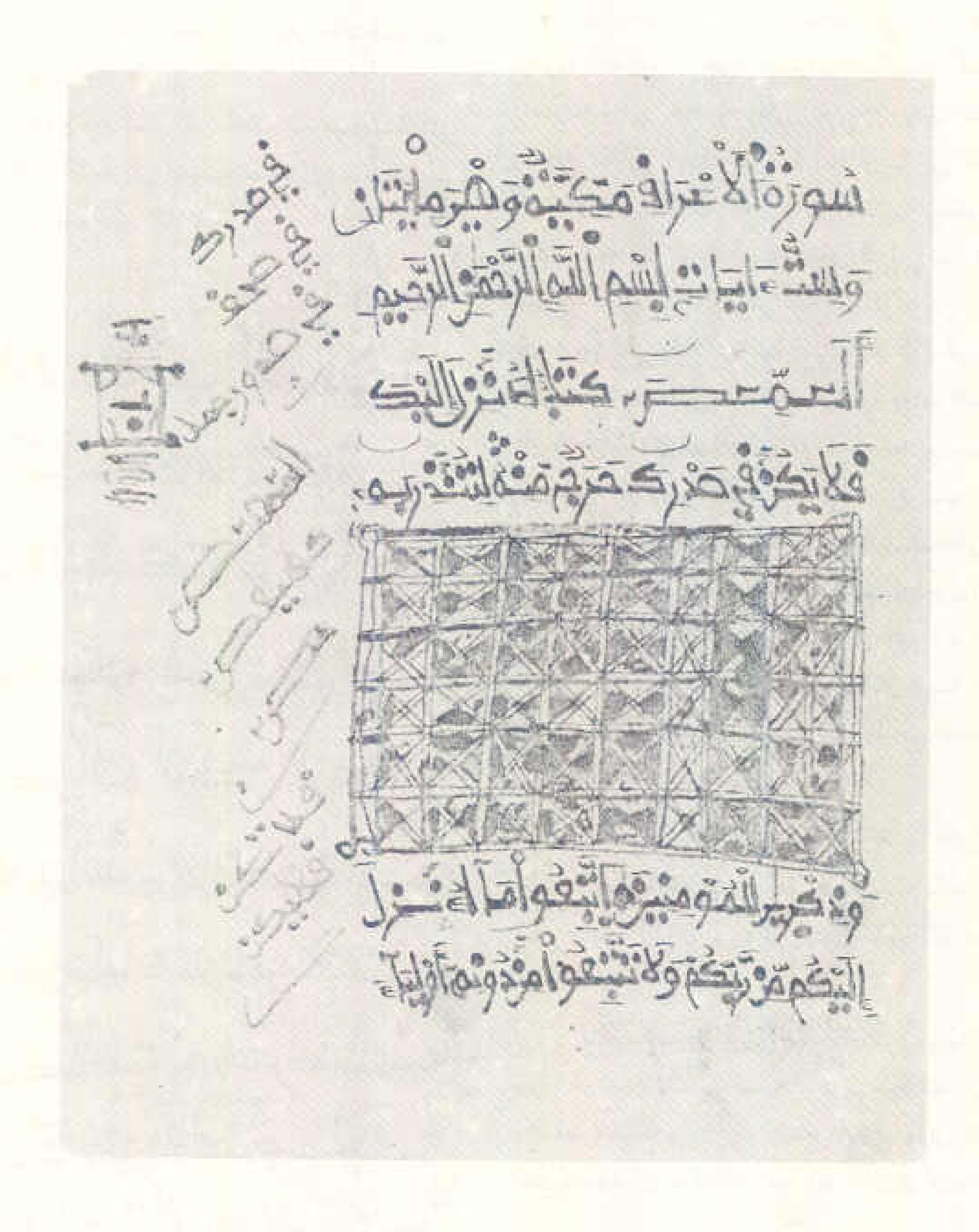
هذا النموذج نادر جدا قلما يعثر عليه المرء وهو نفيس نظرا لتلكم التعاليق التي زيدت في الطرة؛ وهي تعليقات تهم في غالب الأحيان أسرار التكرار ومشاكل في الرسم كما أنها تعنى بخصائص سور القرآن.

نقرأ، مثلا في طرة الصفحة التي كتب عليها مطلع سورة الأعراف أن «في» متبوعة بالصاد كما في «في صدرك» و«في صحف» و«في صدور» وردت ستون مرة في القرآن الكريم. وهذه طريقة المغاربة في عد الحروف المتجاورة في كتاب الله، إلا أن المغاربة يعلقون على كل كلمة كلمة فيه بحيث يصبح النص القرآني عبارة عن لوحة فنية لا مثيل لها. وليتمكن القارئ الكريم من تكوين فكرة عن هذه الطريقة المغربية التي لا شك تأثر بها نساخ القرآن الكريم بالتشاد، أقدم نموذجاً بخط الفقيه المقرئ الحافظ سيدي الهاشي بن مولاي أحمد بن مولاي محمد الشريفي (1832 ـ 1894) لنفس مطلع سورة الأعراف، وسيدي القارئ أن الفقيه المرحوم سيدي الهاشي علق على نفس الكلمة «في صدر» بثلاث كلمات أخرى، غير اللتين علق بها الناسخ التشادي؛ ذلك علق عليها بـ «في صخرة» (لقمان 16) وبـ«في صرة» (الذاريات الآية 29) وبـ«في صلاتهم» (المومنون الآية 2) وذاب«في صحف» وبـ«في صدور».

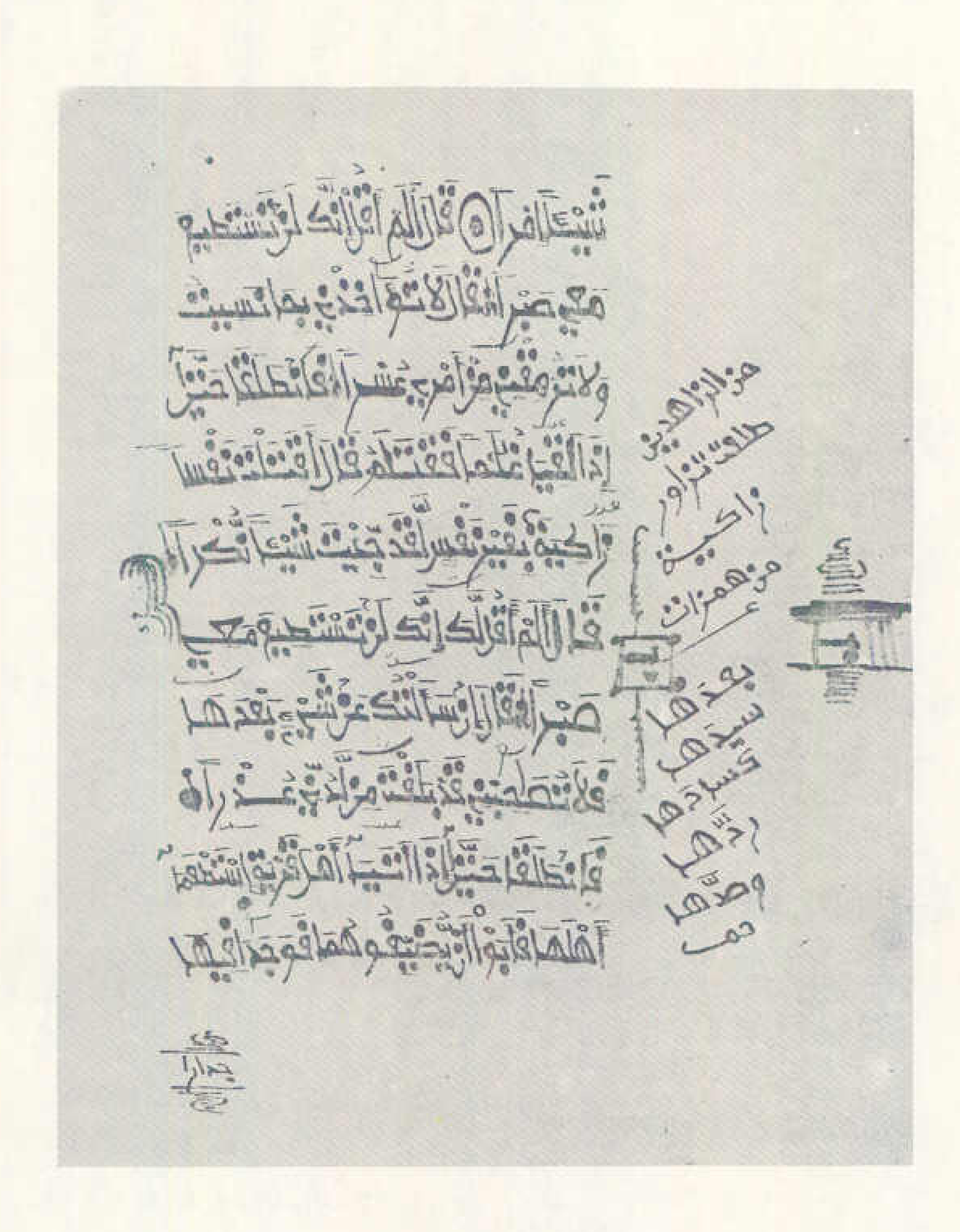
وهذا نموذج آخر اكتفى ناسخه بالنص القرآني الكريم برواية الدوري، هذا النوع كثير في التشاد يكاد يوجد عند كل حافظ للقرآن بهذه الرواية وياما أكثرهم في هذا البلد !

تمثل الصورة الأولى فاتحة القرآن وتمثل الثانية سورة مريم، لاشك أن القارئ الكريم سيلاحظ أن الهاء في (كهيعص) ممالة وإن الياء بالفتح بخلاف ورش الذي يقللهما معاً. ومعلوم أن امالة الهاء هنا عند الدوري اماله محضة.

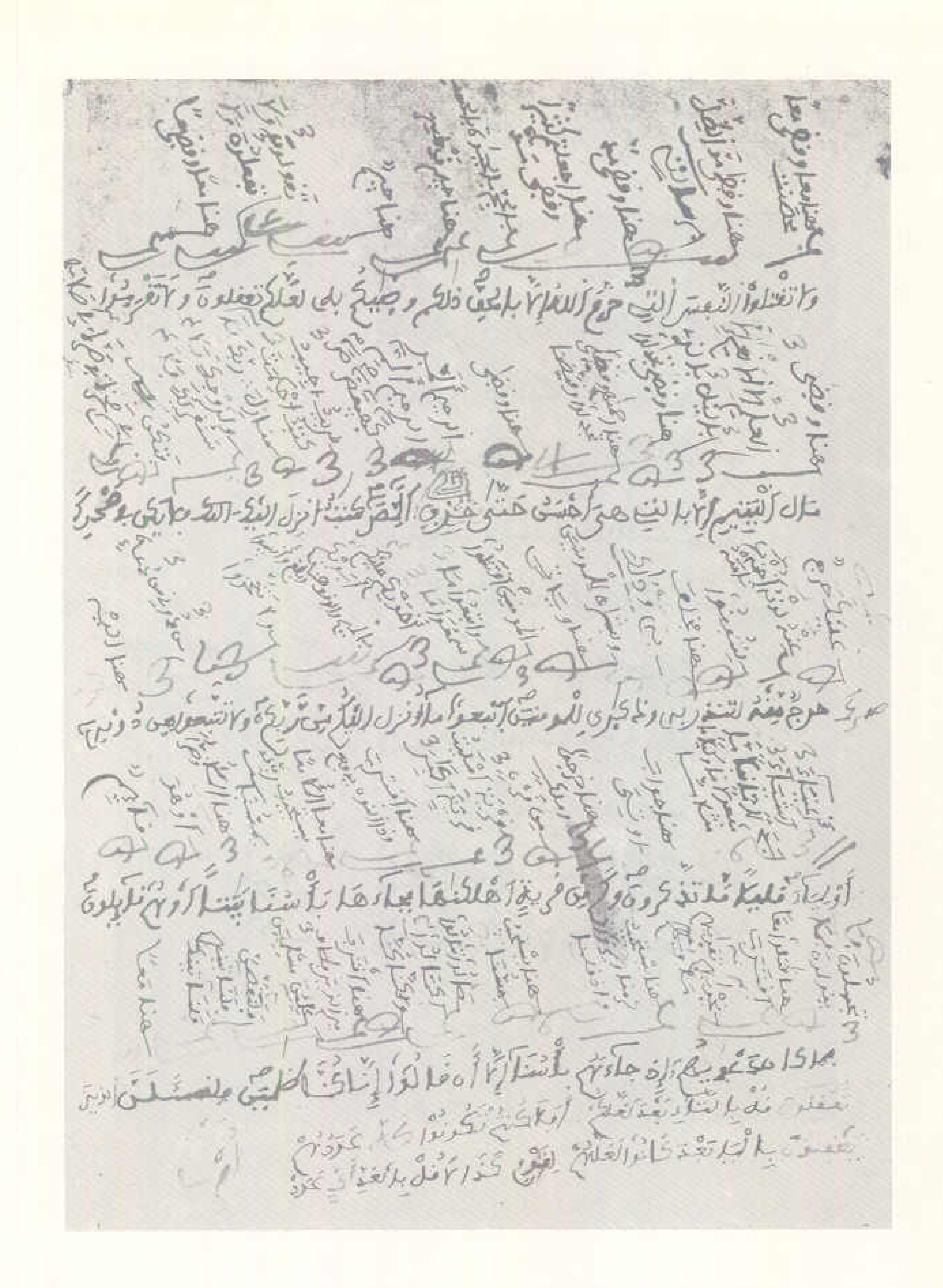
ب ـ رواية قالون عن نافع من طريق أبي نشيط. تنتشر هذه الرواية في المناطق الشمالية من التشاد. ومما ساعد على الاحتفاظ بهذه الرواية في هذه المناطق



سورة الأعراف مكية وهي مائتان
وست آيات بسم الله الرحمن الرحيم
المص كتاب انزل اليك
فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به
وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل
اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء


شيئا امرا ۝ قال الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا ۝ قال لا تؤاخذني بما نسيت
ولا ترهقني من امري عسرا ۝ فانطلقا حتى
اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا
زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا ۝
قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي
صبرا ۝ قال ان سالتك عن شيء بعدها
فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ۝
فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها

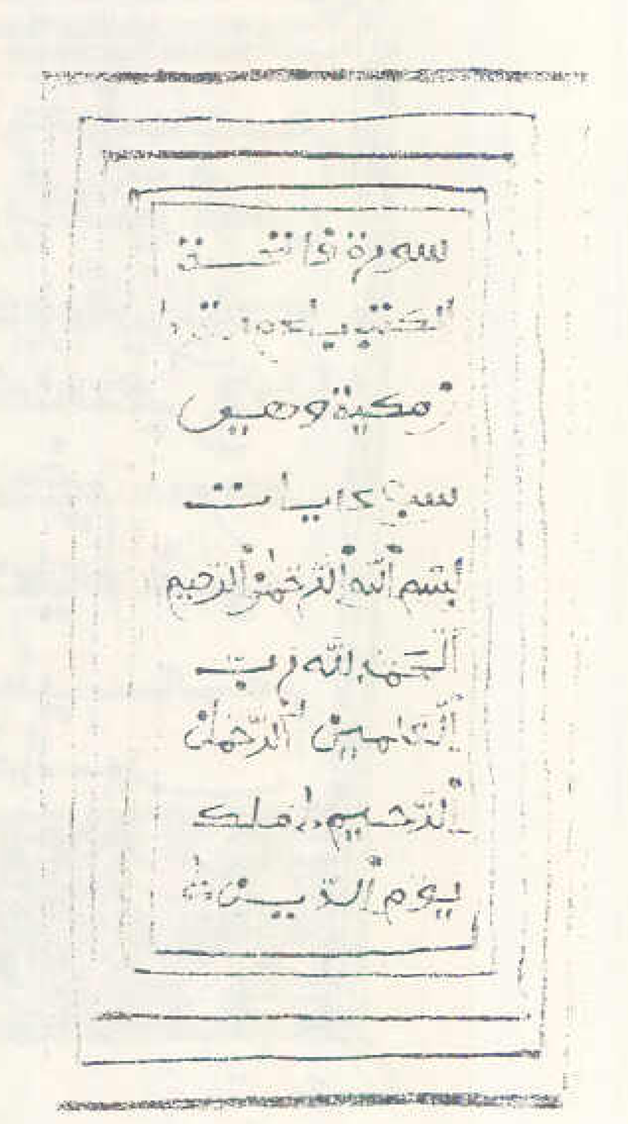
جدارا



قربها، من جهة، من تونس التي اهتمت دائماً وتهتم الآن أيضاً بهذه الرواية فقطعها من حين لآخر كاملة بأحجام مختلفة تارة ومجزأة إلى أرباع وأحزاب تارة أخرى تحت اشراف مشيخة الجامع الأعظم بتونس التي أرجو، بهذه المناسبة أن تعمل على إصدار مصحف لرواية قالون بما اصطلح عليه بمقاس 6، لأنه حجم يسهل تناوله وحمله من طرف تالي القرآن في السفر والظعن.

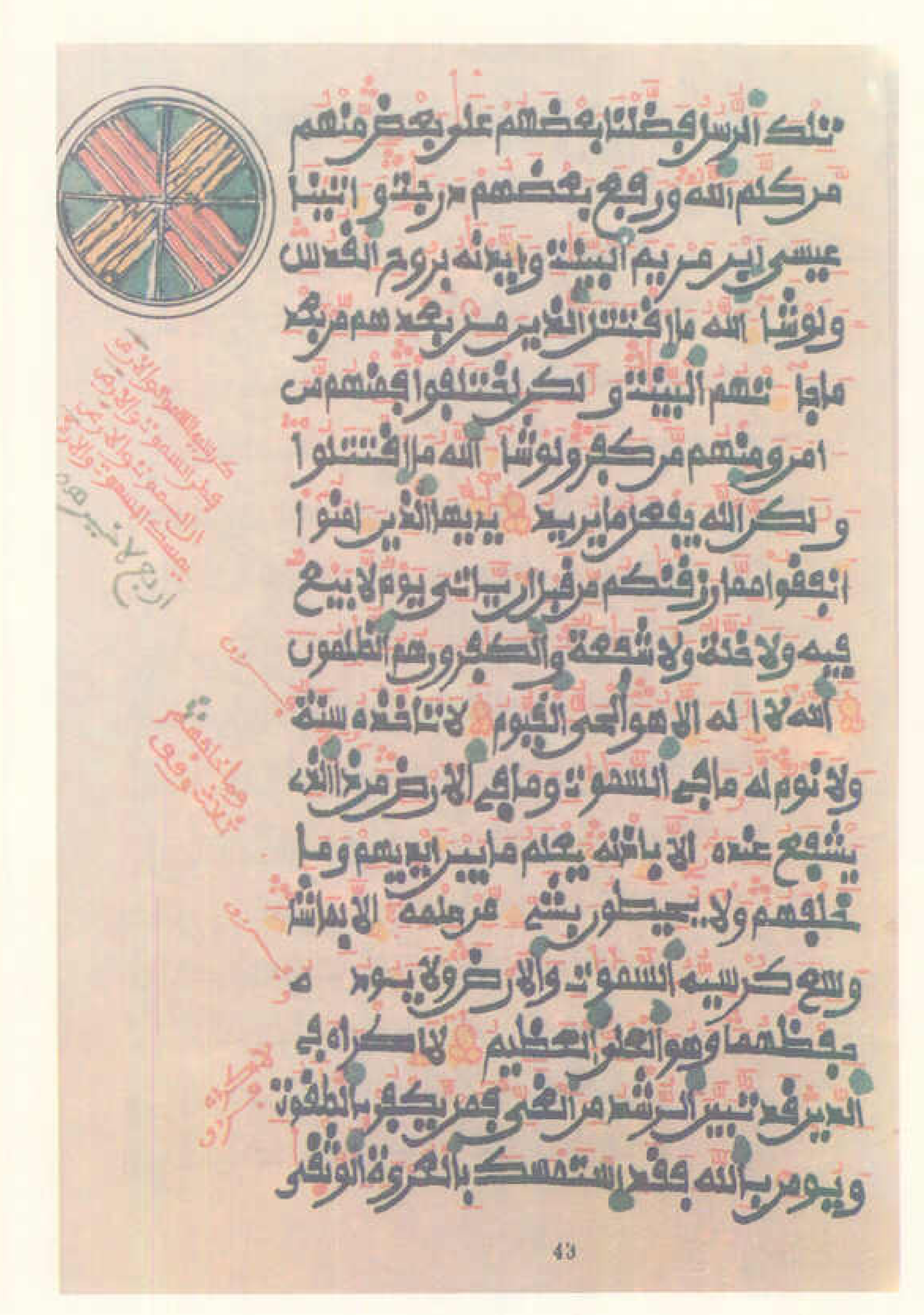
كما أن قرب التشاد من الجماهيرية الليبية التي تطبع هي أيضاً مصحفا برواية قالون وتوزعه بسخاء كبير تشكر عليه ساعد على الاحتفاظ بهذه الرواية سليمة صحيحة في المناطق الشمالية من التشاد. وإن إقدام جمعية الدعوة الإسلامية بالجماهيرية الليبية على إصدار القرآن الكريم المرتل ترتيلاً جيداً للغاية من طرف المقرئ الزميل محمد أبو سنينة مسجلا على سفطات تحتوي كل واحدة منها حزبين؛ تسجيلاً يوزع على نطاق واسع يساعد أيضاً على تعميق حفظ هذه الرواية في التشاد.

ولقد أسعدني الحظ فصليت ذات ليلة صلاة العشاء وراء فقيه حافظ أم بنا برواية قالون؛ قرأ في الركعة الأولى بسورة القيامة وقرأ في الركعة الثانية بسورة المرسلات. ولما التقيت به بعد الصلاة أخبرني أنه لا يقرأ إلا بهذه الرواية وان كان يعرف روايتي ورش والدوري.

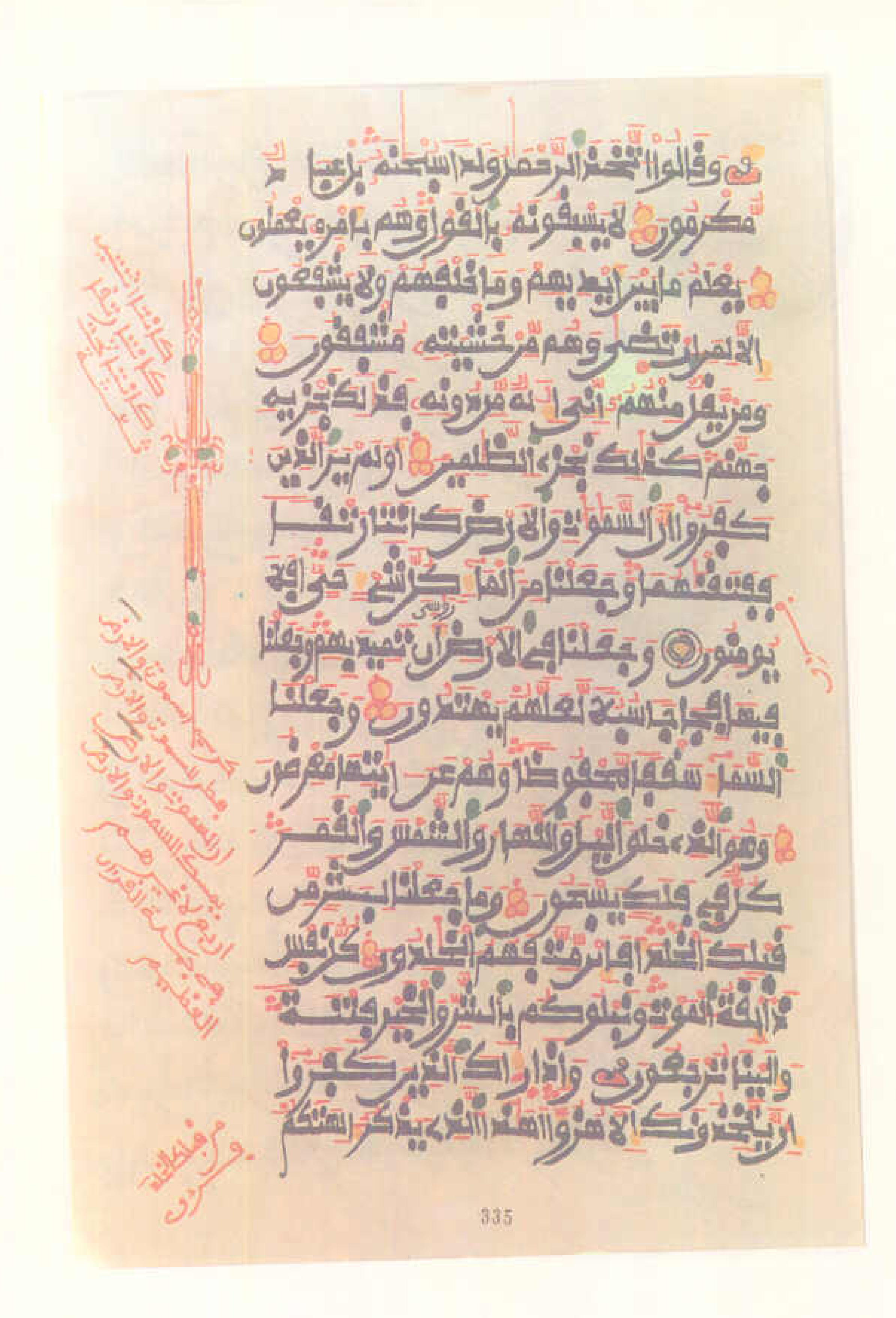

سورة فاتحة
الكتاب
مكية وهي
سبع آيات
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب
العالمين الرحمن
الرحيم ملك
يوم الدين

ج - رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، المصاحف المستعملة في هذه الرواية هي مصاحف مطبوعة طبعة يمكن أن نقول إنها حجرية حديثة مكتوبة بخط إفريقي جميل وطبعت على نفقة المحسن الحاج حسن أنو مدرم من أصل كمروني. وهذه نماذج بين هذا المصحف الجميل المكتوب بأربعة ألوان كما نرى في النماذج التالية :





تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم
من كلم الله ورفع بعضهم درجت وآتينا
عيسى ابن مريم البينت وأيدنه بروح القدس
ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد
ما جاءتهم البينت ولكن اختلفوا فمنهم من
آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا
ولكن الله يفعل ما يريد يأيها الذين آمنوا
أنفقوا مما رزقنكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع
فيه ولا خلة ولا شفعة والكفرون هم الظلمون
الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة
ولا نوم له ما في السموت وما في الأرض من ذا الذي
يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء
وسع كرسيه السموت والأرض ولا يئوده
حفظهما وهو العلي العظيم لا إكراه في
الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى


وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحنه بل عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه
جهنم كذلك نجزى الظلمين اولم ير الذين
كفروا ان السموت والارض كانتا رتقا
ففتقنهما وجعلنا من الما كل شى حى افلا
يومنون وجعلنا فى الارض روسى ان تميد بهم وجعلنا
فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا
السما سقفا محفوظا وهم عن ايتها معرضون
وهو الذى خلق اليل والنهار والشمس والقمر
كل فى فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد افاين مت فهم الخلدون كل نفس
ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة
والينا ترجعون واذا راك الذين كفروا
ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذى يذكر الهتكم
335



الدكتور الراجي يتوسط قراء المدرسة القرآنية بالتشاد



وهو مع جماعة من الفقهاء في ساعة نزهة واستراحة

كتب، في هـذا المصحف ذي التسفير الأنيـق، مـا يعرف بالرسم العثماني باللون الأسود وهذا ما كان دائماً وما يجب أن يكون لقد كانوا يعبرون عن الرسم العثماني بـ«السواد» ويقولون : «في السواد كتبت الكلمة كذا بالشكل كذا» ذلك أن الحروف الصوامت كانت تكتب دائماً باللون الأسود حتى صار رسم الإمام يعرف بـ«السواد».

وكتبت الهمزة فيه باللون الأصفر وهذا هو المنهج الذي اتبعه السلف الصالح رضوان الله عليه في رسم الهمزة.

أمـا الحركـات على الحروف فـأثبت في هـذا المصحف بالأحمر تطبيقاً لما درج عليه التابعون رحمهم الله. قال الإمـام الـداني : (المقنع في رسم مصـاحف الأمصـار صفحـة 134) : «وأرى أن يستعمل للنقط لونـان الحمرة والصفرة فتكون الحمرة للحركـات والتنـوين والتشـديد والتخفيف والسكون والوصل والمد وتكون الصفرة للهمـزات خاصة، وعلى ذلك مصاحف أهل المدينة فيما حدثنا به أحمد بن عمر بن محفوظ عن محمد بن أحمد الإمام عن عبد الله بن عيسى عن قالون عن مصاحف أهل المدينة».

وأشير فيه بنقطة خضراء إلى نطق الفات الوصل. فإن كـانت مفتوحـة جعلت نقطـة خضراء على أعلى الألف وإن كـانت مضمومـة جعلت في وسطـه وإن كـانت مكسـورة جعلت في أسفله وهذا بالضبط ما كان عليه السلف الصالح، قـال الإمام الداني في المقنع (ص 134) : «وإن استعملت الخضرة للابتداء بألفات الوصل على ما أحدثه أهل بلدنا قديماً فلا أرى بذلك بأساً إن شاء الله وبالله التوفيق». لكن نظراً لارتفـاع ثمن هـذا المصحف المطبـوع بروايـة ورش (ثمنه 3500 فرنكاً اسفة) فانه قليل لا يكاد المرء يعثر عليه إلا بشق الأنفس.

لذا حين أهديت لأصدقائي بعض مصـاحف ورش المطبـوع في المغرب بـالخـط المغربي وبـأمر من أمير المؤمنين الحسن الثاني أعزه الله فرحوا له فرحاً شديداً. ولقد شجعني صغر حجمه فأخذت منه معي ما يزيد على عشر نسخ. لكن لم يكن معي، بكل أسف إلا مصحف واحد حسني من الحجم الكبير المذهب أهديته لمعهد القراءات. وكم كانت فرحة أساتذة وطلبة المعهد عظيمة حيث شاهدوه واعتبروه هدية لا تقدر بثمن وصاروا يدعون لأمير المؤمنين بالنصر والتمكين.

د ـ رواية حفص عن عاصم من طريق يحيى بن آدم. هذه رواية بدأ القراء التشاديون يقبلون عليها بسبب مواطنيهم الذين درسوا في الشرق وعادوا إلى بلادهم متمكنين منهـا. لكنني لاحظت أن انتشـارهـا اقتصر على العاصمة انجامنا دون سواها من المدن والقرى التشادية.

وأحب قبـل أن أختم هـذا الحـديث المقتضب عن التشاد المسلمة أقدم صورتين تذكاريتين لبعض الأساتذة التشاديين الأصدقاء الذين أبو إلا أن يخلدوا ذكرى الدرس القرآني بصورة تذكارية أخذت في حدائق الجامعة وأخرى في المنطقة السياحية التي تبعد عن انجامنا بحوالي 120 كلمتراً جنوب العاصمة. يظهر وراء الصورة نهر شاري العظيم فأراضي الكمرون.

لقد كـانت حقاً جولـة ممتعـة ومفيـدة سنحت لي التعرف على مفكرين ومبـدعين وقراء سـأعتـز بصـداقتهم ماحييت؛ ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الرباط : الدكتور التهامي الراجي الهاشمي



دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام والثقافة العربية في غرب وشرق إفريقيا ومقاومة التبشير والاستعمار

للأستاذ عبد القادر القادري
القاضي بوزارة العدل

رغم أن الاستعمار الأروبي رحل إلى غير رجعة عن البلدان الزنجية في الستينيات فما زالت هذه البلدان التي يطلق عليها الأروبيون اسم افريقيا «السوداء» تثير اهتمام المستشرقين ودهاقنة الاستعمار الثقافي وأقطاب المسيحية ومفكري الصهيونية لتخوفهم من انتشار الإسلام فيها. فلا يمر شهر أو شهران حتى تطلع علينا المطابع الأروبية بكتاب يتناول الدين أو المجتمع أو الثقافة أو الفن أو التاريخ أو السياسة عن هذه القارة ولا يقتصر هذا الاهتمام في التأليف بل يتعداه إلى القيام بدراسات إفريقية تقوم بها جماعة من جهابذة العلماء في مراكز خصصت لهذا الغرض في كل من أروبا والولايات المتحدة الأمريكية قصد الأحاطة بكل ما يتعلق بافريقيا ماضيا وحاضرا ومستقبلا لتخوف أولئك المهتمين بافريقيا من زحف الاسلام نحو القبائل الوثنية والمسيحية بواسطة دعاة الرسول عما لهم لهذا الدين الحنيف بدون تلقي أي معونة من أية جهة كانت ويعتبر المغرب تاريخيا المركز الأول لامتداد الطرق الصوفية نحو غرب وشرق افريقيا فحسب الأستاذ طرومولي في كتابه : «أولياء الإسلام» طبع باريز عام 1881 أن الموريسكيين المطرودين من اسبانيا بعد سقوط غرناطة في أيدي الفونس وإيزابيا سنة 1492 م لم يجدوا سوى الهجرة إلى الساقية الحمراء بالمغرب والدخول في الطريقة القادرية التي بدأت تزحف نحو القارة «السوداء».

وأهم الطرق الصوفية التي انطلقت من المغرب إلى غرب وشرق افريقيا هي : القادرية والتيجانية والأحمدية الفاسية والبدوية والشاذلية.

أولها : الطريقة القادرية.

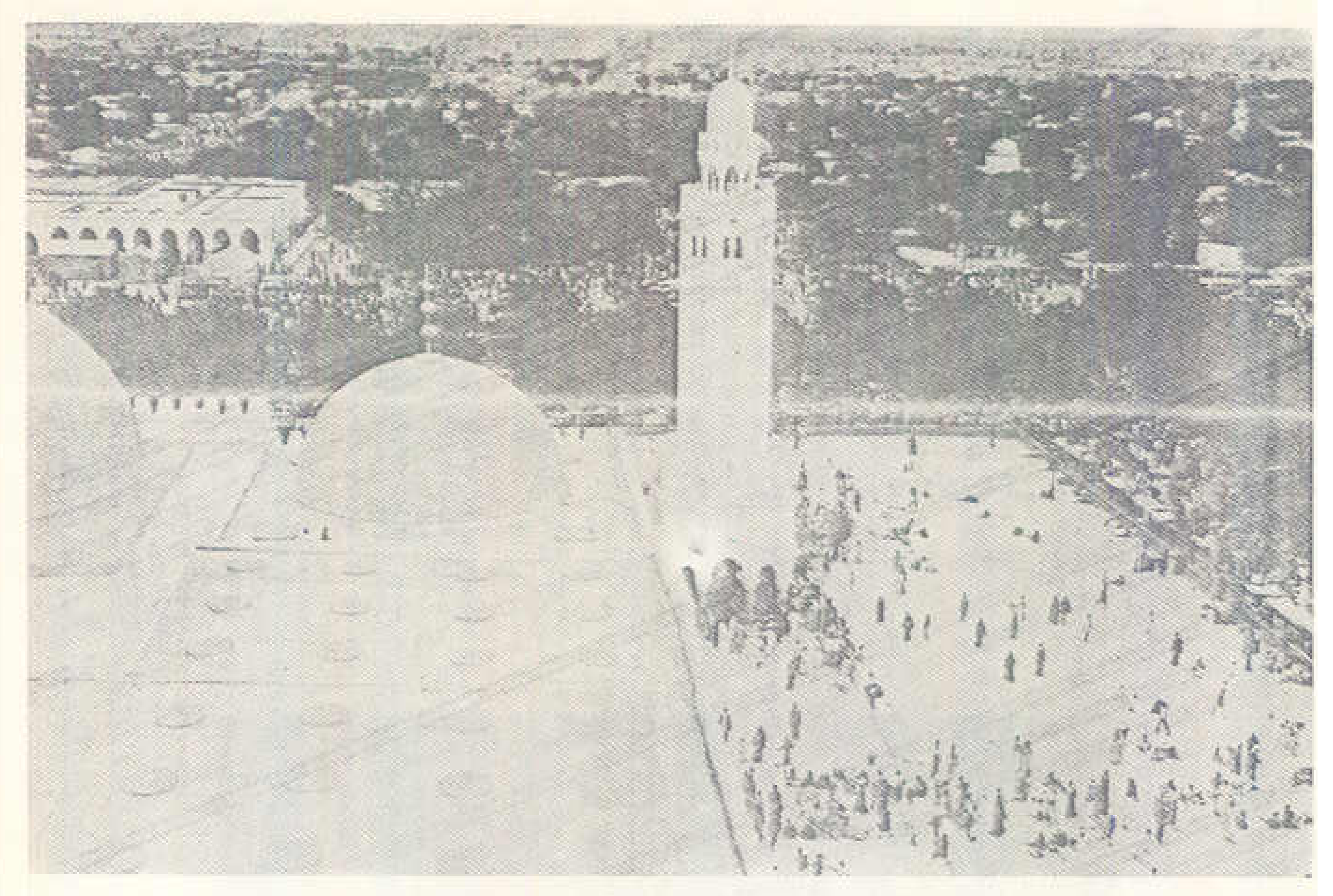
مؤسس هذه الطريقة هو الشيخ عبد القادر الجيلاني نسبة إلى جيلان المزداد سنة 470 هـ موافق 1077 م بمدينة راشت Rasht بإقليم جيلان أحد أقاليم إيران الواقع على ساحل بحر قزوين، وجيلان ولاية من الشمالي الغربي من بلاد إيران يحدها شمالا ناحية تاليس الروسية وجنوبا بغرب سلسلة البرز الفاصلة بينهما وبين أذربيجان وعراق العجم وغربا بمازندران، وشمالا بشرق بحر قزوين وهي تعد من أجمل ولايات إيران.

والمتوفى ببغداد سنة 561 هـ موافق 1165 م أسسها عام 520 هـ على السنة والمذهب الحنبلي في حين أن جل الطرق الصوفية الأخرى قد أسست بعدها بنحون قرن ونصف حسب ما يوضحه الجدول التاريخي أسفله :

- القادرية أسست عام 520 هـ.
- الشاذلية أسست عام 656 هـ وهي التي تفرع عنها جل الطرق المغربية.
- الرفاعية أسست عام 675 هـ.
- الأحمدية أسست عام 676 هـ.
- الأكبرية أسست عام 680 هـ.


مسلمو افريقيا السمراء

- الأمرداشية أسست عام 933 هـ.
- الدسوقية أسست عام 677 هـ.
- البكتاشية أسست عام 966 هـ.
- الجزولية أسست عام 860 هـ.
- النقشبندية أسست عام 790 هـ بآسيا الوسطى وما وراء القوقاز.
- العيساوية أسست عام 945 هـ نسبة لسيد محمد بنعيسى السفياني دفين مكناس.
- الريسونية أسست عام 1003 هـ
- الفاسية أسست عام 1004 هـ.
- الوزانية أسست عام 1089 هـ.
- التيجانية أسست عام 1230 هـ كان مؤسسها قادريا قبل تأسيس طريقته.
- الدرقاوية أسست عام 1239 هـ سندها يجمع بين القادرية والشاذلية.
- السنوسية أسست عام 1276 هـ كان مؤسسها قادريا قبل تأسيس طريقته.



المسجد الكبير في توبة ـ سنغال ـ حيث يتردد أكثر من مليوني مسلم كل عام.

- الحراقية أسست عام 1271 هـ نسبة إلى الشيخ محمد الحراق دفين تطوان.
- العليوية أسست عام 1350 هـ.
- الختمية أسست عام 1270 هـ بالسودان وهي فرع من القادرية.
- الصديقية أسست عام 1325 هـ.
- الشرقاوية أسست عام 1002 هـ.
- المريدية أسست عام 1304 هـ بالسينغال كان مؤسسها قادريا قبل تأسيس طريقته.
- العمرية أسست عام 1208 هـ.
- السيدية أسست عام 1230 هـ فرع من الطريقة القادرية.
- الحنصالية نسبة إلى الشيخ سعيد أحنصال دفين ويزغت.
- الرحمانية أسست بالجزائر.
- المباركية أسست عام 1120 هـ.
- الناصرية أسست عام 1060 هـ.
- الحمدوشية نسبة لسيد علي بن حمدوش دفين جبل زرهون.
- الحجية أسست عام 1080 هـ نسبة إلى سيدي أحمد حجي دفين سلا.

وقد تفرعت عن القادرية عدة فروع في الشرقين الأقصى والأدنى وغرب وشرق افريقيا وهي حسب ما جاء في كتاب عبد القادر الجيلاني لسومور بأسطنبول :

1 ـ الاشرفية في تركيا أسها الشيخ أشرفي أوغلو سنة 1493 م.

2 ـ العرابية في مصر.

3 ـ الكورزمارية في الهند.

4 ـ المشرقية في اليمن.

5 ـ البيناوية في دقان.

6 ـ الهندية بتركيا.

7 ـ الخلوصية بتركيا.

8 ـ النابلسية بتركيا.

9 ـ الرومية بتركيا ـ لجلال الدين الرومي.

10 ـ الوسلاتية بتركيا.

11 ـ القاسمية بمصر.

12 ـ الفرضية بمصر.

13 ـ اليافعية في اليمن والصومال.

14 ـ الهالسية بكردستان أسسها الشيخ ضياء الدين الطولياني.

15 ـ المدينية نسبة إلى الشيخ أبي مدين الغوث.

16 ـ السهروردية نسبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهر وردي.

17 ـ الوفائية نسبة إلى الشيخ محمد وفا.

18 ـ الزنجية في البانيا أسسها الشيخ على بن بابا.

19 ـ البكطاشية في ألبانيا.

20 ـ الأهدلية باليمن أسسها الشيخ الأهدل اليمني.

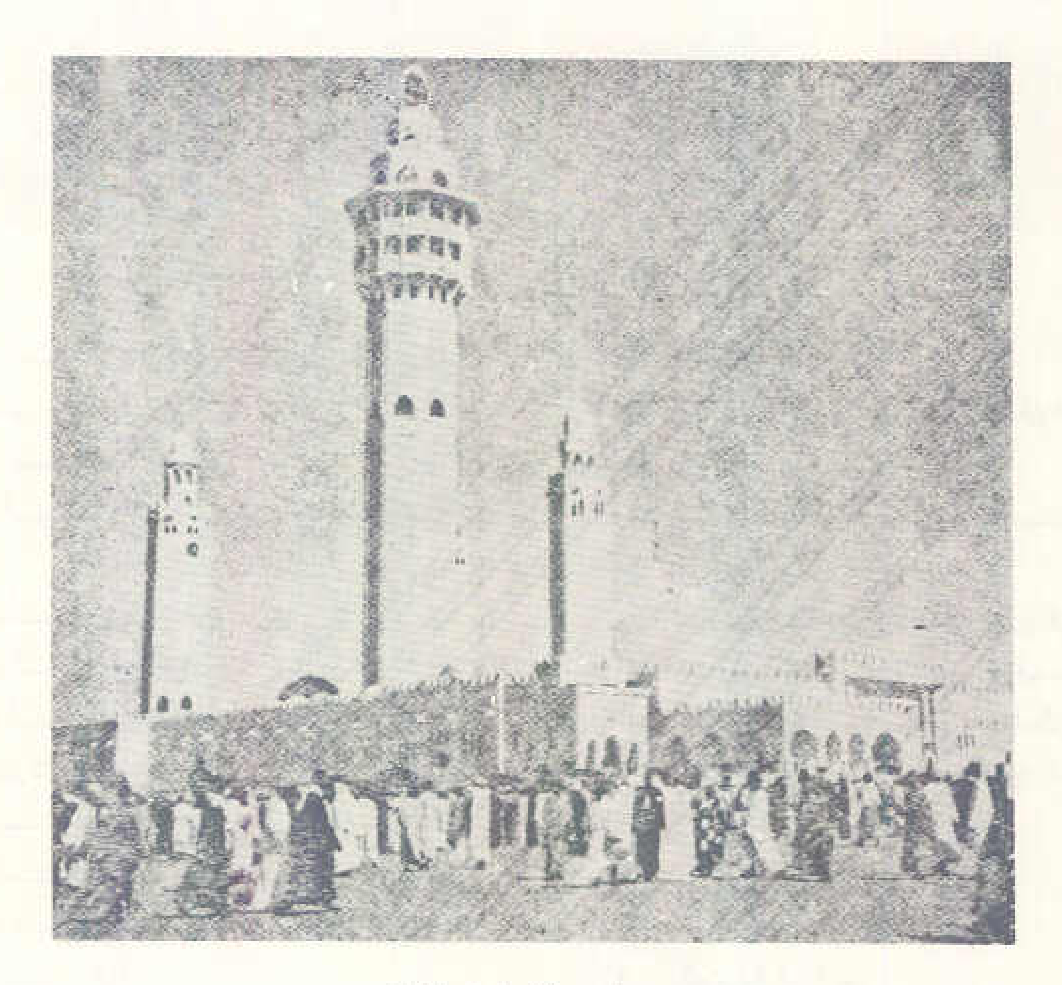
21 ـ الدسوقية بمصر.

22 ـ البيومية بمصر.

23 ـ الكاباشية بالسودان أسسها الشيخ الكاباشي.

24 ـ القادرية الأكبرية في أندونيسيا.

25 ـ البيناوية بالصين ولا توجد بالصين إلا الطريقة القادرية.



مسجد المريدية في طوبة (السنغال)



رسالة من الخليفة السلطاني بمنطقة الشمال التي كانت خاضعة للحماية الاسبانية موجهة الى الزعيم الصحراوي مربيه ربه في الساقية الحمراء حملها اليه الكولونيل كباك ، مما يدل على أن المنطقة كالمنطقة منطقة الحماية الاسبانية والفرنسية مستعمرة ذات نظام متميز كما ادعى الاسبان فيما بعد قصد تظهير تصفية الاستعمار في المنطقة

26 ـ العروسية في ليبيا.

27 ـ البوعلية في الجزائر وتونس.

28 ـ العمارية في الجزائر وتونس.

29 ـ البكائية بموريطانية وغرب افريقيا لمؤسسها الشيخ أحمد البكاي.

30 ـ الكونتيه أسسها الشيخ أحمد الكونتي.

31 ـ الفاضلية بالصحراء المغربية أسسها محمد فاضل المامون.

32 ـ السيدية أسسها الشيخ سيدنا الكبير.

33 ـ السمانية بالسودان.

34 ـ الأغضفية لمؤسسها الشيخ المختار ولد الطالب عمار ولد نوح.

ولا أستطيع في هذه العجالة أن أذكر جميع الطرق الصوفية لأنه يوجد في مصر وحدها سبعون طريقة.

وصول الطريقة القادرية إلى المغرب :

ـ وصول الطريقة القادرية إلى المغرب وانطلاقها منه نحو غرب وشرق افريقيا يذكر الأستاذ المرحوم علال الفاسي في مجلة الثقافة المغربية العدد الأول سنة 1970 عن التصوف الإسلامي بالمغرب «أن الشيخ أبو مدين قد حج إلى بيت الله فأخذ عن العارف الأكبر مولاي عبد القادر الجيلاني دفين بغداد وهو بدون شك ممن حملوا الطريقة القادرية إلى المغرب» (مات الشيخ المذكور عام 594 بتلمسان ودفن في العبادله ويترك بضريحه هناك) وعلى هذا فإن الطريقة القادرية هي أول طريقة صوفية دخلت إلى المغرب في القرن السادس الهجري ومن تم انطلقت إلى غرب وشرق افريقيا عبر الصحراء المغربية. ولم تكن وقتذاك الطريقة الشاذلية التي تفرع عنها جل الطرق المغربية قد وجدت حيث إنها لم تظهر إلا في القرن السابع الهجري أي في سنة 656 هـ، كما أن الشيخ أبا محمد صالح الدكالي دفين آسفي زار مولاي عبد القادر الجيلاني ببغداد وأخذ عنه طريقته القادرية ولما رجع إلى المغرب نشر هذه الطريقة. وبالصحراء الغربية يقول الأستاذ إبراهيم حركات في الجزء الثالث من كتابه : المغرب عبر التاريخ : نشطت الطريقة القادرية التي تفرعت عنها زوايا كثيرة بالصحراء وافريقيا الغربية ومن أقدم هذه الفروع البكائية التي تنسب إلى الشيخ أحمد البكاي الذي ينتمي إلى آل كونتا الذين استقروا بالصحراء الغربية منذ القرن التاسع الهجري الخامس الميلادي. وحسب الأستاذة دوبو يغودو فقد قدموا أصلا من سبتة وأنشأ عمر ولد البكاي ورده الخاص وبلغت القادرية الكنتية أوجها على يد الشيخ المختار الكنتي الذي قام بدور كبير خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري (1760 ـ 1811م). ويعتقد كثير من مسلمي

السينغال وغينيا وساحل العاج وغيرهم من مسلمي افريقيا الغربية والمنتمين إلى الطريقة القادرية ان لهم ارتباطاً بشكل أو بآخر بالشيخ مختارالكونتي وبذل الكونتيون عبر الصحراء الشرقية والجنوبية والغربية جهدا كبيراً في مقاومة الاحتلال الفرنسي.

وخلال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي تفرعت مجموعة من الزوايا عن الكنتية البكائية بما فيها الطريقة الفاضلية نسبة إلى الشيخ محمد فاضل بن مامين (ت عام 1869/1286) وهو تلميذ المختار الكونتي وعمّر حوالي تسعين سنة ونجل محمد فاضل وهو مصطفى محمد المعروف بالشيخ ماء العينين أنشأ بدوره فرعا للفاضلية وهو زاوية أهل بركة الله التي اتخذت مدينة السمارة مقرا لها بالصحراء المغربية للنضال المسلح ضد الغزو الإسباني والفرنسي، فالزاوية القادرية يقول الأستاذ ابراهيم حركات في كتابه السياسة والمجتمع في العصر السعدي : أسست في عهد المستعين بالله أبي سالم إبراهيم المريني سنة 1360/762 بفاس لكن الطريقة لم تعرف إلا بظهور مؤسسها في القرن 15/9. وهو أبو محمد القادري جد الشرفاء القادريين ومعاصر محمد الجزولي. وأبو محمد هذا من سلالة عبد القادر الجيلاني (الكيلاني) استقر بفاس في القرن المذكور.

وبالنظر لمقام أبي محمد القادري فقد انتشرت طريقته في العهد المريني سائر الشمال الإفريقي وامتدت إلى توات والسودان قبل حلول الأتراك بوقت طويل وكان القادريون معروفين بتحررهم بالنسبة لغيرهم من أرباب الطرق فمارس بعضهم وظائف رئيسية في العهد الوطاسي وحافظ الأتراك على علاقتهم الطيبة مع القادريين وإن كان الغالب السعدي الذي أظهر احترامه للشاذليين على العموم وقف موقفا متشددا من الزوايا التي تعاطفت مع الأتراك وتوجد رسائل سعدية تقول : إن الأتراك العثمانيين أرادوا عند غزوهم المغرب أيام الملوك السعديين استمالة الطريقة القادرية إلى جانبهم لكونها طريقة شرقية حيث ضريح مؤسسها ببغداد التي تحت حكمهم فلم تستجب هذه



الشيخ عبد الله انياس، خليفة التيجانية في كولخ، اثناء خطبة الجمعة.

الطريقة إلى مرادهم. وجاء في كتاب «الإسلام في افريقيا السوداء» للمستشرق الفرنسي فانسان مونطاي الذي أسلم أخيراً وسمى نفسه المنتصر فانسان : ينتمي صوفية افريقيا السوداء عموما إلى فرق دينية أهمها اثنتان : القادرية والتيجانية وهما تتبعان طريقتين متوازيتين لا تختلفان إلا في حلقات الذكر التي تقصر عند إحداهما وتطول عند الأخرى، وخلافاً لبعض المزاعم المغرضة أحياناً لا تمثل هذه الفرق بالضرورة تجمعات اثنية ولا يقتصر الانتساب إليها على اثنية دون غيرها ألم يكن مؤسس التيجانية نفسه قادرياً. وفي تانزانيا (زانجبار وتانجنيقا) سابقا حين يتقدم مريد للدخول في القادرية يشرب كأسا من القهوة أو الشاي ماؤه من بئر زمزم» ويشير الأستاذ عبد القادر محمد سيلا في كتابه : «المسلمون في السينغال» : إن الطريقة القادرية تبدو وكأنها أم الطرق في السنغال انتشرت في أقطار عديدة من العالم الإسلامي حيث أعطت القالب للطرق

التي نشأت بعدها وليس من المغالاة في شيء يقول الفونس غوبي القول ان الطرق الإسلامية قد استوحت بشكل أو بآخر من التنظيم الذي هيأه عبد القادر الجيلاني ومن المبادئ التي وضعها جاءت القادرية شأن باقي الطرق الصوفية من المغرب إلى غرب افريقيا ويعتبر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي أول من نشرها في القرن الخامس عشر الميلادي بموريطانيا ومن ثم دخلت السنغال.

وتتبنى القادرية ـ شأن التيجانية، على أسس أخلاقية عالية تدعو إلى التمسك بقواعد الإسلام وتحث اتباعها على الرأفة والتسامح والتواضع. وتقوم الدولة السنغالية بدعم للزعامات الدينية ماديا ومعنويا وترسل وفدا رسميا عنها ليمثلها في الحفلات التي تقيمها الطرق الصوفية».



ساموري توري بطل غينيا وجد أحمد سيكوتوري الذي توفي في مارس 1984.

ونقرأ في كتاب : «انتشار الإسلام في القارة الإفريقية» تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن طبع مكتبة النهضة المصرية سنة 1984 «انه في مستهل القرن التاسع عشر نجد النهضة الروحية الكبرى التي كانت تؤثر في العالم الإسلامي تأثيراً عميقاً تدفع بالقادرية الذين كانوا يقيمون في الصحراء الكبرى وفي السودان الغربي إلى حياة ونشاط جديدين وتقوم المراكز الرئيسية لتنظيم دعوة الفرقة القادرية في كنكا (بفتح الكاف وسكون النون) وتمبو (بكسر التاء وسكون الميم بجال فوتاجالون) ومردو (بضم الميم وفتح السين وسكون الراء وضم الدال) ببلاد الماندنجو (بسكون النونين وكسر الدال) وموطنهم على نهر الجامبيا (بفتح الجيم وسكون الميم وكسر الباء) في غينيا وكانت هذه المدن تؤلف مراكز النفوذ الإسلامي وسط شعب وثني رحب بالقادرية باعتبارهم كتابا وفقهاء ومعلمين. ولم يمض زمن طويل حتى وجدنا فقهاء مثقفين وجماعات من المريدين قد انتشروا في أرجاء السودان الغربي من السنغال إلى مصب نهر النيجر. وكان نشاط القادرية ـ كما يقول سير توماس أرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» : ذات طابع سلمي إلى الغاية يعتمد كل الاعتماد على الإرشاد كما كان يعتمد على مبلغ تأثير المعلم في تلاميذه وكما كان يعتمد على انتشار التعليم في الوقت نفسه. وبذلك برهن دعاة القادرية في السودان الغربي على أنهم أوفياء لأهم المبادئ التي كانت تسيطر على حياة مؤسس القادرية وهي حب الجار والتسامح وغيرهما من الصفات الكريمة.

ويشير الدكتور حسن أحمد محمود في كتابه : «الإسلام والثقافة العربية في افريقيا» أنه لما اتخذ أحمد ولوبو حاضرة على مقربة من مدينة جني سماها (حمد الله) نشأت إمارة إسلامية عظيمة الشأن في منطقة ماسنة وقد توفي شيخو أحمد وهذا سنة 1844 فخلفه ابنه أحمد وشيخو ولم تعمر دولته طويلا فقد توفي سنة 1852 وأصبحت ماسنة هدفا لحركة إصلاحية أخرى تبعث من بلاد التكرور ورغم أن هذه الحركة قصيرة إلا أنها أتمت إسلام الفرع

المغربي من الفولاتيين ونشر الإسلام بين شعوب البمبارة، ومن الغريب أن كلا الحركتين حركة عثمان ابن فودى وأحمد ولوبو قد حالفتا طريقة القادرية وأيدتها إلى أبعد الحدود وقد تخرج من الطريقة القادرية زعماء إفريقيون في السياسة والحرب.



ساموري توري - بونابرت السودان الفرنسي (غينيا والنيجير) 1845 - 1905

أولهم : محمد أحمد المهدي الذي أعلن الجهاد على الإنجليز في السودان عام 1881 وانتصر عليهم وعلى الإيطاليين بعد معارك كثيرة في شمال ووسط وشرق السودان، وأقام دولة إسلامية قوية مقرها أم درمان استمرت ثلاثة عشر عاماً وكتب على رايته هذه العبارة، «ياالله يارحمن يارحيم ياحي ياقيوم ياذا الجلال والإكرم، لا إله إلا الله محمد رسول الله عبد القادر الجيلاني ولي الله» فامتدت دولته إلى وسط وغرب افريقيا.

تقول «مجلة العالم» في عددها رقم 91 الصادر في نونبر 1985 بلندن بقيادة الشيخ حياة الدين بن سعيد من أحفاد الشيخ عثمان بن فودى ودعمه رابح فضل الله الذي كون دولة إسلامية في بلاد برنو دامت ست سنوات وذلك في أواخر القرن التاسع عشر. وما زال للشيخ حياة الدين أتباع يقدر عددهم بخمسة ملايين - بقيادة أبو بكر سعيد أحد أحفاده يتوزعون بين انتشاد والكاميرون والنيجر وافريقيا الوسطى ونيجيريا. وقام محمد بن عبد الله المسعد الصومالي القادري، بإعلان الجهاد على الاحتلال الإنجليزي الإيطالي، فدامت الحرب عشرين عاماً وذلك ما بين أعوام 1900 - 1920، وسماه الإنجليز «الصوفي المجنون» لأنه استطاع أن ينال تأييد المسلمين الذين كانوا يعملون لتحرير بلادهم من الاستعمار.

وقد أثر التصوف أيضاً على وسط غرب افريقيا فقامت، تقول المجلة المذكورة في عددها رقم 92، دول إسلامية كبيرة وعديدة ذات طابع قادري كدولة مالي وسنغاي وماسنة وأكبرها دولة سكنو التي أنشأها الشيخ عثمان بن فودى بين 1804 - 1206 الذي رأى ضرورة البقاء في الطريقة القادرية وبين القادريين لكي يتمكن من توجيههم، وقد سلك في ذلك وسائل التدريس والخطابة والكتابة فكتب هو وأبناؤه وأحفاده وأتباعه عدداً من الكتب عن التصوف ما يزيد على أربعين كتابا ولما تزعم ملك غوبير المعارضين له وسار لحربه أعلن الجهاد رسميا سنة 1806 وابتدأ دورا جديدا في حركته الإصلاحية هو دور الفتح والجهاد فبدأ بمدينة «كانو» هاجمها وهزم أميرها هزيمة ساحقة وولى واحدا من الفقهاء من أتباعه أميرا عليها ثم هاجم إمارة «زاريا» وتم له فتحها سنة 1807 واستولى على منطقة «سكت» يقول الأستاذ فاج في كتابه مقدمة في تاريخ وسط افريقيا بالإنجليزية طبع كمبردج 1955 واتخذ هذه المدينة حاضرة لدعوته واستولى على إمارات «زلفر وغوبير وكبب» واستطاع سنة 1810 أن يخضع إمارة الحوصة كلها لنفوذه وقد صادفت حركته الإصلاحية إعجاباً واستجابة في نيجريا وفي خارج نيجيريا وممن اعجبهم منهجه في الإصلاح السلطان المغربي المولى سليمان فكتب إليه يقول حسب ما جاء في كتاب الإسلام في نيجريا :

«باسم الله الرحمن الرحيم صلوات الله على سيدنا محمد المصطفى الكريم وعلى آله وأصحابه الذين انتهجو نهجه القويم إلى السيد الذي فشا في أقطار السودانيين عدله

واشتهر في الآفاق المغربية ديانته وفضله العلامة النبيه العديم في زمانه الشبيه ذي النورين العلم والعمل اللذين هما منتهى الأمر السيد عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح الفولاني نفع الله بعلومه القاصي والداني وسلام منا عليه ما اشتد شوقنا إليه ورحمة الله تغشاه حتى لا يخشى إلا الله والله أحق أن تخشاه. وبعد فقد بلغنا من الثناء عليك والتعريف بأحوالك وأفعالك ذلك ما وجب محبتنا وتسليمنا إليك وذلك لسان سلطان ناحيتكم أمير الطوائف الإسلامية بساحتكم المقر في كتابه إلينا بفضلك وانك ناصح الله ذلك السلطان محمد الباقر بن محمد العادل سلطان أهبير فإنه أخبرنا بما قمت به من الواجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي له نصب الرسول الأمين والوزير والحاجب حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً وترادفت عليك وفود الإسلام أفواجاً وصار بلطف شائلك إنسان العين عين إنسان :

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا
مالم يرو عنده آثار إحسان

وهذا من أعظم المنح واتم النعم لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم فالله تعالى يجازيكم عن الأمم خيراً ويقيكم خيراً ويديم دولتكم محفوفة محفوظة وبعين العناية ملحوظة وفي حصن الله تاليه قال الله تعالى : ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾ والسلام منا على جنابكم الذي صار للإسلام بخصوص نصيحتكم كالبيت المعمور والسلام عليكم ورحمة الله».

ولما توفي الشيخ عثمان سنة 1817 بويع ابنه محمد أميرا للمؤمنين وقد ترك ظهور هذه الحركة الإصلاحية أثراً عظيما في أحوال المسلمين في نيجيريا وفي غرب افريقيا كله.

وثانيهم هو الشيخ حياة الدين بن سعيد **وثالثهم** محمد بن عبد الله المسعد الصومالي القادري **ورابعهم** الشيخ عثمان بن فودى المذكورين أعلاه.

وخامسهم : محمد واوبللو حمل الراية القادرية وهجم على الإنجليز في نيجيريا فانتصر عليهم وهو جد أحمد وبللوا الزعيم الروحي لنيجريا الذي قتلته الصهيونية العالمية عام 1956 بلاجوس بنيجريا.

وسادسهم : ساموري توري جد أحمد سيكوتوري الذي كان يلقب بنابليون السودان الغربي وكان يعتمد على اتباع الطريقة القادرية في فتوحاته لنشر الإسلام بين القبائل الوثنية 1835 ـ 1900 وقد قبضت عليه فرنسا في 29 شتنبر 1898 في «كيليمو» بواسطة الجنرال كَورو الذي كانت إحدى المدارس الثانوية تحمل اسمه في الرباط وحملت اليوم لقب الحسن الثاني ثم نقته إلى جزيرة في «أوكوى» بالغابون التي توفي بها سنة 1900.

وسابعهم الشيخ احمادو سيكو الذي كوّن إمارة عاصمتها «حمدلاي» سنة 1850م بها 600 مدرسة قرآنية وكانت الصلاة تقام بها جماعة إجبارية (مجلة الإيمان العدد 5 بتاريخ غشت 1967) وجاء في تعليقات الأمير شكيب أرسلان رحمه الله على كتاب «حاضر العالم الإسلامي» للوتروب ستو دارد الأمريكي «أنه بعد الشيخ مختار الكبير انقسمت القادرية إلى ثلاثة فرق : **الأولى** : القادرية البكائية الذين مركزهم في الزاوية الكبرى في «عزوات» وقد انتشروا إلى تمبكتو **الثانية** : القادرية في آدرار. **الثالثة** : القادرية الذين في والاتة وقد انتشروا إلى السودان الغربي فلهم مراكز في كانكان وتيمبو Timbo من بلاد فوتا جالون وفي مورساردو من بلاد المندنيق. ومن هذه النقطة امتدوا إلى الجهات المجاورة فعمروا ديار بلال الله وذكير الله ومدينة وما زالوا حتى وصلوا إلى سيراليون Sierraleone.

وبالإجمال فالقادرية هم إحمس مبشرى الدين الإسلامي في غرب إفريقية من السنغال إلى بتين التي بقرب مصب النيجر وهم ينشرون الإسلام بطريقة سلمية. ونجد التجار الذين من السونينكة والماندجولة المنتشرين على مدن النيجر وفي بلاد كارتا Kaarta وماسينة Macnna كلهم من مريدي الطريقة القادرية. ومن مريدهم من يخدمون في مهنة الكتابة والتعليم ويفتحون كتاتيب ليس

في زوايا الطريقة فقط بل في كل القرى فيلقنون صغار الزنج الدين الإسلامي أثناء التعليم ويرسلون النجباء من تلاميذهم على نفقة الزوايا إلى مدارس طرابلس الغرب والقيروان بتونس وجامع القرويين بفاس والجامع الأزهر بالقاهرة فيخرجون من هناك طلبة مجازين أي أساتذة ويعودون إلى تلك البلاد لأجل مقاومة التبشير المسيحي في السودان».

وكان الشيخ ماء العينين وأولاده مربي ربه والهيبة ومحمد الإمام كلهم من أتباع الطريقة القادرية في الصحراء المغربية ووصل أحد أبنائه وهو الهيبة في عهد السلطان المولى عبد الحفيظ إلى مراكش لمحاربة الجيوش الفرنسية التي كان على رأسها الجنرال داماد في مراكش وتابع أولاد الشيخ ماء العينين بعد موته في تزنيت عام 1910 الجهاد من مراكش إلى السنغال (الكتاب الأبيض عام 1960) «فالزاوية الأم التي هي الزاوية القادرية يقول الأستاذ زنيبر في كتابه القيم : «التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية» بالنسبة لمعظم الزوايا الناشئة في هذه المرحلة قد تخلت عن مكانها لكل هذه الفروع التي أنشأ كل منها أوراده وطقوسه واختط لنفسه اتجاها سياسيا معينا. بل إن الفروع أنشأت بدورها شبكة من الزوايا امتد بعضها إلى خارج التراب المغربي كالزاوية الدرقاوية مثلا، وهذا لا يعني أن الزاوية القادرية قد اختفت من الوجود وإنما يعني أن فروعها تحولت هي أيضاً إلى جذوع ذات أفنان. إن تكاثر هذه الفروع ونشأة زوايا جديدة وقوية في ظل الحكم العلوي يعود إلى أسباب مختلفة منها قوة نفوذ بعض الأسر التي تحولت إلى تنظيمات سياسية أو دينية أو للغرضين معا ومنها دور تلاميذ بعض شيوخ الزوايا الذين فضلوا أن ينشئوا تنظيمات مستقلة عن أساتذتهم ووجود فراغ روحي في بعض الجهات التي لم تنشط فيها زوايا سابقة أو تقاعست عن أداء دورها...

وينبه الداعية الإسلامي الهندي أبو الحسن على الحسني الندوي في كتابه الموسوم «برجال الفكر والدعوة في الإسلام» : «إن لدعاة القادرية فضل كبير في نشر الإسلام في الأمصار البعيدة التي لم تغزها جيوش المسلمين أو لم تستطع إخضاعها للحكم الإسلامي وانتشر بهم الإسلام في افريقيا السوداء وفي أندونيسيا وجزر المحيط الهندي وفي الصين وفي الهند»، ويعترض رابح تركي في كتابه : «الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر» طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 1981 «إن بعض الطرق الرحمانية التي شارك قادتها في ثورة 1870 ـ 1871 والطريقة القادرية التابعة لأسرة الأمير عبد القادر بطل الكفاح الجزائري» وتقول مجلة الأصالة التي تصدر في الجزائر في أحد أعدادها ان ابن شهرة الذي كان مقدما على الزاوية القادرية بالجزائر شارك هو أيضا في ثورة 1870 ـ 1871 التي قادها المقراني ضد حكم فرنسا بالجزائر» وجاء في مجلة «الدوحة» التي كانت تصدرها وزارة الإعلام بدولة قطر في عددها رقم 92 الصادر في غشت 1983 إن الأمير عبد القادر الجزائري أخذ هو ووالده الإجازة في الطريقة القادرية عن الشيخ محمود القادري نقيب الأشراف ببغداد عندما زار ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني هناك، وجاء في مجلة التصوف الإسلامي العدد رقم 38 لشهر مايو 1982 بعنوان : في رحاب القادرية وهناك نشاط واسع تقوم به الطريقة القادرية بالسودان لتعليم اللغة العربية وحفظ القرآن ويعتبر الأستاذ محمد جلال عباس في بحث له في مجلة الأزهر التي كان يشرف عليها في الستينات الأستاذ أحمد حسن الزيات بعد احتجاب مجلة الرسالة بعنوان : «عصر الطرق الصوفية» :

وفي الوقت الذي أصاب الحياة الإسلامية في غرب افريقيا تدهور ذاتي على هذا النحو كان هناك، عامل خارجي يتهدد الكيان الإسلامي في شرق افريقيا ممثلا في الحروب الصليبية التي شنها البرتغاليون على سلطات المدن الإسلامية في ساحل المحيط الهندي للقضاء على نفوذها ولإحلال الاستعمار البرتغالي محل هذه السلطات الإسلامية وكان طبيعيا أن يضعف التعليم الإسلامي لانصراف السلاطين والشعوب إلى مواجهة الحروب الصليبية البرتغالية.

في تلك الظروف القاسية التي مرت بالمسلمين في غرب افريقيا وشرقها وفدت إلى افريقيا الطرق الصوفية العديدة التي وجد فيها المسلمون وسيلة للنجاة بما شاب إسلامهم من بدع جاهلية وخرافات وثنية فاندفعوا في الاستجابة لدعوة أهل الطرق الصوفية وخلفائهم ومقدميهم وتجمعوا حول الزوايا التي أنشأها رجال الطرق الصوفية وكانت القادرية هي أول الطرق الصوفية التي وفدت إلى افريقيا وانتقلت إلى المغرب ثم اتخذت لها مركزا في مدينة والاته بالصحراء وانتقلت منها إلى تمبكتو في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) على يد سيدي أحمد البكاي الكونتي والذي استمر خلفاؤه من الكونته يرعون الطريقة في غرب افريقيا حتى انتقلت خلافته إلى أسرة صنهاجية على يد الشيخ محمد فاضل بأدرار في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي وأخذت منذ ذلك الوقت تنتشر في جميع أنحاء غرب افريقيا».

وينص الدكتور عبد الرحمن زكي في كتابه غرب افريقيا على أن القادرية انتشرت في القرن السابع عشر الميلادي في غينيا ومالي ثم وفدت هجرة إسلامية قوية بزعامة مشايخ القادرية من الشمال الشرقي منذ القرن السابع عشر، ويعتبر كثير من المفكرين والمستشرقين أن الشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية الجيلانية من المصلحين الدينيين الكبار ومن المسلمين من الطبقة الأولى لقد وُجد هذا المصلح يقول الداعية الإسلامية الهندي أبو الحسن الندوي في كتابه السابق الذكر في شخص الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي ظهر في بغداد في آخر القرن الخامس، الهجري وتسلم الزعامة الدينية وعاش نحو قرن فردا فريدا في الدعوة إلى الله والتف حوله العالم الإسلامي وأثر فيه تأثيرا لم يؤثر مثله عالم أو مصلح من مدة طويلة».

وقد الفت عن الشيخ عبد القادر الجيلاني وعن طريقته عدة كتب بالعربية والفارسية والتركية والأوردية والهندية والفرنسية والإنجليزية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

• الفتح المبين للنقيب عبد الرحمن الكيلاني القادري ببغداد الذي كان أول وزير لأول حكومة عراقية عند حصول العراق على استقلاله في عهد الملك فيصل الأول بعد الحرب العالمية الأولى.

• مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني لمحمد البوتيلي.

• درر الجواهر من كلام الشيخ عبد القادر لابن الجوزي.

• أسس المفاخر للشيخ اليافعي.

• رياض البستاني في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني لمحيي الدين القادري بتونس.

• السفينة القادرية للشيخ عبد القادر القادري الكيلاني ببغداد.

• الروض الزاهر في مناقب سيدي عبد القادر للقسطلاني.

• روض الناضر لفيروزابادي شارح القاموس المحيط في اللغة.

• نزهة الخاطر في مناقب سيدي عبد القادر لعلي القاري بتركيا.

• المنتظم لابن الجوزي. طبع حيدراباد بالهند 1151 هـ.

• تاريخ ابن النجار مخطوط بالمكتبة القادرية بضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد.

• غبطة الناظر لابن حجر العسقلاني طبعة المستشرق روض 1300 هـ. بكالكوتا بالهند Calcuta.

• الباز الأشهب في حياة سيدي عبد القادر لليافعي.

• الشيخ عبد القادر الكيلاني لإبراهيم السمرائي طبع بغداد 1970م.

• درر الجواهر لابن الملقان.

• زبدة الأسرار في مناقب شيخ الأبرار لعبد الحق الدهلوي طبع الهند عام 1001م.

• الكوكب الزاهر بمناقب الشيخ عبد القادر لأبي الهدى الصيادي الذي كان خصما لدودا للطريقة القادرية وألف كتاب : محكامة الرفاعية للقادرية ثم رأى في المنام

ما رأى فتاب وألف الكتاب المذكور بتركيا ثم زار ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد.

• فصل الجواهر للقاضي صبغة الله ـ طبع مدراس بالهند.

• توفيق الملك القادر بسلوك طريق الغوث سيدي عبد القادر لزاد كمال بتركيا 1302م.

• السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني لمحمد المكي ابن مصطفى بن عزوز التونسي طبع تونس 1309 هـ وهذا الكتاب جواب على كتاب محاكمة الرفاعية للقادرية للصيادي المذكور.

• ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني للشيخ السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية بطرابلس الغرب حيث كان هذا السنوسي قادريا.

• الفيوضات الربانية لاسماعيل القادري الجزائري.

• إغاثة اللهفان وسلوة الهموم والأحزان لعبد الواحد الفاسي.

• بهجة الأسرار للشنطوفي طبع مصر.

• نتيجة التحقيق لمحمد المسناوي الدلائي طبع فاس 1208 هـ.

• عبد القادر الجيلاني أعظم ولي في الإسلام بالفرنسية لمحمد عيني باسطانبول.

• الدر السني لعبد السلام بن الطيب القادري طبع فاس 1150 هـ.

• السر الظاهر لسليمان العلمي.

• عقد الجواهر للراشدي شرح أبي علي اليوسي.

• مرآة المحاسن للعربي الفاسي.

• الزواهر الأفقية للسجلماسي.

• الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور لعبد الحي القادري طبع تطوان عام 1986/1407م تقديم عبد الله كنون.

• بستان الأكابر والأصاغر في ترجمة الشيخ عبد القادر لعبد الحي القادري طبع معهد فرانكو بتطوان عام 1940م أما مؤلفات الشيخ عبد القادر الجيلاني فهي :

• الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل.

• فتوح الغيب.

• المواهب الربانية.

• الفتح الرباني والفيض الرحماني.

• جلاء الخاطر في الباطن والظاهر وهو تفسير عظيم للقرآن الكريم مخطوط بمكتبة الشيخ كرامة بطرابلس الشام.

• يواقيت الحكمة.

• رسائل عبد القادر الجيلاني بالفارسية.

• أوامر الشيخ عبد القادر الجيلاني.

• سر الأسرار يوجد بمكتبة جامعة اسطانبول تحت رقم 36 ـ 16 بتركيا.

• قصيدة الغوثية ترجمها إلى التركية السيد شان أوغلو عارف بك.

• صلوات عبد القادر الجيلاني.

• ديوان عبد القادر الجيلاني ترجم للفارسية يوجد بمكتبة جامعة اسطانبول تحت رقم 1865.

☆ ☆ ☆

وتجدر الإشارة هنا أن الدولة المغربية منحت للزاوية القادرية حصانة تحمي الملتجئ إليها من أن يناله عقاب وكانت النقابة على الزوايا القادرية تمنح أيام السلطان محمد الثالث بمرسوم ملكي يتجدد (رسائل مخزنية على عهد السلطان مولاي الحسن وابنه السلطان مولاي عبد العزيز تتعلق بأمين الأمناء الأستاذ محمد مَحّا التازي وشقيقه عبد السلام وهذا الأخير هو جدّي للأم رحمهما الله. وقد أسس السلطان مولاي عبد العزيز بمراكش عام 1896 عند قدوم الشيخ ماء العينين كان قادريا طريقة ـ له في كل من مراكش وفاس زاويتان. (الزاوية المغربية لعبد العزيز بنعبد الله.

أما في شرق إفريقيا فكانت القادرية هي أول طريقة صوفية انتشرت في مصوع وإريثريا في القرن السادس عشر الميلادي كما عرفها أهل هرر بالحبشة على يدي الأمير الهري عبد الشكور المتوفى سنة 1794م 1199 هـ.

ثانيها : التيجانية

مؤسسها هو أحمد بن محمد التيجاني المتوفى بفاس سنة 1815 أسسها سنة 1781/1196 بعين المهدي «عين ماضي»، جنوب جبل عمور بالجزائر اضطهده الأتراك يقول ابراهيم حركات في كتابه : «المغرب عبر التاريخ» ج 3 كما فعلوا مع درقاوة فهاجر إلى فاس مع أسرته وبعض تلاميذه سنة 1796/1211 وقد رحب به العاهل المغربي مولاي سليمان كلاجئ صوفي كبير وأسكنه قصرا بفاس ورتب له جراية لنفقته ووضع الشيخ التيجاني في الاعتبار هذه المعاملة التي لقيها من العاهل فاحتفظ التيجانيون منذ ذلك الوقت بعلاقة محايدة أو ودية مع السلطة بينما وسعوا نشاطهم خارج الجزائر والمغرب».

وانتشرت طريقته على أيدي أتباعه يقول الأستاذ محمد جلال عباس في مجلة الأزهر في العدد السابق الذكر عبر الصحراء إلى موريطانيا ثم إلى بلاد غرب إفريقيا الأخرى ابتداء من سنة 1815 (1208 هـ) بعد وفاة سيدي أحمد بن محمد التيجاني وتولى الشيخ محمد الحافظ الكبير قطب الطريق من بعد فأنشأ الزوايا في تمبكتو وسيكو وجبال فوتا بالسنغال وفي برنو ووادي والتشاد وقام المقدمون في هذه الزوايا بمهمة تجميع المريدين وأتباع الطريقة التيجانية كما أخذوا يجدبون بعض أبناء القبائل التي لم تدخل الإسلام بعد. ويشير الأمير شكيب أرسلان رحمه الله في تعليقاته على كتاب حاضر العالم الإسلامي المذكور أنه تبع الطريقة التيجانية عدد كبير من أهل ماسينة في السودان الغربي وأهالي فونتا تورو Fonta toro وفوتا جالون وصاروا من أشد أنصار الإسلام وانضوا تحت راية الحاج عمر فكانوا طيلة أربعين سنة هم سادة السودان الغربي من تمبكتو إلى المحيط الأطلنطيقي ولما علت كلمة الحاج عمر حشد جيشاً صغيراً وأثار جميع مسلمي غابون وهزم البامبارة الوثنيين شر هزيمة في تومبا واستولى بعدها هذا المريد التيجاني على كونياكاري وبنية 1845 وجعل مقره العام في نروزو Nrozo ثم استولى على مملكة سيغو وعلى بلاد ماسينة وقد خلف للتيجانية سلطنة إسلامية عظيمة في وسط بلاد الزنوج الفتيشيين. توفي الحاج عمر فوتو في بادنياكارا جنوب تمبكتو عام 1865. وبموته خلفه في مقاومة الاستعمار الفرنسي وفي تنظيم الطريقة أولاده ولقد احتل، يقول نعيم قداح في كتابه حضارة الإسلام وحضارة أروبا في إفريقيا الغربية الحاج عمر فوتو، قلوب الإفريقيين وتعلقوا به تعلقا شديدا ولم يقبلوا بموته وبعضهم يأمل بعودته على أنه المهدي المنتظر. ولقد اهتم كثير من المؤرخين بحياة هذا الزعيم التيجاني نظراً للدور البطولي الذي اضطلع به في مقاومة الاستعمار الفرنسي. ومن هؤلاء مولارد وغوبي - ومينيو ومارتي وأزنولا وقد أصدرت جمعية الدراسات التاريخية لإفريقيا الغربية كتابا عن حياته عام 1918 بقلم أحد إخوته وحصلت بعثة ثقافية سوفياتية في غينيا على وثائق عن حياته بلغة المالانكة.

• دول تيجانية في إفريقيا الغربية.

وساهمت هذه الطريقة في ظهور عدد من الدول القصيرة الأجل في غرب إفريقيا وقد بدأ ذلك في حركة الحاج عمر المذكور (1798 - 1865) ومن نافلة القول انه في مؤتمر التيجانية الأول الذي انعقد عام 1984 بفاس تحت الرعاية السامية لجلالة الملك حامي الصوفية وراعيها سئل الوفد الصيني عن الطريقة التيجانية بالصين فأجاب أنهم لا يعرفون إلا الطريقة القادرية وهذا لا يعني عدم وصول الطريقة التيجانية إلى الشرق الأدنى، ففي عام 1950 تزعم التيجانيون حملة ضخمة ضد كمال اتاتورك في تركيا فحطموا تماثيله ووزعت منشورات تحض على معارضة سياسته حتى قال عباس محمود العقاد رحمه الله : إن أتباع الطريقة التيجانية جادون في إعادة الصبغة الإسلامية إلى الحكومة وأنهم يتقصون آثار مصطفى كمال فيحطمونها ومنها تماثيله في الميادين وانهم دخلوا المجلس العلمي الكبير وأذنوا للصلاة باللغة العربية».

والتيجانية كغيرها من الطرق الصوفية تعتمد على الاذكار والأدعية الخاصة المأثورة عن منشئها ويجمعها

كتاب ينسب املاؤه إلى صاحب الطريقة بعنوان «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض الشيخ التيجاني» أملاه على تلميذه احرازم برادة ولسكيرج كتاب عن التيجانية.

الأحمدية الفاسية

مؤسسها هو الشيخ أحمد بن ادريس الفاسي (1760 م - 1838 م) مغربي الأصل توفي في عسير من بلاد العرب وقد ادخل هذه الطريقة إلى شرق إفريقيا الشيخ «علي ميه درجيا» الصومالي وكرس نفسه لنشرها في الصومال واكتسب شهرة عريضة لما ذاع عن صلاحه وتقواه والتف حوله عدد كبير من المريدين وخاصة من سكان وادى شبيلي الأوسط، وتوفي في معركة سنة 1917 ودفن فيها.

ويرى الدكتور حسن أحمد محمود في كتابه : «الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا» أن الرجل الذي اثر في السودان أكثر من سواه هو السيد أحمد بن إدريس الفاسي فقد كان صوفيا ومصلحا دينيا متأثرا بالإصلاحات الوهابية واتخذت طريقته طابعا تبشيريا محضا. وقد تتلمذ عليه من رجال السودان محمد المجذوب الصغير (1796 - 1832) والشيخ إبراهيم الراشيدي، غير أن أهم هؤلاء المريدين هو السيد محمد عثمان الأمير الذي أرسل عام 1835 لنشر تعاليم الإسلام عبر البحر إلى القصير وانطلق حتى أدرك النيل يدعو إلى طريقته ونجحت دعوته من أسوان حتى دنقلة جنوبا وأسرع النوبيون إلى الدخول في طريقته. ثم انطلق إلى كردفان وأقام فيها زمنا ثم رحل إلى سنار وعمل على نشر الإسلام بين القبائل الوثنية على وجه الخصوص.

البدوية

السيد أحمد البدوي متصوف وصاحب طريقة تنسب إليه تعرف بالطريقة الأحمدية مغربي الأصل مصري الموطن ولد بفاس عام 596 هـ - 1199 م وتوفي أبوه بمكة أثناء مصاحبته له في الحج عام 607 هـ وعاد إلى المغرب وانصرف إلى دراسة الفقه. وفي نحو الأربعين من عمره هاجر إلى العراق وهناك أخذ الطريقة القادرية عن أحد شيوخها ثم قفل راجعا إلى مصر واستقر بمدينة طنطا التي أنشأ فيها طريقته «وعاصر يقول الأستاذ أحمد عطية الله قيام دولة المماليك الأولى لا سيما سلطنة الملك الظاهر بيبرس الذي كان يجله وجمع السيد البدوي حوله طائفة من الاتباع والمريدين عرفوا بأسماء مختلفة كالأحمدية والسطوحية لأنهم كانوا يجلسون حول شيخهم على سطح أحد البيوت وكان أقرب اتباعه إليه هو سيدي عبد العال، وللطريقة الأحمدية أورادوا ذكار خاصة بهم. ولهم تقاليد في الاحتفال بمولد البدوي الذي يقام ثلاث مرات في مدينة طنطا. وقد أبطلت الحكومة المصرية بعض العادات التي كانت شائعة في هذا الاحتفال كالدوسة وقد أقيم بمدينة طنطا معهد ديني تعرف بالمعهد الأحمدي نسبة إلى اليد أحمد البدوي يعتبر أقدم المعاهد الدينية القائمة في مصر بعد الأزهر.

والملاحظ أن الشيخ أحمد البدوي مؤسس الطريقة الأحمدية كان قادريا حيث أخذ هذه الطريقة الأخيرة عن الشيخ ابن عطاء الله قبل تأسيس طريقته.

الشاذلية

أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي ولد عام 593 هـ - 1197 م بقبيلة غمارة بنواحي سبتة واستهر بلقبه الشاذلي نسبة إلى قرية شاذلة من نواحي مدينة تونس حيث جبل زغوان الذي انقطع فيه للعبادة بدأ تعليمه بمسقط رأسه وكان من شيوخه عبد السلام بن مشيس. فلما بدأت سلسلة رحلاته إلى الشرق التقى في بغداد بالصوفي أبي الفتح الواسطي وعاد بعد ذلك إلى غمارة ليبدأ رحلة إلى تونس إبان سلطنة أبي زكرياء الحفصي ويعيش في مغارة جبلية عند شاذلة، ثم رحل إلى القاهرة واستقر بها وذلك في أواخر دولة المماليك الأولى. وفي عام 648 هـ - 1250 م يقول الأستاذ أحمد عطية «عندما غزا الصليبيون دمياط كان الشاذلي (وقد كف بصره) في مقدمة علماء الدين الذين اشتركوا في معركة المنصورة للحث على الجهاد حتى تم للمصريين النصر وأخذ لويس التاسع الفرنسي أسيرا. ولما

خرج الشاذلي للحج عام 656 هـ 1258 م وتوسط الصحراء الشرقية (صحراء عيذاب) عند موضع يقال له حميثرة (بين قنا والقصير) وافته منيته بعد أن أوصى أصحابه بأن يكون الخليفة من بعده أبا العباس المرسي وأقيم له ضريح حيث توفى أصبح بعد ذلك مزارا مشهورا في الصحراء الشرقية المصرية.

وقد تفرعت الطريقة الشاذلية بدورها إلى عدة فرق داخلية وهي أكثر انتشارا في وادي النيل بين عرب الصحراء الشرقية في مصر والسودان. وجل الطرق المغربية المحلية يرجع من أصلها إلى الطريقة الشاذلية. وعنها تفرعت.

وللشاذلي من الآثار والمؤلفات الحزب المشهور «حزب البر» ورسالة في آداب التصوف عنوانها «الأمين» وكتاب «السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل» ولأحمد بن عياد كتاب عن الشاذلي عنوانه : «المفاخر العلية في المآثر الشاذلية».

الطرق الصوفية المتفرعة عن القادرية والتيجانية بغرب افريقيا

في أواخر القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر بدأت حركات الانسلاخ من الطريقتين الرئيستين في غرب افريقيا فانسلخ من الطريقة القادرية طريقة جديدة أولى سميت المريدية وطريقة ثانية حملت اسم الفاضلية نسبة إلى محمد فاضل المامون وطريقة ثالثة سميت الأغضفية نسبة إلى الشيخ محمد الأغضف وطريقة رابعة سميت البكائية نسبة إلى الشيخ أحمد البكاي (القرن الخامس عشر) وطريقة خامسة حملت اسم السيدية (القرن التاسع عشر) نسبة إلى سيديا ومن التيجانية انسلخت الطريقة اللايينية نسبة إلى الإمام لاي تياو والطريقة المالكية نسبة إلى الحاج مالك سي المتوفي سنة 1929 والطريقة الحيموية نسبة إلى حمى الله بن محمد بن عمر.

أ • **فروع القادرية أولا : المريدية**

مؤسس هذه الطريقة أحمد حبيب الله بامبا (1851 - 1927) وهو سنغالي من قبيلة الولوف oulouf كان هنا الصوفي قادريا ذات صلة بالشيخ سيدنا وكان أبوه (نومار امتثال شيخا ورعا عمل على مقاومة الاستعمار مدة طويلة وفي طوبى شرق دكار ولد أحمد بامبا وفي سنة 1889 م نشط في الدعوة إلى طريقته ثم قام أتباعه بهجومات على الجنود الفرنسيين فنفى إلى الغابون فقام أتباعه وشيعته بالنضال لأجل عودته فاضطرت فرنسا تحت ضغط الاتباع إلى إطلاق سراحه وفرضت عليه الإقامة الاجبارية في (ديوربيل) ثم في نباكي N'Baké قرب قرية طوبه Touba.

وفي طوبه أنشأ رباطا لأتباعه ومركزا لطريقته أضحى كعبة لهم يقول نعيم قداح في كتابه السالف الذكر ولكن لم يهدأ بال أحمد بامبا ومرة أخرى استأنف نشاطه ضد الاستعمار الفرنسي فنفي إلى موريطانيا ثم أعيد إلى السنغال عام 1907 وقد لاقى أتباعه كثيرا من التعذيب في السجون الفرنسية ومنذ عام 1912 ترك أمور السياسة وانصرف إلى تنظيم طريقته وتحسين أحوال طلابه ومريديه من الناحية الاقتصادية ووضع لاتباعه الخطة التي ينبغي أن يسيروا عليها في الحياة شعارها : (من يعمل يأكل) ومما ينقل عن الرئيس السنغالي السابق ليوبولد سنغور قوله : «لو كنت مسلما لأصبحت مريديا». وعبارة سنغور هذه وإعجابه وحماسه للمريدية انطلقا من فكرة أنها طريقة إفريقية مائة في المائة وليست مستوردة من المشرق كالقادرية ولا من المغرب كما في التيجانية إذ هي ابنة شرعية للتربية الإفريقية بأعرافها وموروثاتها التي كان سنغور واحدا من دعاة الالتصاق بها وهو يرفع لافتة إحياء كل ما هو زنجي تمسكا بالأصالة وامتداداً للجذور. فأكثر الزعامات السياسية في بلاد السنغال تدين بالولاء لخليفة المريدية تقول مجلة العربي ومنذ كان رئيسا للوزراء فإن عبده ضيوف الذي صار رئيسا للجمهورية يزور الخليفة التيجاني ويقضي في حضرته يوما كاملا كل ثلاثة أشهر والمريدون قوة اقتصادية يحسب لها ألف حساب فأغنى الأغنياء منهم بدءا ببابكر كيبى أغنى رجل في السنغال الذي يملك نصف مدينة دكار لا يتبرع لمشروعات لخليفة المريدية الابالمليون إلى جيلي هي (اسمه الأصلي عبد

القادر الجيلاني) ثاني أغنى الأغنياء وممول أهم المشروعات الأمر الذي اضطر معه التجار اللبنانيون المهاجرون إلى الانخراط في الموجة وتعليق صورة أحمد بامبا في متاجرهم إعلانا عن الولاء وجذبا للزبائن. والمريدون قوة تنظيمية ضخمة لا يستهان بها وعند ما يريد خليفتهم أن ينفذ مشروعا مهما كان نوعه اقتصاديا أو معماريا ومهما كانت تكاليفه فليس عليه إلا أن يعلن ذلك عبر الإذاعة وهي رهن إشارته دائما وعندئذ تتوافد جموع التابعين بما لهم وسواعدهم استجابة لتلك الإشارة، لأجل ذلك كله فإن الحكومة السنغالية تتعامل مع المريدية بميزان خاص حتى انها لم تتردد في أن ترسل وفدا إلى خليفتها للتعبير عن الأسف والاعتذار عندما نشرت مجلة «باري ماطش» الفرنسية تحقيقا مصورا عن المريدية اعتبر بمثابة اساءة لها وتشويها. وقد نشرت مجلة «جون أفريك مكازين» في عددها الأخير الصادر في فبراير الماضي تحقيقا عن هذه الطريقة وقالت إن عدد المريدين يبلغ اليوم أي في السنة الحاضرة مليوني نسمة وأن تجارة الفول السوداني وزراعته كلها بأيديهم.

• ثانيا : الفاضلية

هذه الطريقة أسسها الشيخ محمد فاضل بن مامين الإدريسي والد الشيخ ماء العينين في القرن التاسع عشر الميلادي وعند وفاته خلفه ولده الشيخ ماء العينين على رأس مشيخة الطريقة في الصحراء المغربية وموريطانيا ثم أبناؤه من بعده كالهيبة ومربيه ربه والشيخ محمد الإمام الذي أعطى الإجازة في الطريقة القادرية لعبد الحي القادري صاحب كتاب الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور طبع تطوان عام 1986 مما يدل دلالة قاطعة على أن الصحراء الغربية صحراء مغربية مائة في المائة وأنها كانت تابعة في عهد الحماية للخليفة السلطاني بتطوان الذي كان يصدر أوامره ومن اسمه إلى الصحراء المذكورة ومنها على سبيل المثال الكتاب الموجه إلى الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين (انظر صورة الكتاب) وكذا (الإجازة).

ثالثا : الأغضفية

والأغضفية أسسها الشيخ الأغضف محمد في القرن الماضي ولها اتباع كثيرون في الصحراء المغربية وموريطانيا وخلفه في الطريقة الشيخ المختار ولد الطالب عمار ولد نوح وقاوم أتباع هذه الطريقة الاستعمار الفرنسي بالسلاح وقام مريدان من هذه الطريقة في سنة 1965 وهما من أولاد النور بقتل المستشرق الفرنسي كوبولاني صاحب تأليف الطرق الصوفية، في نيجيكة بأمر من خليفة الطريقة المذكورة.

رابعا : البكائية Bekkaiya

أسس هذه الطريقة سيدي أحمد البكاي في القرن السادس عشر وقام بنشر الإسلام في البلدان السوداء ولم تنقطع صلته بالقادرية المغربية تقول الأستاذة أوديت دوبوكودو في كتابها «الماضي المغربي لموريطانيا الذي طبعته وزارة الدولة في الأمور الإسلامية التي كان يرأسها المرحوم علال الفاسي وقد وصلت هذه الطريقة إلى قوتها وأوجها في عهد الشيخ سيد المختار الكونتي الذي كان يعيش بولاته وتوات وتمبكتو في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر وكان الشيخ زين العابدين الكونتي وهو يقاوم الزحف الفرنسي ينقل الزاوية البكائية من أزواد إلى أوليف ومن هذه إلى تبلبلة.

خامسا : السيدية Sidiya

تأسست هذه الطريقة على يد الشيخ سيدنا الكبير في القرن التاسع عشر وامتدت من زاويتها ببوتيليمنت إلى البلدان «السوداء» ووصلت عن طريق دعاتها إلى غينيا ونجيريا والسنغال ولها اتباع في قبيلة تكنة بطرفاية وفي وادي النون.

• ب ـ فروع التيجانية

أولا : اللايينية

مؤسسها إمام لاي تياو Thiay وكان تلميذا لأحد شيوخ التجانية ظهرت هذه الطريقة سنة 1880 في قرية

يوف Yoff القريبة من دكار وتتمركز اللايبنية على جماعة لبو Lebou ولا يبدو لها نشاط كبير خارج جماعتها.

ثانيا : المالكية

أسس هذه الطريقة الحاج مالك سي المتوفي سنة 1922 وامتاز مؤسسها باهتمامه بتكوين اتباعه فكريا لذا كان مقر زاويته بمدينة تيواوون Tivaouane بغربي السنغال على بعد 70 كلم من دكار وعلى بضع كلم من مركز القادرية (انجاصان) مركز اشعاع ثقافي عام وهو أول من نظم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف (غامو Gamo).

ثالثا : الحموية أو الحمالية Hamallisme

مؤسس هذه الطريقة حمى الله بن محمد بن عمر ازداد في مدينة «نيورو» عام 1886 أمه عائشة ديالو من قبائل اليول التي عرفت بتحمسها لنشر الإسلام أخذ حمى الله الدعوة والعلم عن أستاذه التيجاني الشيخ محمد ولد أحمد من توات المغربية والحموية تدعو إلى تحرير المرأة ورفع الغبن عن الطبقات الكادحة وامتد نفوذها إلى ساحل العاج. وفي عام 1929 نفاه الفرنسيون إلى إحدى واحات موريطانيا وقد خلفه في العمل أحد أصحابه اللامعين وهو المسمى يعقوب سيلا ولم يؤثر النفي على موقفه من الاستعمار فاستمر يناضل في منفاه وعند عودته من المنفى استأنف نشاطه المعادي لفرنسا فنفى هذه المرة مع صاحبه عام 1931 إلى ساحل العاج. ولما عاد من المنفى تحت ضغط أتباعه عام 1936 أعلن رغبته في استئناف الجهاد ضد فرنسا ورخص لاتباعه صلاة القصر في هذه الفترة فكان رد فعل فرنسا سريعا وقويا يقول فيليب فونداسي حيث عمدت إلى الحكم بالسجن على 600 من اتباعه وحكم بالموت على 33 منهم اثنان من أبنائه في عام 1941 وحكم عليه هو بالسجن حيث مات عام 1942. إلا أن الطريقة أثبت وجودها في الهجوم على الاستعمار الفرنسي في عامي 1942 و1943 ورغم تجمد الطريقة منذ موت مؤسسها إلا أن أثرها قد استمر بنجاح في المناطق الوثنية بين قبائل الموسى في الفولتا العليا في مدن واهيغويا Ovahigoya وتوغان Tougan ودوري Dori.

والجدير بالملاحظة أن مؤسسي التيجانية والفاسية والأحمدية والمريدية والفاضلية والأغضفية والبكائية والسيدية كانوا قادريين طريقة قبل تأسيس طرقهم الصوفية. كما أن عدد المنضمين إلى الطرق الصوفية في مصر مثلا يفوق عدة مرات عدد المنضمين إلى أحزاب سياسية. وفي الذكرى السنوية لأحمد بامبا مؤسس الطريقة المريدية بالسينغال يفوق عدد زوار ضريحه بطوبه مليون ونصف من الاتباع وتتعطل الإدارات ومصالح الحكومة السنغالية في هذه الذكرى.

ونظرا للدور الهام الذي قامت به الطرق الصوفية منذ انطلاقها من المغرب إلى غرب افريقيا منذ القرن الخامس عشر الميلادي لنشر الإسلام والثقافة العربية والحضارة المغربية فإن جلالة الملك حامي الصوفية وراعيها الأول أصدر أمره المطاع لوزيره في التربية الوطنية أثناء الدروس الحسنية التي ألقيت أمام جلالته عام 1406 ـ 1985 برحاب القصر الملكي العامر بالرباط بتهيىء واختيار نخبة من العلماء والأساتذة والباحثين للقيام بالبحث والكتابة حول دخول الإسلام إلى أقطار افريقيا الغربية عن طريق المغرب وانتشاره في تلكم الأصقاع والأنحاء منذ قرون وأثره فيه. وبدراسة كل ما كتبه المؤرخون والباحثون من عرب ومسلمين والمستشرقون والأوروبيون والأمريكيون نستطيع القول إن الدور الذي قامت به الطرق الصّوفية في غرب وشرق افريقيا في نشر الإسلام بها دور عظيم الشأن لا يمكن إنكاره ولا التهوين من شأنه حيث استطاعت هذه الطرق أن تحول الملايين من الوثنيين والمسيحيين إلى الإسلام وأن تهيء القوى لمقاومة الاستعمار والتبشير. وعلى الرغم من الضربات التي تلقتها فإن آثارها فرها في الجهاد وفي استقلال الدول الإفريقية تبقى خالدة.

المراجع العربية

- **السياسة والمجتمع في العصر العباسي**، ابراهيم حركات طبع عام 1985.
- **المغرب عبر التاريخ**، ابراهيم حركات، طبع عام 1985.
- **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف**، ابراهيم حركات، طبع عام 1985.
- **الزاوية الشرقاوية**، أحمد بوكاري، طبع عام 1985.
- **حاضر العالم الإسلامي تعليق الأمير شكيب أرسلان**، لوتروب ستودارد الأمريكي طبع عام 1961.
- **الزاوية القادرية عبر التاريخ**، عبد الحي القادري، طبع تطوان، عام 1986.
- **المسلمون في السينغال**، عبد القادر محمد سيلا، طبع عام 1406.
- **رجال الفكر والدعوة في الإسلام**، أبو الحسن على الحسني الندوي عام 1960.
- **العالم الإسلامي**، أنور الجندي، طبع عام 1970.
- **الزاوية الدلائية**، محمد حجي، طبع عام 1964.
- **الإسلام والثقافة العربية**، محمد حجي، طبع عام 1964.
- **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، الدكتور حسن ابراهيم حسن، طبع عام 1984.
- **الإسلام والثقافة العربية**، الدكتور حسن أحمد محمود، طبع عام 1986.
- **حضارة الإسلام في افريقيا الغربية**، نعيم قداح، طبع عام 1965.
- **صاحب الجأش الربيط محمد الإمام بن ماء العينين**، ماء العينين القاضي المستشار بالاستئناف بأكادير، طبع عام 1986.
- **دور الزاوية القادرية في نشر الإسلام**، دراسة للآنسة قداوي مينة الطالبة بشعبة الدراسات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء، عام 1987.
- **الأصاغر والأكابر في ترجمة الشيخ عبد القادر**، عبد الحي القادري، طبع معهد فرانكو بتطوان عام 1940.
- **الدعوة في الإسلام**، توماس أرنولد.

المراجع الفرنسية

- Gini et Samir : Un Grand saint de l'Islam, Istambul, Turquie
- Vincent monteil : LIslam noir en Afrique
- Odette du Puigandeau : Le Passé maghrébin de la Mauritanie (ministre d'Etat chargé des affaires Islamiques, Rabat 1962)
- Dupont et Colpolarni : Les confréries religieuses musulmanes
- Dupont (F) : Haj Gmar Tal du Fouta, Dakar, 1975.
- H. Massé : L'islam.

المجلات العربية

- الهلال - العربي - الأزهر - التصوف الإسلامي - العالم - الدوحة.

المجلات الفرنسية

- **Jeu ne afrique magazine** (Fevrier 1988)
- **Les cahiers de l'histoire** n° 66 Mai 1967 (l'afrique de 100 à nos jours)
- **La Pensée** , n° 2, décembre 1962 (ministre d'Etat chargé des affaires **Islamiques, Rabat)**

كشوفات إفريقية

الجذور الإدريسية لامبراطورية غانا والأصول السينغالية للدولة المرابطية

للدكتور محمد الغربي

قامت أمبراطورية غانا وتوسعت في خلال ستة قرون، من القرن السادس وحتى العاشر، وكانت ظاهرة سياسية وحضارية مركزية فريدة في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، حيث اعتمدت على العنصرين الأبيض والأسود، وأخذت بالوسائل المادية التي دفعت بها نحو التطور والقوة، ومن بين تلك الوسائل تحويل الحديد وفرض الضرائب على تجارة الذهب والملح والمواشي، بالإضافة إلى التوسط التجاري، والاعتناء باستخراج الذهب وتسويقه.

ولقد كان الذهب يستخرج بكيفية رئيسية في غانا ويباع لبلدان البحر المتوسط، وكان بغانا منجمان رئيسيان، أحدهما في بامبوك، بين نهري السنغال وفالبي، وفي بوري القريبة من مدينة سيغرى، وأهم ما كان يدفع مقابل مسحوق الذهب الملح المستخرج من مالح الصحراء وبعض المصنوعات المجلوبة من المغرب، وظلت سيطرة برابرة صنهاجة على طريق الذهب في عهد غانا مستمرة لقرون عديدة[2].

وقد استفادت قبائل السراكولي، التي كانت لها العصبية في دولة غانا، والقبائل الأخرى المنضوية تحت حكم تلك الدولة مثل الماندينغ والبامبارا، من خبرة برابرة صنهاجة في صهر الحديد وطرقه وتحويله إلى أدوات مختلفة استخدمت في الحرب ومجابهة الطبيعة وإخضاعها وفي إقرار الأمن.

وأعانت الأهمية التي ظلت قبائل صنهاجة تحتفظ بها في دولة غانا، على توسع تلك القبائل نحو الشرق والشمال الشرقي، ويبدو أن تلك الوضعية المريحة للبرابرة قد ساعدت على اندفاع عدد من القبائل المغربية الأخرى نحو الصحراء والسودان الأمر الذي أدى قبل وصول الفاتحين المسلمين إلى هذه الجهات في القرن السابع إلى دفع القبائل السوداء نحو الجنوب بشكل متواصل، وإلى قيام جنس مختلط بربري - سوداني.[3]

ولعل هذا العنصر هو الذي جعل القادة المسلمين يضعون مناطق السودان البربرية نصب أعينهم، فقد فتح عقبة ابن عامر بن عبد قيس باسم عمرو بن العاص مدينة غدامس التي كانت بوابة النيجر الشرقية سنة 662م، وفي السنة الموالية افتتح وادان وكورا في السودان وأثخن في تلك النواحي وكان له فيها جهاد وفتوح،[4] ويذكر ابن

1) يراجع كتابنا «بداية الحكم المغربي في السودان الغربي» نشر دار المثنى بغداد 1983.

2) J. S. Canale. Afrique Noire. P. 151.

3) R. Capot - Rey le sahara francais. Paris T. V. F. 1953 P. 169 - 170.

4) عبد الرحمان بن خلدون - كتاب العبر... دار الكتاب اللبناني، المجلد 3 ص 21.

عذاري المراكشي أن عقبة انحدر في حملته الثانية الى السودان من بلاد المغرب، ووصل إلى غانا عن طريق وادان وبنى مساجد فيها.[5]

فاعتمادا على مقارنة بين المصادر يتبين أن عقبة قام بحملتين إلى السودان إحداهما من تونس والثانية من المغرب، ولا نعثر في أي مصدر على أخبار قتال أو حصار في الحملتين معاً، مما يدل على استجابة الأفارقة السود لدعوة الدين الجديد وهو نفس الأمر الذي كان يحدث تقريباً في بلاد المغرب.[6]

ونحن نرجح أن وجود قبائل بربرية وفيرة ومتنفذة في الصحراء والسودان، بالإضافة إلى خصائص الدين الجديد وروحه التحريرية، خلقا جوا مناسباً لوصول الفاتح العربي إلى بعض أهدافه الروحية، والثابت أن حملة عقبة هدت أغلب قبائل البربر وبعض قبائل غانا إلى الدين الجديد بالقدر الذي فتحت أعين حكام شمال إفريقيا على إمكانيات السودان.

ونحن لانوافق بعض المؤرخين الذين يذهبون إلى حد القول بأن الفكرة الإسلامية كانت هي العامل القوي في بناء أمبراطورية غانا أو بناء الأمبراطورية المغربية بالسودان،[7] لأن ارتكاز غانا على العنصر الديني كان ضعيفاً جدا بدليل تصديها للمرابطين الذين أرادوا حمل الزنوج بالقوة على اعتناء الإسلام، وهو أمر حدث بعد أربعة قرون من وصول عقبة على هذه الجهات، على أن هذا لا ينفي أبداً أن الفكرة الإسلامية قد انتشرت تباعاً ولكن على نطاق محدود قبل المرابطين.

وفي عام 734 وصلت حملة عربية من المغرب، استولت على أحمال من الذهب استخرجت من السودان وسوس، وأعقبتها حملة ثالثة لا نعرف لها تاريخا انحدرت من تافيلالت إلى نهر النيجر، واستبدل التجار المرافقون لها ما كان معهم من البضائع بمسحوق الذهب، وقد نقل Canale عن المسعودي بأن سكان نهر النيجر الذين قايضهم أولئك التجار كانوا عراة تماماً.[8]

ويظهر أن الحملات التي تلت مجيء عقبة لم تكن تهتم بالموضوع الديني، مما تسبب في ردة فعل عنيفة لدى الغانيين وصنهاجة لا نعرف مداها، وأغلب الظن أن ذلك كان من الأسباب التي نبهت زعماء غانا إلى ضرورة قيام حكم قوى فيهم للوقوف في وجه الأخطار التي باتت تطل من الشمال، ولا حكام المراقبة على طريق القوافل.

وفي هذا الوقت، وفيما كان صراع التصفية النهائية يجري في غانا لإقرار النظام المركزي القوى، قدم من الشرق أشراف ينتسبون لنفس الأسرة الإدريسية التي حكمت المغرب منذ عام 788، وأقامت لها دولتين اخريين في الأندلس (بني حمود) وفي اليمامة (بني الأخيضر)، ولم يفكر أولئك الأشراف في أمر دعوة أو إصلاح فقط بل سعوا أكثر من ذلك في تأسيس مملكة بالسودان.[9]

ويظهر أن صالحا الذي أتى من مكة قد لقى من الترحيب ببلاد غانا بالقدر الذي لقيه ادريس الأول في المغرب، وقد استقل ذلك لإقامة ملك «ببلاد السودان من المغرب الأقصى... وبقي عقب الأدارسة معروفا...».[10]

ولا نعلم مدى تأثير هذا الوضع الجديد على سير عملية تأسيس غانا المركزية، ولكننا نميل إلى الاعتقاد بأن الأشراف حازوا على تأييد الغانيين وتحزبهم لهم بدليل أنهم نقلوا عاصمتهم من ضفة نهر النيجر إلى كومبي صالح التي

---

5) أحمد بن عذاري المراكشي - البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب - تحقيق كولان وبروفينصال - دار الثقافة - بيروت - ج 1 ص 27 وانظر أيضا : De La Chappelle – Hesperis N° : 11. 1930

6) عبد العزيز بن عبد الله - تاريخ الحضارة المغربية - ج 1 ص 58.

7) المصدر السابق ص 41.

8) Canale, Afrique noire P. 147

9) ابن خلدون - مجلد 4/ ص 221، كان موسى الجوف بن عبد الله بن حسن المثنى ثائرا على أبي جعفر المنصور، وذاق هو وأبناء عمومته أدارسة المغرب والأندلس واليمامة الأمرين في بلاد الحجاز، وبعد موت موسى تولى ابنه اسماعيل إشعال الثورة في غرب الجزيرة العربية، ونصب نفسه ملكا على مكة والحجاز واليمامة، ثم تولى أخوه محمد أخيضر، وهو الذي بعث حفيده صالحاً بن يوسف إلى السودان لإقامة ملك بها، وابن خلدون يجعل صالحا ابنا لموسى أو لعبد الله بن موسى تبعا للروايات التي اعتمدها في كتابه (انظر ابن خلدون 4 ص 245).

10) المصدر السابق ص 221.

أسها الأدارسة وجعلوا منها عاصمة سياسية لهم وهي في منطقة خصبة غرب نهر النيجر.[11]

وتدل نتائج التنقيب الذي أجري في مكان كومبي صالح والذي استغرق ثلاثين سنة، إن البلدة كانت شبيهة بالمدن الإسلامية الكبرى، فقد أقيمت على مساحة بلغت ميلا مربعاً وكانت تتسع لثلاثين ألف نسمة، وأقدم بنيان فيها يعود إلى 900 سنة، مما يدل على أن نواتها كانت موجودة قبل قدوم الشريف صالح، وقد أحيطت المدينة من كل جوانبها بسور مرتفع، وأنشئت وسطها قلعة ذات طابقين، وعثر المنقبون بين الأنقاض على أسلحة متخذة من الحديد ومسامير في غاية الدقة، وموازين مختلفة الأحجام لوزن الذهب وصفائح نحاسية وحديدية مزخرفة بآيات قرآنية، ورسوم دقيقة على الجدران، ومقص ومطارق حديدية وخشبية وجرار مختلفة الأحجام وغير ذلك من الأدوات.[12]

وقد عمرت المدينة بعناصر مختلفة زنجية وبربرية، مع أقلية عربية أخذت ولا شك مكانة مهمة في الميدان السياسي والعلمي والتجاري، حيث كانت تسكن بيوتاً ذات باحات واسعة وغرف متقابلة فسيحة اشتملت حيطانها وأعمدتها على بعض النقوش والكتابات العربية.

ولم تكن كومبي صالح في المدينة الكبيرة الوحيدة إلى جانب أودغوشت التي حافظت حتى ذلك الوقت على دورها السابق كمركز تجاري أول في غانا، بل كانت هناك مدن أخرى دونهما أهمية وكبرا وخاصة على الطريق التجاري الغربي أو بالقرب من منجمي الذهب ومن بينها مدينة هينيشين التي ضمت جالية عربية أيضا هي بقايا الجنود الذين سبق لخلفاء بني أمية في الأندلس أن وجهوهم للسودان فتخلفوا وتزوجوا بسودانيات.[13]

وإذا حاولنا أن نجد عند أدارسة المغرب اهتماما بالسودان وما كان يجري فيه بعد تقلد أبناء عمومتهم الزعامة السياسية فإننا لا نعثر إلا على إشارات متباعدة وغير مضبوطة عن اتجاه بعض الدعاة المتطوعين إلى تلك الجهات لنشر الإسلام والدعوة إلى عقيدته، «فرسالة المغرب الإفريقية قد تبلورت آنذاك في إشعاع بلغ تخوم النيجر[14] ولعله كان من المثير تاريخيا لو أن احتكاكا أو اتصالاً واسعا وقع بين الدولتين الإدريسيتين... ولكن ذلك لم يحدث إلا على نطاق لا يمكن اعتباره، ويبدو أن حسن النية ونبل المقاصد كان متوفراً للجهتين معا ولكن لم يترجم إلى شيء ملموس بالنظر لبعد، الشقة وانشغال كل من الطرفين بما يقع داخل حدوده، وفي الوسع التصور بأن حسن النية ذاك قد ترجم إلى عمل مثمر وغير مباشر، وتمثل في أعمار المدن التي كانت تمر بها القوافل نحو السودان والمغرب بل وبناء مدينة بكاملها لهذا الغرض هي مدينة تمدلت بسوس وتنصيب أحد الأمراء الأدارسة عاملاً عليها، وازدهرت سجلماسة وكوليمين في ذلك الوقت.

وما كادت الدولة الإدريسية في المغرب تفقد قوتها، وتترك البلاد في يد حكام وثوار هنا وهناك حتى عاجلت قوات الزناتيين الذين استقلوا بجهات المغرب الجنوبية الشرقية وضموا سجلماسة، بلاد السودان بضربات متلاحقة فيما بين 932 و 933 وكانوا يلقون العون من برابرة أودغوشت الذين أفلتت السلطة من أيديهم منذ مجيء الشرفاء الأدارسة إلى السودان.

وقد تمكن زعيم الزناتيين موسى بن أبي العافية من دفع جند غانا وقادته الأدارسة نحو الجنوب، وأخذ من كومبي صالح المكوس على الذهب والنحاس والملح، ولكن سلطانه لم يرسخ بهذه الجهات أو يمتد لفترة طويلة حيث

---

11) Canale - Afrique noire p. 149 عقد كنال مقارنة بين وصف البكري للعاصمة الجديدة التي انتقل إليها الغانيون وبين العاصمة القديمة التي وصفها الإدريسي، وبينما كانت الأولى تقع على ضفتي نهر النيجر كانت الثانية داخل القارة على بعد 330 كليومترا شمال باماكو الحالية.

12) R. Thomassey et R. Mauny «compagne de Fouilles a Koumbi Saleh» Bull. L.F.A.N. XIII, N° : 2. 1951 P. 438-468

كان الموظف الفرنسي Bonnel de Miziere أول من لاحظ وجود الطبقة العليا من أنقاش كومبي صالح عام 1914 وبعد ربع قرن قام المنقبان P. Thomassey و R. Mauny بالشروع في الحفر وانتهيا من ذلك عام 1951، وتشتمل دراسة العالمين على معلومات مهمة عن المدينة التي تحولت إلى عاصمة مملكة مترامية الأطراف.

13) J.S. canale, Afrique noire P. 151

14) عبد العزيز بن عبد الله ـ تاريخ الحضارة المغربية ج ١ / ص 57.

إن الفاطميين نازلوا مراكز إمارته وخاصة سجلماسة وأجبروه على منازلتهم حيث تمت هزيمته وانقضاء دولته، واضمحلال دعوته الأموية، وانكفاء أطراف السودان عن سلطانه[15].

أما في جهات النيجر الأوسط حيث أسس برابرة صنهاجة منذ القرن الخامس مملكة لهم حول مدينة كوكيا، فقد كانت بمنأى عن الصراعات التي عرفتها غانا طيلة ثلاثة قرون، ولقد كان التأثير العربي القادم من مصر ذا اعتبار وأهمية[16] ويظهر أن الإسلام هناك انتشر عن طريق الإقناع، وامتد إلى تشاد شرقاً وإلى بعض قبائل البهل غرباً.

وقبل منتصف القرن العاشر هبت على كوكيا رياح الفتنة الإسلامية، بينما كان الإسلام لا يزال فتيا بها محدود الانتشار في نواحيها، فقد التجأ الخوارج الفارون من وجه الفاطميين بتونس، ولم يلبث زعيم المدينة كيراد ان اعتنق المذهب الخارجي، ثم قام هو وابنه أبو يزيد مخلد بن كيراد بالدعوة للأمويين الذين كان نفوذهم قد تراجع من كل بلاد المغرب، وقد ظفر أبو يزيد مخلد بتأييد مسلمي النيجر الأوسط وصنهاجة أدغوشت الذين كانوا شيعة للأمويين منذ مجيء موسى بن أبي العافية، وأمدت أدغوشت أبا يزيد بمقاتلين ودوابّ فتمكن في مد سلطانه على بلاد الحمادة وجنوب تونس والجزائر والمغرب، وعندما استمرت الحرب بينه وبين صاحب تونس اساعيب بن محمد بن عبيد الله المهدي الملقب بالمنصور انتهت بهزيمته، فعاد إلى كوكيا وأعلن نفسه إماماً، وبايعه السودانيون وصنهاجة، وأصبح أمير البربر زيري بن مناد من قواده وأنصاره وقد حاول مهاجمة تونس من جديد، ولكنه هزم وقتل عام 941.[17]

وبانتهاء الحكم الخارجي في كوكيا، والزناتي الأموي في أدغوشت وغانا الذي قضى على حكم الشرفاء الأدارسة عادت غانا في ظل حكم القادة الوطنيين تتلمس طريقها نحو الحكم السياسي المستقل، غير أن دعوة المرابطين كانت قد بدأت آنذاك، وبدأ معها عهد غني بالتواصل بين المغرب والسودان.

المرابطون وغانا :

عادت قبائل صنهاجة إلى احتلال مكانتها السابقة في ظل أمراء غانا الأقوياء وسط طموح جامح من أولئك البربر البيض في تأسيس دولة كما فعل الطالبيون قبلهم. وعزز من تطلعهم إلى القوة السياسية توقف الطريق التجاري الشرقي عن النشاط بسبب الزوابع الرملية، وتحول التجار إلى الطريق الغربي المار من سجلماسة والمتفرع بعدها إلى المسلكين المؤديين إلى كوكيا شرقا وأدغوشت غرباً، وكان على التاجر العراقي والمصري أن يسلكا نفس طريق التاجر المغربي، وبهذا أصبحت سجلماسة من أغنى المراكز التجارية والعلمية في كل بلاد الإسلام.[18]

وضمن قبائل صنهاجة التي توطنت منذ نهاية القرن العاشر جميع مناطق الصحراء الكبرى حتى نهري النيجر والسنغال، برزت قبيلة شاء لها القدر أن تترجم أمور صنهاجة إلى واقع، وما دام الأمر يتوقف على استقدام شريف أو فقيه، فقد خرج يحيى بن ابراهيم إلى الشرق طامعا في أن يحقق ما فعله الأدارسة والطالبيون، ورجع إلى بلاد كدالة (من صنهاجة) ومعه أحد الدعاة المسلمين عبد الله بن ياسين الجزولي، وكدالة كانت تسكن آخر بلاد الإسلام، وتتصل إلى البحر المحيط غربا[19] ويظهر أن عبد الله بن ياسين كان يميل إلى التنظيم، والإعداد العسكري

---

15) يراجع على بن أبي زرع - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - دار المنصور - الرباط 1973 ص 106 وما بعدها.

16) Henri Lhot « L'extraordinaire aventure des peuls. Pres africaine XXII – octobre novembre 1958 P 48.57

17) ابن خلدون - مجلد 4 ص 84.

18) Terrasse Histoire du Maroc T. 2. P 204 ويراجع ادريس بن أحمد العلوي، الدرر البهية والجواهر النبوية / مطبعة حجرية فاس ج 1 ص 63.

19) عبد الله كنون «النبوغ المغربي في الأدب العربي» دار الكتاب اللبناني / بيروت 1961 صفحة 57.

المناسب، فانتقل إلى جزيرة قبالة ساحل السنغال وأخذ في إعداد أنصاره وتربيتهم دينياً وعسكريا.

وكانت أمبراطورية غانا لا تزال - أثناء ذلك - تحتفظ بقدر مهم من القوة الحربية، ورغم إسلام بعض قبائل التكرور في السنغال بفعل الدعوة المرابطية وثورتها ضد غانا، فإن هذه الأخيرة جمعت قوتها واحتلت بحد السيف مدينة أدغوشت التي كانت عاصمة حتى ذلك الوقت لصنهاجة.[20]

وغادر الأمير يحيى بن ابراهيم جزيرته، وقصد أدغوشت، وافتكها من الحكم الغاني عام 957، ويظهر أن العملية لم تكن صعبة، مما دفع بالأمير إلى التقدم شمالا نحو سجلماسة، وهناك رحب به (بنو يالدس)[21] وبايعوه، وكان هدف يحيى من هذه العملية واضحاً، فالمدينة وناحيتها لهما من الأهمية التجارية ما لا تتوفر عليه مدينة أخرى في كل الغرب الإفريقي، وخضوعها للمرابطين، مع وجود حلفاء مخلصين أمر في غاية الأهمية، وقد ظل بنو يالدس يحرسون القوافل واستقروا بمدينة خلوها لهم هي مدينة تمنطيط وكانت آخر العمران قبل غاو.[22]

وكان أمراء غانا - ويظهر أنه لم يكن لهم زعيم واحد - قد عادوا لمنازلة أدغوشت بعد أن فاجأهم هجوم المرابطين مستعينين بحلفهم مع بعض قبائل التكرور، ولم يكن هناك مفر من معركة أخرى على أبواب المدينة خاضها الأمير يحيى المنهك بالسفر البعيد، فتوفي في تلك المعركة وتقهقر أنصاره نحو رباطهم في الجزيرة عام 1048.[23]

ولم يكن عبد الله بن ياسين والأمير الجديد أبو بكر بن عمر في عجلة من أمرهما، فتأخر زحفهما الشامل على شمال أمبراطورية غانا ست سنوات،[24] وكان نصرهما في هذه المرة عاماً وشاملاً، وحمل المرابطون جميع قبائل صنهاجة على اعتناق الإسلام على المذهب المالكي، ومحيت النزاعات الشيعية والخارجية تماماً، وأصبح الدعاء للخليفة العباسي قائماً.[25]

وهنا ظهر التحول الكبير في خطط المرابطين وتطلعاتهم المستقبلية في الجهاد والحكم والعظمة، فبدلا من أن يتابعوا طريقهم نحو الجنوب والشرق، جمعوا القبائل الناصرة لهم وساروا نحو الشمال حيث أسسوا أمبراطوريتهم الواسعة التي امتدت إلى حدود تونس شرقا وحدود فرنسا شمالاً..

ولا شك أن المرابطين وهم يتركون الساحة في جنوب الصحراء[26] كانوا مطمئنين إلى نفاذ دعوتهم، وتمكن إدارتهم الحازمة من المنطقة، بل وأكثر من ذلك تأكدوا أن القبائل الصنهاجية ستكون أضمن وأوثق رديف لهم في حروبهم المقبلة شمالاً، وكانت بواعث ذلك الإطمئنان كثيرة :

- تقلص قوة غانا بحد التلاشي المستمر أمام ضربات المرابطين خلال القرن الحادي عشر.[27]
- ولاء قبائل صنهاجة.
- خضوع قبائل التكرور والصوصو ودخولهما الإسلام وإخلاصهما لأمراء الملثمين وموالاتهما الإغارة على أمراء غانا المنسحبين جنوباً.
- تحول أدغوشت وتمنطيط وكوكيا إلى مراكز للسلطة القوية، وللتجارة المأمونة.

وقد ظلت إدارة صنهاجة تحكم البلاد كلها، وتحول البلاط الزنجي إلى الحكم الرمزي، وظل الملك يدفع

---

20) المهدي البرجالي «صحراؤنا» يوليوز 1968 - الرباط ص 6.
21) ابن خلدون مجلد 7 ص 119 : بنويالدس من بطون بني ومانو أجداد المرينيين كانوا يضربون في الصحاري إلى الجنوب من سجلماسة.
22) المصدر السابق.
23) حركات المغرب عبر التاريخ الجزء الأول من 170 - 171.
24) تم هذا الزحف عام 1045.
25) المصدر السابق ص 180.
26) عاد الأمير أبو بكر عمر إلى السودان من مراكش وأمضى في الجهاد 13 سنة ثم جلب نصف جيش المرابطين من المغرب وبقي يجاهد 10 سنة (الحلل الموشيه ص 13).
27) أنهت قوات المرابطين مهمة الاجهاز على غانا عام 1077 بعد مقاومة متفرقة دامت 23 سنة .J.S canale. Afrique noire P. 151

الغرامات كلما عاد إلى أدغوشت حتى القرن الرابع عشر، أما الأمراء الغانيون في الأقاليم فقد اعتنقوا الإسلام وانضووا تحت الإمارة المرابطية مع أتباعهم من الساراكولي والوانغارا والديولا والمادينغا، وأصبحوا يقومون نيابة عن المرابطين بمحلات لنشر الدين الإسلامي بين القبائل الوثنية من البهل والموسى[28] وكان ذلك يتم بأمر ومباركة الخليفة العباسي.[29]

خضعت غانا للتحديات السياسية والعنصرية، وانجرفت أقاليمها المتباعدة الآهلة بالقبائل ذات المحاتد المتباينة الواحدة تلو الأخرى في تيارات دينية مختلفة، ولذلك لم تتح لها سوى فرص قليلة لتنعم بالاستقرار، ولم تتمكن طيلة وجودها من إقامة الحكم السياسي القائم على الوحدة.

ورغم ذلك فإن موقعها الجغرافي المتوسط إضافة إلى خيراتها المعدنية والزراعية، وطموحها الطاغي، مكنها من بناء اقتصاد لم تمسه التقلبات إلا في النادر، وقد استفاد سكانها بقطع النظر عن أصولهم، من عزم كل الذين حكموا غانا أو استقلوا ببعض أرجائها، على حماية التجارة وتنمية الموارد المعدنية، ولم يثبت أن غانا وضعت ـ قبل المرابطين ـ يدها على مكامن الملح في الصحراء ولكن الذي يبدو على غزوات الملثمين وعلى أشكال الحكم التي أقاموها أنهم اتجهوا نحو الذهب بعد أن وضعوا أياديهم على ممالح الشمال.

فالفرق بين المرابطين والغانيين أن الأولين سيطروا على المصدرين معاً، وتحكموا في طرق التجارة في كل الجهات، بينما لم يصل الغانيون إلى الملح إلا في ركاب الصنهاجيين.

وبخلاف الغانيين أيضاً فإن نشر الإسلام عند المرابطين كان هدفاً يتقدم على غيره من الأهداف كانوا ينشرونه بالترغيب أو الترهيب ويسيرون بمقتضى الشرع في الحالتين معاً.

وقد فرضت غانا ـ قبل سقوطها ـ الضرائب على تجار الملح، فكانت تأخذ ديناراً من الذهب على كل حمولة تدخل غانا منه، وديناران على الحمولة التي تخرج باتجاه الجنوب أو الشرق، وذلك مقابل ما كان يلقاه التجار من الحماية، وما تجده دوابهم من عشب ومياه، وأما النحاس الذي مثل جانبا من مصادر الدخل، فقد أخذ عنه مكس قدره خمسة مثاقيل من الذهب لكل حمل. وتتساوى العروض المنقولة الأخرى فيما يدفع عليها داخلة أو خارجة وقدر الضريبة عشرة مثاقيل.[30]

وعندما بسط المرابطون حكمهم أبطلوا الضرائب والمكوس، واحتفظوا منها بالزكوات والأعشار وأخماس الغنائم والجزية تمشيا مع تعصبهم الديني.[31]

ويُظن أن إلغاء الضرائب على العروض التجارية كان السبب في اقتتال القبائل بعضها مع البعض الآخر، وحين نشبت الفتنة بين لمتونة ومسوفة التي كانت تختص بحمل الملح أتى الأمير أبو بكر ووضع حدا لخصوماتها وأقر منطوق الشرع بين قبائلها.[32]

إن التجارة بشكل خاص، والأعمال الاستثمارية على العموم حافظا على حيويتهما، وكأن الغزو لم يخرج عن نطاقه السياسي الصرف. والمغرب المرابطي، رغم الانقطاع العملي بينه وبين الجنوبي الغاني ـ المرابطي ابتداء من نهاية القرن الحادي عشر سعى جاهداً في تأمين الحركة التجارية ودفعها. وقد تحولت مدينة أغمات إلى عاصمة للتجارة مع السودان فكان تجارها من هوارة يذهبون بالقوافل إلى غانا وما يجاورها وهي محملة بالنحاس ونسيج الصوف والأصداف والأحجار الكريمة والعطور والأدوات

---

28) المصدر السابق ص 153.

29) من رسالة من المستظهر بالله إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين عام 512 (1118) «أما ما أنهيته من توفير الاجناد ومثابرته على الجهاد لدفع أدناس الكفرة مما يليه من البلاد، فإنه، وطائفة من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، فاتخذ التقوى عمادها والحق منارها وكتاب الله وسنة رسوله، وأعلن بالدعاء لأمير المؤمنين على المنابر تكن الظافر بالأعداء الظاهر والسلام عليك وعلى من قبلك من أهل الطاعة» (الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لأبي السماك العامري المالقي، طبع الرباط) 1926 ص 73.

30) حركات المغرب عبر التاريخ 1 ص 229.

31) عبد العزيز بن عبد الله ـ تاريخ الحضارة المغربية 1 ص 107.

32) ابن السماك ـ الحلل الوشية ص 13.

الحديدية، ويعودون بالذهب ونتاج السودان والتاجر الواحد كان يمتلك ما بين سبعين ومائة جمل كلها محملة بالبضائع.[33]

واحتلت اللغة العربية إلى جانب لغات الصوصو والمايدنغ والشلحية مكانة مهمة باعتبارها لغة القرآن، وقد عثر أحد المنقبين عن الآثار في ضواحي مدينة تنبوكتو على لوحة صنعت في مدينة (الميرية) بالأندلس وكانت تلك اللوحة التي وجدت في إحدى المقابر تحمل تاريخ وفاة الميت التي وقعت عام 1100م.[34]

وحمل المرابطي أبو بكر بن عمر من مراكش هدايا عظيمة لاشك أن الصناع المحليين تأملوها وحاولوا تقليد بعضها، وفي هذه السفرة، كما حدث دون ريب في الموجة المرابطية التي ذهبت إلى الشمال انتقلت مجموعات بشرية من المغرب وإليه، ويكفي أن أبا بكر جلب معه نصف الجيش المرابطي إلى السودان.[35]

ونجد واضحاً في التاريخ أن مجموعات كبيرة من السودانيين، وكانت جزءاً من جيش المرابطين، حاربت في الأندلس كفرقة مستقلة هامة، وقد اعتمد المرابطون في كل الجهات على هذه الفرقة وسميت عندهم بفرقة (الحشم)، ورئيسها كان من أبناء السودان أيضاً،[36] وحمل السودانيون في معاركهم بالأندلس القنا الطوال والدرق اللمطية والسيوف الهندية[37] وتميزت الفرقة السوداء باستعمالها للطبول عندما كانت تسير إلى المعركة أو أثناء اشتباكها مع العدو، وتلك عادة في كل السودان وفي جميع أدوار تاريخه[38] وقد تحدث أبو عبيد الله البكري عن اشتراك ملوك التكرور أنفسهم مع المرابطين في حروبهم في الأندلس وقد أشار بصفة خاصة إلى واقعة الزلاقة التي وقعت في أكتوبر 1086 والتي انتصر فيها يوسف بن تاشفين على جيش ألفونس السادس.[39]

الرباط : د. محمد الغربي

---

33) عباس بن ابراهيم المراكشي «الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ـ المطبعة الجديدة ـ فاس 26 1 ج ص 113.

34) محمد الغربي. موريطانيا ومشاغل المغرب الأفريقية ـ مولاطو ـ الرباط 1923 ص 14.

35) ابن السماك. الحلل الموشية ص 13.

36) المصدر السابق ص 59.

37) وأحمد بن محمد المقري ـ نفح الطيب ـ المكتبة التجارية القاهرة 1949 ج 6 ص 101.

38) حركات ـ المغرب عبر التاريخ ج 1 ص 224.

39) أبو عبيد الله البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ـ نشر البارون دي سلان ص 172 ـ 174.

ملامح من التواصل الثقافي بين المغرب والسودان في العصر السعدي

للأستاذ عبد الجواد السقاط

لعل الحديث عن التواصل الثقافي بين المغرب والسودان في العصر السعدي، يدخل في إطار شبكة من العلاقات التي كانت قائمة بين هذين القطرين على امتداد المستويات والعصور، كما يدخل في إطار شبكة أخرى من العلاقات بين المغرب ودول القارة السمراء عموماً.

ولعل هذا التواصل الثقافي بين البلدين، لم يكن وليد العصر السعدي، وإنما تمتد جذوره في أعماق التاريخ، علما بأن «العلاقات المغربية السودانية ترجع في تاريخها إلى عهد بعيد، وإن تطورت بعد انتشار الإسلام[1]».

فمن المعروف تاريخيا أن بلاد السودان كانت في القرن الثالث الهجري معبراً للقوافل التجارية المغربية نحو بعض بلدان الخليج العربي، وفق ما يؤكده الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله إذ يقول : «وترجع هذه الصلة إلى القرن الثالث الهجري حيث كانت القوافل التجارية المغربية تمر بسجلماسة خلال بلاد تشاد والسودان للتوجه إلى اليمن والخليج العربي، وخاصة مدينة البصرة الشرقية التي سميت بها بصرة المغرب قرب القصر الكبير»[2].

ولقد استمرت هذه العلاقة في عهد المرابطين الذين «تاخمت مضاربهم الأولى حوض السينغال، وأدت حركتهم الإصلاحية في مطلع القرن الخامس الهجري إلى تدفق سيل الإسلام على حوض النيجر وسائر جهات غرب إفريقية»[3] فمن المعلوم - حسب بعض المصادر التاريخية أن القادة المرابطين قد عملوا على فتح السودان، سواء تحت قيادة الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني الذي «غزا... السودان فاستولى منها على نحو تسعين مرحلة»[4] وذلك عام 453 هـ، أو في عهد يوسف بن تاشفين الذي «ملك في المغرب من جزائر بني مرغنة إلى طنجة إلى آخر السوس إلى جبال الذهب من بلاد السودان»[5] أو في أيام علي بن يوسف بن تاشفين الذي «ملك من بجاية إلى آخر بلاد السوس، وملك في القبلة من سجلماسة إلى جبل الذهب من بلاد السودان»[6].

ويكفي أن نشير إلى استمرار هذا التواصل في العصر الموحدي بما ورد في كتاب الاستقصا من أن الأديب السوداني أبا إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمي[7] قد دخل

1) المغرب في عهد الدولة السعدية، ص 147.
2) الموسوعة المغربية، معلمة الصحراء، ملحق 1، ص 127.
3) الحركة الفكرية بالمغرب، ج 1، ص 70.
4) الإعلام، ج 1، ص 203.
5) الجذوة، القسم الثاني، ص 545.
6) نفس المصدر السابق والقسم، ص 460.
7) نسبة إلى كانم، وكانم «بكسر النون : من بلاد البربر بأقصى المغرب في بلاد السودان، وقيل : كانم صنف من السودان» (معجم البلدان، المجلد الرابع، ص 432).

على يعقوب المنصور الموحدي فأنشده :

أزال حجـــابـــه عني وعيني
تراه من المهـــابـــة في حجـــاب

وقربني تفضلـــه ولكن
بعـــدت مهـــابـــة عنـــد اقترابي[8]

ولعل في هذا الشاهد ما يدل على التمازج الثقافي الذي كان قائماً بين البلدين في هذه الحقبة، متمثلا في تواجد بعض الأدباء السودانيين في المغرب، ومساهمتهم في العطاء، والإبداع الأدبي مساهمة لاشك أنها تلاقحت بالإبداع المغربي الصرف تأثراً وتأثيراً، كما كان الشأن مع الأدب الأندلسي وأعلامه؛ بل يدل هذا الشاهد أيضاً على مدى المكانة التي كان يتمتع بها الأدباء السودانيون في المغرب خلال هذه الفترة، إلى درجة أزال فيها المنصور حجابه عن أبي إسحاق وقربه منه.

ولعل أبا إسحاق هذا، غير عالم وشاعر سوداني آخر، ومن أهل كانم كذلك، هو إبراهيم بن محمد بن فارس بن شاكلة الذكواني الذي هو أيضاً «قدم المغرب قبل الستمائة بيسير، وسكن مراكش... وكان عالماً بالأدب شاعراً مفلقاً.[9]

ومن دون شك أن هذا التواصل الثقافي قد امتد ونما في العصر المريني بعد ذلك، خاصة وأننا نجد المغرب والسودان خلال هذه المرحلة تجمعهما علاقات تجارية متعددة كان المغرب فيها يستورد من السودان الذهب والرقيق والجلود والعاج وغيرها، في حين كان يصدر إليه المواد الغذائية والخيول والمنسوجات وبعض المعادن.[10]

وطبيعي في جو كهذا يطبعه التعامل والترابط، أن يكون التواصل الثقافي حاضراً فيه، وأن يستمر المغاربة في دعم هذا التواصل سيراً على نهج أسلافهم الأقدمين، يؤكد ذلك ـ على سبيل المثال ـ العالم المغربي عبد الله بن أحمد بن سعيد الزموري[11] الذي «وصل إلى بلاد ولاتن المتصلة ببلاد السودان، وأقرأ أهلها، ولقي هناك فقهاءها فأثنى عليهم في العلم، ثم رجع»[12] ؛ كما يؤكده الأديب الشاعر إبراهيم بن محمد الساحلي الغرناطي[13] الذي ورد في الإعلام نقلا عن العز بن جماعة قوله : « قدم علينا من المغرب سنة أربع وعشرين وسبعمائة، ثم رجع إلى المغرب في هذه السنة»[14]، وورد في الكتيبة الكامنة أنه «لما آنس بكساد سوقه، من بعد بوقه... ارتحل، وبإثمد ملك السودان اكتحل»[15].

ولعلنا نلاحظ في العصر المريني مدى المكانة التي كانت تحتلها الثقافة المغربية ومراكز هذه الثقافة في نفوس السودانيين حكاما وشعبا، وخاصة مدينة فاس التي تعتبر من أهم هذه المراكز، ولاسيما باحتضانها لجامع القرويين الشهير، إلى حد كانت قبلة الطلبة والعلماء السودانيين، يفدون عليها لينهلوا من حياضها ويأخذوا عن علمائها وأعلامها.

ولعلنا ندعم هذه الملاحظة بما ورد في كتاب «تاريخ السودان» عندما كان المؤلف يتحدث عن الفقيه القاضي كاتب موسى، إذ جعله « من علماء السودان الذين رحلوا إلى فاس لتعلم العلم في دولة أهل ملى بأمر السلطان العدل الحاج موسى»[16]؛ ولعل الأمر الذي تلقاه كاتب موسى لم يكن ليخصه وحده، بل ـ وكما يفهم من القولة الشاهد ـ كان أمرا يهم مجموعة من طلبة السودان ليشدوا الرحال نحو المغرب طلبا للعلم، وبحثا عن مصادر الاستفادة والتعلم.

---

8) الاستقصا، ج 5، ص 103.

9) مات عام 608 أو 609 هـ. انظره في التكملة ص 177 والإعلام، ج 1، ص 153.

10) انظر تفاصيل ذلك في كتاب العلاقة التجارية بين المغرب والسودان في العصر المريني.

11) كان حيا عام 888 هـ. انظره في نيل الابتهاج، ص 161.

12) نيل الابتهاج، ص 161.

13) مات بمراكش سنة نيف وأربعين وسبعمائة حسب ابن جماعة، أو عام 744 هـ بمالي حسب ابن الأحمر، أو عام 747 هـ بتمبكتو حسب المقري نقلا عن ابن أجروم. انظره في الإحاطة، ج 1، ص 329 ـ 341، والكتيبة الكامنة، ص 235 ـ 238، ونفح الطيب، المجلد الثاني، ص 194 ـ 195، ونثير فرائد الجمان، ص 308، والإعلام، ج 1، ص 173 ـ 175؛ ومهما يكن الرجل أندلسيا فنحن نعتمد عليه هنا باعتباره أقام في المغرب زمانا واحتك بجوه الثقافي.

14) الإعلام، ج 1، ص 174.

15) الكتيبة الكامنة، ص 235.

16) تاريخ السودان، ص 57.

وقد نضيف إلى هذا ـ وفي العصر المريني دائما ـ ما يزكي المكانة العلمية للمغاربة عند أهالي السودان، إذ كان بعضهم يختار للقيام بمهمة الكتابة لدى بعض ملوك السودان، وهي المهمة التي تتطلب من القائم بها أن يكون على حظ كبير من الثقافة والاطلاع ـ وكذا الإبداع أحيانا ـ كما هو الشأن عند القائمين بها سواء في المغرب أو الأندلس. وفي هذا المضمار نسوق بعضا من كلام المؤرخ السوداني عبد الرحمن السعيدي وهو يتحدث عن الملك السوداني سُنّ علي[17] وعن بطشه ببعض رعاياه إذ يقول : «وكما فعل أيضا بكاتبه إبراهيم الخضر، وهو فاسي، جاء لتنبكت وسكن فيه في حومة الجامع الكبير»[18].

ولعل الأمر ظل على هذه الحال، حتى إذا كان «قيام حركة السعديين كانت العلاقات الثقافية قائمة بين المغرب وممالك السودان، يقصدها علماء من فجيج وفاس وسوس، فيستوطنها البعض نهائيا، ويقيم فيها آخرون سنوات قبل أن يرجعوا إلى مساقط رؤوسهم»[19].

☆ ☆ ☆

ولعلنا ونحن نتقصى هذه العلاقات، محتاجون أولا إلى تحديد مظاهرها، وإبراز الجوانب التي تجليها وتوضحها، ويمكن القول بأنها متعددة مظاهر يمكن طرح بعضها فيما يلي :

1) ظاهرة الرحلة من المغرب نحو السودان، إذ نجد مجموعة من علماء المغرب يتجهون نحو السودان فيستوطنونه، ويمارسون فيه نشاطهم العلمي والإبداعي، سواء أقاموا فيه إلى حين وفاتهم، أو استوطنوه مدة ثم عادوا إلى المغرب. فمن هؤلاء نكتفي بذكر :

- العالم محمد بن يوسف الزياتي[20] الذي انتقل إلى السودان، وراح ينشر علمه هناك إلى أن أدركه الموت ؛
- العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي[21] الذي تنقل في مراكز سودانية كثيرة قبل أن يلبي داعي ربه بتوات عام 909 هـ.
- العالم عبد الرحمن بن علي سقين السفياني[22] الذي استقر بالسودان سنوات عديدة قبل أن يعود إلى فاس حيث ودع الحياة بها ؛
- العالم مخلوف بن علي بن صالح البلبالي[23] الذي «دخل بلاد السودان كبلد كند وكشن وغيرها، وأقرأ أهلها... ثم دخل تمبكتو ودرس هناك، ثم رجع إلى المغرب»[24] ؛
- العالم محمد بن محمد بن أبي بكر العصنوني التواتي[25] الذي «درس في الصحراء والسودان ومراكش».[26]
- العالم سالم بن محمد بن أبي بكر العصنوني التواتي[27] الذي «وصل نفوذه إلى بلاد السودان فأسلم على يده كثير من الوثنيين، ومن ضمنهم سلطان كاني تفه»[28] :

---

17) دخل السلطنة ـ كما يقول السعيدي ـ عام 869 هـ، وبقي سلطانا 27 أو 28 سنة.
18) تاريخ السودان، ص 68.
19) الحركة الفكرية بالمغرب، ج 1، ص 70.
20) مات بعد عام 990 هـ، انظره في أزهار البستان، ص 8، ودرة الحجال، ج 2، ص 238، ونشر المثاني، ج 1، ص 43، والحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 458.
21) أغلب الظن أنه مغربي حسبما جاء في كتاب «الحركة الفكرية بالمغرب»، ج 1، ص 268، الهامش رقم 4 : «والجدير بالإشارة أن مغيلة من البرابرة البتر، كانت منهم فرقتان : إحداهما في المغرب الأوسط بقرب مصب نهر شلف شمالي مستغانم، وقد انقرضت منذ عهد ابن خلدون، وبقيت الفرقة الأخرى بالمغرب، الأقصى في ضواحي فاس»، والراجح أن صاحبنا هذا منها.
22) مات عام 956 هـ، انظره في مصادر متعددة منها : درة الحجال، ج 3، ص 96، وشجرة النور الزكية، ص 279، والفكر السامي، ج 4، ص 102، وفهرس الفهارس والأثبات، ج 2، ص 333 ـ 334، ونيل الابتهاج، ص 176 ـ 177، والحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 349.
23) مات بعد عام 940 هـ، انظره في نيل الابتهاج، ص 344، وطبقات الحضيكي ج 2، ص 122، والإعلام، ج 7، ص 235، والبلبالي ـ كما جاء في المصدر الأخير والجزء والصفحة، الهامش رقم 1 ـ «نسبة إلى قرية بلبالة (تابلبالت بالبربرية) المغربية الموجودة بتافيلالت جنوبي قرية الطاووس».
24) نيل الابتهاج، ص 344.
25) مات بعد عام 1010 هـ، انظره في الحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 632.
26) الحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 632.
27) مات عام 968 هـ، انظره في درة الحجال، ج 3، ص 312 ـ 313، والحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، 631 ـ 632، أما صاحب نشر المثاني، ج 1، ص 118 فيجعل وفاته عام 1013 هـ.
28) الحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، 632.

● العالم محمد بن محمد التواتي[29] الذي درس على الشيخ محمد بن أبي بكر بغيغ أحد كبار علماء السودان.

2) ظاهرة الرحلة من السودان نحو المغرب، إذ نجد في مقابل هذه الرحلة المغربية نحو السودان، مجموعة من العلماء السودانيين الذين كانوا يفدون على المغرب فيستوطنونه ويواصلون فيه نشاطهم العلمي في مختلف المراكز الثقافية كمراكش وسوس وغيرها، نقتصر منهم على ذكر :

● العالم أحمد بابا السوداني[30] الذي استقر بالمغرب مدة غير قصيرة، يزاول نشاطه الفكري، ويستجمع مادة دسمة لكتابة «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»، والذي أنشد في التشويق إلى بلاده :

أيا قاصدا كاغو فعج نحو بلدتي
وزمزم لهم باسمي وبلغ أحبتي

سلاما عطيرا من غريب وشائق
إلى وطن الأحباب رهطي وجيرتي

أبي زيدهم شيخ الفضائل والهدى
وصنو بني عمي وأقرب إسوتي

وسيفي بسيف البين سل لفقدهم
علي وهد الموت ركني وعمدتي

ولا تنس عبد الله ذا النجد والندى
فقد مد حزني فقد قومي وعشرتي

وشبان بيتي* غادروا عن أخيرهم
إلى مالك الأملاك في وقت غربتي[13]

فوا أسفا منين وحزني عليهم
فيارب فارحمهم بواسع رحمة[32]

● العالم الشاعر عبد الحكيم الجوراري[33] قاضي تكورارين الذي أكد المؤرخ المغربي أحمد بن القاضي أنه اجتمع به بمدينة مراكش عام 998 هـ (34) ؛

● العالم أبو حفص عمر بن الحاج أحمد بن عمر أقيت[35] «المتوفي شهيدا في مدينة مراكش» (36) ؛

● العالم القاضي العاقب[37] الذي استوطن مراكش بدليل أن ابنه سيف السنة وابنته عائشة ماتا بها[38] كما أثبت ذلك عبد الرحمن السعدي في تاريخه[39] ؛

● العالم أحمد بن أند غمحمد السوداني[40] الذي دخل إلى المغرب للاتصال بأعلام العصر، ودرس مدة في إيليغ بالأطلس الصغير[41].

3) تصدر علماء البلدين للتدريس بأهم المساجد المتواجدة في بعض المراكز الثقافية بالقطرين ؛ فقد تقدم مثلا أن العالم المغربي مخلوف بن علي بن صالح البلبالي درس في مراكز ثقافية سودانية كبلد كند وكشن وتمبكتو، ونضيف في المقابل - وعلى سبيل المثال كذلك - تصدر العالم أحمد بابا السوداني للتدريس في مسجد الشرفاء بمراكش، وتتلمذ الكثير من أعلام المغرب إذ ذاك عليه ؛ فقد ورد في كتاب الفوائد الجمة قول المؤلف عنه : «ومن العجب أنه لما تصدر للإقراء بجامع الشرفاء بمراكش ورد مجلسه لسماع الحديث وأخذ الرواية عنه أكابر فضلاء مراكش وصدور العلماء كالمفتي الإمام المتفنن عبد الله

29) ولد عام 941 هـ. انظره في درة الحجال، ج 2، ص 162، والإعلام، ج 5، ص 180.
30) مات عام 1036 هـ. انظره في مصادر متعددة منها : نشر المثاني، ج 1، ص 271، ونزهة الحادي، ص 97 - 98، والفوائد الجمة، ورقة 45 - 46، وروضة الآس، ص 303 - 315، والإعلام، ج 1، ص 302 - 307.
31) *في الأصل «ساروا»، ولكن الوزن بها لا يستقيم، فلعل الأنسب ما أثبتناه.
32) نزهة الحادي، ص 98.
33) انظره في درة الحجال، ج 3، ص 162، والإعلام، ج 8، ص 34.
34) درة الحجال، ج 3، ص 162.
35) من رجال القرن الحادي عشر الهجري، انظره في تاريخ السودان، ص 31.
36) تاريخ السودان، ص 31.
37) انظره في نيل الابتهاج ص 217.
38) ماتا معا عام 1005 هـ.
39) تاريخ السودان، ص 213 - 214.
40) مات عام 1045 هـ. انظره في تاريخ السودان، ص 295، ونشر المثاني، ج 1، ص 331، والحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 637.
41) الحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 637.

الرجراجي[42]، وقاضي فاس العالم المتفنن أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني،[43] وقاضي مكناسة الفقيه الرحالة أبي العباس بن القاضي المكناسي[44] في آخرين ممن لا يأخذهم الحصر».[45]

4) تنويج الممارسة العلمية - إلى جانب الإقراء والإجازة وغيرها - بتأليف الكتب ووضع التصانيف في بعض وجوه المعرفة؛ وربما كان أبرز مثال في هذا المجال وضع العالم السوداني أحمد بابا التمبكتي لكتابه : «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»، وهو الكتاب الذي استدرك به ما غفل عنه ابن فرحون في «الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب» وقال عنه مؤلفه : «بوصولي إلى منبع العلم في الديار المغربية حضرة الإمام العلية والمولوية الهاشمية الأحمدية المنصورية... بادرت إلى كتب ذلك الذيل... وأردت أن أخدم خزانته المشتملة على الطم والرم من كتب العلم، أهديته وإن كنت في صنعي كجالب تمر إلى هجر أو قارض شعر لدى أهل حضر»[46]، وذلك بالرغم من دسامة مادته وكثرة تراجمه، حتى جاء - حسب قول مؤلفه - «بحمد الله تعالى فوق ما أردت وزائداً على ما نويت وقصدت».[47]

ولابد من الإشارة إلى أن تأليف السوداني لمصنفه، وإهداءه إياه للخزانة المنصورية، إنما هو سنة نجدها عند غيره من العلماء أمثال أحمد المقري التلمساني الذي ألف كتابه «روضة الآس» فأهداه بدوره إلى الخزانة الأحمدية المنصورية. ولعلهما فعلا ذلك اقتداء بعلماء المغرب وأدبائه «الذين كانوا يتبارون في تأليف الكتب برسم تلك الخزانة».[48]

5) اعتماد بعض المصنفات المغربية في الدرس السوداني، حيث نلاحظ اهتمام طلبة السودان وعلمائه بالفكر المغربي من خلال ما ألفه المغاربة في موضوعات شتى ربما كانت السيرة النبوية أبرز موضوع فيها، وخاصة كتاب الشفا للقاضي عياض الذي احتل مكان الصدارة من بين المؤلفات المغربية، ولعلنا من خلال جولة في كتاب تاريخ السودان نقف على عدد من علماء السودان الذين كانوا يسردون هذا الكتاب في حلقات دروسهم أمثال :

- أبي عبد الله أند غمحمد بن الفقيه المختار النحوي بن أند غمحمد المسرد «لكتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله تعالى في رمضان في مسجد سنكرى»؛[49]
- أبي عبد الله محمد بن الإمام أند غمحمد «المسرد لكتاب الشفاء للقاضي عياض بعد موت أبيه في مسجد سنكرى إلى أن مات»؛[50]
- أبي حفص عمر بن الحاج أحمد بن عمر أقيت «المسرد لكتاب الشفاء في كل يوم رمضان في مسجد سنكرى»؛[51]
- الحاج أحمد جد أحد بابا صاحب نيل الابتهاج الذي كان «محبا في النبي ﷺ ملازما لقراءة قصائد مدحه وشفا عياض على الدوام»؛[52]
- محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي بغيع الذي قرأ عليه العالم أحمد بابا السوداني شفا عياض؛[53]
- عمر بن محمد بن عمر الذي «كان يقرأ كتاب الشفا للقاضي عياض على العلامة الحافظ الفقيه أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت»،[54]

---

42) ....

43) مات عام 1032 هـ، انظره في مصادر كثيرة منها نشر المثاني، ج 1، ص 254، والتقاط الدرر، ص 80 - 81، وروضة الآس، ص 335 - 336، وسلوة الأنفاس، ج 2، ص 104.

44) مات عام 1025 هـ، انظره في مصادر كثيرة منها : روضة الآس، ص 239 - 299، والتقاط الدرر، ص 69 - 71، وفهرس الفهارس والأثبات، ج 1، ص 177، والزاوية الدلائية، ص 86، ومقدمة كتابه المنتقى المقصور.

45) الفوائد الجمة، ورقة 45.

46) نيل الابتهاج، النسخة المخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم د 766، ص 1.

47) نيل الابتهاج، النسخة المطبوعة، ص 2.

48) روضة الآس، المقدمة، ص ك.

49) تاريخ السودان، ص 29.

50) تاريخ السودان، ص 39.

51) تاريخ السودان، ص 31.

52) تاريخ السودان، ص 46.

53) تاريخ السودان، ص 55.

54) نشر المثاني، ج 1، ص 331.

6) اعتماد بعض الكتب السودانية في الدرس المغربي، حيث أتيح لهذه الكتب أن تتداول ويعتمد عليها تحليلا وتفسيرا، كما هو الشأن مثلا بالنسبة للعالم أحمد بن أند غمحمد الذي وضع شرحاً على الجرومية قال عنه ابن الطيب القادري :

«وشرحه على الجرومية متداول بفاس»،[55] وكما هو الشأن كذلك بالنسبة للعالم أحمد بابا السوداني وكتابه نيل الابتهاج بتطريز الديباج الذي يعتبر في المغرب من أهم مصادر تراجم علماء المذهب المالكي وفقهائه، سواء كانوا مغاربة أو غير مغاربة.

7) التشابه الذي كان قائما بين البلدين في مجالات متعددة منها الحضاري والديني واللغوي وكذا الثقافي، وذلك بفعل التأثير المغربي في واجهات الحياة السودانية المختلفة. وقد أكد الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله هذا التأثير بقوله :

«وقد تجلى أثر الحضارة المغربية في السودان في انتشار المذهب المالكي وتشابه الأعراف والعادات وحتى اللهجة العامية ومنهجيات التعليم في الخلوة (أي الكتاب) والمساجد وحفظ المتون ووحدة الاتجاهات الصوفية»[56]؛ ولعل هذا التشابه ـ وفي الميدان الصوفي خاصة ـ هو الذي حمل بعض السودانيين على الانتماء إلى بعض الزوايا في المغرب كالفقيه أند غمحمد بن ملوك بن أحمد بن الحاج الدليمي الذي كان «من أهل الزاوية في المغرب».[57]

☆ ☆ ☆

ولعلنا بعد تحديد معظم المظاهر التي تجلى من خلالها ذلك التواصل الثقافي بين البلدين، محتاجون إلى النظر في بعض العوامل التي شجعت على هذا التواصل، وكانت وراء تلاحمه وامتداده. ولئن كانت هذه العوامل كثيرة ومتعددة، فنحن هنا نقتصر على ذكر بعضها مثل :

ـ استمرار العلاقة التجارية بين القطرين، هذه العلاقة التي جعلت من المغرب معبراً لذهب السودان نحو أوروبا، إذ «تخرج القوافل المحملة بذهب السودان من تمبكتو سالكة عبر الصحراء الطريق المستقيم الذي يمر بمعادن الملح الشهيرة في تاودني وتغازي فلكتاوة، أو من كاغو معرجة شرقاً نحو توات فجلماسة، ومن جني وتمبكتو معرجة غرباً إلى واحدة ودان فتاكوست بسوس، لتلتقي كلها في مدينة مراكش، وعن طريق الموانئ المغربية تأخذ أوروبا حظها من المعدن الثمين»؛[58] ونفس الشيء يؤكده محمد المختار السوسي وهو يتحدث عن إيليغ في العصر السعدي إذ يقول : «تخطت الإيالة تمبكتو وتاودني إلى غينية فاستولت هناك على المعادن التي كان السلطان مولاي أحمد الذهبي يغترف منها ثروة هائلة من الذهب الخام، كما أنها استولت على تجارة تلك الناحية فتستورد السلع السودانية فتصدرها إلى أوروبا على يد التجار الأوروبيين في أكادير وماسة».[59]

ـ طابع الرحلة من المغرب نحو البلاد الإسلامية الأخرى، وهو طابع عرف به المغاربة منذ القديم، إما لأداء مناسك الحج بالمشرق، وإما لطلب العلم أو نشره، وإما ـ وخاصة في أوائل العصر السعدي ـ للاسترزاق والاستغناء. فمعروف عن العالم عبد الرحمن بن علي سقين أنه خلال إقامته بالسودان «استغنى بعد إملاق وتمتع بعد حرمان»[60] ومعروف كذلك عن العالم محمد بن يوسف الزياتي أنه «هاجر إلى بلاد السودان لينشر بها علمه وليدرك من الثروة والمكانة ما أدركه العلما المهاجرون قبله»[61]، ومعروف أيضاً عن العالم إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي[62] أنه «ذهب مغاضبا إلى السودان حيث استقر بمدينة كيني من مملكة برنق، وتابع خطته في التعليم والإرشاد»[63] إلى أن توفي هناك.

55) الموسوعة المغربية، معلمة الصحراء، ملحق 1، ص 127.
56) تاريخ السودان، ص 31.
57) الحركة الفكرية بالمغرب، ج 1، ص 49.
58) إيليغ قديماً وحديثاً، ص 92.
59) الحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 349.
60) الحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 458.

61) مات حوالي 954 هـ. انظره في مصادر متعددة منها الجذوة، القسم الأول، ص 99 ـ 101، والحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 512.
62) الحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 512.
63) انظر أخبار هذا الفتح في مصادر ومراجع تاريخية متعددة منها مناهل الصفا، ص 58 ـ 94، والاستقصا، ج 5، ص 121 ـ 125 والمغرب في عهد الدولة السعدية ص 145 ـ 173.

- فتح أحمد المنصور الذهبي لبلاد السودان عام 999 هـ)[64] وهو الفتح الذي تغنى به شعراء المرحلة من أمثال عبد العزيز الفشتالي[65] القائل في مستهل قصيدة :

جيش الصباح على الدجى متدفق
فبياض ذا لسواد ذاك ممحق
وكأنه رايات عسكرك التي
طلعت على السودان بيضا تخفق
لاحت وأفقهم ليال كله
كمود صبح في الدجى يتألق
نثرت لتطوي منه ليلا دامسا
أضحى بسيفك ذي الفقار يمزق[66]

ومحمد بن علي الفشتالي[67] القائل من قصيدة :

قولوا لملك السود إذ جمحت به
جهلا سوابق غيه في مجهل
تلك العساكر مدها من ربها
والرأي عند عميدها لم يهمل
إن البغاث وإن تكاثر عدها
ما شأنها في البطش شأن الأجدل
لا تعجبوا من نصر كل جيوشه
فالرعب بعض جيوشه في جحفل[68]

ومحمد بن علي الهوزالي[69] الذي يقول من قصيدة وهو يتحدث عن جيوش المنصور في هذا الفتح :

غدت تحمل الموت الزؤام يحوطها
ويكنفها يمن يشيعه نصر
فحلت بأرض السود لم يثن عزمها
مهالك صد عن مهالكها الذعر[70]

وكذلك علي بن منصور الشيظمي[71] الذي يركز على رغبة المنصور في إعلاء كلمة الإسلام بديار السودان إذ يقول من قصيدة :

ملك شفا الدين من أدوائه وكفى
داء من الجوف فيه الكفر معبود
كذا شفى الصدر من داء الجنوب ولم
يدع به أسوداً تعنو له السود[72]

وأيضاً علي بن أحمد المسفيوي[73] الذي يتغنى بدوره بهذا الفتح قائلاً :

فتح كمنبلج الصباح المسفر
تجنيه من وقع القنا المتاطر
ريعت به أمم الجنوب كأنها
نقد سوائم أجفلت من قسور[74].

هذا علاوة على بعض القصائد التاريخية كرائية محمد بن أحمد الدادسي المعروف بالكبير[75] التي «استعرض فيها أحداث عصره، وذكر حملة السودان مؤرخا الأحداث بحساب الجمل».[76]

ولقد ترتب عن هذا الفتح هجرة العديد من علماء السودان وفقهائه نحو المغرب، وخاصة إلى العاصمة مراكش، واستيطان معظمهم بها إلى حين الوفاة، ومن هؤلاء نذكر :

---

64) مات عام 1031 هـ، انظره في مصادر متعددة مناهل الصفا في صفحات متفرقة وروضة الآس، ص 112 ـ 123، ونزهة الحادي ص 164؛ والتقاط الدرر، ص 79 ـ 80، وكذلك ـ بصفة خاصة ـ كتاب «شعر عبد العزيز الفشتالي».

65) شعر عبد العزيز الفشتالي، ص 355.

66) مات عام 1021 هـ، انظره في مصادر منها درة الحجال، ج 2، ص 109 ـ 201، وروضة الآس ص 27 ـ 29، ومناهل الصفا في صفحات متفرقة، والحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 399.

67) مناهل الصفا، ص 73.

68) مات عام 1012 هـ، انظره في مصادر منها روضة الآس، ص 99 ـ 108، ودرة الحجال، ج 2، ص 233، والفوائد الجمة، ورقة 40 ـ 41، ومناهل الصفا في صفحات متفرقة، والحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 408.

69) مناهل الصفا، ص 76.

70) مات بعد عام 1012 هـ، انظره في مصادر منها روضة الآس، ص 173 ـ 182، ودرة الحجال، ج 3، ص 258 ـ 259، ومناهل الصفا في صفحات متفرقة، والحركة الفكرية بالمغرب، ودرة الحجال، ج 3، ص 258 ـ 259، ومناهل الصفا في صفحات متفرقة، والحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 397.

71) مناهل الصفا، ص 88.

72) مات عام 1032 هـ، انظره في مصادر منها روضة الآس، ص 163 ـ 173، ومناهل الصفا في صفحات متفرقة، ودرة الحجال، ج 2، ص 240 ـ 241، والحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 401.

73) مناهل الصفا، ص 89.

74) مات عام 1029 هـ، انظره في الدرر المرصعة، ص 300، وطبقات الحضيكي ج 2، ص 87، والحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 532.

75) الحركة الفكرية بالمغرب، ج 2، ص 532.

76) تاريخ السودان، ص 212.

● الشيخ أبا حفص عمر بن محمود المتوفى بمراكش عام 1003 هـ، والمدفون بمجاورة القاضي أبي الفضل عياض؛[77]

● الشيخ الفقيه أبا زيد عبد الرحمن بن محمود بن عمر المتوفى بمدينة مراكش عام 1005 هـ؛[78]

● الفقيه عمر بن الحاج أحمد بن عمر المعروف ببابا كري المتوفي كذلك بمراكش في السنة نفسها؛[79]

● الشيخ الفقيه أبا محمد عبد الله بن محمد بن عمر المتوفى هو الآخر بمدينة مراكش، وفي ذات السنة؛[80]

● الشيخ عبد الله بن محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى أيضا بمراكش عام 1006 هـ.[81]

☆ ☆ ☆

وهكذا يتضح أخيراً أن العلاقات الثقافية بين المغرب والسودان في العصر السعدي قد عرفت تطوراً ملحوظا على واجهات مختلفة، وبرزت من خلال مجموعة من المظاهر التي شكلت هذه العلاقات، انطلاقاً من عدد وفير من العوامل التي وطدتها وشجعت عليها وبذلك يتأكد مرة أخرى الدور الطلائعي الذي لعبه ويلعبه المغرب كمركز للإشعاع الثقافي والفكري يرسل أنواره مشرقة وضاءة على مناطق شاسعة من القارة السمراء، ويساهم بكفاءاته العلمية وطاقاته الفكرية في مسيرة العرفان بهذه المناطق. وما التواصل الثقافي بين المغرب والسودان، وفي حقبة محددة هي العصر السعدي، إلا وجه من وجود هذه المساهمة، ولون من ألوان شموليتها واستمراريتها.

الرباط : عبد الجواد السقاط

---

77) تاريخ السودان، ص 214.
78) تاريخ السودان، ص 214.
79) تاريخ السودان، ص 214.
80) نيل الابتهاج، ص 161.

ثبت المصادر والمراجع المذكورة في الهوامش

- الإحاطة في أخبار غرناطة.
لِلسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية في ثلاثة أجزاء، الشركة المصرية للطباعة والنشر القاهرة، 1393 هـ، 1973م.
- أزهار البستان في مناقب الشيخ أبي محمد عبد الرحمن.
لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقم د 2074 من ص 1 إلى ص 119.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى.
لأحمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري طبعة دار الكتاب بالدار البيضاء في تسعة أجزاء.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام.
لعباس بن إبراهيم، تحقيق الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط (1974 ـ 1983م) في عشرة أجزاء.
- التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر.
لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403 هـ ـ 1973م.
- إيليغ قديماً وحديثاً.
لمحمد المختار السوسي، تعليق محمد بن عبد الله الروداني، المطبعة الملكية، الرباط، 1386 هـ، 1966.
- تاريخ السودان.
لعبد الرحمن بن عبد الله السعيدي، عناية السيد هوداس مطبعة بردين بمدينة أنجي 1898م.
- التكملة لكتاب الصلة.
لمحمد بن عبد الله المعروف بابن الأبار، تصحيح السيد عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة بمصر.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس.
لأحمد بن القاضي المكناسي، طبعة دار المنصور للطباعة والوراقة في قسمين، الرباط، 1973م.
- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين.
للدكتور محمد حجي، مطبعة فضالة ـ المحمدية في جزأين، 1398 هـ، 1978م.
- درة الحجال في أسماء الرجال.
لأحمد بن القاضي المكناسي، تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، طبعة دار التراث في ثلاثة أجزاء.
- الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة.
لمحمد المكي الناصري، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 265.
روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس.
لأحمد المقري التلمساني، المطبعة الملكية بالرباط، 1383 هـ، 1964م.
- الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي للدكتور محمد حجي، المطبعة الوطنية بالرباط، 1384 هـ، 1964م.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس.
لمحمد بن جعفر الكتاني، المطبعة الحجرية بفاس في ثلاثة أجزاء، 1316 هـ.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية.
لمحمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- شعر عبد العزيز الفشتالي.
لنجاة المريني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1986م.
- طبقات الحضيكي.
لمحمد بن أحمد السوسي، المطبعة العربية بالدار البيضاء في جزأين، 1357 هـ، 1938م.
- العلاقة التجارية بين المغرب والسودان في العصر المريني (668 هـ ـ 759 هـ).
لماجدة كريمي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقونة بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
- الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي.
لمحمد الحجوي الثعالبي، مطبعة إدارة المعارف بالرباط في أربعة أجزاء، 1926 ـ 1930م.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات.
لعبد الحي الكتاني، المطبعة الجديدة بفاس في جزأين، 1346 هـ.
- الفوائد الجمة في أسانيد علوم الأمة.
لأبي زيد عبد الرحمن التمنارتي، مخطوط مصور في مجلدين بالخزانة العامة بالرباط، رقم د 1420.
- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب.
تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، 1397 هـ، 1977م.
- المغرب في عهد الدولة السعدية.
للدكتور عبد الكريم كريم، شركة الطبعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1398 هـ، 1978م.
- مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا.
لعبد العزيز الفشتالي، تحقيق عبد الله كنون، المطبعة المهدية، تطوان، 1384 هـ، 1964م.
- المنتقى المقصور على مآثر المنصور.
لأحمد بن القاضي المكناسي، تحقيق محمد زروق، مطبعة المعارف الجديدة بالرباط، 1986م.
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية.
لعبد العزيز بن عبد الله، مطبعة فضالة، المحمدية 1396 هـ، 1976م.
- نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان.
لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1967م.
- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي.
لمحمد الصغير اليفرني، تصحيح السيد هوداس، منشورات بردى، الرباط.
- نشر المثاني.
لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق الدكتور محمد حجي والأستاذ أحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر في أربعة أجزاء.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.
لأحمد المقري التلمساني، تحقيق الدكتور إحسان عباس، طبعة دار صادر بيروت في ثمانية مجلدات.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج.
لأحمد بابا التمبكتي السوداني، مطبعة المعاهد، 1351 هـ.

الرباط ـ عبد الجواد السقاط

العلاقات التجارية بين المغرب والسودان على عهد المرينيين

للأستاذة ماجدة كريمي

كان الموضوع الذي اخترته مجالا لبحث أطروحتي يخص المبادلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي على عهد المرينيين وذلك في الفترة الممتدة من سنة 668 هـ إلى حدود سنة 759 هـ الموافق لـ 1269 م و1358 م.

وقد وددت بالبحث في هذا الموضوع ملء ركن من ملف العلاقات بين المغرب والسودان الغربي، هذا الملف الذي لازال في حاجة كبيرة لمن يملأ أركانا أخرى منه.

فعلا، لم يبرز اهتمام بالقارة السمراء : تاريخها، حضارتها، اقتصادها إلا في الآونة الأخيرة، وقد برز خاصة بين صفوف الباحثين الإنجليز والألمان والفرنسيين وذلك لما أتاحت لهم فرصة استعمار مختلف أجزاء الجنوب الإفريقي من الاطلاع عن كثب على تلك المجتمعات بما تحمله بين طياتها من تاريخ عريق وحضارة قديمة.

وإذا كان الأوربيون قد سبقونا في كشف الستار عن تاريخ جنوب قارتنا فهم مهدوا لنا الطريق للبحث في العلاقات بين شرقي افريقيا نظرا لما قدموه من دراسات متعددة، فبقي لنا أن نتابع الطريق ونعمل على توضيح ما غمض من علاقاتنا بافريقيا جنوب الصحراء : اثنيا، دبلوماسيا، حضاريا، واقتصاديا.

فمن هذه الزاوية انصب اهتمامي على المبادلات التجارية التي ربطت المغرب بالسودان الغربي حيث شكلت التجارة الوسيلة الرئيسية التي شملت الطرفين في إطار علاقات موطدة بينما جاءت التأثيرات الحضارية والثقافية مسايرة لذلك النشاط التجاري.

وقد خصصت مجال بحثي أكثر، حينما اقتصرت على عهد المرينيين وبالضبط فترة الاستقرار السياسي والتي تحددت حسب المؤرخين من سنة 668 هـ إلى حدود سنة 759 هـ. فهي من جهة تمثل عهد عودة التجارة الصحراوية إلى سابق نشاطها وحيويتها بعد أن كانت قد عرفت ركودا ملحوظا اثر انهيار الامبراطورية الموحدية، ومن جهة أخرى تمثل هذه الفترة نهاية الوساطة المغربية بين جنوب افريقيا وجنوب أوربا ذلك أنه في نهاية القرن 14 م سوف تتخطى ممالك أوربا الجنوبية بلاد المغرب لتصل مباشرة إلى أهم المراكز التجارية بالسودان الغربي.

ولعل ما قدمته لنا مختلف المصادر وخاصة منها كتب الرحالة والجغرافيين التي تعد ركيزة لكل باحث في حقل الإفريقيات مثل : البكري - الإدريسي - أبو حامد الغرناطي - أبو الفدا - ابن بطوطة - الحميري - الحسن الوزان... وغيرهم، وكذا الدراسات القيمة لكل من «بادل

دافيدسون وديلافوس، وبونين وماماي ريمون وميمي جاك وجام دوفيس» وغيرهم.

لعل كل ما قدمته لنا هذه الكتابات كان خير مساعد لي على الإحاطة بجوانب الموضوع، هذا الموضوع الذي جعلني أخوض غمار البحث في علاقات تجارية ربطت ثلاث كتل جيوسياسية متباينة جغرافيا واقتصاديا واجتماعيا وحضاريا وأعني بها افريقيا الشمالية ـ افريقيا الجنوبية ثم أوربا الجنوبية هذا دون إغفال النطاق الصحراوي الذي شكل المعبر الأساسي الذي نهجه تجار افريقيا الشمالية لبلوغ بلاد الذهب.

ومن هنا كان علي البحث في المقومات الاقتصادية لكل نطاق على حدة حتى أتمكن من رصد الخيوط الرفيعة التي ربطت تلك الكتل الجيوسياسية في إطار تجارة موحدة.

ـ ففيما يخص الصحراء، وقد يبدو لأول وهلة أنها تشكل إقليم فصل وليس إقليم وصل، شكلت على العكس الخط الواصل بين الأقطار المتاخمة لها شمالا وجنوبا. فهي وإن كانت تتميز بارتفاع حرارتها وعواصفها الرملية وقلة أبارها وحيوانتها المفترسة وكذا انتشار الأمراض المميتة بها فلم تكن أبدا عائقا يحول دون رحيل التجار المغاربة.

فباعتبارها المعبر الوحيد لبلوغ بلاد السودان ـ ذلك أنه لم يقع الاتصال بها عبر المحيط الأطلسي إلا بعد أن تم كشف رأس بوجدور من طرف البرتغاليين سنة 1434 م،
ـ عمل الرحالة على التكيف مع ظروفها الطبيعية.

ـ فحددوا فترة بداية السفر في فصل الخريف ويليه فصل الشتاء الذي يقضونه ببلاد السودان على أن تكون العودة إلى المغرب في أواخر هذا الفصل إذ بذلك يصادفون المراعي والماء المتوفر في طريقهم مما يخفف من وطأة الرحلة. وعلى هذا فهم يصلون المغرب قبل انتهاء فصل الربيع.

ـ وإلى جانب هذا انتقوا من الحيوانات تلك التي تتحمل قساوة الظروف الطبيعية وهو الجمل ليكون الوسيلة الأساسية للتنقل عبر الصحراء بل ويكون حيلة يستدركون بها بعض الوقت ذلك أنه لما لا يعثر الرحالة على آبار يضطرون لنحر جمالهم وشرب الماء الموجود في بطونها مما يسمح لهم بالسير بعض الوقت إلى أن يصلوا إلى الأماكن التي تتوفر على الماء.

ـ هذا ونظموا الوظائف داخل القافلة الراحلة فكانت وظيفة «الدليل» أو «المرشد» أو «الخبير» عمادها نظرا للمهام الصعبة التي أنيطت به. فقد كان عليه قيادة القافلة إلى أن تبلغ أول مدينة سودانية ثم معالجة المرضى من المسافرين والفصل بين المتخاصمين منهم، والأهم من هذا القيام بالمفاوضات اللازمة مع القبائل العربية المتواجدة بالتخوم الصحراوية.

ـ وإلى جانب هذا عمل الرحالة على التكيف مع الظروف البشرية المتواجدة بالنطاق الصحراوي مقر تواجد الطوارق والقبائل المعقلية. فبحكم معرفتهم بالموارد الطبيعية هناك كالآبار والمراعي ومعرفتهم بالمسالك المؤدية إلى بلاد السودان فرضوا الإتاوة على التجار الذين يجتازون تلك الأراضي مقابل ما يقدمونه لهم من مساعدة وحماية ـ ومن هنا حرص التجار على مصادقتهم بما يقدمونه لهم من مواد غذائية ومال.

خلاصة القول إنه إذا تحمل التجار المغاربة صعوبة الظروف الطبيعية والبشرية بالصحراء نظرا لكونها تشكل المعبر الوحيد لبلوغ بلاد السودان، فإن الإنتاج الصحراوي ليشكل السبب الثاني لتحمل التجار المغاربة أهوال السفر عبر تلك الفيافي.

فعلا فالصحراء بلاد التمور والحناء وتاسرغينت والملح... وهذا جانب لا يمكن إغفاله، فبدونه يكون أثر الصحراء محدودا في تنشيط حركة التبادل. ولعل أهمية الصحراء تتمثل خاصة فيما تحتوي عليه من مناجم الملح إذ بها ممالح أوليل ـ تغازا ادجيل، ونحن نعلم ما لهذه البضاعة من أهمية كبرى ببلاد السودان. فقد اعتبر الملح «سلعة عملة» يعطى مقابلها التبر وزنابوزن بل أن ملوك السودان كانوا يمنحون الذهب مقابل الملح أكثر مما يمنحونه لأي سلعة أخرى مهما كانت قيمتها.

هذا ولا ننسى بعض المواد العطرية، التي تعد إنتاجا صحراويا مطلوبا لدى السودانيين كالقرفة وتاسرغينت فقد ورد عند ابن بطوطة : لم يكن المسافر إلى بلاد السودان يحتاج أخذ دنانير أو دراهم معه فكل ما يلزمه هو حمل قطع صغيرة من الملح وبعض النظم والتوابل كالقرفة وتاسرغينت.

والآن لننتقل إلى النطاق الثاني وأعني به افريقيا الشمالية وبالأخص المغرب الأقصى حيث كان أكثر دول الشمال الإفريقي ارتباطا بالسودان الغربي.

وقبل تعداد معالم المقومات الاقتصادية لهذا النطاق أشير أنه لا يجب اعتبار المغرب بلدا اكتفى بدور الوساطة في نقل البضائع بين كل من السودان الغربي والمشرق وأوربا بل إنه هو الآخر ساهم في حركة هذا النشاط التجاري ببضائعه ومنتجاته المحلية.

فقد كان خير مزود لبلاد السودان ببعض المواد الغذائية التي تتحمل صعوبة الظروف الطبيعية مثل الحبوب التي اعتبرت أهم بضاعة يجني منها المغاربة أرباحا طائلة نظرا لغلائها المفرط. ولعل القيام بمسح جغرافي لمختلف المناطق الفلاحية بالمغرب ليقدم لنا دليلا قاطعا عما يزخر به هذا البلد من مواد وثروة حيوانية جد مطلوبة ببلاد السودان.

وأشير هنا أن المواد الفلاحية لم تكن البضاعة الوحيدة التي غزت بلاد السودان بل هناك المواد المصنعة كذلك وأهمها النسيج. فبعد أن انتشر الإسلام هناك بشكل واسع منذ ق 5 هـ/ق 11 م وجد المغرب بالسودان الغربي سوقا رائجة لمنتوجاته. وقد كان لتوفره على المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة من صوف وقطن وكتان وكذا الصباغات المستعملة في هذا الإطار من حناء وتكاوت وصمغ وقرمزية وزعفران وشب لتثبيت تلك الأصبغة بالمنسوجات، كان لكل هذا دور أساسي في أن يكون المغرب الممون الأول لبلاد السودان بالمنسوجات.

وحتى بعد أن بدت بوادر صناعة النسيج بالسودان الغربي وذلك في القرن 8 هـ/ق 14 م كان المغرب يصدر إليه المواد الخام اللازمة لذلك من صوف وقطن.

وأخيرا شكلت المعادن رصيدا هاما من صادرات المغرب إلى بلاد السودان وأهمها النحاس وقد كان ثمنه باهظا نظرا لقلته أولا وقبل كل شيء وثانيا لأنه كان يستعمل كعملة للتبادل التجاري داخل السودان الغربي، هذا وكان يستعمل لصناعة الحلي وصناعة تماثيل صغيرة لعبادتها.

أما الفضة وهي أقل أهمية من النحاس فإنها لم تكن تستخدم إلا لصناعة الحلي، وأخير الحديد ثم المرجان الذي تنتجه مدينة سبتة وهو يصدر إما كمادة خام أو مصنعة.

- أما فيما يخص النطاق الثالث وهو السودان الغربي، فإذا كانت الجلود اللمطية وجلود ماعز غدامس والعاج والصمغ تشكل قسطا لابأس به من صادرات بلاد السودان نحو الشمال فإن مادة الذهب وتجارة الرقيق تبقى أهمها.

فقد ظل السودان الغربي ما بين القرن 2 هـ. و9 هـ/ق 8 م/وق 15م الممون الرئيسي للمغرب فيما يخص مادة الذهب. فقد كان يزوده بكميات هائلة من هذا المعدن فلعب هذا الأخير دور الوسيط في نقله إلى أوربا الجنوبية : وأشير هنا إلى أن هذه الوساطة لم تتأكد إلا مع بداية الطور الثاني من ق 5 هـ واستمرت إلى حدود ق 9 هـ. وأعتمد في تحديدي لهذا التاريخ مواكبته لفترة بداية اكتشاف أهم المناجم الذهبية بالسودان الغربي وأعني بها مناجم : بامبوك - بوري وأخيرا لوبي.

ولا يفوتني في هذا المجال ذكر ما كان لذهب السودان من دور طلائعي في تدعيم القطاع النقدي بالمغرب ذلك أن مراكز سك العملة اعتمدته في ضرب نقودها.

اما الرقيق، فإذا كانت هذه «البضاعة» (هذا المصطلح بين عارضتين) تحتل المكانة الثانية بعد الذهب نظرا لكون العبيد السود أبهظ ثمنا من أولائك الذين كان يحصل عليهم المغرب في حركاته الجهادية بالأندلس، فقد صارت تحتل مكانة أهم مع الحكم المريني نظرا للانتكاسة التي عرفتها السلطة المغربية في محاولاتها الجهادية بالأندلس.

وبهذا نجد العبيد السود قد صاروا يشكلون طبقة اجتماعية شاركت المغاربة في كل جانب من حياتهم. فنجدهم في بلاط الملوك وعلية القوم كما نجدهم محاربين في الجيش وفلاحين في الواحات الصحراوية وعمالا يستخرجون المعادن بل وتجارا يرأسون القوافل إذا ما نالوا ثقة رؤسائهم.

- وأخيرا ننتقل إلى أوربا الجنوبية. وقد كان لابد أن تشكل ركنا مهما من أركان التجارة الصحراوية قبل كل شيء بحكم الموقع الجغرافي. ذلك أن جنوب أوربا يعد أول بقعة تطأها أرجل المغاربة بعد اجتياز البحر المتوسط، وثانيا بحكم الحاجة الماسة إلى بعض المواد الغذائية وأهمها الحبوب والأسماك والخيول... وكذا بعض المواد السودانية كالجلود والذهب والرقيق... ثالثا وأخيرا بحكم كون أوربا الجنوبية مصدر الكثير من المنتجات المرغوب فيها ببلاد السودان وأهمها : المنتجات الزجاجية كالحلي والأساور والقلائد والمنسوجات والأغطية والنحاس.

وفي هذا الباب أشير أنه إذا كانت أوربا تحصل على الذهب من المغرب على شكل عملة فانه مالبث أن اشتدت حاجتها إلى هذا المعدن كمادة خام لتقوم هي بنفسها بسك العملة وصناعة الحلي وتزيين المنسوجات الحريرية الرفيعة. فكان ذلك مواكبا للحكم المريني بالمغرب ومن هنا سعت كل من ممالك اسبانيا المسيحية والمدن الإيطالية وفرنسا واسبانيا الإسلامية إلى ربط علاقات الود والصداقة مع السلاطين الجدد. بل وأن التجار الأوربيين الذين كانوا إلى حدود ق 7 هـ/ق 13 م متمركزين بالموانئ المغربية بدأوا منذ القرن 8 هـ/ق 14 م يتسربون إلى داخل البلاد فوجدوا بمدينة فاس وسجلماسة وكذلك بلاد السودان. ومن هنا لم تعد أوربا الجنوبية ترضى بالوساطة المغربية للحصول على الذهب فعملت على تخطيه لتصل مباشرة إلى السودان الغربي عبر المحيط الأطلسي. وقد تم لها ذلك بالفعل في ق 9 هـ/ق 15 م بعد أن نجح البرتغاليون في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والسيطرة على السواحل الإفريقية.

- وهكذا وبعد القيام برصد لأهم المقومات الاقتصادية لكل هذه الأطراف يتضح لنا التكامل الاقتصادي الذي شمل القارة الإفريقية بشقيها شمالا وجنوبا وكذا جنوب القارة الأوربية والنطاق الصحراوي في إطار تجارة موحدة. وبهذا يبقى إظهار هذا التكامل الاقتصادي وإبراز الوساطة المغربية الإشكالية الأساسية التي حاولت إبرازها طوال أطروحتي.

ولعل أهم ما عملت على إبرازه كذلك هو أن هذه التجارة الصحراوية كانت من الأهمية بمكان إذ درت على أصحابها الأموال الطائلة، وخير دليل على ذلك أن عنصرا اثنيا معروفا بميولاته التجارية شكل عنصرا رئيسيا من المستفدين منها أعني به اليهود، فقد تواجد هذا العنصر الاثني بالتخوم الصحراوية منذ ق 3 هـ/ق 9 م وذلك في كل من منبسط درعة وسوس وسجلماسة، بل أنه وجد بالسودان الغربي نفسه مثل بلاد لملم وناحية تونبكتو، وظل يستفيد من موارد هذه التجارة رغم ما عانى من اضطهاد عهد المرابطين وخاصة الموحدين وذلك إلى حدود ق 9 هـ/ق 15 م حيث عرفت التجارة الصحراوية تراجعا ملحوظا بعد أن تم اكتشاف فضة وذهب أمريكا.

كما أن العلاقات العدائية بين المرينيين وجيرانهم شرقا تشكل دليلا آخر على أهمية التجارة الصحراوية. فما الصراع المريني - العبد الوادي وكذا الصراع المريني - الحفصي إلا تنافسا حول احتكار المسالك التجارية المؤدية إلى بلاد السودان. فالصراع بين دول المغرب العربي تركز حول ثلاثة مراكز : سجلماسة - تلمسان - تونس، وكلها تشكل منافذ مهمة نحو الجنوب.

- ولا يفوتني في هذا العرض أن أشير إلى نقطة أساسية تطلبت مني بابا بأكمله وأعني بها المسالك التجارية وما واكبها من نشاط عمراني وقيام مراكز حضرية. وتنقسم هذه المسالك إلى ثلاثة أقسام :

1 - محور سجلماسة - شمال المغرب : وقد كان له أهمية كبرى في إيصال البضائع السودانية إلى كل من جنوب أوربا وباقي دول المغرب العربي بل والمشرق، إذ

كانت تنطلق من مدينة فاس عدة طرق : منها ما هو صوب سبتة فمضيق جبل طارق ثم جنوب أوربا، ومنها ما هو صوب تلمسان فقسنطينة فالقيروان وغيرها عبر مضيق تازة.

2 - محور سجلماسة - جنوب المغرب : وقوامه ثلاثة مسالك : مسلك سجلماسة - نول - أوليل / مسلك سجلماسة - أودغشت - غانة / مسلك سجلماسة - تغازا - ولاتة.

ولعل فهم ما سجلته في هذا الإطار هو أن انتقال المسالك التجارية من الغرب إلى الشرق كان مواكبا لتغير السلطات الحاكمة وانتقال مراكزها السياسة ابتداء من غانة فمالي فصنغاي. بدليل أن انتعاش مسلك سجلماسة - نول أوليل وسجلماسة - أودغشت غانة كان مواكبا لازدهار امبراطورية غانة. كما أن انتعاش مسلك سجلماسة - تغازا - ولاته كان مواكبا لازدهار امبراطورية مالي.

أما بعد أن تألق نجم امبراطورية صنغاي صارت المسالك التجارية نحو الشرق أكثر، فصارت تنطلق من تونبكتو وكاوو وكوكيا لتتصل بالشمال الإفريقي عبر توات وورگلة وكذلك عبر غات وغدامس.

3 - مسالك التجارة داخل بلاد السودان : ورصدها من الأهمية بمكان لأن كثيرا من السلع السودانية كالذهب والرقيق لم تكن موجودة بالمراكز السودانية الواقعة شمالا، بل كانت هذه المراكز تلعب دور الوسيط في الربط بين أقصى المناطق السودانية المنتجة لتلك البضائع وبين المغرب.

ولعل أهم سمة للمسالك داخل بلاد السودان أنها تتجمع بنقطة واحدة هي غانة فتتجه غربا لتبلغ صنغانة ومنها تتصل بجنوب المغرب ثم تتجه شرقا لتبلغ تادمكة ومنها تتصل بالقيروان عبر غدامس. وبهذا تبقى كل من غانة وصنغانة وتادمكة أهم نوافذ السودان الغربي على افريقيا الشمالية.

فمن خلال البحث في مختلف المسالك التجارية اتضح لي أن أهم المركز الحضرية سواء بالمغرب أو السودان الغربي وجدت على طول تلك المسالك، مما يؤكد ظاهرة ارتباط ازدهار المدينة بأهمية القاعدة الاقتصادية وخاصة التجارة منها ومن هنا خصصت دراستي بالحواضر المغربية الآتية : سبتة - فاس - سجلماسة : وهي تقع على طول محور سجلماسة - شمال المغرب. كما خصصت دراستي بالحواضر السودانية التالية : ولاتة - مالي - تكدا - تونبكتو - جتي، وهي أشهر الأسواق السودانية التي كانت تقام بها المبادلات - المغربية - السودانية.

أظن أنني قد وضعت من خلال هذا العرض الإشكالية التي حاولت تحليلها في ثنايا الأطروحة. وقبل الانتهاء أود أن أذكر بعض المصاعب التي واجهتني وقد تحددت في أربع نقط :

1 - صعوبة معالجة موضوع اقتصادي وخاصة في العصر الوسيط حيث لم أجد أحدا من المؤرخين تطرق لهذا الموضوع بعينه بل كنت أجد المعلومات الاقتصادية مبعثرة بين ثنايا أحداث سياسية واجتماعية.

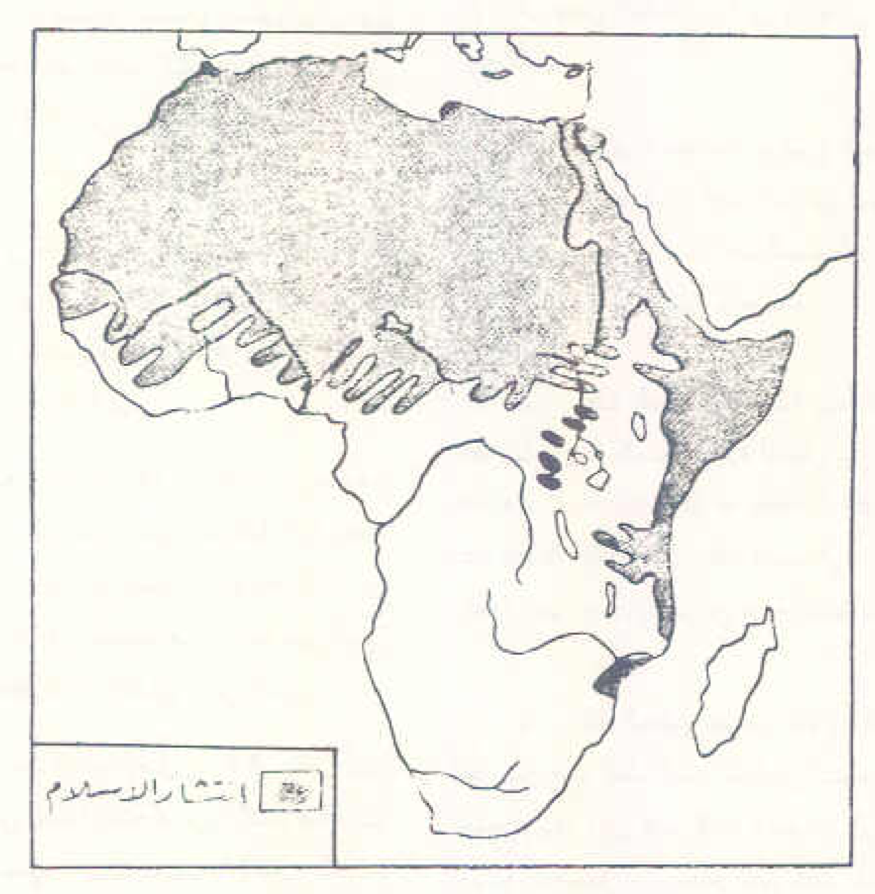
2 - قلة المراجع المهتمة بهذا الموضوع أن لم أقل انعدامها. وبهذا كنت مضطرة للتنقل بين جامعة السربون و La Bibliothèque des langues et civilisations Orientales Centre des Etudes Africaines بباريس - وقد حصلت بالفعل على مصادر ومراجع قيمة أثبتها بالبيبليوغرافيا.

3 - قلة المعلومات عن التجارة المرقئية بالمصادر العربية مع العلم أنها تشكل الوجه الآخر للتجارة الصحراوية. ومن هنا كان لابد من الرجوع إلى مصادر أوربية، وحينما كان يتعذر على ذلك كنت أكتفي بالرجوع إلى المراجع التي اعتمدت تلك المصادر.

4 - قلة المادة المصدرية فيما يخص بعض جوانب التجارة الصحراوية. وفي هذا الإطار أذكر مشكل انعدام دفاتر الحسابات حيث تثبت السلع وأسلوب البيع والشراء.

حقيقة أننا نعلم أن المقايضة واستعمال العملات قد شكلت الطريقة الأساسية للتبادل التجاري داخل السودان الغربي. وقد أعطيت عدة نماذج عن ذلك. مثل كانع التي تتعامل بالنحاس حسب ما ورد عند العمري، وكوغة وكوكو وتتعاملان بالودع حسب ما ورد عند ابن بطوطة، إلا أن السؤال يبقى مطروحا : وهو هل التاجر المغربي المتنقل بين مختلف المدن السودانية كان يضطر أن يأخذ معه كل هذه المواد وعندما يبلغ إحدى المدن يستعمل المادة المتعامل بها هناك أم أنه يكفيه أن يملك إحدى تلك المواد لاستعمالها في أية مدينة سودانية كانت ويشتري بها أية بضاعة أراد ؟!

فاس : ماجدة كريمي



مصور يمثل رقعة انتشار الإسلام في عموم افريقية

الفتح المغربي لبلاد السودان

للدكتور عبد الكريم كريم

بعد سقوط الأندلس واستيلاء البرتغال والإسبان على معظم السواحل المغربية، انطلقت حركات الجهاد التي تعددت قواعدها بتعدد مراكز الاحتلال والتي أفسدت على الغزاة كل محاولة للتوغل داخل البلاد.

وازداد الشعور بالخطر عندما قاد الملك البرتغالي (دون سباستيان) الحملة الصليبية التي انهزمت بوادي المخازن يوم الإثنين 30 جمادى الأولى عام 896 هـ الموافق 4 غشت 1578.

وخلال الربع الأخير من القرن العاشر للهجرة ظل المغاربة حذرين من أي تحرك إسباني يستهدف الانتقام لهزيمة الحملة الصليبية في المخازن أو التمركز في قواعد تهدد بلاد الإسلام وديار المسلمين في غربي افريقيا وبلاد السودان التي تربطها بالمغرب علاقات دينية واقتصادية منذ قرون بعيدة.

وحرصاً من المولى أحمد المنصور السعدي على تدعيم هذه الروابط وللحيلولة دون أي تهديد خارجي، سارع إلى بسط النفوذ على المنطقة الساحلية مابين درعة ونهر السينغال عام 992 هـ/1585 (وخاضوا القفر مع الساحل إلى السودان فوصلوا إليها من بعد الجهد لتسعين مرحلة متصلة من ثغور ممالك العرب القبلية... وارتحلت العساكر تخترق ممالك السودان حتى انتهت لخليج النيل المنبعث من قاصية السودان... وكان الذي استجاب لهم ودان بالطاعة والانقياد من عرب الفلاة فقط وأممهم الذين ينتجعون الكلأ في مجالات القفر الممتد من ثغور المغرب القبلية إلى ممالك السودان بالجنوب نيفا وأربعين ألف خيمة)[1].

وبذلك حال المنصور دون أي تدخل للإسبان في بلاد السودان رغم احتلالهم لجزيرة (أركان) القريبة من الرأس الأبيض ومصب نهر السينغال (...العساكر والأجناد التي جعلناها لنكاية عدو الدين بالمرصاد واعتدناها للذب عن كلمة الإسلام وحياطة البلاد والعباد)[2] أو القيام بأي تبشير مسيحي (ولما رأيناهم قد أتوا من الغواية... وتفاقم الأمر حتى... النزوع إلى دين النصرانية واستبدال الملة التوحيدية بالملة التثليثية فوجهوا وفدا خاض من بلادهم ثبج البحر إلى الإشبونة قاعدة برتغال من بلاد الكفر حتى أتوا منها بقسيسين يفقهونهم في دين الطاغوت وعقائد

1) عبد العزيز الفشتالي : مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا. ص 80.
2) عبد الله كنون : رسائل سعدية. ص 132.

اللاهوت... فانقدح بذلك دين النصرانية فيمن يليهم انقداح النار حتى تفاقم الداء واستشرى ورجعت كلمة الإسلام في تلك الآفاق القهقرى...)[3] وتمتعت نتيجة لذلك بلاد السودان بالطمأنينة والسلام (وهي جنود الله التي لولا ما حجزت بينكم وبين طواغيت الشرك سيوفها القاصمة وضربت في وجه الكفر دونكم بأسوارها العاصمة... لفاض عليكم طوفانه السائل وسال على أرضكم منه شؤبوب هاطل. وكبحت عنكم عنان الكفر حتى تمتم في كفالتها آمنين وفي حياطتها وادعين مطمئنين).[4]

غير أن اضطراب الأوضاع الداخلية لدولة سنغاي الممتدة على الحوض الأوسط لنهر النيجر والمضاعفات الخطيرة التي ترتبت عنها في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (ثم بدلوا نعمة الله كفراً وما تركوا شيئاً من معاصي الله تعالى إلا وارتكبوها جهرا)[5] جعلت أحوال السودانيين تتصف (بالأحوال الذميمة والطبائع الرذيلة)[6] وإيامهم بأنها (أيام بؤس ومجاعة)،[7] وأصوات الاستغاثة وطلبات النجدة التي وصلت إلى المنصور وهو الحريص على (لم شعث المسلمين ودعم دعائم الدين وتشييد معالم الجهاد وإخماد شرر الكفر)[8] جعلته يرسل قوات عسكرية لإقرار الأمن والطمأنينة، وفي شهر جمادى الأولى 999 هـ الموافق لمارس 1591م وصلت القوات المغربية إلى تمبوكتو وشرعت (في التمهيد وتسكين الشارد وتأمين الطريد وخفض الجناح حتى اطمأنت النفوس المستتة في مجال القلق واستقرت الأفئدة الجائشة).[9]

ومن الذين استقبلوا القوات المغربية استقبال الفاتحين قاضي القضاة بتمبوكتو عمر بن محمود بن عمر وخطيب جامع كاغو محمود رامي (وتلقاهم الخطيب المذكور بالترحيب والإكرام واضافهم إضافة فاخرة كبيرة)[10] وعدد كبير من الأمراء السودانيين (وكان ممن انخذل عنه أخوه في نحو ثلاثمائة من إخوته ووجوه عساكره ورؤساء دولته... راسل أجناد المنصور ليصل يده بأيديهم.[11]

وعن عدالة الحكم المغربي للسودان يؤكد المؤرخ السوداني عبد الرحمن السعيدي بأن أسلوب أغلبية المسؤولين المغاربة كان محموداً :

فعندما أخذت الأوضاع تستقر ولو على بلاد السودان الاسكيا سليمان (وأكرم الباشا سليمان غاية الإكرام حتى جعله اسكيا عليهم).[12]

وقد كان الباشا منصور (رجلا مباركا عدلا ذا حكم شديد في الجيش وأمسك أيدي الظلمة والفسقة على المسلمين فصار يحبه الضعفاء والمساكين ويبغضه الفسقة والظالمون).[13]

أما الباشا محمد طابع (فذو معرفة وذو رأي وتدبير).[14]

والباشا سليمان كان (ذا همة عالية ورأي فائق وتدبير عجيب وحكم شديد وسار بذلك في الجيش كله).[15]

وعن القائد مامي المغرب ذكر السعيدي في تاريخه (ثم جاء القائد مامي إلى جني... وأصلح من أمور البلاد ما أصلح... ثم رجع القائد مامي لتمبوكتو وقد استقام الحال بحيث لم يبق في تلك الناحية ما يشوش البال والحمد لله الكبير المتعال).[16]

---

3) مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط. ك 278. ص 187.
4) رسائل سعدية . ص 132.
5) عبد الرحمن السعيدي : تاريخ السودان، ص 135.
6) المصدر نفسه. ص 135.
7) نفس المصدر. ص 122.
8) المناهل. ص 133.
9) المناهل. ص 148.
10) تاريخ السودان، ص 141.
11) المناهل. ص 153.
12) المناهل. ص 152.
13) تاريخ السودان. ص 177.
14) المصدر نفسه.
15) نفس المصدر. ص 190.
16) تاريخ السودان. ص 162.

وهكذا ساد الأمن والاستقرار مجموع بلاد السودان وازدهرت بالتالي أحوالها الاقتصادية (وعن قريب إن شاء الله تعود تلك الأقطار تزهو على جلق وشط الفرات ويطير صيتها في الخصب فتمير القاصي والداني من أقاليم السودان.[17]

وبالفتح المغربي للسودان (اجتمعت اليوم بحمد الله بانتظام هذه الممالك كلمة الإسلام وارتقى الأمر بحول الله إلى الكمال).[18]

و (الهمم الشريفة قد همت بتجديد الأسطول وكلفت بالاستكثار من المراكب الجهادية والآلات الحربية بما كان مولانا أمير المومنين أيده الله يؤمل من فتح جزيرة الأندلس وعبور البحر إليها بجنود الله وعساكر الإسلام لتجديد رسوم الإيمان بها وافتكاكها من أيد الكفر المتغلب عليها).[19]

الدكتور : عبد الكريم كريم



منظر لمسجد ليبروفيل ـ الكونغو

17) المناهل، ص 167.
18) المناهل، ص 145.
19) المناهل، ص 170.



مستقبل الإسلام في نيجيريا

للأستاذ محمد الادريسي

نيجيريا دولة تتكون من أربعة أقاليم :

هي نيجيريا الغربية، ونيجيريا الشرقية. ونيجيريا الشمالية، وإقليم لاغوس عاصمة الدولة الإتحادية.

ونيجيريا تقع في القسم الغربي من افريقيا يحدها المحيط الأطلسي من الجنوب وهي بين بلدين افريقيين هما الداهومي في الشرق والكاميرون في الغرب... أما في الشمال فهناك جمهورية النيجر، ويقع اتحاد نيجيريا على مساحة تقدر ب 965 ألف كلم² أي ثلاثة أضعاف مساحة الجزر البريطانية التي كانت تسيطر على هذه البلاد.

تعتبر نيجيريا أكبر دولة إفريقية من حيث عدد السكان إذ يبلغ تعدادهم قرابة 100 مليون نسمة غالبيتهم مسلمون، وهذا العدد يكاد يساوي مجموع المسلمين في بقية القارة الأفريقية حسبما أوردته جريدة (السياسة)[1].

وقد دخل الإسلام إلى نيجيريا من شمال البلاد في فترات مختلفة أيام المرابطين خصوصا أثناء حكم يوسف بن تاشفين، وبقي ينتشر في هذا القسم حتى ساد وبذلك فرض وجوده على أرضية الشمال، وبدأ يغزو الجنوب رغم أن المسيحية دخلت منه عن طريق الاستعمار الغربي الذي حاول جاهدا الوقوف في وجه الزحف الإسلامي المستمر للقضاء عليه فجند المبشرين وأنشأ مدارس التبشير، واستعمل وسائل القوة واستغل كل أساليب الإغراء وذلك للحيلولة دون استمرار المد الإسلامي.

وبقي الصراع بين شمال البلاد وغربها أي بين الإسلام والمسيحية، وهو صراع حسبت له القوى الصليبية العالمية ألف حساب. ومما زاد الطين بلة في نظر الاستعمار الغربي أن استقلال البلاد الذي تحقق في 16 نونبر 1960 كان على أيدي زعيمين خطيرين من زعماء أهم الأحزاب في شمال نيجيريا وهما : أحمد بيللو الذي كان رئيس حرب هيئة الشمال ورئيس وزراء الشمال وأبو بكر تفاوة رئيس الوزراء الاتحادي، فهما معا كانا وراء توسيع رقعة المد الإسلامي في عهدهما على صعيد نيجيريا، وهما معا ساهما مساهمة فعالة وعملا من أجل حرية البلاد.

ولكن حيكت المؤامرات ضد استقرار نيجيريا قصد عدم انتشار الإسلام فيها، وقد تولى كبر تلك المؤامرات العدو الصليبي والعدو الصهيوني اللذان خططا بخبث ونجاح لإزاحة الزعيمين بيللو وتفاوة عن مسرح الحياة. وكان ذلك منتظرا ومتوقعا لأن أحمد بيللو برهن عن إسلامه وإخلاصه للقضية الإسلامية الأولى في قرننا

1) بتاريخ 26 أبريل 1985.

العشرين فقد رفض هذا الزعيم المسلم أن ينحني لإرادة الاستعمار الإنجليزي برفضه رفضا قاطعا زيارة وزيرة خارجية إسرائيل لبلاده... وقال معبرا عن رفضه : (إن بلده إسلامي، ولا يسمح شعبه المسلم لمن دنس حرمة فلسطين ومناطقها المقدسة أن يدخل بلاده).

وكان جزاء الرئيس الزعيم أحمد بيللو ورفيقه أبي بكر تفاوة أن اغتيلا في انقلاب دموي دبر ليدمر البلاد ويأتي على الأخضر واليابس وبقيت آثاره إلى الآن.

ومنه ابتليت أفريقيا بالإنقلابات وهي تعاني الأمرين : لا وجود لاستقرار سياسي ولا بناء للهيكل الاقتصادي ولا تحسن في الحياة الاجتماعية رغم أنها غنية بثروات عظيمة وضخمة تشتمل على البترول والمعادن بإضافة الثروة الزراعية والثروة الحيوانية.

وكان الأسلوب في التدمير الذي تعرضت له نيجيريا تلافيا لتحقق أكبر وجود إسلامي في أفريقيا متمثلا في نيجيريا الاتحادية، وبقيت البلاد إثر ذلك الانقلاب المشئوم تقاسي وتقاسي، ومازال الإسلام يكافح ويجابه التبشير والتنصير الذي جند له دعاته جيوشا وخصصوا له ميزانيات ضخمة وخططوا لتمسيح افريقيا مركزين على نيجيريا، وهذه حقائق في الموضوع تشير إلى معوقات انتشار الإسلام في نيجيريا وما يعانيه المسلمون هناك اعتمادا على ما جاء في بحث للأستاذ عبد الباسط الذي كان يدرس في مدارس نيجيريا الشمالية، وكان مما قاله بالأرقام (كلنا يعرف أن نسبة المسلمين في نيجيريا تبلغ 77 ٪ من عدد السكان، ولكن هذه النسبة قد انخفضت الآن إلى 69 ٪ حسب تقديري[2] بسبب التخلف ونقص الوعي اللذين سادا أحوال المسلمين في السنوات الطويلة الماضية.

وإن سرعة انتشار الارتداد عن الدين، التي نشاهدها في الوقت الحاضر، يمكن أن تؤدي إلى جعل نسبة عدد المسلمين تنخفض إلى 30 ٪ في غضون السنوات العشرين القادمة. وان البعثات التبشيرية المسيحية الآن، تعمد مرارا ودائما إلى الإعلان عن اخفاقها في أعمالها التبشيرية، في نيجيريا الشمالية، ولكن هذا العمل ليس إلا خدعة تلجأ إليها هذه البعثات لتخدع المسلمين وتلهيهم عن خسائر من اخوانهم المسلمين الذين إرتدوا إلى النصرانية.

وهناك واحد وعشرون بعثة تبشيرية أجنبية، بالإضافة إلى المنظمات التبشيرية المحلية، وجميع هذه البعثات والمنظمات تقوم بالعمل التبشيري بجد ونشاط. ولهذه البعثات هيئات تبشيرية منتشرة في كل ناحية من نواحي نيجيريا، ومستشفيات ومدارس من مختلف المستويات، ومحلات لبيع الكتب، وكذلك محلات عامة تعرض الكتب التبشيرية مع البضائع الأخرى. وطبيعي أن الأرباح التي تنتج عن هذه الهيئات والمستشفيات والمدارس والمحلات والمكتبات تنفق كلها على الدعاية والنشاط التبشيرية.

وإن المدارس الحكومية التي تتبع لوزارة التربية النيجيرية يديرها بأجمعها مسيحيون، كما أن حوالي 90 ٪ من أعضاء المجالس التربوية المحلية هم من المسيحيين، ولهم السيطرة التامة على المدارس المحلية.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن 80 ٪ من المدرسين هم من النصارى، وهم يعتبرون أن التبشير أثناء التدريس هو جزء من واجبهم.

ومن ناحية أخرى. فإن المدرسين من المسلمين، لا يعرفون إلا أقل القليل عن دينهم، وليس لديهم الإمكانيات أو الاستعدادات لخدمة الإسلام. وباعتباري مدرسا، فقد أتيحت لي فرص عديدة للتحدث مع مئات من الطلاب. الذين ينتمون إلى أسر مسلمة، والذين تلقوا تعليمهم في مدارس تبشيرية، وقد تبين لي أن 90 ٪ منهم مسيحيون، وأن آل 10 ٪ لم يعلنوا أنهم مسيحيون، ولكنهم يقبلون كثيرا من الشبهات والشكوك حول الإسلام...

والمسلمون في نيجيريا، سواء كانوا مسنين أو شبابا، يعانون من عقدة النقص، فإذا ما سألت أحدا منهم عما إذا كان مسلما، فانه سوف يجيبك ببسمة، ثم يعتذر لك لكونه

---

2) إن هذا الانخفاض كان متوقعا بعد الإطاحة بنظام أحمد بيللو وأبي بكر تفاوة اللذين عملا في عهدهما على أسلمة نيجيريا.

مسلما. وبما أنهم يشعرون بالغضاضة لكونهم مسلمين فإنهم لا يردون على أي إساءة أو تشهير قد توجه للإسلام. وأننا نجد أن كتب التاريخ التي تدرس في المدارس مفعمة بالضغائن والاحقاد والاساءات للإسلام، ولكننا لا نجد أي صوت يرتفع ردا على هذه التهجمات على الإسلام.

وكذلك فإن عددا من الصحف والمجلات الدورية تبحث في حياة النبي ﷺ بلهجة خالية من الاحترام، ومليئة بالتهجم والإساءة، ولكن ما من أحد يقوم بالرد على هذه الصحف والمجلات.

وإن فقدان الثقة بالنفس، والخضوع المهين للإهانات، الموجودين لدى المسلمين، يمكن أن نعزوهما، برأيي، إلى جهلهم بالإسلام، وإلى تقدم جيرانهم المسيحيين وثرائهم، والمسلمون يعانون من فقرهم بالمؤلفات الإسلامية، التي تواجه هجمات النقاد المعادين للإسلام، ويعانون كذلك من فقدان الجو المسلم في بيوتهم، حيث يمكن أن يتولى تصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام، التي تقدمها المدارس لأبنائهم.

وبالإضافة إلى أثر النشاط التبشيري، فإن هناك أثر ارتفاع مد حركة الاتجاه إلى الغرب. وتقبل كل ما ينتجه من أفكار ونظرات إلى الحياة. وهي حركة تحيط بنيجيريا وتلتهمها بقوة وسرعة كبيرتين. حتى إن أي شيء يأتي من الغرب، يصبح له من القوة، مثل قوة النصوص المنزلة بالنسبة للمؤمنين)[3].

وقد جاء في كتاب الإسلام وتقاليد الجاهلية للأستاذ الداعية آدم عبد الله الالوري في معرض حديثه عن البقايا أو الآثار الجاهلية التي لا تزال قوية في نيجيريا المسلمة هي التفرقة العنصرية بين القبائل المسلمة، فترى البرناويين يرون أنفسهم أحسن قبائل نيجيريا، ثم يأتي الفلاتيون يعتقدون أنهم أهل البلاد، فيجب أن يعضوا عليها بالنواجذ مهما غلا الثمن، ثم ترى قبائل هوسا أنهم أحسن من قبائل يوربا، ولم تستطع الروح الإسلامية حتى الآن أن تنزع من قلوبهم هذه العصبيات حتى في المجال الديني. ومن مظاهر ذلك أنه قلما تجد هو ساويا أو فلاتيا يصلي وراء إمام يورباوي، حتى ولو كان يعيش بين أوساط يورباوية في بلاديوربا.

وإنما يبنون لقبيلتهم مسجدا خاصا ولو بجانب مسجد أهل البلد كمسجد الضرار لأنهم يزكون أنفسهم في إيما وعقيد تهم وعباداتهم ويتهمون البوريا بالنفاق والرياء وضعف الإيمان. وهذا ما لا يوجد بين المحيين في كنائسهم، وهذا داء عضال انفرد به مسلمو نيجيريا. وهذه حقيقة لا ينكرها أحد من الناس إلا مكابر، اللهم إلا ما كان حديثا من بعض المثقفين في لا غوس وأغيغي يعملون لإزالتها في الأوساط السياسية.

وبدأ الشعور من علماء هو سا كالشيخ محمد ناصر كيرا والقاضي أبو بكر قومي وغيرهم، فبدأ وإيحاربون هذه العصبية بطريق الحكمة، خصوصا عند إنشاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بضم سائر المنظمات من شتى القبائل، فعسى أن يفتح هذا باب التفاهم، وإزالة الفوارق بين المسلمين)[4].

وقد جاء في تحقيق نشرته السياسة الكويتية خاص بصندوق التعليم الإسلامي في نيجيريا، مجمله أن هذا الصندوق يحتاج إلى مساندة كبيرة من جانب الدول الإسلامية ليتمكن من مواجهة التعليم التنصيري في تلك البلاد، وورد في التحقيق بأن (معظم المسلمين محرومون من التعليم الإسلامي الذي يكافح رغم صعوبة ظروفه والذي يحتاج إلى تطوير في الكيف لتخريج المسلم المعتدل المتوازن، وإلى تطوير في الكم لتغطية احتياجات المسلمين الكثيرة. أما التعليم العصري الذي يستوعب معظم أبناء المسلمين فإنه يخرج أجيالا من الشخصيات التي لا تكاد تعرف عن دينها شيئا والتي تكون اهتماماتها هي

---

3) عن مجلة حضارة الإسلام، عدد 3 و4 في سنتها الثامنة عن (مأساة المسلمين في نيجيريا)، صفحة : 198 و200.

4) كتاب (الإسلام وتقاليد الجاهلية) وهو بحث يهدف إلى مواجهة قيادات إحياء التقاليد الوطنية في إفريقيا طبعة 1977.

تحصيل شهادة تعين حاملها على الفوز بوظيفة تضمن له العيش)[5].

أما عن حقيقة التبشير في نيجيريا فقد قالت الصحيفة على لسان صاحب التحقيق محمد سليمان الشمري : (ازدادت الأمور سوءا بسبب النشاط التبشيري الهائل الذي لوحظ أنه نما وتزايد في السنوات الأخيرة والذي يحظى بالتشجيع... وكعادة المبشرين، فإنهم يلجأون إلى المدرسة والمستشفى والكنيسة والكتاب والغذاء والندوات واللقاءات لتنصير المسلمين، أو على الأقل لإفسادهم وصرفهم عن دينهم.

وقد حاول المبشرون توظيف خطط التنمية في البلاد وتوجيهها لصالح أهدافهم، وتدل دراسة جهودهم على أنهم يقومون بعمل مخطط مدروس تقف وراءه إمكانات كبيرة).

إن الأضواء التي ألقيناها على أوضاع المسلمين في نيجيريا توضح لنا بالإحصاء المحنة الكبرى لأهل الإسلام في ذلك البلد من القارة الخضراء الذي يتعرض وغيره من بلدان أفريقيا إلى حملات شرسة لتغيير معتقد اتهم الإسلامية نحو المسيحية أو القاديانية وغيرها من الدعوات الهدامة أو نحو إحياء التقاليد الجاهلية للتمسك بها كعقائد، والمهم عند أعداء الإسلام ألا يبقى مسلموا القارة العذراء مسلمين بالمعنى الصحيح.

والأعداء موقنون بأن سكان القارة من الزنوج خاصة يجدون رغبا تهم ويرون وجودهم في الإسلام لأنه لا يعرف العنصرية ولا يقر التفريق على أساس اللون، وهكذا حتى لا يكون أو يتحقق إقبال جديد على اعتناق الإسلام في القارة، وخوفا من زحفه المرتقب يصنع الاعداء مشاكل ويحيكون مؤامرات في القارة توهم سكانها بأنها نتيجة إسلامهم، وقد كانت طريقة التجويع أحسن أسلوب وأخبثه نجح أعداء الإسلام فيه فكانت الفرص السانحة لهم ودخلوا إلى القارة من جديد بعد استقلال بلدانها في الظاهر : دخلوا باسم الإحسان والإنسانية وما هو إحسان لله كما يريد الله وكما جاء في مبادئ الإسلام وتعاليمه.

إن الدعوة الصادقة التي تتسم بالإنسانية حقا هي دعوة الإسلام التي لا تعرف التمييز والتفريق بين أحمر وأصفر أوبين أبيض وأسود.

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات : 13).

﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات : 10).

إن إحسان أهل التبشير وما يبدو منهم من إنسانية ما هو إلا تظاهر ونفاق، فالمهم عندهم وهو هدف كبير العمل على تقليل سواء المسلمين وتضييق نطاق أهاليه في أفريقيا كلها لأن انتشار الإسلام فيها وتثبيت أقدامه في ارضيتها في أفريقيا كلها قنبلة لاتطاق ولا مثيل لها في عالم القنابل خصوصا إذا كانت مع كثرة المسلمين قوة ووعي ومسؤولية وحضارة من وحي القرآن، وهذا كله هو ما يخشاه أعداء الإسلام في القرن العشرين.

فواجبنا نحو إخوة العقيدة في القارة الخضراء هو الدعم المستمر في شتى المجالات مع السهر الدائم لخير الدعوة هناك، وهذا الواجب نحوهم يعتبر من أمانة الدعوة إلى الإسلام التي هي في عنق كل مسلم، كل على قدر استطاعته :

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (التوبة : 105).

الرباط : محمد الإدريسي

5) صحيفة السياسة بتاريخ 26 أبريل 1985.

ناظر الوقف
وتعامله مع حركة التعليم الإسلامي

للأستاذ محمد بنعبد الله

- 13 -

I ناظر الوقف... وتعامله مع حركة التعليم الإسلامي :

يوجد، اليوم، بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمملكة المغربية، قسم خاص، ضمن أجهزة الوزارة، يُعْنَى بالتوجيه الديني، وَيَتَغَيَّا تعميق الوعي الخلقي، ويهدف إلى تبليغ الدعوة الإسلامية، وذلك بتنظيم وتوجيه حركة الوعظ والإرشاد، بالداخل والخارج، وتنشيط الحركة الفكرية والإسلامية... كما يهتم هذا القسم، أيضاً، بربط الصلات مع المنظمات والهيآت الإسلامية داخل العالم الإسلامي وخارجه، وضمن هذا القسم توجد مصلحة تكوين الأطر الدينية وتتألف من مكتب التسيير الإداري للمراكز الدينية، والترخيص بفتح الكتاتيب القرآنية، ومن مكتب تربوي يتولى القيام بإعداد البرامج والمناهج الدراسية، ومراقبة تطبيقها، كما يقوم بتنظيم دورات تدريبية لاستكمال تكوين الوعاظ والمرشدين..

وتهتم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، أيضاً، بالسهر على تكوين شباب متنور ملتزم أنشأت له بمدينة الدار البيضاء «المعهد العالي» لتكوين الأطر الدينية من وعاظ وخطباء ومرشدين. وهيأت له قضاء فترات تدريبية بالأزهر الشريف بمدينة القاهرة - مصر، بعد تخرجهم من المعهد العالي... ثم ممارسة فترة تدريبية وتمرينية بمساجد المملكة.. وقد توجهت البعثة الأولى من علماء الشباب، بمناسبة شهر رمضان المعظم الأخير ومناسبة المولد النبوي الشريف إلى بعض الأقطار الأوروبية لتنوير وإرشاد وتوجيه أبنائنا من العمال المهاجرين في الخارج...

كما تعمل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على تعزيز الخطة الإسلامية التي تستند على التأصيل في جميع الواجهات... وذلك ما يقتضي ألا يسند أي دور في الدعوة الإسلامية إلا للعلماء ذوي الكفاية القادرة المبصرة، والتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله عليه السلام، وإحياء العلوم الشرعية، وإنعاشها بالمدارسة وإحياء الكراسي العلمية، وتنشيط المجالس العلمية، بأن يمارس العلماء مهامهم في الحفاظ على سلامة العقيدة والمذهب ووحدة الأمة وأصالتها، وإحياء المدارس العتيقة، وطبع كتب المذهب المالكي، وتشجيع تحفيظ كتاب الله العزيز، وتدارس علومه...

☆ ☆ ☆

لقد كانت وظيفة الناظر، منذ القديم، الوظيفة الإدارية الأولى في المدرسة، وفي كثير من الأحيان كانت وظيفتا المدرس والناظر تجمعان في شخص واحد...

والناظر هو المدير العام للمدرسة، يتولى إدارة شؤونها المختلفة، ويؤجر العقارات الموقوفة عليها، ويتولى صيانتها، ويشتري لوازمها، ويصرف الرواتب والمخصصات والمكافآت للطلبة والموظفين...

كما كان الوقف يعتبر شعارا إسلاميا، ومؤسسة خيرية، قامت على دعائمها مشروعات فخمة، كان لها آثارها الخالدة في مسيرة الإسلام الحضارية والثقافية والاجتماعية... وهو سمة بارزة من سمات الإسلام، كماكان له الأثر الفعال في تشييد صروح العلم والثقافة، وفي تأمين الظروف المناسبة للفقهاء، والعلماء و الأدباء في رحاب التأليف والنشر والتحقيق العلمي والفقهي والأدبي...

فنظام الأوقاف، كان هو العمود الفقري للمدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى كالمساجد والربط والزوايا والمكتبات... ويتحقق المبرر الديني للوقف في أنه تلازم مع المسجد في دعوة الإسلام ومكانته في حضارته، فقد كان مركزا للقيادة والتوجيه، ومنصة للتوعية والإرشاد، ورباطاً للجهاد، ومقرا للقضاء والفصل بين الخصومات... كما أنه يتحقق المبرر الحضاري التاريخي للوقف، هو أننا عندما نطل من زاوية التاريخ على الدلالات الشاخصة التي تعكس القيم الحضارية لهذه الأمة، نرى أنه صلة روحية، أو صلة مادية بها، وأهمها تلك الجامعات والمدارس الهامة التي فتحت للأمة أبواب العلم والحضارة...

فكثيراً من المدارس أسست بدافع التقوى، والرغبة في نشر علوم الدين بجانب اعتبارات أخرى كتدعيم الحكم من قبل حكام غرباء الذين أنشأوا مدارس علمية بقصد تدعيم مركزهم عند الناس، وتعزيز المذهب السني، مثلا، ولإبعاد النفوذ الشيعي الذي كان يسود البلاد زمن الفاطميين... كما كانت هنالك أسباب أخرى تتصل بنظام الحكم، كفقدان اطمئنان الأغنياء والأمراء على ثرواتهم في ظله، فقد كانت أموال هؤلاء عرضة للمصادرات، كما كانوا هم أنفسهم عرضة للقتل، ولذلك، فإن كثيرا منهم لجأوا إلى وقف الأموال وبناء المساجد والمدارس خشية مصادرتها وضياعها، وقد تدعمت الأوقاف تدعما كبيرا من جراء هذا كله، فكانت الأوقاف على المدارس تتفاوت بطبيعة الحال حسب مكانة الواقف وثروته... والمدارس والمعاهد التي وقفها سلاطين أو أمراء كبار، وقفت عليها أوقاف دارة وغنية جدا...

وقد حقق الإنفاق السخي على أوقاف المساجد والمدارس نتائج باهرة في عدة مجالات، منها تهيئة فرص التعليم المجاني لعدد كبير من الطلبة، وتوفير وظائف مجزية لعدد كبير من المعلمين والمدرسين وغيرهم من العاملين في حقول المعرفة، ومجالات الإدارة المدرسية، إذ كان شيخ الجامع يشرف على هذه الأوقاف ونظارتها...

لقد كانت المصادر المالية التي كانت تعتمد عليها الجامعات الإسلامية في حياتها، كمسجد وكمعهد للدرس، هي الأحباس العامة والخاصة...

☆ ☆ ☆

لقد كانت الدراسة في الكتاب أو المدرسة أو المعهد تشبه الدراسة الابتدائية والثانوية والعالي في عصرنا الحاضر، كما كان التعليم مجانيا ولمختلف الطبقات، فلم يكن يدفع الطالب في دراسته، رسماً، من رسوم الدراسة التي يدفعها طلابنا اليوم... فالوقف كفيل بالأداء، ولم يكن التعليم محصورا بفئة من أبناء الشعب دون فئة، بل كانت فرص التعليم متوفرة لجميع أبناء الأمة الإسلامية عن طريق الوقف...

ففي عام 378 هـ 988م طلب الوزير يعقوب بن كلس من الخليفة العزيز بالله أن تعد مرتبات للفقهاء، وتعد دار لسكناهم بجانب جامع الأزهر، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع، وحضر حلقات دروسهم بعد الصلاة، وكان عددهم خمسة وثلاثين فقيها...

☆ ☆ ☆

وتعتبر «وقفية» الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله أول ميزانية ثابتة للأزهر، فقد أوقف الحاكم عام 400 على الجامع الأزهر، وجامع المقس، والحاكمي، ودار العلم، وقفية مشتركة تقسم على ستين سهما، للأزهر فيها، على حد تعبير الوقفية، الخمس والثمن، ونصف السدس، ونصف التسع، وقد أورد المقريزي في «خططه» تفاصيل هذه الوقفية...

لقد كانت الأوقاف في ظل الدولة الفاطمية تحت إشراف قاضي القضاة، ولها ديوان خاص، وقد نما هذا المصدر واتسع فيما بعد في ظل دولة المماليك، حتى غدا أخصب مورد للجامع الأزهر...

على أنه كانت للأزهر في العصر الفاطمي غير الأوقاف، موارد أخرى، لا تقل عنها أهمية، بل لعلها كانت فيما يتعلق بطلبة العلم أخصب وأجدى في النفقة عليهم، وتيسير سبل العيش لهم...

واستمرت الأعطية العامة والخاصة تنمو على مر العصور، وتوالت أوقاف السلاطين والأمراء والكبراء على الجامع الأزهر، وكانت هذه الأوقاف ترتب إما بصفة عامة، أو بصفة تخصص لأساتذة المذاهب أو الأروقة المختلفة وطلبتها، أو للإنفاق على تدريس مادة معينة، ولا سيما علوم القرآن والحديث..

فالمصدر الرئيسي للثروة الإسلامية، والسعة التي تمتعت بها غالبية العلماء في المدينة الإسلامية، في مختلف العصور، كانت هي الأوقاف التي وقفت على المؤسسات العلمية والدينية كالمدارس والمساجد، أو على الأشخاص أنفسهم فيتوارثون المرتبات أبناء عن أب..[1]

☆ ☆ ☆

وكانت المؤسسات التي في ظلال الحكومات الإسلامية ترعى العلم حق الرعاية، كما كان الملوك لايبخلون في الإغداق على العلماء، فانشأوا كثيرا من المدارس، ووقفوا عليها، الأوقاف السخية، فظهرت موجة من التنافس والتباري في هذا السبيل أخذ فيها الأمراء والوزراء والعلماء والعامة بنصيب ملحوظ يتسابقون إلى البذل والسخاء في إهطاع وإهراع وإسراع...

ولقد كان الطلبة، ومن يقبل على دراسة المعرفة، يسعون إلى دور الشيوخ، وبيوت العلماء للسماع منهم فيها...

ومن أجل هذا، لم تكن هناك نفقات معينة تبذل في سبيل نشر العلم، وبثه بين الناس... فلما ظهرت الحاجة إلى تأسيس مكان يخصص لرعاية العلم ونشر الثقافة، وبث روح المعرفة، ظهرت في الوقت ذاته، فكرة أن يوقف على هذا المعهد وقف يغل إيراداً يكفي للإنفاق على شؤونه وشؤون القائمين بالعمل فيه... وقد ذكر المؤرخون أن المأمون أول من أبرز هذه الفكرة إلى دنيا الواقع، وحيز الوجود، فلم يشأ أن يكون نشاط بيت الحكومة متوقفاً على سخاء الخلفاء والأمراء والنبلاء، بل أراد أن يجعل نشاطه قويا متصلا سواء، أكان الخليفة سخياً أو شحيحاً، فهيأ للعلماء رزقا سخيا مجزيا يتقاضونه من وقف ثابت يفيض ريعه عن التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة الثقافية.[2]

بل إنه، مثلا، كان على الجامع الأموي في دمشق أيام المماليك من الوظائف المرتبة مالا يستقل به إلا ديوان ملك، وعليه جلائل الأوقاف، إلا أن الأيدي العادية قد استولت على كثير منه لشبه الأكابر والمناصبات، وغير ذلك مما عليه على سبيل النصبات..[3]

إن المسلمين قد اهتموا بالوقف، لفائدة التعليم، اهتماماً كبيراً.. ولذلك تركوا أوقافا طائلة وكثيرة على كثير من المنافع الخيرة، والمصالح العامة للمسلمين وكان هدفهم أن يستمر الإنفاق على هذه المصالح العامة حتى في تقصير الدولة؛ فالدولة قد تقصر ميزانيتها، فيبقى ريع الأوقاف المرصودة هذه والتي لايباع أصلها، ولا توهب ولا يصح التصرف فيها...

وقد تحدث محمد حسن الوزان في كتابه،[4] عن «أنه يوجد في كل معهد أساتذة من مختلف العلوم، فهذا يعطي درس الصباح، وذلك درس المساء، ولجميعهم مرتبات ممتازة أوصى بها مؤسس المعهد، وكان كل طالب، في الماضي، من طلاب هذه المدارس معفى من مصروفاته

1) «المواعظ والاعتبار» للمقريزي ص : 3/364.
2) تاريخ التربية الإسلامية ص : 360.
3) «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري ص : 202 ـ 203. ط القاهرة 1933.
4) «وصف إفريقيا» ص : 233. ط : السعودية.

وكتائه خلال السبعة أعوام.. أما الآن فليس له سوى السكن، إذ قضى على الكثير من الأملاك والبساتين الوقفية في خلال حرب سعيد،[5] والتي كانت عائدتها مخصصة لهذا الاستعمال، ولم يبق حالياً سوى دخل بسيط أمكن معه تسديد معاش الأساتذة الذين يتقاضى بعضهم مائتي دينار، والبعض مائة، وآخرون دون ذلك، ولربما كان ذلك أحد الأسباب التي أدت إلى تدهور قيمة مدينة فاس الثقافية...

وقد رأى ابن بطوطة المدرسة المستنصرية بعد افتتاحها بـ 96 عاماً، وكانت أحوالها، أيضاً، في اضطراب، وأوقافها في انتهاب، حتى لقد كان لطلابها في عام 683 : «من يرضى بالخبز وحده، وإلا فما عندنا غيره... وذلك لأن الدولة المغولية الإيلخانية احتجنت لنفسها قسما من غلة الأوقاف المحبسة على مصالح المسلمين ومدارسهم ومساجدهم ومعابدهم ومعاهدهم، فاجتمع طلاب المدرسة المستنصرية، ووثبوا على ناظر الأوقاف جمال الدين علي بن محمد الدستجردي، ونالوا منه، وأسمعوه قبيح الكلام، فحماه منهم الشيخ ظهير الدين محمد بن عمر البخاري مدرس الحنفية ومؤلف كتاب : «الفوائد» وكتاب : «كشف الإبهام، لدفع الأوهام» في الفقه الحنفي...

ولتقي الدين علي بن عبد العزيز الشاعر المعروف بابن المغربي صاحب القصيدة الهزلية المعروفة «بالدبدبية،» منظومة زجلية يرثي بها المدرسة المستنصرية لصيرورتها إلى تلك الحال...

وكان قد أنفق على إنشاء المدرسة المستنصرية زهاء مليون دينار، وحبست عليها أوقاف تغل قرابة مليون دينار، فذهبت الأوقاف بسبب إجحاف الولاة والنظار، واستحواذ الخراب على بعضها، فليس لهذه المدرسة، اليوم، بل منذ مآت السنين، وقف واحد.

ويتحدث المقريزي في الخطط عن ثمانية زوايا من زوايا جامع عمرو بالقاهرة التي كانت تقام بها حلقات تعليمية، ويشير إلى الأوقاف التي وقفت على كل هذه الزوايا...

وهكذا أصبح من ضروريات إنشاء معهد ثقافي أو مدرسة علمية، أو كتاب قرآني أن يعين لها وقف ثابت تتلقى منه مايفي بنفقاتها، وما يمدها بما تحتاجه من مصروفات، ثم ظهرت أوقاف أخرى على الذين يشتغلون أنفسهم بخدمة العلم، وتربية النشء في الكتاتيب والمساجد.

وبربض الصالحية. بدمشق، التي كانت مزدهرة أيام زيارة ابن بطوطة، مدرسة تعرف بمدرسة ابن عمر،[6] موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول، وتجري لهم ولمن يعلمهم كفايتهم من المآكل والملابس، وبداخل البلد، أيضا، مدرسة مثل هذه تعرف بمدرسة ابن منجا، وأهل الصالحية كلهم على مذهب أحمد ابن حنبل.[7]

لقد كان الوقف في الغالب الاعم، هو المورد الدار الذي ينفق منه على التعليم في العالم الإسلامي.. والتي في بعض الحالات كانت نفقات التعليم تدفع من خزينة الدولة العامة...

وقد ذكر الأستاذ «متز»[8] أن الوزير ابن كلس كان يجري بأمر العزيز بألف دينار في كل شهر على جماعة من أهل العلم والورّاقين والمجلدين...

ومن الأمثلة العجيبة، التي تدعو للدهش والاستغراب، ما رواه ابن بطوطة في كتابه : «تحفة النظار»، من أن الملك أحمد «إينج» كان يقسم خراج بلاده أثلاثاً، ويجعل الثلث لنفقة المدارس والزوايا...

وقد قال الدكتور أحمد شلبي في كتابه القيم[9] متحدثا عن جامع دمشق لما زاره عام 1950 بأن به حلقات

5) كانت المرستانات غنية جدا، ولكن في زمن حرب سعيد نصح بعضهم الملك ببيع أوقافها وأملاكها لما أصبح بحاجة ماسة للمال.

6) استقر ابن عمر بن قدامة المقدسي وجماعته بعد هجرتهم من المدينة المقدسة إثر احتلال الصليبيين للقدس عام 492 هـ، في مسجد ابن صالح خارج باب شرقي في دمشق، وأنشأوا مدرسة وزاوية للحنابلة. وقد سماهم الناس الذين نزلوا في جوارهم : «الصالحين» وقد كان في الصالحية في أواخر العهد المملوكي سبع دور للحديث، وستة عشر رباطا، وثمان وثلاثون حارة، وواحد وسبعون مسجدا.

7) رحلة ابن بطوطة : تحفة النظار ص 230/220.

8) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ص : 1/294، من الترجمة العربية.

9) تاريخ التربية الإسلامية ص : 91.

للتدريس للطلبة، وللمدرسين إجراء واسع، وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي يجتمع فيها طلبة المغاربة، ولهم إجراء معلوم، ومرافق هذا الجامع للغرباء، وأهل الطلبة كثيرة واسعة، وأغرب مابه أن به سارية من سواريه، وهي بين المقصورتين القديمة والحديثة لها وقف معلوم يأخذه المستند إليها للمذاكرة والتدريس..

☆ ☆ ☆

كما كان لكراسي العلم بجامع القرويين بفاس وغيرها من المغرب أوقاف خاصة، وقد أشار صاحب «نشر المثاني» إلى الأحباس المخصصة لكراسي التفسير، وصحيح مسلم وابن الحاجب، وصغرى السنوسي، والرسالة، ونظم ابن زكري.[10]

وفي نيل الابتهاج أن من أحباس فاس استيفاء ابن حجر على الصحيح في التدريس...

فكانت هناك عدة كراسي علمية بجامع القرويين وفروعه مخصصة لكبار العلماء والأساتيذ موقوفة لتدريس أمهات المصنفات في شتى المعارف، ومختلف العلوم والفنون، وقد كثرت هذه الكراسي المخصصة للتدريس، وكثرت أوقافها، وتوافر ريعها، ولا سيما في العصر الوطاسي، كما تجده في فهرست أحمد المنجور التي تعتبر المرجع الأول في هذا المضمار، بل إن بعض الأركان أو السواري والأعمدة والأساطين بالمساجد كان يوقف عليها أوقاف سخية يصرف ريعها إلى من يجلس بها للتدريس وقراءة العلم...

كان لهذه الكراسي أوقاف خاصة رصدها سلاطين أو أمراء أو أفراد، وتوجد في حوالات القرويين عدة لوائح فيها أوقاف كراسي التدريس بجامع القرويين وغيره... وهذه واحدة منها تخص جامع القرويين، وقد وردت تراجمها هكذا...[11]

وولاية كرسي التدريس بالقرويين تعتبر منصبا ساميا، ولهذا كانت لا تصدر إلا عن السلطان أو ولي عهده خاصة...[12]

وهذه نماذج للكراسي العلمية التي كانت برحاب جامع القرويين :

كرسي بالبلاط الثاني عن يمين الداخل من باب الكتبيين للنحو.

كرسي التدريس قرب مصرية المفتي...

كرسي التدريس بظهر خصة العين.

كرسي التفسير...

كرسي التدريس بمستودع باب الحفاة.

كرسي الرسالة لمستودع باب الحفاة أيام الشتاء.

كرسي لمستودع ابن عباد.

كرسي البخاري للتدريس بأعلى باب الرواح بالقرويين...

ومن الكراسي الأُخرى التي لها أوقاف : كرسي صحيح الإمام البخاري بشرحه فتح الباري..

وجاء في فهرست أبي العباس أحمد المنجور[13] لدى ترجمته لعبد الرحمن سقين :[14] وكان يلازم إقراء العمدة والموطأ عند باب مصرية الخطيب، بالجامع المذكور : جامع الأندلس، وهما من أوقاف الشيخ الخطيب الصالح ابن فارس عبد العزيز الورياغلي[15] خطيب القرويين، وحبس، أيضاً، مثل ذلك بالقرويين..[16]

وقد وقفت أوقاف، في العصر العلوي على قراءة الحديث والفقه والتوحيد بالمشهد والمسجد معاً، حيث ظهرت في هذا العصر العلوي كراسي جديدة،[17] فقد حبس على أبي الفضل أحمد بن العربي، وعلى عقبه من بعده، وقصر الواقف عليهم النظر في هذه الكراسي، وفي تنفيذه حسب رغبتهم...

---

10) ص : 1/38.
11) نقلا عن «الحوالة السليمانية» خ.ع. رقم 23، ص : 244 ـ 249 فيلم.
12) انظر «دعوة الحق» ص : 91، ع : 4، س : 9.
13) انظر ترجمته في سلوة الأنفاس ص : 3/60.
14) انظر ترجمة عبد الرحمن بن علي يعرف بسقين في «سلوة الأنفاس» ص : 2/159.
15) المصدر السابق ص : 3/355، وص : 2/80.
16) انظر كراسي الأساتذة بجامعة القرويين دعوة الحق السنة : 9 الأستاذ محمد المنوني.
17) «رياض الورد، إلى ما انتهى إليه الجوهر الفرد» لمحمد الطالب بن حمدون بن الحاج..

وفي جامع الأشراف بمدينة فاس نجد حوالة تذكر وقفيات أربعة كراسي للتدريس بهذا المعهد، وهي كرسيان لصحيح البخاري، وثالث لرسالة أبي زيد القيرواني، ورابع للتوحيد..

كما وقف السلطان الرشيد العلوي أوقافاً على من يقرأ في الروضة الإدريسية العقيدة السنوسية الصغرى.. وتوجد في هذه الحوالة أيضا، وقفية على من يقرأ الرسالة القيروانية بين المشاءين في ثلاثة أشهر من فصل الشتاء من كل عام، وذلك بالكرسي الواقع قرب الضريح الإدريسي، وقد ورد ذكر هذه الأوقاف في كتب التاريخ.[18]

وفي جامع القرويين نجد سارية لتجويد القرآن الكريم، وقد أنشأ وقف هذه السارية الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الشاوي[19] المتوفى في عام 1014 هـ، وقد عين المحبس لهذا الوقف الأستاذ أبا العباس أحمد بن علي بن شعيب الفاسي (تـ 1015 هـ) ثم من يأتي بعده...

وقد تحدث الأستاذ محمد المنوني عن هذه الوقفية التي نقلها من : «النهج المتدارك، في شرح دالية ابن المبارك» حيث ذكر أنه : «...يحكى عنه رحمه الله أنه كان متصدراً للأخذ بجامع القرويين من فاس، وكان يجوّد مع الطلبة بلسانه، ويلازمه الشيخ الصالح سيدي أحمد الشاوي دفين السياج من فاس، وأوقف عليه ومن يقفوه أرضا بلمطة يقال لها : «الضويات» وفي آخر عمره تأخر عن القرويين لكبر سنه، فيجوّد مع الطلبة بداره في «الكدان» أو بمسجد قربها، كان إمامه..

ثم قال الأستاذ محمد المنوني : «ومن حظ أن تحتفظ الحوالة السليمانية لأحباس القرويين بنسخة الوقف المشار له، وفيها الإحالة على وثيقة أخرى، ونص المعنية بالأمر :

الحمد لله. حبس المرابط أعلاه : الأجل السيد الأكمل البركة أبو العباس أحمد ابن المرحوم ابن عبد الله محمد الشاوي : جميع الستة فدادين، وهي : عين العرب، وفدان بن فيلو الصغير. وفدان الغدائر، وفدان ركية العلك، وفدان الغرس. وفدان الكوشة. المحتوي ـ كذا على حراثة أربعة أزواج المذكورة والمحدودة أعلى المتتسخ منه، بمنافعها ومرافقها، وكافة حقوقها كلها على الفقيه الأجل النحوي اللغوي الأستاذ المجود المشارك السيد أبي العباس أحمد بن السيد المرحوم أبي الحسن علي شعيب بن عرف ينتفع بها على أن يجود للطلبة بالسارية التي عن يمين العنزة بجامع القرويين شرفها الله بدوام الذكر فيه من زوال الشمس إلى البريج على الدوام والاستمرار عدا يوم الخميس ويوم الجمعة حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا، إلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها، وهو خير الوارثين، ومن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله.[20]

☆ ☆ ☆

فالأحباس من أهم موارد التعليم الإسلامي على الإطلاق، وأكثرها دخلاً وإدراراً، وإليها يرجع الفضل في بقائه واستمراره قرونا طويلة، وفي انتظام الحياة العلمية والدراسية في جامعات الإسلام وكلياته.

من أجل ذلك وقف المسلمون الوقوف الكثيرة على أماكن للتدريس المختلفة كالمساجد، والمدارس، ودور القرآن، ودور الحديث، والربط، وخزانات الكتب، وقد حبس المحسنون والواقفون الأحباس لإدامتها، والإنفاق على أربابها، حفظا للدين، ورعاية للعلم وأهله من الطلبة والمدرسين والشيوخ، ومساعدة للزهاد، والمنقطعين إلى الله تعالى، والمقبلين على شأنهم ومعونة للفقراء والمحتاجين...

كما عنيَ المسلمون، في مختلف عهودهم، عناية خاصة بتعليم أبناء الشعب، وتقديم ما يساعدهم على التعليم كباراً وصغاراً، حتى البدو الرحل.. فإن عمر بن عبد العزيز أرسل إليهم من يعلمهم القراءة والكتابة، ويفقههم في الدين.

وتطوع الكثير في تعليم البدو، ومنهم : الوحشي أبو ثروان العكلي، وأبو البيداء الرباحي، وأبو مالك عمرو بن كركرة... وغيرهم.

18) الأزهار العاطرة الأنفاس ص : 167.

19) انظر : مسلوة الأنفاس ص : 1/274.

20) انظر : الدرر الفاخرة. وما وقفه ملوك الدولة العلوية لفائدة العلم والعلماء.

ومن طريف ما جاء عن عناية عمر الفاروق بتعليم البدو، أنه مر به بدوي، فسأله. هل تعرف أمّ الكتاب ؟ فقال له : لا، والله ما أعرف البنات... فكيف أمهم، فأرسله إلى الكتاب لكي يتعلم.!!

☆ ☆ ☆

وقد أقبل الأمراء والمحسنون وذوو الأريحية على بناية المدارس، والمعاهد العلمية في الشرق والغرب، كما أولوها عناية خاصة حتى كثرت كثرة مدهشة، وعبر عن هذه الكثرة، وهذا الانفتاح والإقبال على العلم، ابن جبير الرحالة الأندلسي الذي هاله ما رأى في المشرق من كثرة المدارس والغلات الواقدة التي تغله أوقافها، فدعا المغاربة أن يرحلوا للمشرق لتلقي العلم، وكان مما قاله : «وتكثر الأوقاف على طلاب العلم في البلاد المشرقية كلها، وبخاصة دمشق.. فمن شاء الفلاح من أبناء مغربنا، فليرحل إلى هذه البلاد، فيجد الأمور المعينة على طلب العلم كثيرة، وأولها فراغ البال من أمر المعيشة»[21]

لقد شعرت الأمة الإسلامية في أول عهودها، بأهمية المدرسة، وبقيمة الأستاذ والشيخ، فأولوه كامل الاعتناء والتبجيل، وكان لمدرسي العلم الحظوة الكاملة عند الأمة الإسلامية علما منها بأن وظيفة المؤسسة العلمية ليس مقصورة على التعليم فقط، فإن بث الفضيلة والإقدام من أهم وظائف الكتاب والمعهد كما قال الحكيم السياسي «جول سيمون»[22] (تـ 1896)..

ولقد شعرت أروبا مؤخراً، بقيمة المدرسة والأستاذ الاجتماعية حيث لوحظ أن إعداد المعلم الكامل كان هو السبب في نهضة ألمانيا وانتصارها في حرب السبعين حتى قال بسمارك : «لقد انتصرنا على عدونا بمعلم المدرسة».

☆ ☆ ☆

وهكذا تسابق الخيرون في إنشاء مكاتب لتعليم فقراء الأطفال والأيتام، ووقفوا على هذه المكاتب الأوقاف الكبيرة.

إذ من أهم صفات المدينة الإسلامية كثرة المدارس التي كانت موضع اهتمام خاص أيام الحكم الإسلامي، فكانت المدارس، دوماً، غنية فيما يحبس عليها من أوقاف.

وقد علق الأستاذ سعيد عبد الفتاح عاشور في مقال نشره في مجلة «عالم الفكر» الكويتية تحت عنوان : «الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية» :.. «بأن هذه الظاهرة ظاهرة إنشاء المكاتب لتعليم الصغار والأيتام والعناية بهم، كانت أكثر انتشارا في المشرق منها في المغرب الإسلامي، لأنها استرعت أنظار الرحالة المغاربة، حتى إن ابن جبير، في القرن السادس الهجري اعتبرها «من أغرب ما يحدث به من مفاخر هذه البلاد».

وقد ذكر هذا الرحالة أنه من مآثر صلاح الدين الأيوبي المعبرة عن عنايته بأمور المسلمين، أنه أمر بوقف عمارة محاضر ألزمها معلمين لكتاب الله عز وجل، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة ويجرى عليهم الجراية الكافية لهم، كذلك ذكر نفس الرحالة أنه شاهد في دمشق محضرة كبيرة للأيتام لهاوقف كبير يأخذ منه المعلم لهم ما يقوم به، وينفق منه على الصبيان ما يقوم به وبكسوتهم.

وقد تحدث ابن جبير، أيضاً، لما رقي جبل قاسيون القابع غربي دمشق حيث أشرف منه على المدينة وأرباضها. ومساجدها ومدارسها، وصور دمشق كما كانت في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) فقال : «ولكل مشهد من هذه المشاهد أوقاف معينة من بساتين وأرض بيضاء ورباع، حتى إن البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع مافيها، وكل مسجد يستحدث بناؤه، أو مدرسة، أو يعين لها السلطان أوقافا تقوم بها وبساكنيها والملتزمين لها، وهذه أيضا من المفاخر المخلدة...

ولقد كان وقف المدرسة الريحانية بدمشق مكونا من بساتين، وقطعة أرض، وبساتين للخضر، وخمسة أسداس مزرعة وإسطبل...

21) ص : 285.

22) Jules SIMON رجل سياسي فرنسي ولد بـ «لوريون» LORIENT (1814 ـ 1896) أستاذ فلسفة، أوقف عن عمله إثر انقلاب 2 دجنبر 1851، برلماني في المعارضة بالجمهورية من 1863 إلى 1870 ـ وزير التعليم العمومي في حكومة الدفاع الوطني عام 1870، كان رئيسا للحكومة من 1876/2/12 إلى 16 ـ 1877/5 توفي سيناتور دائما.

23) دمشق في عصر المماليك ص : 120 تأليف وترجمة د. نقولا زيادة.

وكان وقف المدرسة الجوانية غنيا على ما يبدو من نفقاتها: فقد كان كل من مدرسيها الخمسة والعشرين يتقاضى 130، درهم شهريا بالإضافة إلى كيل كبير من القمح، وآخر من الشعير لدابته أيضا..

وكان الناظر على المدرسة يتناول عشر مدخول المدرسة لقاء أتعابه وسهره ومراقبه ما تملكه المدرسة.. وكان للناظر أن يزيد عدد المدرسين وغيرهم إذا رأى في ذلك نفعا[23]

والناظر الذي إليه النظر في الوقف. كان يختار من أهل العلم، وغالبا ما كان قاضي قضاة المذهب، كما هو الشأن في دمشق أيام عصر المماليك، وقد كان التدريس بعض واجباته، وكان بين أصحاب التدريس المحدثون والقراء والفقهاء وشيوخ النحو.

☆ ☆ ☆

الوقف لتعليم الأيتام:

من أبرز المؤسسات الاجتماعية التي حفل بها المجتمع الإسلامي تلك الخاصة برعاية الأيتام... ذلك أن الدين الإسلامي عني عناية خاصة برعاية اليتيم، فأمر بعدم قهره ونهره، والإحسان إليه، والحفاظ على أمواله ورعايته... وقد جاء في ذكر أخبار «أصفهان» أن أحد الصالحين كان يذهب بالأيتام يوم الجمعة إلى منزله، ويدهن رؤوسهم، ومن ذلك، أيضا، مانصت عليه وثيقة في حجج الأوقاف التي ترجع إلى عصر سلاطين المماليك بالقاهرة من أن «يكسى كل من الأيتام المذكورين في فصل الصيف قميصا ولباسا، وقبعا ونعلا في رجليه، وفي الشتاء مثل ذلك، ويزداد في الشتاء جبة محشوة بالقطن».

وأوقف القاضي الفاضل أوقافا لتعليم الأيتام بالكتاب[24]

وفي عهد صلاح الدين، كان، أيضا، للأيتام من الصبيان في دمشق محضرة كبيرة بالبلد لها وقف كبير، يأخذ منه المعلم ما يقوم به، وينفق منه على الصبيان ما يقوم به ويكسوتهم،[25].

وكذلك ذكر ابن واصل[26] أن نور الدين بنى في كثير من بلاده مكاتب للأيتام، وأجرى عليهم، وعلى تعليمهم الجرايات الوافرة...

وبنى بعض الواقفين المحسنين وأهل الخير مكاتب الأيتام بجانب المدرسة التي شيدوها، فقد بنى القاضي الفاضل (529 ـ 596) بجانب المدرسة الفاضلية مكتبا للسبيل... كما بنى مجاهد الدين قيماز الرومي (ت 595) مكتبا للسبيل بجانب مدرسته التي أنشأها في الربض الأسفل من الموصل، ثم كثرت هذه المكاتب في القرن الثالث الهجري وما بعده، فنرى الكثير من المدارس بجانب كل واحدة منها مكتب للسبيل ملحق بالمدرسة، ويجرى عليه النفقة مما أوقف له وللمدرسة...

وقديما عين الحكم الأموي المؤدبين لتعليم أبناء الفقراء والمعوزين حول المسجد الجامع، وبكل ربض من أرباض قرطبة، وأجرى عليهم المرتبات، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون.[27]

وفي نظامية بغداد كان ستة آلاف طالب يتعلمون بالمجان.[28]

وقد أنشأ يحيى بن خالد الكتاتيب للأيتام بالمجان.[29]

☆ ☆ ☆

وكان أبو الحسن المريني أشفق خلق الله على من علت سنه، ووهنت قوته، وقد أجرى على من اتصف بالشياخة من الضعفاء والأيتام ولازم الخير رواتب تكفيهم، ورسمهم في جرائد عماله شيوخ الجامع، وبنى لهم دورا شبه الربط، وأجرى لهم كساء في كل عام تكفيهم، وهذه منقبة عظيمة، وفضيلة جسيمة...[30] كما سن سنة كتب الله أجرها، وأجر من يعمل بها، وهي أنه أجرى لسائر الأيتام

24) الخطط: للمقريزي ص 2/366.
25) ابن جبير: ص: 272.
26) مفرج الكروب ص: 165 ـ 166. مخطوط.
27) ابن عذارى ـ البيان المغرب ص: 2/358.

28) «الإسلام والنصرانية للشيخ الإمام محمد عبده... ص 98.
29) «الوزراء والكتابه الجهشياري ص 212.
30) المسند الصحيح، لابن مرزوق ص 427.

في سائر القبائل ما يتمشى به أحوالهم، ويستغنون به عن التكفف والعالة، فسوغ لهم فيما علمت ما يكفيه ويقوم بحاجاته.[31]

☆ ☆ ☆

تلك هي الأعمال المبرورة التي نهض بها أولوا النجدة والشهامة، لإنقاذ اليتيم والفقير، والبائس والمحروم، فعقلوا نشاطهم، وأرصدوا الأهب للنهوض بأبناء وطنهم الذين مستهم الفاقة وأصابهم العوز بأسهم جارحة في الصميم : ورحم الله أحمد شوقي العظيم حيث يقول :

وأن البر خير، في حياة
وأبقى بعد صاحبه ثوابا

أراد الله بالفقراء برا
وبالأيتام حبا، وارتبابا

فرب صغير قوم علموه
سما، وحمى المسومة العرابا

وكان لقومه نفعا وفخرا
ولو تركوه كان أذى وعابا

فعلم ما استطعت، لعل جيلا
سيأتي يحدث العجب العجابا

☆ ☆ ☆

نبي البر بينه سبيلا
وسن خلاله، وهدى الشعابا

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقي أيضا من قصيدة أخرى :

رب طفل برح الشوق به
مطر الخير، فتيا، ومطر

وصبي أزرت الدنيا به
شب بين العز فيها والخطر

ورفيع لم يسوده أب
من أبو الشمس ؟ ومن جد القمر ؟

كم غلام خامل في درسه
صار بحر العلم أستاذ العصر

☆ ☆ ☆

وقوف النساء ودورهن في التعليم...

كان للنساء والرجال في جميع بقاع العالم الإسلامي أوقاف كثيرة جدا على المدارس والفقراء والصوفية، وذوي التقوى والعبادة والعفاف من النساء والرجال، والمنقطعات والأرامل وغير ذلك من القربات كالوقف على الأسرى وعلى العتقاء والمرضى والمجاورين وغيرهم، حتى إننا لنجد بين العالمات[32] المسلمات عدداً كبيراً ممن كن يؤسسن المدارس، ويتولين إدارة الربط، أو يعظن،[33] أو يفتين، ويمنحن الإجازات العلمية، ويوقفن الوقوف... كما نجد بين الرجال عددا كبيرا من العلماء الذين وقفوا كتبهم في الجوامع وخزانات المدارس كما سيأتي..

---

31) نفس المصدر، لابن مرزوق ص : 420.

32) انظر : «نزهة الجلساء، في أشعار النساء» للسيوطي - المكتبة الظاهرية بدمشق، ومري الظما، فيمن قال الشعر من الاماء للحافظ ابن الفرج ابن الجوزي، وقد ظفر الشيخ الكتاني بجزء منه بتونس، «وسيدات بلاط العباسيين» للدكتور مصطفى جواد. - و«الدر المنثور، في طبقات ربات الخدور» للأستاذة زينب بنت فواز، وهو مجلد ضخم. - ورسالة لمحدث الهند الشيخ محمد شمس الحق الالهابادي المسماة : «عقود الجمان، في جواز الكتابة للنسوان» مطبوعة - وقد ختم الشيخ المختار الكنتي الشهير صاحب الطريقة الشهيرة به، المختصر الخليلي يوما للرجال، وختمته زوجته في جهة أخرى للنساء... وفيهما ألف ولدهما الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن الشيخ المختار كتابه : «الطريفة والتالدة، في مناقب الشيخ الوالد والشيخة الوالدة» وهو مجلد ضخم ولمحمد بن مصطفى بن الخوجة كتاب : «الاكتراث، في حقوق الإناث»، وهو كتاب يهتم بحياة المرأة المسلمة وهو من تلاميذ الشيخ محمد عبده، وقد مدح المولى عبد العزيز حين جاء على رأس الوفد المغربي إلى الجزائر عام 1319 هـ.

وانظر، أيضا جملة من نساء أهل الأندلس الأديبات العالمات اللاتي لهن اليد الطولى في البلاغة حيث ذكر المقري في النفح نحو أربعة وعشرين من النساء الأندلسيات ج : 166/4 - 171 - 205 - 283 - 295.

33) لقد كانت درجة عائشة أم المومنين وأم الدرداء، وسكينة بنت الحسين، وفاذات نحوهن مثل العالمة الشيرازية التي ذكر ابن العربي في «العواصم من القواصم» أنها قتلت في الفتنة عام 492 بالمسجد الأقصى، ومثل العالمة شهدة بنت أحمد بن الفرج الدينوري الملقبة فخر النساء التي حدثت ببغداد بدارها عام 564 حسبما ذكر - القرطبي كل أولئك كانت لهن درجات في ميادين التقوى والمعرفة والخلق المتين.

ومن رجع إلى أمهات كتب الحديث، ودواوين السنة، وخاصة المسانـد منها، يرى مـا روى منهـا عن أمهـات المؤمنين لهالته كثرتـه، لقـد كـانت بيوتهن مـدارس لنشر الحديث، وتهـافت الرواد عليهن من كل جـانب، وتنـافسوا في الأخذ عنهن كل التنافس، ولقد روي عن عائشة وحدهـا ربع السنة - على مـا يقـول الحـاكم - وعـدة من روى عن السيدة عائشة وحدها بلغوا نحو المائتين[34].

قـال عروة : مـا رأيت أحـدا أعلم بـالحلال والحرام والعلم والشعر والطب من عائشة، وقال مـسروق : لقـد رأيت الصحابة يسألون عائشة عن الفرائض.. وكـانت عـائشـة تعبر العلوم، وتورد الإشكالات على الفحول، وقد استـدركت على جماعة من الصحابـة في كثير من الأحـاديث، فـاستـدركت على عمر، وابنـه، وأبي هريرة وابن عبـاس، وعثمـان بن عفـان، وعلي ابن أبي طـالب، وابن الـزبير، وزيـد، وأبي الدرداء، وأبي سعيد، والبراء، وفاطمة بنت قيس وغيرهم..

وكذلك كانت أم الـدرداء الكبرى المـدنيـة خيرة بنت أبي جـدرد، وهي زوج أبي الـدرداء عويمر صحـابيـة.. وفي صحيح البخاري أن أم الـدرداء كـانت فقيهـة... وكـان تعليم المرأة، في العادة خاصا بـالحرائر، فـأمـا الامـاء، فلا يعلمن القرآن ولا العلم - قال عبيد الراعي :

هن الحرائر، لاربـــــــــــات أخمرة
سـود المحـــاجر لا يقرأن بـــــالســـور

وأم الدرداء **الصغرى الدمشقيـة**، واسمهـا هجيمـة أو جهيمة، عدت في الصحابيات، وحفصة بنت سيرين، وعمرة بنت عبد الرحمان.

وقـد قـال رسول الله ﷺ للشفـاء أم سليمـان بن أبي حثمة : «علمي حفصـة رقيـة النملـة - داء في الجلـد - كمـا علمتها الكتابة».

وترجم البخـــاري : «بـــاب عظـــة الإمـــام النســـاء وتعليمهن»، فـذكـر فيهـا قول ابن عبـاس أن المصطفى عليـه السلام خرج، ومعـه بلال، فظن أنـه لم يسمع فـوعظهن، قـال الدماميني : هذا أصل في حضور النسـاء المواعيد، ومجـالس الخير بشرط السلامة من الفتنـة... ثم بوب البخـاري، أيضـا بقوله : «باب هل يجعل للنسـاء يومـا على حـدة في العلم، قـال في «الفجر السـاطـع» : أي تعليمـه، وجـواب هـل : محذوف، تقديره : نعم، يجعل لهن ذلك...

وقـد أورد القلقشنـدي أن جمـاعـة من النسـاء كن يكتبن، ولم ير أن أحداً من السلف أنكر عليهن ذلك.[35]

وقـد كـانت بعض النسـاء تـوقف نفسهـا على تعليم البنات والنسـاء تطـوعـاً، وتقربـا إلى اللـه، ومنهن : مـولاة أمـامـة التي كـانت في مسجـد حمص، تعلم النسـاء القرآن والسنن والفرائض، وتفقههن في الدين..

وقـد تحـدث ابن جبير عن النســاء الخـواتين ذوات الأقدار اللواتي كن يأمرن ببناء مسجد أو رباط أو مـدرسـة، وينفقن فيها الأموال الواسعة، ويعين لها من مالهن الأوقاف، بل ومن الأمراء من يفعـل ذلـك، لهم في هـذه الطريقـة المبـاركـة مـسارعـة مشكورة عند الله عز وجل.. بـل لقـد وقفت أخت الـسلطان أبي يحيى الحفصي المدرسـة العنقيـة بتونس.[36]

فللمرأة شأن في التعليم منـذ أول الإسـلام...[37] وقـد قـامت الصحـابيـات الجليلات بتعليم النسـاء والبنـات، وزاد الأمر على مر السنين، وفتحوا المكاتب الخـاصـة لهن، وبنى بعض الـواقفين المحسنين مكـاتب خـاصـة لتعليم البنـات والمعـوزات من النســاء، وهن مكفـولات النفقـة والتعليم والمبيت إلى أن يبلغن الحلم، وقـد تـدربن على الأعمـال البيتيـة أيضـا... ونبغ الكثير منهن في الخط والعلم والأدب

34) انظر : «سيرة النبلاء» ص : 2/11 - «الإجابة، لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» ص 40 للزركشي.

35) ص : 1/61.

36) نسبة إلى زقاق في القطر التونسي يعرف باسم عنق الجمل لانعطاف مضاعف فيه [أليس الصبح بقريب ص 86]

37) لقد بلغ من شأن طبقة أمهات المومنين، أن أفردهن جماعة من العلماء بالتأليف المستقل، فمن فعل ذلك : أبو عبيدة معمر بن المثنى، الذي له بالمكتبة الظاهرية بدمشق جزءا سمه : «تسمية أزواج النبي وأولاده » رقمه (عام 4514)، وزهير بن العلاء العبسي، والمحب الطبري [طبع كتاب المحب الطبري بالمطبعة العلمية بحلب عام 1346 هـ واسمه : «السمط الثمين، في مناقب أمهات المومنين] والزبير بن بكار الذي له جزء صغير مخطوط في الخزانة الظاهرية بدمشق اسمه : «المنتخب، من كتاب أزواج النبي، رقمه : مجموع : 47 من الورقة : 123] وغيرهم، انظر : «الإعلان بالتوبيخ، لمن ذم أهل التاريخ» للحافظ السخاوي ص : 93.92، مطبعة الترقي بدمشق عام 1349 هـ.

والتزويق والتطريز... وسارت المرأة جنبا إلى جنب مع الرجل في التعليم وتثقيف البنات والنساء والأولاد...

ولم يكن النساء يحضرن دروس العلم مع الرجال، ويعلم القرآن الغلمان والجواري دون اختلاط.. قال سحنون : كانوا يعدون تعليم الجواري مع الغلمان فسادا... ولما بنيت القاهرة، واستقر بها النظام، واستهدف ملك الفاطميين جعلوا مجالس تعليم الناس أمور الديانة في الجامع الأزهر، ولا يحضرن مجالس العلم التي في الديوان، ويجلس الداعي[37] مكرر للنساء في الجامع الأزهر، حتى نبغن نبوغاً كبيراً، وأصبحن أسانيد لكبار الأئمة، ويذكر ابن جزم عن نفسه : «أنه ربي في حجور النساء، ونشأ بين أيديهن، وهن علمنه القرآن، وروينه الكثير من الأشعار، ودربنه في الخط، واستمرت دراسته على أيديهن إلى أن بلغ سن العشرين...»[38]

☆ ☆ ☆

وهناك أسر توارث أبناؤها العلم، فكانوا، وكان نساؤهم من العلماء، كأسرة آل قُدامة الذين منهم مؤلف : «المغني» أعظم كتب الفقه الإسلامي، وابن أخيه صاحب الشرح الكبير، والجاحظ صاحب «المختارة» التي هي أصح كتب الزوائد على الصحيحين...

وقد تحدث الشيخ علي الطنطاوي عن هذه الأسرة، فقال : «لقد أولعت زمنا بتتبع تاريخ هذه الأسرة، فحصل معي من شأنها العالمات، فضلا عن رجالها العلماء أكثر من إحدى عشرة سيرة..»[39]

وهناك أسرة بني زهر، وهي أسرة أندلسية عاشت في الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي، ومعظم أفرادها عملوا بصناعة الطب رجالا ونساء، وأشهر طبيبات هذه الأسرة هن : بنت الحفيد أبي بكر بن زهر، ابنة شقيقة الحفيد أبي بكر بن زهر، وكلهن برعن في مهنة الطب، وخاصة في أمراض النساء والولادة وكن يعشن في مدينة اشبيلية بالأندلس.. وقد جاء في كتاب : «خبرات التمريض» للكاتبة هِلين رَايتْ» : «إن أخت الحفيد أبي بكر بن زهر. وبنتها كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة. ولهما خبرة جيدة فيما يتعلق بمداواة النساء. وكانتا تدخلان على نساء المنصور أبي يعقوب بن يوسف بن عبد المومن الذي لا يقبل وأهله إلا أخت الحفيد أو ابنتها لما توفيت» ويقول أنور الرفاعي في كتابه : «الإسلام في حضارته ونظمه» : إن ابنة الحفيد صارت من أشهر الأطباء في عصرها، كانت مولدة ماهرة، بجانب قدرتها على العلاج العام لسائر أمراض النساء، كما خلفتها ابنتها التي امتهنت مهنة الطب، ولذا ذاع صيتها بالولادة، وعلاج بعض أمراض النساء المستعصية..[40]

ومن هذه الأسر في التاريخ القريب أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأنتم تعرفون من نشأ فيها من العلماء، وأسرة ولي الله الدهلوي في الهند، وأسر من أمثالها كثير، أحصيت الكثير من أخبارها... ولو عددت من هذه الأسر أسرة أبي الحسن الندوي لما أبعدت، فأبوه عالم طبيب مؤلف، وأخوه لأبيه عالم طبيب، وأخته مؤلفة، ولها ترجمة

---

37) مكرر الداعي لقب عند الشيعة للعالم الذي تأهل لمنصب الدعوة لتأييد مذهب الشيعة، ويوصف بالداعي إلى الحق، فلكل مذهب من مذاهب الشيعة دعاة، وعلى الدعاة رئيس عليهم يلقب داعي الدعاة، وكان أبو عبد الله الصنعاني القائم بالدعوة للعبيديين في قبيلة كتامة من البربر من المغرب أحد الدعاة في صنعاء اليمن..

38) انظر : «الإصابة» قسم النساء : ص : 384، وتهذيب التهذيب ص : 465 ـ 467 / 12. ومحمد بن أحمد العبدي الكانوني : «المرأة المغربية» ترجم فيه لنحو مائتي امرأة ـ مابين عالمات وأديبات وصالحات [93، التأليف ونهضته في القرن العشرين من 1900 ـ 1972، للمرحوم عبد الله الجراري] وانظر أيضا : إيقاف النبلاء، على تراجم جماعة من عالمات النساء «لمحمد الباقر الكتاني (أربعة كراريس».

39) «الشرق الأوسط» 1986/12/11، مذكرات الشيخ علي الطنطاوي.

40) انظر : في الموضوع : «الأمراض النسوية في التاريخ القديم، وأخبارها في العراق الحديث» للدكتور كمال السامرائي.. «خبرات التمريض» للكاتبة : هيلين رايت» «الإسلام في حضارته ونظمه للأستاذ أنور الرفاعي، أعلام النساء، في عالمي العرب والإسلام للأستاذ محمد رضا عجالة. ـ «الطب ورائداته المسلمات» للدكتور عبد الله عبد الرازق السعيد. ـ «الموسوعة العربية الميسرة» : ط : 2 عام 1972. ـ ابن خلدون في مقدمته وهو يتحدث عن «فن التوليد». ـ «الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب» للدكتور محمد كامل حسين. ـ «لمحات في تاريخ الطب عند المسلمين الأوائل» للدكتور علي عبد الله الدفاع. ـ «تاريخ الطب والآداب وأعلامه» للأستاذ أحمد شوكت الشطي. ـ «تاريخ البيمارستانات في الإسلام» للدكتور أحمد عيسى بك..

«رياض الصالحين»، وأخته الأخرى عالمة، وهي أم العلماء...

مؤسسة «خاصكي سلطان» :

أنشأت السيدة الفاضلة المحسنة «خاصكي سلطان» مؤسسة خيرية في فلسطين في العهد العثماني عام 959 هـ؛ وتعد «خاصكي سلطان» من أكبر المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي استمرت في القيام بخدمات اجتماعية جليلة مختلفة للفقراء والمحتاجين والمسافرين لمئات السنين...

و«خاصكي سلطان»، كما تحدث عنها كامل جميل العسلي في كتابه : «من آثارنا في بيت المقدس» جارية من جواري السلطان سليمان القانوني أعظم سلطان سلاطين بني عثمان (926 هـ - 974 هـ) كانت روسية الأصل، نحيفة، ذات شعر أشقر، اختطفها من بلدة «روجاتينو» الروسية، وباعوها في اسطانبول لوكلاء السلطان، ويسميها المؤرخون الغربيون «روكسيلانة» أو «روسلانة»، ولكن خازن بيت الكسوة في القصر السلطاني أطلق عليها اسم «خرم»، ومعناه «الضاحكة أو المرحة» إذ كان لها أسلوب مرح في الغناء، افتتن السلطان بها، فأصبحت «خاصكي سلطان» أي محبوبة السلطان، وذلك بعد أن أنجبت أول مولود له، ويبدو أنها استولت على مشاعره تماماً، فخرج على تقاليد البلاط، وتزوجها بعد أن أعتقها من الرق، واستطاعت بما لديها من تأثير على السلطان أن تضمن لابنها «السلطان سليم الثاني» فيما بعد العرش...

كانت «خاصكي سلطان» شغوفة بأعمال الخير، فقد بنت في اسطانبول جامعاً، وفي «أدرنة» جامعا آخر، وبنت في اسطانبول جامعا ومدرستين هما : «خاصكي خرم» و«قاهرية» ومستشفى وحمامين وتكية، وأقامت في مكة المكرمة قرب الكعبة المشرفة تكية أيضاً، وكذلك قامت بوقف «تكية خاصكي سلطان» بمدينة القدس التي كانت من أهم المنشآت في المدينة على الإطلاق، وقد بدأ العمل بها عام 959 هـ واستقدمت لذلك عدداً من معلمي البناء والنجارين والفنيين من مدينة دمشق، وتتألف هذه الوقفية من مسجد ذي أروقة، وقبة، ويقوم على أعمدة عالية، وعمارة تحتوي على مطبخ وفرن وبيت مؤونة، ومبان عالية مسقوفة، وخمس وخمسين حجرة بنيت حول المسجد وقفتها «للمجاورين من صلحاء المومنين وأتقياء الموحدين»، وكذلك خان واسع وقفته على عامة أبناء السبيل وأصحاب السفر والرحيل...

ولكي تضمن (خاصكي سلطان) لهذه المؤسسات البقاء والاستمرار في أداء خدماتها، وقفت عليها أوقافاً كثيرة في أربعة «سناجق» في سورية وفلسطين، وهي سناجق غزة، والقدس، ونابلس، وطرابلس، وتتضمن هذه الأوقاف قرى ومزارع وخانات ودكاكين وطواحين وحمامات...

والجزء الأهم من تكية «خاصكي سلطان» كان المطبخ الذي تقدم فيه الوجبات المجانية... حيث ظل يقدم الطعام المجاني طوال ذلك العصر وبعده، أما الفرن، فكان يخبز يوميا ألفي رغيف وفي أيام الجمع وليالي رمضان والأعياد كانت تقدم الأطعمة الفاخرة..[41]

☆ ☆ ☆

لقد تحدث التاريخ عن كثير من النساء الناسكات المتزهدات المذكورات في الزهد والرياسة من نساء الجماعة وأصحاب الأهواء..

فمن نساء الجماعة أم الدرداء، ومعاذة العدوية، ورابعة القيسية..[42]

ولعل ممن كتب الله لهن التفوق والفلج من النساء الواقفات في ميدان الوقف والإحسان والمبرات تلك المرأة الصالحة الخالدة المغربية التي تقدمت من نساء المهاجرين النازلين بمدينة فاس[43] السيدة فاطمة أم البنين التي

41) انظر تلخيصا لكتاب : «من آثارنا في بيت المقدس» وعرضا للأستاذ حمودة زلوم في العدد رقم 340 من مجلة العربي» الكويتية مارس 1987.

42) «الحيوان» للجاحظ ص : 5/589.

43) إذا كان الفسطاط والقيروان بإفريقيا من آثار الصحابة والتابعين، فمدينة فاس من أثر آل البيت الأقربين، فلابد أن يرى الناس عليها أسرار النبوة والرسالة، وفيض أنوار القرابة والسلالة.

ورثت مالا حلالا طيبا من والدها محمد بن عبد الله الفهري، وأرادت أن تصرفه في وجه من وجوه الخير...

ويحدثنا التاريخ عن هذه السيدة، فاطمة أم البنين، أنها منذ أن شرعت في بناء جامع القرويين وهي صائمة، إلى أن أكمل، وصلت فيه شكراً لله تعالى الذي ألهمها لهذا العمل الباقي المبرور..

فقد رأت هذه المحسنة أن تتقرب إلى الله بالتوسعة على الناس في إقامة دينهم، وبناء بيت يذكر فيه اسم الله، ويعبد فيه، فاشترت أرضاً، في عدوة الواردين القرويين، فجعلت منها مسجداً، وشرعت في حفر أساسه وبنائه مهل رمضان عام 245، أي بعد عدوته بنحو الخمسين عاماً... وقبل بناء الأزهر الشريف بنحو مائة عام...

وفي تلك السنة بنت أختها مريم مسجداً بعدوة أهل الأندلس، فكان تأسيس المسجدين معا من عمل النساء... ولهن في الإسلام أعمال كثيرة، وأيادي بيضاء مخلدة على صفحات الخلود، في سبيل الله، ووجوه الخير والعرف والبر...

كانت جامعة القرويين في بدايتها متواضعة شأن كل

المؤسسات التي يرجع تاريخها إلى العصور القديمة، حتى إن جامعة السربون الشهيرة، وهي من أقدم جامعات أروبا، كانت في أول نشأتها في القرن الثاني عشر الميلادي عبارة عن بعض الدروس في علم اللاهوت يلقيها الرهبان في حجرة ملاصقة لكنيسة «نوطردام» بباريس، وفي عام 1253 بنى أحد المحسنين الواقفين يدعى دي سوربون[44] Robert de SORBON منزلاً لإيواء طلبة اللاهوت الفقراء، وذلك ما صار يدعى من بعد «جامعة السربون»، ولم يكن يدرس بها شيء من العلوم البحتة كالعلوم الرياضية والطبيعية، الأمر الذي لم يدخل للجامعة إلا بعد الثورة الفرنسية 1789، أي قبل ابتداء القرن التاسع عشر ببضع سنوات، وهكذا كان الشأن في بقية الجامعات الأروبية، في إيطاليا، وفرنسا، وأنجلترا، واسبانيا وغيرها...

فأول جامعة تأسست في أروبا هي جامعة مدينة «ساليرن» SALERNE عام 1050 جنوبي إيطاليا، ثم أصبحت معروفة بمدرسة نابولي Naples) عام 1180، ثم جامعة بولونيا[45] BOLOGNE للحقوق، ثم جامعة باريس التي اعترف بها لويس السابع عام 1180، وجامعة بادوا عام 1222، واكسفورد عام 1249، وكامبريدج عام 1284، وسلامانكا Salamanca في اسبانيا عام 1243.

☆ ☆ ☆

لقد كان عمل هذه السيدة فاطمة أم البنين، التي بنت هذه الجامعة العتيدة لوجه الله، عملا جعل لها لسان صدق في الآخرين، فنشرت هذه الجامعة الإسلامية، جامع القرويين، المعارف والعلوم الإسلامية في المشارق والمغارب، والمباعد والمقارب، وعبقت أشذاء عرفانها في الخافقين.. في الوقت الذي اندثرت، تماماً، فيه كثير من جامعات الشرق قديماً كجامع البصرة، جامعة المسلمين الشرقية والتي تخرج منها أعلام الإسلام، وصدور الأئمة، وجامع المنصور في بغداد، وجامع الحجاج بن يوسف في مدينة واسط، وجامع المتوكل العباسي في مدينة المتوكلية، وجامع قرطبة، وجوامع الأندلس، فلم تزل هذه الجامعة، جامع القرويين، صامدة أمام تفاقم الأحداث، ووثبات الدهر، ثابتة في وجه الغير والحدثان، تقصف العواصف، وتتوالى الرواجف والروادف، فتتكسر على صفاتها كل المعاول والمطارق، ورغم كل ما أصابها، في بعض الفترات القديمة، من المحن والإحن ولا سيما في عهد الاستعمار الدابر الكافر، فإنها ما زالت شامخة صامدة قائمة ثابتة تتحدى كل من أراد بها السوء إذ ليس لها منافس في الجلالة والنبالة، ولا مجاريا لها في القدم والأصالة... وكأن

---

44) عالم لاهوتي فرنسي، ولد في عام 1201، وتوفي عام 1274م. كان كاهنا قانونيا بباريس عام 1258، وأستاذا لعلم اللاهوت، وعالما دينيا في «سان لوي» SAINT LOUIS في عام 1257، بنى مؤسسة خاصة بعلوم اللاهوت للتلاميذ الفقراء وهي مؤسسة السربون La SORBONNE.

45) مدينة إيطالية، فيها عدة آثار من القرون الوسطى، وعصر النهضة، بها مدرسة مهمة للقانون، عرفت أوجها في القرنين 12 ـ 13، ومدرسة للرسم في نهاية القرن 16، كما بها عدة متاحف.



علماء المغرب يسلمون لجلالة الملك الحسن الثاني شهادة العالمية لجامعة القرويين اعترافا بمكانته العلمية المتميزة وتقديرا منهم لخدمته الجلى للعلم الشريف.

الشاعر العظيم أحمد بن الحسين عناها بقوله :

وقفت، وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى، وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح، وثغرك باسم

☆ ☆ ☆

وفي العمل العظيم المبرور الذي نهضت بعبئه فاطمة أم النبين أنشد المرحوم الأستاذ علال الفاسي تلك القصيدة التي منها :

أم البنين، رفعت قدر المر
ء لا قدر الفتاة، فحسب، في الميدان
وأعدت مجد الصالحات ال
قانتات الخالدات بفعلهن الباني
السابقات إلى الهدى والندا
عيات الحافظات السر والإعلان
لله درك من فتاة غضة
لم تهتبل بمطالب النسوان
أدركت سر العيش في حرية
لا تقتنى بالمال والسلطان
خيرت ما بين الثراء بعيشة
معسولة تفضي إلى النسيان
وحياة حر لا يعبده الهوى
ودأبت تبني المجد في اطمئنان
خلدت ما ورثته من ثروة
تنمو على الأجيال والأزمان
أعليت بالمال الحلال حرا
م قدس شامخ متوطد الأركان
شيدت أبرك مجد، ورفعـ
ـت أنفع معهد، وبلغت أعظم شأن
يا درة الخلد التي يزهو بها إلا
نسان في دنيا العقول وعالم العرفان
يا درة من معدن الهادي وزهـ
ـرة روضه المشعشع المزدان
يا نقلة من غرس عقبة لم تزل
تضفي علينا يانع الأغصان
لله مسجدك الذي تاهت به
فاس، وفاقت سائر البلدان
من معهد مطرت سماوة روضه
بحيا العلوم الهاطل الهتان

وما أروع ما أنشده الشاعر الأديب العالم السفير الأستاذ خير الدين الزركلي في هذه السيدة المحسان :

أم البنين ازداد مجدا بها
فهر، وفهر من بنيه النبي
أرست صخيرات فكن الهدى
للناشئ اليافع والأشيب
وكن للأجيال أحدوثة
للمفصح الموجز والمطنب

ولنتمل بالقصيد الذي تفتحت عنه قريحة شاعر المغرب الموهوب الأستاذ محمد الحلوي حيث يقول :

أي أنثى تلك شيدت
للدين والعلم أقدس البنيان
رفعت فأسها تشق به الأر
ض، وفي جفنها دموع امتنان
تنقل الصخر للبناء وهي تتلو
في خشوع مقاطع القرآن
أي أنثى تلك التي أسست
لله بيتا كمسجد الرضوان
وأرت للرجال كيف تشيد
المجد ـ إن شاءت ـ ناعمات البنان

☆ ☆ ☆

حدثي الجيل عن مآثرك الغـ
ـر، وقصي روائع الأمجاد
وجدت فيك بنت يعرب حصنا
مشمخرا يصد عنها العوادي

☆ ☆ ☆



أقدم صومعة من «النوعها» بمدينة فاس

ذلك نموذج مضيء مما كان في تاريخنا القديم، أما في العصر الحديث فهناك نماذج حية وعديدة للقادرات اللاتي كل لهن دور مؤثر في النهضة الثقافية العربية، ونذكر من هؤلاء الأميرة المصرية فاطمة ابنة الخديوي إسماعيل التي تبرعت في عام 1908 بقصرها في الجيزة، ليصبح أول كلية للآداب في العالم العربي.. وأول كلية في الجامعات العربية الحديثة، وما زالت هذه الكلية قائمة في قصر الأميرة فاطمة إسماعيل إلى الآن...

وفي الشهور الأخيرة كان هناك موقف من هذه المواقف التي تستحق التقدير، وتستحق الإشارة إليها حتى تكون مثلا نرجو أن يتكرر، ذلك هو موقف الكاتبة والشاعرة الكويتية المعروفة الدكتورة سعاد الصباح من مجلة «الرسالة» القديمة لصاحبها المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات، فقد دفعت الدكتورة سعاد الصباح ثلاثمائة ألف دولار لإعادة نشر المجموعة الكاملة لمجلة الرسالة، بعد أن اختفت مجموعات المجلة من الأسواق، وأصبحت المجموعات القليلة الموجودة عند بعض الموزعين، تباع بسعر مرتفع جدا، حيث يبلغ ثمن المجموعة - إن وجدت - مالا يقل عن عشرة آلاف دولار، وقد صدرت الطبعة الجديدة من الرسالة تحت إشراف العالم الأديب الدكتور محمد يوسف نجم... ومن هنا يظهر فضل الدكتورة سعاد الصباح الكبير في إعادة هذه المجلة إلى الحياة.. فقد كان موقفها نموذجا حيا للعمل الثقافي والوطني المنتج العظيم...

☆ ☆ ☆

الوقف لتعليم الأضراء والمكفوفين :

لم يهمل المسلمون الخيرون العناية بالمكفوفين، فقد وقفوا عدة وقوف لفائدتهم، وخصصوا من يعلمهم القراءة والكتابة والعلوم المختلفة، وكان في الأزهر الشريف رواق[46] خاص قد أوقف على تعليم المكفوفين، هو رواق زاوية العميان الذي يقع خلف المدرسة الجوهرية، ويفصل بينهما حارة، كما يصل بينهما ممر من الحجر يمشي عليه المتوضئون من ميضاتها، وتحتوي الزاوية على أربعة أعمدة من الرخام، ولها قبلة وميضأة، وثلاثة عشر مرحاضا، وبالدور العلوي توجد ثلاث غرف لا يسكنها غير العميان، ولهذه الزاوية شيخ يشترط فيه أن يكون ضريرا، ولطلبة الزاوية وشيخها مرتبات ثابتة تصرف لهم، ومنشئ هذه الزاوية هو الأمير عثمان كتخدا، صاحب السبيل والمسجد بجهة الأزبكية،[47] كما أوقف الخديوي اسماعيل مدرسة العميان والخرس التي أدخلت إلى مصر في شهر فبراير عام 1875، تحت نظارة المرحوم محمد أنسي بك، والتي قرأ بها الشيخ حسين المرصفي الأكمه...

ونتيجة للوقوف الكثيرة التي رصدها الواقفون لفائدة المكفوفين نبغ في الإسلام كثير من أعلام الفكر والأدب الذين جعلوا البصيرة أداة تفوق الباصرة، وهم مكفوفون كانوا من أعيان القراء، ووجوه الأضراء كأبي العلاء المعري، وأبي الحسن الآمدي الأكمه الذي كان يعرف عدة لغات، ويتاجر في الكتب، ويستعمل كتابة نافرة في تثبيت ثمن الكتاب الذي اشتراه، كما يعرف الكتاب وعنوانه، ويعرف عدد أسطر الصفحة كذا وكذا سطرا، كما يعرف أنواع الأقلام التي كتب بها الكتاب وألوانها[48]، ويمكن القول بأنه

---

46) الرواق : هو المكان الذي كان مقرا لسكنى الطلبة، وهي غرف متصلة بأسوار الأزهر على طول هذه الأسوار، وكانت تفرش بما يلزم لها من الفراش، ويعد بجانبها محلات للغسيل، وأخرى للوضوء، وغيرها لإعداد الطعام، وكانت تقام فيه اذكار، ويحتدم الجدل والنقاش... وأول من جعل لطلاب الأزهر رواقا يسكنون فيه، هو الخليفة العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي، ثم أخذ الملوك والأمراء وأصحاب اليسار في تشييد الأماكن لسكنى الطلاب من مصريين وغرباء... وكانت لكل طائفة جهة يقيمون بها، وتصرف عليهم الجرايات والمرتبات، ولكل طائفة نقيب وشيخ يحكمهم ويدافع عنهم، ويخاطب في مسألتهم أولي الأمر وشيخ العموم، كما أن لكل طائفة منهم أوقافا وعقارات يصرف عليهم من ريعها...

47) انظر المجلد الأول من «مساجد مصر» للدكتور سعاد ماهر، ط : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

48) ذكر الصفدي أن للآمدي حكايات غريبة منها، أنه قال : «رأيت في المنام، كان شخصا أطعمني دجاجة مطبوخة، فأكلت منها، لم استيقظت، وبقيت في يدي، وهنا شيء عجيب [نكت الهميان ص : 206، انظر ترجمة : شافع بن علي الكناني العسقلاني الذي كان، أيضا، يلمس الكتاب ويحسه، ويفهم ما فيه المصدر السابق ص : 164] ويقول الشاعر الكبير الصاوي شعلان : كنت أشعر بالامتنان العميق لعلي باشا مبارك، لأنه أول من أدخل تعليم القراءة البارزة بمصر، ووقفها على جميع الأضراء...

من الرواد الذين استعملوا الكتابة النافرة عن طريق استخدام النقط البارزة الحادثة بالضغط على متن ورق سميك، أو ألواح خاصة من البلاستيك يستطيع الكفيف تبيينها عن طريق اللمس بالأنامل، بل، إننا نجد، أكثر من هذا، نصا صريحا يرفع اختراع هذه الطريقة إلى القرون الأولى للإسلام، فقد ذكر ابن حزم الأندلسي إمام أهل الظاهر، والذي عاش في الفترة ما بين 384 ـ 456 هـ في كتابه، «التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية، والأمثلة الفقهية»[49] مايلي :

ولقد أخبرني مؤدبي أحمد بن محمد بن عبد الوارث رحمه الله، أن أباه صور، لمولود كان له أعمى، ولد أكمه، حروف الهجاء، أجراها من قير، ثم ألمسه إياها، حتى وقف على صورها بعقله وحسه، ثم ألمسه تراكبها، وقيام الأشياء منها حتى تشكل الخط، وكيف يستبان الكتاب، ويقرأ في نفسه، ورفع عنه بذلك غصة عظيمة، وأما الألوان، فلا سبيل إلى ذلك فيها».

يظهر من هذا النص أن العرب هم أول من اخترع هذه العملية، قبل الأروبيين بعدة قرون،[50] وأن الإسلام أولى عناية خاصة بالمكفوفين، بل انه نزلت سورة خاصة بابن أم مكثوم،[51] وهكذا أفسحت للعميان مجالس العلم والثقافة أتيحت أمامهم فرص المعرفة بحيث صار منهم الحفاظ الأثبات، والأئمة الأعلام الذين أتوا بما يعجز عنه المبصرون.. ولعل في مقدمة هؤلاء المكفوفين عبد الله يوسف ابن أحمد بن هشام (708 هـ) الذي له عدة تآليف في اللغة العربية، ويعد من أحبار الفقه واللغة، والإمام الشاطبي بن فرو[52] المحدث والمفسر واللغوي والمقرئ صاحب منظومة «حرز الأماني»، والذي نظم كتاب : التيسير، بحفظ القرآت السبع لأبي عمرو الداني الأندلسي، والهواري محمد بن أحمد بن علي الأعمى النحوي (698 ـ 780 هـ) الذي ترك لنا شرح ألفية ابن مالك، وألفية ابن معطي في ثمانية مجلدات، وعلي ابن إسماعيل المعروف بابن سيده أعظم «معجمي» عرفته الأندلس[53] (398 ـ 458 هـ) والذي هو أيضا ضرير، كما كان أبوه ضريرا[54]، فقد صنف كثيرا من الكتب، «كالمخصص» الذي يعد أول معجم موضوعي في الغرب الإسلامي المطبوع في سبعة عشر جزءا، وهو من أثمن كنوز العربية، و«المحكم»[55] والمحيط الأعظم في 18 جزءا، وشرح ما أشكل من شعر «المتنبي» و«الأنيق، في شرح حماسة أبي تمام» في ست مجلدات[56]. والأرجوزة[57] والترمذي الكبير الحافظ، والفقيه منصور المصري الشاعر، والسهيلي صاحب «الروض الأنف»، وأبو البقاء العكبري، وابن الخباز النحوي، والنيلي شارح الحاجبية، وإبراهيم بن علي التطيلي، وعلي

---

49) «التقريب في المنطق» وهو مختصر جعله مدخلا إليه، وأورد الأمثلة الفقهية بألفاظ عامية بحيث أزال سوء الظن عنه [كشف الظنون ص : 1/466] وقد حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس، ونشرته مكتبة الحياة اللبنانية ص : 192.

50) حقق السيد «لويس برايل» المولود بناحية باريس عام 1809، وقبله السيد «تشارلز بابير» الضابط الفرنسي الطريقة الكتابية الناتئة التي تساعد المكفوفين على القراءة.
ولويس برايل LOUISBRILLE أستاذ فرنسي ولد في مدينة كوفراي COUPURAY الواقعة في «السين ـ مارن SEINE - ET MARNE قرب باريس.

51) اقرأ سورة «عبس» مع التفاسير، وانظر المقدمة الرابعة من كتاب : نكت الهميان، في نكت العميان ص : 23.

52) العلامة أبو القاسم الشاطبي الفقيه الحافظ الضرير أحد العلماء المشهورين (ت : 590 هـ) [نكت الهميان، ص : 228، طبقات السبكي ص : 4/227، معجم الأدباء ص : 12/293، نفح الطيب ص : 22 ـ 23، 2/24] وفيات الأعيان ج : 3، ص : 510، حسن المحاضرة ج : 1، ص : 212، وفيره معناه : الحديد...

53) انظر مطمح الأنفس ص : 60، وانظر أيضا : ابن سيده المرسي، دراسة في حياته د. حسن الوراكلي، مجلة «المناهل» ع : 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 س : 1975.

54) كان أعمى ابن أعمى [نفح الطيب ص : 3/380].

55) في «رسالة الشقندي» في الدفاع عن الأندلس... «...وهل لكم في حفاظ اللغة كابن سيدة صاحب كتاب : «المحكم»، وكتاب : «السماء والعالم» الذي إن أعمى الله بصره، فما أعمى بصيرته. [نفح الطيب ص : 3/192] وكان الشروع في نشر معجم ابن سيدة : «المحكم» في القاهرة عام 1958 بتصدير د. طه حسين، وتحقيق الأستاذين : مصطفى السقا. ود. حسين نصار، وكتاب : «العالم» في اللغة على الأجناس «في غاية الاستيعاب نحو مائة مجلد، بدأ فيه بالفلك، وختم بالذرة [نكت الهميان، في نكت العميان للصفدي ص : 205].

56) جريدة : «المسلمون» ع : 32/ السبت 29. ذو الحجة عام 1404.

57) عثر الأستاذ حبيب زيات في دمشق على أرجوزه لابن سيده ضمن مجلد مخطوط يتألف من ثلاث وثلاثين ورقة من جملة أجزاء وجزازات شتى...

بن عبد الغني المقرئ المصري، ويوسف بن سليمان أبوالحجاج الأعلم الشنتمري، وصالح بن عبد القدوس، وبشار بن برد، وجابر ابن عبد الله، وإمام النحاة أثير الدين أبو حيان الغرناطي النفزي، وأبو الحسن الشاذلي، وشمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي صاحب التآليف العديدة[58]... وغيرهم كثير جدا من عباقرة علماء الإسلام الأضراء..

أما عباقرة العميان في العصر الحاضر، فيأتي في مقدمتهم الدكتور طه حسين، ود.محمد غلاب، ود.عبد الحميد يونس، والأستاذ الشاعر المبدع الصاوي شعلان، والشيخ عبد الحميد كشك. ود.مصطفى الصاوي الجويني أستاذ الدراسات العليا بالعربية السعودية، وملا عثمان الموصلي، والشيخ حسين المرصفي رائد دراسة تاريخ الأدب العربي،[59] ود.محمد مصطفى حلمي، والدكتور صلاح العقاد، و«جون ميلتون» أمير شعراء الإنجليز في القرن السابع عشر، ويوسف الدجوي الذي كانت له مع الشيخ رشيد رضا مناقشات علمية عميقة، والدكتور أحمد الزين الذي استطاع بجهاده العلمي الظافر أن يبرع في فن التحقيق، وأن يخرج ثمارا قيمة في حقل التراث الأدبي...

فهؤلاء الأضراء المكافيف، وجدوا في مؤسسة الوقف متنفسا لما أصابهم من انكفاف البصر، ومفيضا للمشاعر المكظومة المضغوطة. وتنفيسا للمشاعر الجياشة، فباتوا يلتمسون الدفء بجوارها، فانتعشوا، وأصبح لهم حضور في المجتمع يشاركونه في تنميته وبنائه، حتى وصلوا إلى ماوصلوا إليه من درجات العلم والحكمة، والشفوف والنبوغ عن طريق الوقف الذي كان مرصودا لفائدة هؤلاء المحاويج الذين يسرت لهم هذه المؤسسة ولوج أبواب المعرفة عن طريق الحياة في المسجد والمعاهد الأخرى..

لقد أوقف على المكفوفين عدة مؤسسات خيرية، قديما وحديثا، وأقبل المحسنون في عطاء وسخاء على تخفيف حدة بلواهم، كما أقبل كثير من الرجال العلماء على تأسيس منظمات لرعاية المكفوفين، فهذا الدكتور عبد الحميد يونس، مثلا، قد أقبل على رعاية المكفوفين بقلب سليم، وعزيمة صادقة، وقد شمل الجانبين النظري والعملي، فقد قام بترجمة كتاب عن قصة تعليم المكفوفين، اسمه : «رحلة في عالم النور»، وكتب له مقدمة وأضاف فيه فصلا قيما... هذا إلى جانب عمله كرئيس «لجمعية النور» للنهضة بمكفوفي البصر، وعمله كنائب رئيس المركز النموذجي لرعاية المكفوفين، ونائب رئيس الجمعية المصرية لرعاية العميان، ونائب رئيس اللجنة المشتركة لرعاية ذوي العاهات، وعضو بمجلس إدارة، «جمعية النور والأمل»،

---

58) لقد أفردت عدة كتب ودراسات قديما وحديثا عن الأضراء العميان، فقد ساق ابن قتيبة في آخر كتابه : «كتاب المعارف» فصلا في المكافيف، وذكر أعدادا كبيرة من الصحابة. كما ساق الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي فصلا في آخر كتابه : «تلقيح فهوم أهل الأثر» في تسمية العميان الأشراف، كما ذكر أبو العباس أحمد بن علي بن بانة في كتابه : «رأس مال النديم «أشراف العميان» وللخطيب ابن بكر خطيب بغداد جزء جمعه في العميان، وللجاحظ كتاب ذكر فيه ذوي العاهات، [انظر نكت الهميان، في نكت العميان] في كتابه : «البرهان، والعرجان، والعميان والحولان» عن الأضراء، ولا تعرف من هذا الكتاب القيم نسخة في أي بقعة من العالم على شدة عناية الناس بالتنقيب عن آثار الجاحظ، وقد أهدت وزارة التهذيب الوطني بالمملكة المغربية صورة من هذا الكتاب لمعهد المخطوطات بالجامعة العربية بعدما أحضر من الرباط من قرية «أيزو» رئيس قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط، وهو يتحدث عن الأضراء...

وقد أخرجت «دار الاعتصام» هذا الكتاب لأول مرة بتحقيق الأستاذ محمد مرسي الخولي، كما ألف «توماس كارول» كتاب : رعاية المكفوفين» وترجمه د : صلاح مخيمر. ونشر «ديدرو» عام 1749 نصا علميا وفلسفيا شهيرا عنوانه : «خطاب عن العميان في خدمة المبصرين» كان هذا الكتاب سببا في اقتياد صاحبه إلى سجن «فنسين»، إذ اتهمته الحكومة والبوليس بمحاولة هدم النظام، ومهاجمة الأخلاق، كما تحدث «بودلير» عن العميان في إحدى قصائد : «زهور الشر» وعن «عيون بيروته، في «الحطام» وعن «عيون الفقراء» في قصيدة منثورة. «والعميان» قصيدة شهيرة كتبها «بودلير» عام 1860، وتحدث فيها عن هذه الفئة من البشر بنبرة مبتكرة أبعد ما تكون عن الاشفاق التقليدي، وإن لم تخل من التعاطف الإنساني العميق...

وإن السنيور «فرناندو وييدا»، وهو دكتور في الحقوق، فقد بصره منذ أزيد من عشرين عاما، واشتغل خلال هذه المدة بتأليف الكتب التي تعالج حالة العميان، في مختلف أنحاء العالم، وهو الآن، منهمك في تأليف سماه : «وصية المكفوفين، في القرون الوسطى».

59) لعل الشاعر احمد شوقي كان ينظر إلى أستاذه الشيخ حسين المرصفي، ويستحضر ذكراه، وهو يقول في قصيدته التي قيلت بمناسبة إصلاح الأزهر الشريف، والبدء فيه، في عام 1924 :

نظرا، وإحسانا إلى عميانه ... وكن المسيح مداويا ومجبرا
والله ما تدري، لعل كفيفهم ... يوما، يكون أبا العلاء المبصرا

وعضو المجلس العالمي لرعاية المكفوفين، ودعوة عبد الحميد يونس وعملة ينحصران في هذا الميدان، في تحقيق فرص العلم والعمل للمكفوفين.

وهذا عبد الله محمد الغانم رئيس الاتحاد العالمي للمكفوفين، ورئيس المكتب الإقليمي لشؤون المكفوفين، شارك في 22 أبريل الماضي 1988 في الحفل الذي أقامته المنظمة الوطنية الإسبانية للمكفوفين، بمناسبة منحه جائزة المنظمة لهذا العام. وبإجماع أعضاء مجلس عموم المنظمة... وقد تم منح الغانم هذه الجائزة لتضامنه مع المكفوفين الأقل حظا في أوضاعهم وظروفهم، وبجهوده النشطة في التخفيف من آلام المكفوفين، وتحسين حياتهم في أنحاء العالم، والجدير بالذكر أن عبد الله محمد الغانم السعودي أول رئيس للاتحاد العالمي للمكفوفين الذي تم تأسيسه عام 1984...

☆ ☆ ☆

وكما عرف المكافيف بالعلم والنباهة، والتفوق والفلج في ميادين شتى، فقد انصرفوا لحفظ كتاب الله واستظهاره، وقد خصصت لهم، في هذا الباب وقوف مالية بغية استمرارهم في ترتيل كتاب الله، بل إننا نجد، كما في المغرب، بعض الزوايا تضم مجموعة لاعداد لها من المكافيف تضم أهل الخير والصلاح يقصدهم الناس، ويأخذونهم معهم إلى دورهم وبيوتهم لترتيل القرآن، وتلاوة الأذكار، والتقرب، بهم، إلى الله تعالى، لأنهم انصرفوا عن هذه الدنيا، وأقبلوا على الله بقراءة الكتاب الكريم، وهذا شيء عرف منذ القديم،[60] وقد تحدث التاريخ عن هذه الظاهرة..

فمن فوائد جد أحمد المقري رحمه الله تعالى أنه قال : أنشدت يوما الآبلي قول ابن الرومي :

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبه ... وبكحله، الأحياء والبصراء

فإذا مررت رأيت من عميانه ... أممـا على أمواتـه قراء

فاستعادني حتى عجبت منه مع ما أعرف من عدم ميله إلى الشعر، وانفعاله له، وظننت أنه أعجب بما تضمنه البيت الأول من غريب اللف والنشر المكرر الذي لا أعرف له ثانيا فيه، فقال : «أظننت أني استحسنت الشعر ؟.. فقلت : «مثلك يستحسن مثل هذا الشعر، فقال : «إنما تعرفت منه كون العميان كانوا في ذلك الوقت والزمان يقرأون على المقابر.. فإنني كنت أرى ذلك حديث العهد، فاستفدت التاريخ.[61]

وتتميماً للفائدة فإننا نورد قصة[62] مؤداها : أن الشيخ الكراسي التطواني الأندلسي قال : «لما قدم الشيخ العلامة الصالح سيدي أحمد زروق، وكان رجلا أعمى، من المشرق لفاس، خرج الفقهاء لملاقاته، والسلام عليه، وكنت ممن خرج معهم، فلما سلمت عليه. وجلست في خبائه، سار يسأل الفقهاء عن أسباب أقواتهم ؟ من أين ؟ فقال بعضهم : «معظم القوت من الأوقاف المحبسة على قبور الموتى !! فقال الشيخ : «لاحول ولا قوة إلا بالله، يعيشون من لحوم الموتى !!» فأجابه الشيخ الفقيه أبو الحباك وقال : «ياسيدي، الحمد لله الذي جعلنا نقتنص من لحوم الميتة، وهي مسوغة عند الضرورة، ولم يجعلنا نقتنص من لحوم الأحياء»، فصاح الشيخ، وخر مغشيا عليه ! فخرجنا عنه، وتركناه كذلك»...

وناهيك بالشيخ العلامة الصالح سيدي أحمد زروق البرنوسي[63] الذي كان له مقام بمسراته، فقد قال عنه الشيخ ابن عسكر في دوحة الناشر : «أن أبا العباس أحمد زروق البرنوسي كان من أكابر العلماء والأولياء، أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الزيتوني وصحبه، وكان رجلا أعمى، وهو من أكابر التصوف.

☆ ☆ ☆

60) من المعلوم أنه صدر ظهر شريف بتاريخ 6 ماي 1982 موافق رجب 1402 يحمل رقم : 18246، يتعلق بالرعاية الاجتماعية للمكفوفين وضعاف البصر بحيث تعطى لهم الأسبقية في الإدارة العمومية، ويتمتعون بمجانية النقل أو التخفيض وعدد من التسهيلات الأخرى.

61) نفح الطيب ص : 5/273.

62) دوحة الناشر، لابن عسكر ص 39، الترجمانة الكبرى لأبي القاسم الزياني ص 368.

63) انظر ترجمته في سلوة الأنفاس» ص : 3/183.

إن انكفاف البصر قد يكون رمزا للحكمة التي لايدركها إلا من استغنى بالقلب عن الجوارح، وانصرف عن النظر حوله إلى النظر في نفسه، لهذا كان : هوميروس كما تقدمه سيرة حياته أعمى، بصرف النظر، عما في هذه السيرة من حقيقة أو خيال...

ولهذا، أيضاً، يقول بشار بن برد عن نفسه :

عميت جنيناً، والذكاء من العمى
فجئت عجيب الظن للعلم موئلا..

☆ ☆ ☆

ومن عجيب أمر حرمه بن عبد الجليل العلوي الصحراوي أنه لما كبر، أصيب ببصره، فكان لا يميز الناس ولا الدواب،،، ولكنه يقرأ الكتب، وقد حدث أحمدَ بنَ الأمين الشنقيطي نزيل القاهرة، ومؤلف كتاب : «الوسيط»[64] عمه العلامة البركة «مأمون»، أنه كان يكتفي في الليل بضوء قليل يقرأ الكتب عليه.. وهذا شائع هناك... وله «شواهد من الماضي» منها قول العلامة «بَابٌ» يرثيه من منظومة :

أغناه نورُ القلب عن نور البصر
يطالع الكتب، ولا يرى البشر

طوبى له... فإنك تفتح عينيك، حين تفتحها، على كثير، ولكن.. لا ترى أحدا..!! إذ :

كلام أكثر من تلقى، ومنظره
مما يشق على الآذان والحدق[65]

الرباط / محمد بنعبد الله

---

64) «الوسيط»، في تراجم أدباء شنقيط» ص : 28.
65) أبو الطيب المتنبي...

لقاء.. وعناق..

تحية إكبار لمؤتمر علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الاسلامي

للشاعر محمد الحلوي

اعبروا البحر وامتطـوا الآفــاقــا   وتنــادوا إلى الإخــاء سبــاقــا
قــدر اللــه أن نعود كمــا كنــا   وأن نهتـــــدي وأن نتـــلاقى
لنعيــد الجســور أقـوى ونعلي   علم الـدين في الهـدى خفـاقـا
يـوم شــدنــا صرح الاخـوة بــالحب وسرنــا أحبــة ورفــاقــا
ونسينــا الفروق بــالـدين فينــا   ونسينــا الألــوان والأعراقــا
وارتضينــا الإسـلام دينــاً ينــادي   بــالمســاواة والتقى أخـلاقـا
وارتبطنــا بــه فكــان ربــاطـا   لم يـزدنـا بـالطهر، إلا عنــاقــا
لم يـزدنـا بعـد المسـافـة والمنـ   ـزل إلا تـلاحمـا والتصـاقـا
إن شكـا في (داكـار) شعب وعـانى   هـزمنـا الـوجـدان والأعمـاقـا
وحـــدة الـــدين المشـــاعر لا تبـ   ـلى؛ وشعبـات جـددا الميثـاقـا
لم ينـل حبنــا فتـور ومــا زا   ل مـع الـدهر مشرقـا دفــاقـا
صـافي النبـع كـالـزلال شربنـا   ه فـأروى قلـوبنـا رقراقـا
لم يكن بعـدنـا جفـاء ولا كـا   ن انفصـامـا لـودنـا وطـلاقـا
شب كــالنبتـــة الصغيرة حتى   طـاول الـدهر واستوى عمـلاقـا ؟
جمعتنــا أواصر الــدين والقر   بى ولا شيء كـالنضـال وثـاقـا
قــد بلينــا كمــا ابتليتم فثرنــا   وانتفضنــا نحطم الأطـواقـا

وبــذلنــا دمــاءنــا بسخــاء ليس نخشى في بـذلهـا إمـلاقـا
وكتبنـا من المـلاحم أسفـا رآ تحلي أمجـادهـا الأوراقـا
وجـلا عن بـلادنـا وهـو خـزيـان يعـاني محتلهـا الإخفـاقـا !
أطرق الـدهر يـوم ثـار بنـونـا وتحـدوا أعـداءهم، إطراقـا

☆ ☆ ☆

يـوم وافى للفتـح عقبـة يـدعـو للهـدى كـان مغربي السبـاقـا
مـد أيـديـه نحـوكم، ومـددتم لبنيـه القلـوب والأعنـاقـا !
ليس غير الإسـلام دينـا يعـادي نـزعـة الحقـد والهـوى والشقـاقـا
يرفـع النـاس بـالتقى وبنـور العلم مهمـا تفـاوتـوا أرزاقـا
ويشيـع السـلام والعـدل في الأر ض، ويـأبى الأذى والاسترقـاقـا

☆ ☆ ☆

نحن في عـالم تنكر للـديـن وأهليـه، واستبـاح النفـاقـا
وتعـدى طغـاتـه كـل حـد وتهـاوت ضعـافـه إرهـاقـا
فقـد الحق كـل حـام وألقى كـل زيف وبـاطـل أسـواقـا
نحن في غـابـة يصـارع فيهـا من تحـدى سبـاعهـا وأطـاقـا
وعلى مركب تـؤرجحـه الأمـوا ج، يخشى ركـابـه الإغراقـا
رقـد الشرق حقبـة عـاش فيهـا - وهـو حر - مستعبـدا ومعـاقـا
ونراه بعـد الجراح وعهـد الرق قـد عـاد رشـده واستفـاقـا
فلنـوحـد جهـودنـا ولنعـد مـا ضـاع منـا، ولنمسح الآفـاقـا
فبغير الإسـلام لن نرفـع الصرح ولن نعرف الإخـا والـوفـاقـا..
وبغير الإسـلام لن يعرف العـالم سلمـا ولن يـلاقي انعتـاقـا
فلنعـدهـا سمحـاء تنتظم الشمـل وتطـوي الحـدود والآفـاقـا
بـارك اللـه قـائـدينـا، فكـل قـد أرانـا من غيثـه إغـداقـا
عبّـا لـلإسـلام صفـوتـه المثلى ليـزداد فيضـه إشراقـا
أتمنى يـومـا نعيش بـه عرس انتصـار نطيـل فيـه العنـاقـا

محمد الحلوي

الرّابطة المقدّسة

للشاعر
المدني الحمراوي

يـــافرحـــة الإسلام والأوطـــان ... بنشـــوء رابطـــة مـــع الإخـــوان
سنغـــال والغرب القصي تعـــاقـــدا ... عقـــدا يعـــزز شرعـــة القرآن
حسن وعبـــدو ضيـوف سنـــا سنـــة ... هي في المحـــامـــد قرة الأعيـــان
ترضي الإلـــه، ويرتضي أهـــدافهـــا ... نبي الهـــدى، ومجـــامـــع الإيمـــان
بنيت على قصـــد نـزيـــه راشـــد ... يبني الـــذي هـــدمت يـــد الصلبـــان
ويعيـــد للقطرين وحـــدة وجهـــة ... قطعت أواصراهـــا يـــد الطغيـــان
من بعـــد مـــاعقـــد الجدود حبـــالهـــا ... وتـــواصلـــوا بمـــواكب العرفـــان
رحـــل الـــدعـــاة المخلصـــون بعلمهم ... متسلحين بقـــــوة الإيقـــــان
يبنـــون لـــلإســلام صرحـــاً شـــامخـــا ... يحيى «إفريقـــا» بمحكم الفرقـــان
قطعـــوا فَيَـــافِيَهَـــا بعـــزم وراســـخ ... يـــتـــأصلـــون خبـــائث الأوثـــان
حملـــوا مشـــاعـــل ملـــة حنفيـــة ... تهـــدي إلى الحسنى بني الإنســـان
بثـــوا علـــومـــا بـــالكتـــاب تـــأصلت ... وتـــأيـــدت بقـــواطـــع البرهـــان

☆ ☆ ☆

وبسنـــة المختـــار تمَّ بيـــانهـــا ... فهي الهـــدى وشريعـــة الرحمـــان
وبمـــالـــك حبر المـــدينـــة أشرقت ... حسنـــاتهـــا في شـــاســـع الأوطـــان

قــد صــاغ مــذهبــه بحكمــة عــارف — وبنى قــواعـــده على إتقـــان
وهـو الإمـام بـه البشـارة قـد أتت — مرويـــة عن سيـــد الأكـــوان
نلنـا بمـذهبـه القـويم سيـادة — ووقــايــة من زائـغ البهتـان

☆ ☆ ☆

وعقيـدة التـوحيـد فينـا لم تـزل — محفـوظـة من عثرة الأذهـان
رفـع الإمـام الأشعري منـارهـا — بـأدلـة كـالشمس في التبيـان

☆ ☆ ☆

ومن التصـوف قـد قبسنـا منهجـا — لا يعتريـه تطرف الرهبـان
وأسـاسـه تقـوى الإلـه وذكره — وتعبـد بطريقـة الإحسـان
قـد خصـه القطب الجنيـد بسره — وأمـده بصفـائـه الروحـاني
وأقر فرسـان الشريعـة نهجـه — وحبـوه تـأييـدا بـلا نكران
نـاهيـك بـالقطب العظيم المرتضى — بحر الحقيقـة أحمـد التيجـاني
ظفرت بـه فـاس فنـالت شهرة — وتعـززت بضريحـه النـوراني

☆ ☆ ☆

قيم بهـا كنـا شعـوبـا حيـة — تـذكي عـزائمنـا مـدى الأزمـان
غرس الجـدود أصولهـا فترعرعت — أغصـانهـا ممتـدة الأفنـان
سلف سنمشي بعـدهم في منهـج — من زاغ عنـه يصر إلى خسران

☆ ☆ ☆

بشرى برابطـة أنـارت أفقنـا — سنصـونهـا في السر والإعـلان
يرعى أمير المـومنين شـؤونهـا — فهـو الفتى الحسن العظيم الثـاني
ويـد لعبـد ضيـوف لا تنسى لـه — لمـا ترأس ملتقى الإخـوان
نـالت «دكـار» بـه منـاهـا عنـدمـا — أذكى وأعلى شعلـة الإيمـان
جـازاهمـا رب الـورى عن دينـه — وكتـابـه ونبيـه العـدنـاني

الرباط ـ المدني الحمراوي



«من وحي المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسنغال»، المنعقد ما بين 13 و 15 جمادى الثانية عام 1408 هـ الموافق من 3 إلى 5 فبراير 1988م، بدكار.

حدث عن الإسلام في (السنغال) ... واذكره بالإكبار والإجلال !

(إفريقيا) في ظل دين محمد، ... تحيا حياة هدايةٍ ووصال،

لم يفلح التبشير فيها، فانزوى ... شبح الصليب بأقصر الآجال !

في مهجة (السنغال) نور مشرق، ... حاشاه من وثنية وضلال :

بلد عريق، وحدته عقيدة ... سمحاء واضحة بكل مجال !

(عبدو ضيوف) لقد غدا عنوانه، ... في همة، وتفتح، وجلال !

فالهدي في وجدانه متأصل، ... إذ صار حقا مضرب الأمثال.

والجهد منه لنصرة الإسلام لا ... يخبو، ولكن دائب، متوالي.

شكرا له من أعمق الأعماق، إذ   أدى الأمانة جمة الأثقال !

والشعب في تجديده ثقة به   مستبشر، في أقوم الأحوال !

لا شيء أنقى في الوجود بأسره   من جو صحرائي، وحسن رمالي !

☆☆☆

في خير مؤتمر بدت توصية   تبقى مدى التاريخ والأجيال :

صحراؤنا في وحدة لترابها،   والت فنون شجاعة ونضال،

وحزامها الأمني حصن سيادة،   تزهو على الأكوان بالأبطال.

فشريعة الإسلام تحفظ بيعة   للعرش في الأقوال والأفعال.

إن الولاء مع الوفاء شعارنا،   والعهد موصول براحة بال !

إنا ندين جماعة الدخلاء من   كانوا دعاة تمزق الأوصال،

فشريعة الإسلام تبرأ منهمو   حتماً، وتنذر إفكهم بزوال !

لاينفع التهريج شيئاً أهله،   فالحق متضح بلا إشكال :

في أرضنا إنا أقمنا، سادة،   فليشهد التاريخ عمق الحال !

بين الأهالي، نحن في مهد العلا،   نعتز بالأعمام والأخوال.

وفروعنا بأصولها موصولة   بكفاحها، مكسورة الأغلال.

من (طنجة) الفيحاء، نحو (كويرة)،   روح الجنوب توحدت بشمال !

قد صار الاستفتاء تكريساً لما   في صدق نيتنا، وصدق مقال.

وقلوبنا بسجود شكر أصبحت   تدعو لدى الغدوات والآصال.

وإلى أمير المؤمنين جميعنا   نهفو، فأكرم بالمقام العالي !

في وحدة، وعدالة، وسماحة،   كانت لدولتنا رموز كمال !

إذ منذ (عقبة) والعرين محصن   بأسوده، وبناة الاستقلال !

والطاعة الكبرى أجل فريضة   لولاتنا، وحماتنا الأقيال.

نذروا لربهمو نفوساً حرة،   وهمو لبعث الدين خير رجال.

في العالمين تجندوا لجهادهم،   لا يعبأون بأخطر الأهوال.

وهبوا الدماء زكية لبلادهم،   ونفائس الأعلاق والأموال.

والفضل (للحسن المثنى)، فهو من   يحمي الحمى، وهو العزيز الغالي !

أعطى المثال لأمة موعودة   بالنصر، والتمكين، والإقبال،

من جده السر العظيم لملكه، فلقد حباه مفاتح الأقفال !
إن كرم العلماء، فهو طليعة فيهم، وكوثر حكمة وجمال !
فلقد أعزهمو، وجمع شملهم، وأمد دعوتهم بكل نوال.
إذ تلك منه رعاية وعناية، كانت توجههم لخير منال.
نهج الصراط المستقيم، فحسبه رب يؤيد أخلص الأعمال !
والبحث شجعه، وصان رجاله، ما أروع الأبحاث باسترسال !
إن العلوم بجنسها موصولة، لكن تضيع ضحية الإهمال.
فالشعب إن لم يكترث بجذوره، فلقد مضى حتما للاضمحلال !
والجند جند الله، إذ هم دائماً قهروا بفضل الصبر كل محال :
قد عبأوا لوجودنا طاقاتهم، حسا ومعنى في الصراع الحالي !
لن يخلف الله الكريم لعبده وعداً، فنعم المحسن المتعالي !

☆ ☆ ☆

ولنحن جددنا على طول المدى روح التناصح، في حميد خصال،
إنا تواصينا بصبر في الهدى، إذ أمة الإسلام خير مثال :
بتواصل، وتكامل، وتضامن، يجلو الجواب الحق، كل سؤال.
نحمي السلام بصدقنا ويقيننا، ونصد كل معاند دجال !
لاحظ للإلحاد في وجداننا، فلبئس كل مغالط محتال !
من ينصر الله العظيم، فإنه دنيا وأخرى، فاز دون جدال
فالشكر (للحسن الإمام)، فنوره يحيي بصائرنا لخير مثال
(دار الحديث) بفضله مأهولة، أكرم بها من كوثر وزلال !
علماؤنا سادوا (برابطة) لهم فيها جلال السر والإفضال.
تلك (الكراسي) ازدهت ببدورها : علماؤنا فيها عقود لآلي !
وبـ(لجنة القدس) القرائح سارعت في نصرة الإسلام باستبسال !
فليحفظ الله الإمام بلطفه، وليبق ذاك السر في الأشبال !
فلولي عهد الأكرمين (محمد) صنو (الرشيد) منارة الأنجال
والنور وهاج الأشعة هاهنا، وهناك، بـ(الحسن) العزيز الغالي !

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي

فسل سنغالا" أمة وحكومة ومشيخة، عما أفاض وما أجرى

للشاعر الحاج مالك سي
ابن الشيخ الحاج عبد العزيز سي

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله، وآله وصحبه ومن ولاه•مولاي أمير المومنين إن لساني عاجز عن شكر هذه الالتفاتة المولوية الكريمة، التي تتيح لي التشرف بالمثول بين يدي جلالتكم لإلقاء هذه القصيدة في ذكرى وفاة فقيد العروبة والإسلام، وبطل إفريقيا العظيم مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه وقدس روحه، وإنها لتعبر عن عواطفي، وعواطف والدي الشيخ عبد العزيز سي الخليفة العام للطائفة التيجانية بالسينغال بل وعن عواطف جميع علماء السينغال وأدبائها :

أجل، أُحي بالذكرى، وقد تنفع الذكرى ... وفاة فقيد الشعب، من جاوز الشعرى

مليك إذا ما قلتُ شعراً لمدحه، ... فإلهامه يملي على قلبي الشعرا

أبو المجد، باني دولة العرش بالهدى، ... محمد المنعوت؛ بالخامس الأجرا

هو الرمز للشعب الوفي هداية، ... بل الأب للمجموع من شعبه طرا

ففي الشعب أورى نار رفض وثورة ... لحكم حماة ـ فاصطلوا ناره الحرا

وقد عاش يبني المجد بالحق قائماً ... يدافع عن عرش الجدود بما أضرا

كما قاوم الأعداء من كان يافعاً، ... وشاب ولم يفتأ يناضل بالأحرى

وعانى من النفي المستبعد راضياً   فناصره الشعب الوفي بما أغرى
فأجبر طغيان الحماية عزمه   على رجعه في أهله يحمل البشرى
فعم السرور الشعب يوم رجوعه،   كما سر الاستقلال طلابه الأسرى
فذا المغرب الأقصى مدين لسعيه،   وإفريقيا حازت به النصر والفخرا
على أن أسباب الحمام فُجاءة،   أجادت له بالروح نحو السما الأسرا
فبينما يمني الشعب بالبرء نفسه   إذا برسول الموت ينهي له العمرا
فكانت على الدنيا قيامة ساعة   تهز كيان الكل إذ أحدثت ذعرا
ولم لا ؟ وقد كان المبجل في الورى   بما قدمت للخلق أيامه الغرا
ولم لا ؟ وقد كان المناضل ذا الحجى،   يحقق للشعب التحرر والنصرا،
وقد لاح يأس للقلوب مدمر،   ولكن ولي العهد يخلفه جهرا،

☆ ☆ ☆

أجل كان مولاي المؤمل يومه   هو الحسن الثاني الذي جدد العصرا
جلالته قد قام بالحكم بعده   فأوسع هذا الشعب عدلا هدى بشرى
مليك فعول لا قؤول لشعبه   فيخلق ما يفرى ويحكم ما يطرا
فسل «سنغالاً» أمة وحكومة   ومشيخة عما أفاض، وما أجرى
مساجدُه، طلابه، وشيوخه،   قد اعترفوا بالفضل منه، وما أحرى
غدت منح التعليم بعد منائح   يجود عليهم باليمين وباليسرى
أياديه بيضاء لديهم عميمة   وان لسان الشكر يعجز أن يقرا
فيدعون رب العرش تطويل عمره،   ويحفظه من كل شر ومن ضرا،
ويحفظ للأجداد عرشاً مقدساً   توارثه أبناء خير، على السرا
على أنه قد قام بالحكم عاد لا   وطور أوضاعا بما جاوز القدرا
وأعلى اقتصادا واعتنى بتقدم   ونوع إنتاجا بما أثلج الصدرا
وساير ركب العصر بالعلم والرؤى   ورحب بالإبداع من جيله الأدرى

هنيئـــا لشعب مخلص لمليكـــه ... على عاهل يحيي لخامسنا الذكرى

مليـك أتى بـالمعجزات من النهى ... وحققهـا فينـا مسيرتـه الخضرا

وواكبـه جنـد الإلـه يحفـه ... وقد وحد الأجزاء واسترجع الصحرا

فسل عنه أبنـاء «العيـون» وأهلهـا ... و«داخلـة» غرا و«سـاقيـة حمرا»

ومتـع ولي العهـد يـارب بـالبقـا ... كـذا صنـوه وكـانـوا لنـا ذخرا

صـلاة وتسليمـا على جـده الـذي ... تضـاءل عند الضوء من نوره الشعرى

مع الآل والأصحـاب مـا قـال شـاعر ... لإحيـاء ذكرى عـاهـل المغرب الشعرا

دكار : الحاج مالك سي

فهل ستمحون تاريخ البلاد ؟

للشاعر محمد الأمين أنياس - السينغال

مرحى ومرحى بوفد المغرب العربي　　مرحى ومرحى بوفد العلم والأدب

مرحى بمن قدموا مرحى بقائدهم،　　مرحى بعاهلنا المحبوب ذي الرتب

حيوا معي الحسن الميمون، إن له　　مجدا يدوم مع الأيام والحقب

لم لا ؟ وقد شاد ركن الدين في ثقة،　　وساند العلم في جد وفي حدب

فاليوم هذا لقاء بين رابطة،　　قامت هنا لتنير النهج عن كثب

وقد أتانا رجالات قد اتصفوا　　بأنهم خير من يرنو إلى الكتب

تيهي أيا أرضنا فخرا بمقدمهم،　　ضميهم في عناق الحب عن قرب

حييهم باسم رأس القوم قائدهم　　فقد سعى لنجاح الأمر في طرب

حيي الصداقة بين القائدين هما　　رمز لعهد قديم ثابت القتب

قد عززاها مع الأيام فانغرست　　جذورها بل بدت في حلة قشب

هذا وإنا سنعطي فوق طاقتنا　　ونبذل الجهد في حزم بلا جلب

حتى نحقق للإسلام غايته　　وننشر العلم للأجيال بالكتب

نعطي لهم راية النصر المبين كما　　نرجو لمغربنا نصرا فهو أبي

فتستتب على الصحراء رايته　　ويهزم البطل بل ينزاح في كرب

مهلا رويدكم أعداء وحدته　　فقد أتيتم بما يدعو إلى العجب

فهل ستمحون تاريخ البلاد وما — تحوي الدواوين من شعر ومن خطب

نرجو كذاك لسبط المصطفى أبدا — عمراً مديداً مع الخيرات والنشب

ولينتصر عبد جوف فهو عمدتنا — حتى يواصل تعميراً مدى الحقب

صلى الإله على خير البرية من — هو المفضل من عجم ومن عرب

والآل والصحب ما قلنا وفي ثقة — مرحى ومرحى بوفد المغرب العربي

دكار : محمد الأمين إنياس



ارتساماتي عن المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب - السنغال

للدكتور يوسف الكتاني

لقد زرت السينغال ثلاث مرات زيارات علمية :

الأولى في يوليوز سنة 1981 وقد حاضرت في معهدها الإسلامي العتيد، ودرست في أمّهات مساجد مدنها.

والثانية مثلت فيها جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية في مؤتمر التنسيق الإسلامي الإفريقي في دجنبر سنة 1981.

والثالثة وهي هذه التي شاركت فيها عضواً في المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب السينغال الذي انعقد بدكار هذه السّنة خلال الفترة من 1 ـ 5 يبراير 1988.

وأشهد بأنّني منذ زيارتي الأولى وفي كل الزيارات التي تلتها، وجدت في الشعب السنغالي شعباً مسلماً، أبياً غيوراً، يعتزّ بكيانه، ويحافظ على دينه ويباهي بأصالته، ويفاخر بإفريقيته، وقد لاحظت ولمست ورأيت منذ الوهلة الأولى مدى الحب العظيم، والتقدير الكبير، والاعتزاز الكريم الذي يكنّه السينغاليون للمغرب ملكاً وشعباً، وتجلّى ذلك في حرارة الاستقبال، وكبير الحفاوة التي كنّا نستقبل بها في كلّ مرّة نزور السينغال، والتي تؤكّد مدى التّجاوب العميق بين الشّعبين، ومقدار الصلات التاريخية المتجدّرة بين البلدين، ونلاحظ ذلك ونلمسه عندما نُستقبل من طرف الرسميين أولدى الأفراد والمنظمات والهيئات التي تفتح لنا قلوبها وبيوتها وتتفنن في الحفاوة بنا وإكرامنا ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

إن عوامل كثيرة تجمع بين الشعبين السينغالي والمغربي، تجعل وجهتهما واحدة، وسياستهما واحدة، وغايتهما واحدة، ونجد في مقدّمة هذه الأُسس الإسلام قاسمنا المشترك، والمذهب المالكي مذهبنا في العقائد والمعلاملات، وهذه الروح الصوفية التي تنمّيها وتغذيها مختلف الزوايا السّنية التي توجه سلوكنا الاجتماعي وحياتنا الدينية منذ أزمان وعصور.

لقد ازداد حبّي وتقديري للشعب السينغالي في هذا المؤتمر بالذات لما لمسته بإعجاب من أن الأيام لا تزيد العلاقة بين الشعبين إلا تماسكاً وتعزيزاً، واعتباراً وتقديراً، ومن تكريم وتقدير السينغاليين للمغاربة الذي لا تزيده الأيام إلاّ نمواً وتمكناً.

لقد تجلّى كل هذا كأحسن ما يكون التّجلّي، وظهر كأكثر ما يكون الظهور، في الحفل الافتتاحي للمؤتمر، تجلّى ذلك في قاعة المؤتمر الفسيحة الواسعة الأنيقة والتي كانت تزخر بمختلف فئات الشعب بأسرها، والتي كانت تشكل باقة عطرة يتوجّها رئيس الدّولة وحكومته، وزعماء الأُمّة وعلماؤها.

كما تجلّى هذا الحب والتّقدير والتّكريم في إصرار الرئيس عبدو ضيوف على تسيير الجلسة الافتتاحية بنفسه على مدى ثلاث ساعات، وأبى إلا أن يكون آخر المتكلّمين.

كما تجلى هذا الحب والتقدير في هذه التصفيقات الحارة الممتعة، التي كانت تؤلف نشيداً يتردّد في القاعة الأنيقة بتواتر وانتظام، كلّما تردد اسم جلالة الملك مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده أو ذكر المغرب في أثناء الخطب والكلمات.

وتجلّى هذا الحب والتكريم في طلبات الانضمام إلى الرابطة تلقائياً، وفي جلسة الافتتاح من لدن رؤساء الوفود المدعوة دون الرّجوع إلى حكوماتها أو استئذانها واستشارتها، اعتماداً على ما بين شعوبها وحكوماتها من علاقات تاريخية، وتقدير متبادل للمغرب والمغاربة.

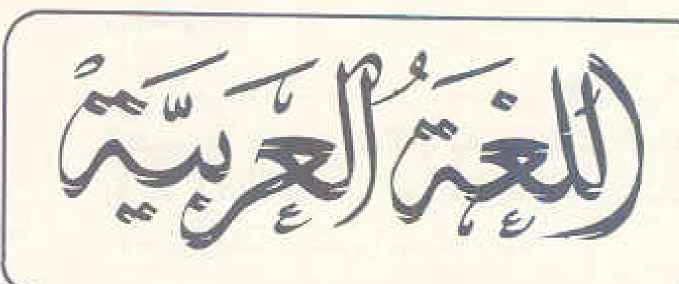
كما تجلّى ذلك كلّه في هذه العواطف الجياشة، والمعاني السامية، والأحاسيس الرّقيقة، التي انتظمتها القصائد الرائعة، والأشعار الرّقيقة التي ضجّ بها جو الحفل الافتتاحي شعراءُ السينغال في اعتزاز وفخر وسمو وتقدير.

وتجلّى هذا الحب والتقدير أيضاً في هذه الحفاوات الشعبية التي أُقيمت على شرفنا من طرف الهيئات والطرق الصوفية، في احتفالات ضخمة وسرادقات واسعة، كان أبناء الشعب السنغالي يتزاحمون في أثنائها لتحيّتنا ومصافحتنا، والاستماع إلينا ومحاورتنا وأخذ الصّور التّذكارية معنا.

إن العلاقات بين الشعبين السينغالي والمغربي علاقات تاريخية أصيلة عميقة، لحمتها الإسلام، وسداها التقدير المتبادل، والحب المكين، مما يدفعنا جميعاً ملكاً وحكومة وعلماء للمحافظة عليها، وتمتينها وتنميتها، لخير البلدين الشّقيقين، ولصالح الإسلام والمسلمين.

الرباط - يوسف الكتاني







لغة القرآن والعلم والحضارة

للأستاذ محمد بيلي الفوتي

تقع جمهورية الطوغو، في افريقيا الغربية على خليج غينيا... وتقدر مساحتها بـ : 56,600 كلم مربع، وعدد سكانها 2.710.000 وعاصمتها لومي... ولغتها الرسمية هي اللغة الفرنسية...

هذه الجمهورية تمتاز بزراعة نخيل الزيت، والكاوكاو، وأشجار البن؛ والقطن يشكل أهم الدخل القومي بعد فوسفاط «بحيرة طوغو».

احتل البرتغاليون ساحل الطوغو في القرن 15، وفي القرن 19 جاء الفرنسيون والانجليز والألمان...

وتم احتلال الألمان للطوغو في 1885، كما احتلها الحلفاء عام 1914...

وفي عام 1922 قسمت الطوغو إلى قسمين : حكم القسم الأول الانجليز، والثاني استبد به الفرنسيون...

وفي عام 1960، استقلت جمهورية الطوغو، وكان رئيسها الأول : «سلفانوس ألامبيو» الذي قتل عام 1963، وكان الأستاذ «محمد بلي الفوتي الذي كان مشرفا على الشؤون الإسلامية «بلومي» عاصمة جمهورية الطوغو، قد كتب إلينا الكلمة التالية حول عالمية اللغة العربية، وانها اللغة الوحيدة التي يستعملها المسلمون في صلواتهم ومناجاتهم وفي دعواتهم وابتهالاتهم...

ولهذا تعتبر اللغة العربية اللغة الإسلامية الوحيدة. في هذه الجمهورية... من هذه الجمهورية كتب إلينا الأستاذ الفوتي.

بالنسبة إلى المسلمين :

- إن اللغة العربية هي : لغة القرآن الكريم ولسان النبي العظيم - محمد ﷺ - وبدون معرفتها لا يفهم المسلمون دينهم فهما سليما.

- إن المسلمين اليوم يشكلون ربع سكان العالم كله، وثلثي مجموع سكان القارة الافريقية وأكثرهم يستعملون العربية كلغة ثانية للتفاهم بينهم.

- وأخيرا، أن العربية هي اللغة الوحيدة التي يستعملها المسلمون في صلواتهم ومناجاتهم.

وفي دعواتهم وابتهالاتهم، ولهذا تعتبر اللغة الإسلامية الوحيدة.

وبالنسبة إلى الافريقيين :

إن العربية لغة إفريقية وأسيوية معا.

وهي أكثر اللغات انتشارا في افريقيا، وينطق بها خمس سكان افريقيا.

- تتحدث بها سبع دول افريقية باعتبارها لغة رسمية وشعبية لها معا. وهي الجمهورية العربية المتحدة، الجمهورية الليبية، الجمهورية التونسية والجمهورية الجزائرية، والمملكة المغربية، والجمهورية الإسلامية الموريطانية والجمهورية السودانية.

وهذه الدول تغطي مساحة 540 590 8 كيلومتر مربع ويسكنها أكثر من مائة وستين مليون نسمة.

- إن اللغة العربية هي الرباط الوحيد الذي يشد إفريقيا بآسيا والتي تعتبر أكبر قارة في العالم ولذا فهي جديرة بأن تعتبر اللغة الوحيدة التي توحد افريقيا بآسيا.

- تستعمل ثلاث لغات فقط في مؤتمرات (منظمة الوحدة الافريقية) وهي اللغة العربية - اللغة الافريقية الوحيدة والانكليزية، والفرنسية وهما لغتان استعماريتان.

- إن اللغة العربية جديرة بمنح الإحساس بالشخصية القومية في البلاد الافريقية على العموم عوضا عن اللغات الأوربية التي هي من بقايا الامبريالية الاستعمارية.

- يرجع كل الفضل لمعرفتنا تاريخ افريقيا إلى العربية.

لذا، يبدو لزاما على المسلمين وغيرهم على السواء، والأفارقة خاصة تعلم اللغة العربية وتبنيها لغة ثانية في المدارس العمومية والخصوصية معا للأسباب المذكورة الآتية :

- إن اللغة العربية من أعرق اللغات العالمية منبتا، وأعزها جانبا، وأقواها جلادة، وأبلغها عبارة، وأغزرها مادة، وأدقها تصويرا لما يقع تحت الحس، وتعبيرا عما يجول في النفس، وذلك لمرونتها على الاشتقاق وسعة صدرها للتعريب، وهي لغة شاعرية حساسة ذات منطق وفصاحة وبلاغة وآداب.

فليس هناك معنى من المعاني، ولا كلمة من الكلمات، ولا فكرة من الأفكار، ولا عاطفة من العواطف، ولا نظرية من النظريات، تعجز اللغة العربية عن تصويرها بالأحرف والكلمات تصويرا صحيحا واضحا.

- لقد استطاعت اللغة العربية أن تقهر اليونانية في الشرق، واللغات الشعبية التي كانت منتشرة في المغرب العربي، وغلبت كذلك اللغة القبطية في مصر. كما وجدت مكانتها مرموقة بين اللغات العالمية.

- إنها هي الصلة الوثيقة بين حضارات الماضي، وحضارات اليوم، وبذلك أدت خدمة جباره للإنسانية جمعاء.

- إن الكثير من مصطلحات الفنون الحديثة تستمد عناصرها من اللغة العربية، مثل الجبر، والاكسير، والكحول، وكذلك مصطلحات العلوم الطبيعية، كالقطن والياسمين والزعفران.

- وهي من اللغات الرئيسية في العالم أصبحت لغة حية قوية لأمم وشعوب مختلفة متباينة في أجناسها وفي أصل نشأتها وطبيعتها.

- لقد اندثرت أخواتها السامية من أرامية، وكلدانية، وكنعانية، وسريانية، وعبرانية قديمة، وأشورية وغيرها حين بقيت هي على رغم ما مر بها من عصور الركود، وما زالت تحيى حياة طيبة، وتتعملق وتتسع في جميع الآفاق وستظل كذلك - إن شاء الله تعالى - إلى قيام الساعة.

- معظم إذاعات العالم تستعمل اللغة العربية في برامجها اليومية.

الثقافة العربية تجعل الإنسان ممثلا ممتازا لدى الدول العربية والإسلامية معا.

الطوغو - الأستاذ محمد بلي الفوتي

على هامش

الأسبوع العلمي الإسلامي الأول لجامعة كونكري - غينيا

4 - 10 مارس 1988

للأستاذ إدريس الخرشاف

شهدت مدينة كونكري بدولة غينيا(*) أكبر وأول تظاهرة إسلامية علمية وذلك خلال الفترة مابين 4 و 10 يناير 1988، أشرف على تحضيرها كتابة الدولة في التعليم العالي والبحث العلمي بتعاون مع الوزارة المكلفة بالشؤون الإسلامية لدولة غينيا.

ولقد لقي الأسبوع العلمي الإسلامي اهتماما كبيرا من طرف الحكومة الغينية والأوساط الرسمية تمثل في حضور جميع وزراء الدولة وكذلك اللجنة العسكرية للخلاص الوطني (برئاسة رئيس الحكومة) وأعضاء السلك الدبلوماسي المعتمدين بالعاصمة الغينية بالإضافة إلى الوفود المشاركة في الأسبوع الإسلامي من بينها المغرب (شاءت الأقدار أن أمثل المغرب في هذا اللقاء) ومصر والسينغال وبوركينا فاسو وفلسطين والجزائر والعراق وغينيا.

وربما هذا لا يعنينا أن نتناول عنوان المؤتمر بقدر ما يتركز اهتمامنا على الملتقى الإسلامي - المتمثل في هذا الأسبوع - في دولة مسلمة (عدد السكان المسلمين يفوق 90 %) مثل دولة غينيا التي أرادت أن تبين من خلال هذا اللقاء أن أبناءها يفتحون آفاقاً جديدة للعمل الإسلامي أسوة بإخوانهم في الدول الإسلامية الأخرى، وأنهم مؤهلون برغم قلة الإمكانات لنشر الدعوة الإسلامية في ربوع الدول الإفريقية المجاورة، وينعكس هذا في الإقبال الكبير الذي عرفته رحاب مقر الأسبوع الإسلامي رغم بعد المسافة (أكثر من 10 كم) وفي نوعية الأسئلة المطروحة على السادة المحاضرين، بالإضافة إلى عزم مثقفيها على تحويل العلم الكلاسيكي إلى علم محترم ونافع، فهؤلاء يعلقون أملاً كبيرا على الأخوة الإسلامية لتصحيح المسار وترشيد حركة الإنسان نحو الحضارة بمفهومها العميق والصحيح.

ومن المكاسب التي يهديها لنا الملتقى هي محصلة عاملين :

أ - العامل الإنساني الذي يتمثل في فطرية المعتقد الإسلامي وإنسانية المذهبية التي هي مذهبية إنسانية في مشروعها البنائي للحضارة البشرية.

ب - العامل التاريخي ويتجسد ذلك في الدالة الزمنية الذي بينه بعض الباحثين الغينيين أثناء عرض تاريخ أسلمة غينيا.

ولا يفوتنا هنا أن ندرج برنامج الأسبوع الإسلامي حتى يكون القارئ الكريم على بينة من هذه التظاهرة الإسلامية :

---

*) دولة مسلمة غالبية سكانها 90 % مسلمون.

اليوم	الموضوع	الرئاسة
الإثنين 1988/1/4	يوم الافتتاح ويشمل قراءة القرآن الكريم	اللجنة العسكرية
	كلمة السيد رئيس الحكومة	للخلاص الوطني
	كلمة السيد وزير التربية الوطنية	
الأربعاء 1988/1/6	رسالة الإسلام (العتروس)	
	الإسلام ومفهومه العصري (ديالي)	وزير التربية الوطنية
	مع مناقشة العروض	
الخميس	التسامح والتطرف (ديالو تيارنو)	سفير السنيغال
	آثار الحضارة الإسلامية على الغرب (الشيخ عفيفي)	وسفير العراق
الجمعة	صلاة الجمعة (مع حضور التلفزة الفرنسية)	وزير الأنباء والثقافة
	أسلمة غينيا (جامعة كونكري)	
	الإسلام والتساؤلات المعاصرة (الحاج أمادوسو)	
السبت	الإسلام والقضايا الاقتصاديةفي العالم المعاصر (جمال الدين محمود)	سفير السنيغال
	الإسلام وإشعاعه الحضاري على العالم (ادريس الخرشاف)	وزير التربية ـ سفير العراق
الأحد	طريقة علمية من أجل الحوار المسيحي الإسلامي (ادريس أكرشان)	وزير التربية
	المرأة وواقعها في المجتمع الإسلامي (سورى قديجا)	وسفير السينغال

أما فيما يخص تدخلات العلماء ومناقشتهم من طرف الأساتذة والحاضرين فقد أوضحت تلك الأفكار عدة عناصر أساسية نذكر منها ما يأتي :

1 ـ إن العقيدة الإسلامية تعطي صورة حقيقية وصحيحة للإنسان والحياة والكون، وتوضح القاعدة الأساسية التي تقوم عليها القوانين الكبرى، وهي بالتالي منهاج الحياة أما القرآن الكريم فيعتبر المصدر الأول والمنبع للأحكام الشرعية والروحية، فقد يعرض القرآن لبعض الجزئيات في التشريع وتنفرد السنة بوضع ضوابط كلية كقوله تعالى : **﴿ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا﴾** (231 بقرة) وقوله ﷺ : «لاضرر ولا ضرار».

2 ـ إن أسلوب النهج الواجب اتباعه ينبغي أن يكون هو منهج الرسول ﷺ الذي استمده من القرآن الكريم، لأن الإسلام لم يكره إنساناً على فكره، والفرصة مواتية في العصر الذي يسمى عصر الانفتاح الفكري أو العصري العقلاني لأن القرآن الكريم كان هو الأول الذي طرح شعار العقل عندما قال : **﴿إقرأ باسم ربك﴾** وشعار الحجج الدامغة والبرهان العلمي المادي» **﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾** (111 بقرة).

3 ـ إن الإسلام لم يرفع السيف في وجه أحد سواء تعلق الأمر بانتشاره أو بجعله كأداة قانون وطني، بل العكس هو الصحيح، حيث كان انتشاره قائما على الإقناع والموعظة الحسنة والمجادلة بما هي أحسن.

4 ـ التركيز على الأم التي تعتبر نواة المجتمع الإسلامي، فالإسلام اعتبر الأم المربي الأول للأبناء وصانعة الرجال، وأعطى لها شأنا كبيراً ووضع الجنة تحت قدميها، يليه بعد ذلك المدرسة التي تعتبر مؤسسة اجتماعية تنوب عن الوالدين في تربية الأبناء وتعليمهم ولها ميزة خاصة وهي انفرادها بعملية نقل الذات الفكري.

5 - إن التاريخ لم يعرف دينا اجتماعيا كدين الإسلام وفق بين مطالب الروح والجسد بحكمة وجمع بين خيري الدنيا والآخرة بدقة.

6 - الحث على مراجعة النفس على ضوء التعاليم السماوية، وذلك بالاقتداء بمعلم البشرية الذي كان يكسب قوته بنفسه وكان يتاجر ويجاهد ويمشي في الأسواق.

7 - اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، والوسيلة المثلى لفهمه والتعرف على القضايا التي يطرحها تتطلب المعرفة الصحيحة للغة العربية وقواعدها.

8 - إذا كان لنا أن نفهم التاريخ على المستوى الديني العام، فإن البحوث التي قام بها منصفون من غير المسلمين اقتربت كلها من حقيقة واحدة ألا وهي شمولية الدين الإسلامي وعدالته الإنسانية سواء كان ذلك بالنسبة للمسلم أو غير المسلم ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ (107 الأنبياء).

9 - إن الإنسان بحسب عقله المحدود والإحاطة والإدراك بالعلم غير قادر على المعرفة اليقينية أو المخلصة إياه في كثير من أمور الكون إلا بالبراهين المادية المتأتية عن المشاهدة العيانية، أو المترتبة عما يفعله بالنتائج التي تؤدي إليها، فالقرآن بجانب العقيدة التي يدعو لها ويطمئن بها القلوب نراه يلفت نظر الإنسان لآياته في الكون، والإنسان والحياة ناطقة كلها بوجود الله سواء كان ذلك في عالم لاتناهي في الصغر (ما هو أصغر من الذرة) أو في عالم لا تناهي في الكبر (توسع وتمدد الكون ﴿**والسماء بنيناها بأييد، وإنا لموسعون**﴾ (47 الذاريات) أو في نفس الإنسان (تطور الجنين : نطفة علقة، مضغة...).

10 - والفكرة السائدة لدى معظم المفكرين هي : أن الدين الإسلامي يمثل كل الأطر الفكرية من جميع نواحيها الثقافية والاجتماعية، ولا يمكن لأي إنسان أن يطمع في إحداث تغيير مناسب وصالح للمجتمع بمنأى عن الدين، فهو ليس دينا تعبديا فحسب، وإنما بالإضافة إلى الجانب التعبدي نظام وتراث حضاري وقانون علمي.

أما الانطباعات التي يمكننا الخروج بها من هذا الأسبوع الإسلامي العلمي، فيمكننا القول اننا لن ندعي ولا نزعم لأنفسنا أننا بهذا الزمن المحدود استطعنا قراءة الأمور الأساسية في هذا البلد المسلم المضياف، إلا أن المشاهد يلاحظ أن هذا الشعب المسلم متعطش لكل ماهو إسلامي، ويريد التعرف على مزيد من القضايا التشريعية والروحية نظرا لغياب جمعيات إسلامية، فهو بحاجة إلى دعاة عصريين للمساهمة في المسيرة الإسلامية هناك، وهذا يتجلى في التصريحات الرسمية والغير الرسمية، فهم بحاجة إلى كتب في الإسلام ومصاحف ومجلات إسلامية كما أنهم يريدون الحصول على أساتذة جامعيين أو أساتذة الثانوية لتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي في الثانويات والجامعة وخاصة من المغرب الذي يعتبر الدولة الأولى التي حملت الإسلام في القرن العاشر الميلادي إلى غينيا عن طريق بربر الصحراء.

والخلاصة التي يمكننا أن نخرج بها هي أن اللقاءات والحوار، يعتبران الإطار المناسب الذي يجعل الحركة الفكرية في المجتمع الإسلامي قائمة ويوفر المناخ المناسب للتآخي والتضامن والترابط بين المسلمين مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم، فذلك لابد لنا من التوجه لهذه المناطق والقيام بما هو مفروض علينا كمسؤولين وكمرشدين والحق سبحانه تعالى يرى عملنا ورسوله والمؤمنون.

الرباط : ادريس خرشاف

الشيخ المرنّي أحمد الصّغير لو

في مدرسته النموذجية "كوكي" بالسينغال.

للأستاذ محمّد بخات

من الحقائق الثابتة أن السنغال تشكل مركز الثقل المحور الأساسي بالنسبة للمسلمين في غربي افريقيا خاصة، وفي افريقيا عامة، فهذا البلد يعد بحق بوابة الإسلام إلى افريقيا.[1]

والسنغال قديم عهد بالإسلام منذ أن انطلقت منه حركة المرابطين من ألف سنة تقريبا[2] تدعو إلى الله وتنشر دينه الحنيف على أسس صحيحة. ورغم أن هناك انحرافا عن الدين الحق في العقائد والمفاهيم ليس في السنغال وحدها وباقي أقطار افريقيا[3] بل في بلاد الإسلام كلها، إما بسبب جهل بالدين أو نتيجة توجيه غير سليم أو بتأثير الغزو الفكري إلا أن ما تتميز به بلاد السنغال من مزايا يجعلنا نقول بكامل الاطمئنان بأن الإسلام بخير في السنغال. هذه المزايا منها نجاح المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسنغال الذي انعقد بدكار[4]، وتجسد فيه الحضور السنغالي في جلساته، واكتظاظ القاعة الكبرى التي شهدت انعقاد المؤتمر بجمهور الشعب السنغالي، وكان الحضور من جميع الأعمار ومن مختلف المستويات.



الشيخ أحمد الصغير لو

والمزية الثانية هي التمذهب بمذهب واحد كالمغرب، هو المذهب المالكي، فالسنغالي مالكي المذهب مما ساعد على وحدة الشعب هناك ووقاه شر الخلاف بين

1) كتاب الأمة (المسلمون في السنغال) رقم 12 صفحة 17 بتصرف.
2) نفس المرجع صفحة 12 بتصرف.
3) يرجى الرجوع إلى كتاب الإسلام وتقاليد الجاهلية لآدم عبد الله الألوري وهو بحث جد قيم يهدف إلى مواجهة تيارات إحياء التقاليد الوطنية في إفريقيا.
4) في الأيام الأولى من شهر فبراير 1988.

طبقاته والاختلاف في الآراء بين علمائه الذين يعتزون كامل الاعتزاز بمذهبيتهم المالكية لأنها نسبة إلى إمام دار الهجرة ورمز إلى سنية المذهب، وإسلامنا ولله الحمد ما هو إلا كتاب وسنة، إذن فهذه المذهبية السنية دلالة قوية على عمق الإسلام في السنغال.

والمزية الثالثة للشعب السنغالي هو حبه العميق للغة دينه وتعلقه الكبير بلغة القرآن، ونحن نعرف بأن العربية هي الباب الوحيد لفهم الدين بأصوله الصحيحة، فهي أقصر طريق وأوضحه لتفهم الإسلام وهي الأسلوب الناجح في الدعوة والتصحيح والتقويم لأنها اللسان المبين المعبر عن حقائق هذا الدين ومبادئه.

وتغلغل حب القرآن في القلوب لا يكون إلا بلغة القرآن، هذا الحب الذي تجلى في إقبال أهل السنغال بشكل عجيب على حفظ القرآن ليس الآن ولكن منذ سنين[5] ولا ريب عندنا أن مثل هذا الحفظ ينتج عنه تقويم اللسان وعربية الخطاب واستقامة النظرة والوجهة إلى الإسلام.

هذا الحب للعربية والتعلق بها علمنا بهما أخيرا، فقد تأكد لدينا بأن جانبا مهما من الصحوة الإسلامية الواعية بدأ يفرض وجوده في السنغال وذلك بالإقبال على تعلم العربية وفسح المجال لمن يريد تعلمها بصفة رسمية في المدارس الابتدائية.

هذا الإقبال على تعلم العربية هناك وفسح المجال لها يجعلنا ننظر بتفاؤل إلى المستقبل المشرق للغة القرآن عند شعب السنغال الذي يزيد عدد المسلمين فيه على 95 ٪ والذي عانى كثيرا محاربة المستعمر الفرنسي للغته القرآنية ومحاولته لإلغاء كل نسب بينه وبين الإسلام، وتشجيعه لكل اللهجات المحلية ووضعه للأبجديات بالحروف اللاتينية بعد أن ألغى الحرف العربي مع إقامته لمخابر لتطوير اللغات المحلية المتعددة وتأصيلها[6].

إن معاناة شعب السنغال كانت كبيرة بسبب وطأة المستعمر البغيض، ولكنه الباطل ولابد له من زهوق فقد ذهب إلى غير رجعة : وها هو قد بدأ العودة إلى دينه على هدى وبصيرة، وذلك بتعلم لغة القرآن والحفاظ عليها، كما حافظ على القرآن بحفظه وتحفيظه، وفي ميدان تحفيظ القرآن نسمع عن تجربة رائدة في هذا المجال وهو بيت القصيد من مقالي هذا.

هل سمعتم عن معلم تفرغ خمسين عاما لتحفيظ القرآن دون انقطاع إلا للحج ؟ !!

هذا الشيخ والداعية المتفرغ **أحمد الصغير لو** الذي تخرج على يديه من مدرسة تحفيظ القرآن أكثر من **عشرة آلاف طفل.**

إنها مدرسة **كوكي** بالسنغال، وهي مدرسة نموذجية تأسست بجهود متواضعة واعتماد على النفس وصبر وصمود، ودعم المحسنين لها وأهل الخير أو بالأحرى أهل القرآن في ذلك البلد الإفريقي العريق في إسلامه.

والذي يبشر حقا بمستقبل مشرق في ميدان التحفيظ في ذلك الجناح الغربي من العالم الإسلامي أن مدرسة كوكي يتخرج منها حملة كتاب الله من دول أخرى غير السنغال وهي مالي وغينيا وغامبيا وموريتانيا مما يدل على ريادة مدرسة كوكي وينمُّ عن نجاحها البعيد المدى.

وما تحقق هذا النجاح إلا بفضل التفرغ الكامل بإخلاص لمشروع تحفيظ كتاب الله وهي تجارة مقدسة مع الله، إنه مشروع أعطاه الشيخ المربي أحمد الصغير كل إمكاناته واهتماماته، لقد نذر نفسه لله، بل باع نفسه لله كما عبر هو (**لقد بعت نفسي لله تعالى طمعا في أن أكون من خير الناس الذين يتعلمون القرآن ويعلمونه، وقد تركت عملي كتاجر في سبيل هذه الغاية**)[7] وهو هنا يحقق ما أمر به الرسول الكريم في هذا الشأن ﴿**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**﴾ وكان تأسيس مدرسة تحفيظ القرآن بمدينة كوكي سنة 1939 على يد الشيخ **أحمد المختار أمبي**، ومنذ إنشائها والمربي أحمد

5) جريدة الاتحاد الأسبوعي بدولة الإمارات عدد 625 صفحة 17.
6) كتاب الأمة رقم 12، صفحة 12.
7) جريدة الاتحاد الأسبوعي بتاريخ 23 جمادى الآخرة 1408 هـ - موافق 11 فبراير 1988م.

الصغير يحفظ فيها كتاب الله لأبناء المسلمين، لأن تحفيظ القرآن للمسلم هو مفتاح الخير لـه والسلاح الضروري لـه مدى الحياة، يقول عن سبب إنشائها : (**جاء إنشاؤها كغيرها من آلاف المدارس لتحفيظ القرآن في السنغال، وكانت نظرة شيوخنا من السلف الصالح نظرة عميقة ودقيقة في أن القرآن الكريم هو سلاح المسلم ضد أي عدوان سواء عدوان المادة أم عدوان الروح، وهو المخرج الأمثل للمسلم من كل مشاكله... لذلك كان اهتمامهم بالقرآن**).[8]

إنه فهم حيوي لأهمية القرآن في حياة المسلم، وإدراك واقعي لحركية الإسلام، فالقرآن هو مصدر الإحياء دائما وأبدا للمسلم، هو الهادي وهو الواقي، هو الحل وهو المفتاح، يحيي القلوب ويهدي النفوس : ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...**﴾.

إن المسلم وهو صغير لا يكون صالحا ولا ينفع مجتمعه في مستقبل الأيام إلا إذا تربى في رحاب القرآن لأن في تربية القرآن الوقاية للأجيال الصاعدة من آثار وأضرار الجاهلية، والواقع الإسلامي الذي جمته التربية الإسلامية يؤكد لنا بأن بناء الإنسان المسلم يكون فقط بالتربية القرآنية، وهذا ما توصل إليه الشيخ محمد الصغير من خلال تجربته الطويلة في خدمة القرآن وتحفيظه للناشئة المسلمة، فهو يقول في هذا الصدد: (**رأيت من خلال تجربتي بأن خير وسيلة لتربية أبناء المسلمين هي أن يُربّى الطفل على مائدة القرآن...**).

ولكي نبرهن على الدور الريادي لمدرسة تحفيظ القرآن بمدينة كوكي نشير إلى أحد الخريجين منها وهو السيد **محمد جوب** قضى فيها عشر سنوات منقطعاً وبعيداً عن أهله حتى أتم حفظ القرآن، وهو يجيد النطق بالعربية والفرنسية والإنجليزية، وهو كما قال السيد **اسماعيل الفخراني** إذا تحدث في محاضرة شد قلوب الناس وآذانهم بما لديه من حجة قوية من القرآن والحديث، وحجته دائما حاضرة حتى صار يلقب بالشيخ الشعراوي السنغالي.

إن تجربة السنغال من خلال الكتاتيب القرآنية تدعو إلى ضرورة إحياء تلك الخلايا القرآنية في بلاد الإسلام كلها فهو عمل مقدس ومشروع قرآني لا يضاهى، لابد منه لواقع المسلم، لأن به حياة المسلم، فمن لم تكن حياته بالقرآن فبأي شيء، يحيا ؟ ونحن نعلم بأن الله يدعونا إلى الحياة في رحاب القرآن ويرشدنا إلى ضرورة الاهتداء به : ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾، ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا...**﴾.

وإلى هنا أقول بأن سفيان الثوري قد سئل يوماً عن الرجل **يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن**، فقال : **يقرأ القرآن ويعلمه**، لأن الحديث يقول : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وفي حديث لأبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : «يا أبا هريرة علم الناس القرآن وتعلمه فإنك إن مت وأنت كذلك زارت الملائكة قبرك كما يزار البيت العتيق».

ويقول القرطبي قال العلماء : «تعليم القرآن أفضل الأعمال لأن فيه إعانة على الدين فهو كتلقين الكافر الشهادة ليسلم...».

وإذا كانت القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقد سئل رسول الله ﷺ عن الذي يجلوها فأجاب «تلاوة القرآن...».

من هذه الإجابة النبوية نستنتج بأن على كل مسلم أن يتحمّل مسؤوليته كاملة نحو كتاب الله، يجب علينا أن نقبل على القرآن، نقرأه، نتعلمه ونعلمه لأولادنا، وأن نعمل على إعادة الكتاتيب في واقع المسلمين وإقامتها بعناية والسهر عليها برعاية لأنها هي التي علمت الأجيال وحافظت على القرآن الكريم، والمغاربة وهم مشهورون بحفظ كتاب الله منذ القديم وصاروا أعلاماً فيه، فإن الفضل في ذلك يعود للكتّاب القرآني بما كان له فيما مضى من دور ريادي في التحفيظ والتربية وتكوين الأجيال الصاعدة ليصبحوا رجالاً قادة.

وإذا كانت الإنسانية في عصرنا الحاضر تعيش حالة تخبط واضطراب فالسبب هو غياب القرآن عن حياة الناس، ولا يمكن أن ينتفع به الناس عامة إلا إذا كان أهله يحفظونه ويُحافظون عليه خاصة بأن يتدبروه ويهتدوا بهديه حتى ينقذوا الناس بأحكامه ومبادئه، فهم أهل المسؤولية في هذا الشأن بحكم إسلامهم، وهم أمة الوسطية التي أرادها الله لهم ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً...**﴾.

هذا القرآن فيه الهداية للعقول، وفيه الرحمة للنفوس، وفيه الحياة لموات القلوب لأن طريقه طريق الله المستقيم :

﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾.

الرباط : محمد بخات



جانب من مسجد ليروفيل بالكونغو... وتظهر الزخرفة والفن المعماري المغربي.

المرأة الإفريقية
في المؤتمر الإفريقي للأسرة
المنعقد بمدينة الدار البيضاء، أيام 10.9.8 1988

للأستاذة
كنزة النملي

المؤتمر الافريقي للأسرة المنعقد بمدينة الدار البيضاء ـ المغرب

تعتبر الأسرة الخلية الأساسية في نسيج المجتمع حيث إن تماسك بنيانها رهين بمدى الاهتمام بشؤون أفرادها في جميع الميادين الشيء الذي يقتضي إيجاد الوسائل الكفيلة لحماية الطفولة وضمان حقوق المرأة والرجل على السواء...

وتتجلى علاقة الأسرة بالمجتمع بصورة واضحة في ارتباطها بالبنيات الاقتصادية والاجتماعية، وبوصفها مؤسسة اجتماعية لها **وظائفها ذاتية خاصة بها ووظائف أخرى ضمن إطار المنظومة الاجتماعية** حيث تتميز

عن باقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى لما يربط أفرادها من علاقة متينة لا يحكمها العامل الاقتصادي وحسب. بل هناك العامل الروحي والعقائدي الذي يلعب دورا هاما في تنظيم كيانها ونموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي...

وجدير بالذكر أن حماية الأسرة والاهتمام بشؤونها هي من بين المبادئ الأساسية للمجتمع الإسلامي حيث نظم الإسلام أحوالها بتشريعات متعددة اعتمدها الفقهاء في استنباط أحكامهم التي احتاجت بسبب الأوضاع المستجدة والمتطورة إلى تغيرات لا تخرجها عن الأصل، ولكن تجلعها أميل إلى مسايرة العصر.

«ان التنمية هي اليوم الشغل الشاغل للبلدان السائرة في طريق النمو وفي مقدمتها البلاد الإفريقية إذ هي السبيل الوحيد لازدهار شعوبها وتوفير ظروف العيش الكريم لأفرادها واتاحة الفرصة لكل واحد منهم ليكون في المجال الذي اختاره وبالقدر الذي تسمح به مؤهلاته واستعداده عضوا نشيطا في المجتمع الذي ينتمي إليه يساهم في تطوره ويسعى لما يعود عليه بالنفع ويخدم مصالحه العليا في الحاضر والمستقبل».

وفي هذا الإطار وتحت الرعاية السامية لجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله انعقد بمدينة الدار البيضاء المؤتمر الإفريقي للأسرة أيام 10/9/8 من شهر مارس، وقد ترأست صاحبة السمو الأميرة للافاطمة الزهراء أشغال الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الإفريقي حول الأسرة الذي تزامن مع احتفال المغرب بعيد العرش المجيد، ومع اليوم العالمي للمرأة هذا اليوم المرتبط بنضال المرأة من أجل كسب حقوقها، والذي يعلن عن نفسه مرة كل سنة بشكل ملحمي متجسد في الواقع الحياتي بالدرجة الأولى إذا جاز هذا التعبير، لأن هناك شيئا يسمى الإنسان والإنسانية، لا المرأة والرجل لكونهما أساس وجوهر إنسانية التي خلقت من أجل أشياء سامية لا من أجل صراعات واهية خلقها «الإنسان» بنفسه، واعتقد أن المشكل الحقيقي هو المرأة هذا المخلوق الذي إذا فهمنا سيكلوجيته جيدا قد يبعدنا عن بعض الغموض الذي نعيشه أمام وضعنا المتأزم ككل...

وأمام هذا الوضع أبى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله إلا أن يجعل بلده مقرا لمؤتمر الأسرة الإفريقي رعاية منه حفظه الله للمرأة المغربية والإفريقية على السواء لكي تحقق إفريقيا المسلمة كل ما تصبو إليه، ولتكون أمة واحدة في التعاون والتناصر والتآزر. وقد حضر هذا المؤتمر أربعمائة امرأة يمثلن مختلف الهيآت والمؤسسات الدولية المعنية بموضوع الأسرة والمرأة على السواء...

وقد وجهت صاحبة السمو الملكي الأميرة للا حسناء كلمة للمؤتمرين ألقتها بالنيابة السيدة خديجة المزدالي أستاذة بكلية الآداب، أبرزت فيها صاحبة السمو الملكي الأميرة للا حسناء أن الأسرة الإفريقية ما زالت تمتاز بتماسك بنيانها، ومكانة الروابط التي تجمع أفرادها وتدفعهم إلى التآزر، وأن ما يجب توفيره للأسرة الإفريقية يتمثل في البيئة الصالحة والإطار اللائق، إطار الحياة الذي يضمن لها العيش الكريم ويجعلها في مأمن من الآفات الاجتماعية...

كما تعرضت صاحبة السمو إلى مكانة الأسرة بأنها الخلية الأساسية للمجتمع والقاعدة المتينة التي ينبني عليها وجود الشعب، بحيث أكدت على أنه يجب الأخذ بالأساليب الحديثة للتقدم العلمي مع الحفاظ على هوية وأصالة الشعوب، وما تمتاز به من خصوصيات، وذلك بتربية وتنشئة أفرادها على احترام القيم والمثل التي يقوم عليها كيانها، وهنا يبرز الدور المنوط بالأسرة.

وقد أثيرت نقاشات عدة حول موضوع المرأة والأسرة والدور المطلوب من كليهما للوصول إلى حلول ناجعة، لأن هذه الدول تواجه العديد من التحديات على جميع الأصعدة الاجتماعية منها والاقتصادية والسياسية الشيء الذي يدعوها أكثر من أي وقت مضى إلى تجنيد الطاقات، وتسخير الإمكانات، وتنسيق الجهود، لتجاوز هذه العقبات، ولتحقيق انطلاقة جيدة تخدم المصير التنموي لدول القارة السمراء والتي تحتل الأسرة مكانة الصدارة فيها...

وفي هذا الموضوع أبرزت السيدة «ماريا تيريسا» رئيسة الاتحاد الدولي للمؤسسات العائلية بدورها الانشغال الذي يشكله موضوع مثل هذا لدى المجتمعات الإفريقية التي تعاني من مشاكل مختلفة وقضايا تسترعي الاهتمام البالغ، **وذكرت ببعض اللقاءات التي تمت في هذا الصدد مثل المؤتمر المنعقد فيفي الرباط سنة 1973 حول الأسرة والذي يعد أول مؤتمر نظمته المنظمة الدولية للمؤسسات العائلية خارج أوربا.**

وتميزت أيام المؤتمر بإلقاء عدة عروض لبعض الأساتذة الجامعيين تناولت فيه الأستاذة حليمة الورزازي بالدرس موضوع «المرأة والتنمية والمنظمات الدولية». وأكدت المحاضرة في البداية على أهمية المرأة والطفل في المجتمع مشيرة إلى الاهتمام الكبير الذي يجب أن يحظيا به، وأكدت أنه من أجل إشراك المرأة في المجهود العام للتنمية يجب ضمان حقوقها، وتمكينها من نفس الفرص المتاحة للرجل.

وعالجت الأستاذة حبيبة البورقادي في موضوعها حول «المرأة والتنمية في الوطن العربي» وضعية المرأة في المجال التعليمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي بالإضافة إلى مكانتها في مختلف الواجهات وممارستها للمؤوليات والاختصاصات دون إغفال ما حققته المرأة، كما استعرضت الحقوق الدينية للمرأة العربية التي كرمها الدين الإسلامي وعزز مكانتها في الأسرة والمجتمع وتحدثت عن حقوق وواجبات الزوجين في الأسرة باعتبار أن الحياة الزوجية أساسية في محيط الأسرة، وأشارت إلى وضعية المرأة الريفية والتي تؤثر تأثيرا محسوسا في توجيه مسيرة المجتمع والإنسان العربي في حاضره ومستقبله - أما السيدة فاطمة الدويق رئيسة الاتحاد القومي للنساء التونسيات، فقد استعرضت في عرضها الأطوار التي قطعتها المرأة في تونس ومدى مساهمتها في مجالات التنمية الشاملة.

واستعرضت السيدة زهرة يوسف باسم منظمة التحرير الفلسطينية معاناة النساء الفلسطينيات من تعسفات الاحتلال الصهيوني والممارسات اللا إنسانية للجنود الإسرائيليين تجاه النساء والأطفال في انتفاضتهم.

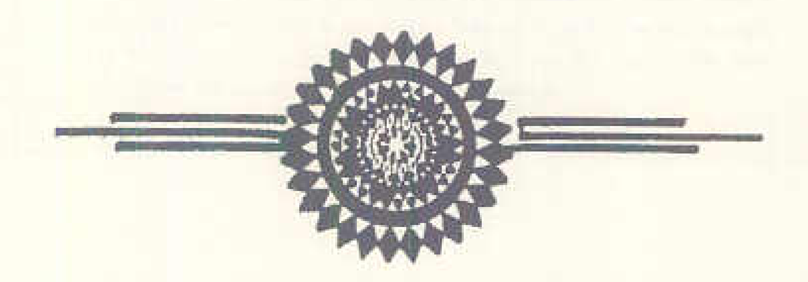
وفي إطار هذا المؤتمر نظمت مائدة مستديرة حول وضعية المرأة وتطلعاتها في أفق سنة 2000، وأوضحت المشاركات فيها مختلف أدوار المرأة في مجالات التنمية ومساهمتها الفعالة في دفع عجلة التطور والنماء الذي تنشده المجتمعات الإفريقية... وأخيرا نرى أن عامل الاستعمار في إفريقيا كان له الدور الكبير على الشباب الإفريقي، بحيث لم يعرف هذا الشباب كيف يواجه تيار المستعمر، وبالتالي كان من العسير على الآباء أن يأخذوا بزمام الأمور، وأن يفرضوا بكيفية مفيدة تقاليدهم العريقة ومعتقداتهم السامية، ولإنقاذ إفريقيا من هذه المخلفات، التي يتخبط فيها الإنسان الإفريقي، وتعاني من جرائها المرأة الإفريقية، في غياب الحضور الإسلامي، انعقد أخيرا بالسنغال مؤتمر رابطة علماء المغرب والسنغال ذلك المؤتمر الذي أعاد إلى الذاكرة حقيقة الأوضاع والتقاليد العريقة للأمم والشعوب والمعطيات المثلى للدين الإسلامي الحنيف. وذلك بتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم لطلبة إفريقيا، وإنقاذ الإفريقي مما خلفه الاستعمار...

ولم يكد ينهي المؤتمر أشغاله حتى سارعت خمس دول إفريقية أخرى إلى طلب الانخراط في هذا الرابطة المقدسة وهذه الدول هي : مالي - وغينيا - وغامبيا - وموريتانيا - ونيجيريا.

والأسرة الإفريقية مازالت بحمد الله تمتاز بتماسك بنيانها ومتانة الروابط التي تجمع أفرادها وتدفعهم إلى التآزر في السراء والضراء والتعامل فيما بينهم على أساس من التكامل الشامل الذي يجعل منهم كتلة متراصة، يشد بعضها بعضا وتلكم خصال حميدة ينبغي أن نتمسك بها ونجعل الحفاظ عليها في مقدمة اهتماماتنا بمستقبل الأسرة في بلداننا وما يجب أن نتيح لها من الأسباب والوسائل لتستطيع مواصلة الاضطلاع بالدور الذي عليها أن تقوم به وتتمكن من أداء الرسالة المنوطة بها خير ما يكون الأداء.

وقد بلغت في شعوبنا الإفريقية درجة ملحوظة من الوعي والشعور بالمسؤولية وأصبحت تشارك مشاركة قيمة في كثير من مجالات الحياة وعلينا أن نبذل أقصى الجهود لتوفير الأسباب وأتاحة الظروف الكفيلة لتوسيع مساهمتها في مختلف أوجه النشاط العام والخاص بما فيه مصلحة المجتمع بأسره. كما جاء في نص خطاب صاحبة السمو الملكي الأمر الجليلة للا حسناء وإن انتشار الإسلام في هذه المنطقة وضع المرأة ضمن إطارها الحقيقي، وبه حفظت كرامتها، وصينت حريتها، غير أنه لم يمنحها بطبيعة الحال ما لم يكن من طبيعتها مثلما لم يمنح الرجل ما ليس في طبيعته وخلقته، فلكل منهما امتيازات طبيعية لا يمكن فرضها على الآخر، ومن صلاح هذين العنصرين تتكون الخلية السليمة التي هي أساس المجتمع وقاعدته المتينة التي تنبني عليها أصالة الشعوب.

الرباط : كنزة النملي



سُبُل تنمية الموارد البشريّة من خلال التعليم والتدريب وإعادة التأهيل وتطوير إمكانات سوق العمَل في الدّول الإفريقية

انعقد الاجتماع الثالث لمؤتمر الوزراء الأفارقة المسؤولين عن تخطيط الموارد البشرية وتنميتها واستخدامها، والذي انعقد بقاعة الصداقة الدولية بالخرطوم لمناقشة سبل تنمية الموارد البشرية من خلال التعليم والتدريب وإعادة التأهيل وتطوير إمكانات سوق العمل في الدول الإفريقية، وذلك تحت مظلة اللجنة الاقتصادية الإفريقية التابعة للأمم المتحدة.

وحضر الاجتماعات مندوبو ثمانية وعشرين دولة إفريقية وممثلوا منظمات ووكالات الأمم المتحدة وأيضا مراقبون عن مصرف التنمية الإفريقي والمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في إفريقيا ومنظمة الوحدة الإفريقية ورابطة العمل الأمريكية ومعهد الدراسات الاجتماعية.

وافتتح الاجتماع الثالث للجنة التحضيرية التقنية الدكتور بشير عمر وزير المالية والتخطيط الاقتصادي بالسودان حيث أشار إلى أن الخبراء التقنيين قد اجتمعوا لدراسة الطرق والوسائل التي تكفل تنمية الموارد البشرية واستغلال الموارد الطبيعية في إفريقيا لصالح الشعب الإفريقي ومن أجل رفاهته بصفة عامة.

كما أشار الدكتور أديبايو أديدجي مساعد الأمين العام للأمم المتحدة والأمين التنفيذي للجنة الاقتصادية لإفريقيا إلى ضرورة الاهتمام بالتطورات الأخيرة التي وصفها بأنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة لطبيعة ومجال مؤتمر تخطيط الموارد البشرية وتنميتها واستخدامها وكذلك لاجتماع اللجنة التقنية للخبراء خاصة وأن الحكومات الإفريقية عام 1985 قد اعتمدت برنامج إفريقيا ذا الأولوية للانتعاش الاقتصادي 1986 ـ 1990 كما حدد برنامج عمل الأمم المتحدة من أجل الانتعاش الاقتصادي والتنمية في إفريقيا التنمية البشرية على أنها أحد المجالات الأربعة التي تتطلب أولوية في العمل.

وركز الأمين التنفيذي على تخلف الموارد البشرية في إفريقيا وعدم استخدامها على النحو الكامل والذي أعرب الاجتماع الأخير للجنة الاقتصادية عن القلق بشأنه، مشدداً على ضرورة الوصول إلى توصيات عن أفضل سبل تخطيط الثروة الهائلة المتمثلة في الموارد البشرية وتنميتها واستخدامها وإمكانات وضعها في خدمة الانتعاش والتنمية المستمرة للمدى الطويل وإلى ضرورة وضع تحديد واضح لأهداف تخطيط الموارد البشرية وللاستجابات السياسية الملائمة لإدارة الموارد البشرية وللدعم المناسب بالموارد والبرامج اللازمة لتنمية الموارد البشرية في نطاق حقائق التنمية وأهدافها.

انتخاب السودان للرئاسة :

وفي بداية اجتماع اللجنة التقنية للخبراء تم انتخاب السودان في شخص السيد محمد المرتضى مصطفى مستشار وزارة العمل السودانية رئيساً للجنة وتم إقرار جدول أعمال مؤتمر وزراء الموارد البشرية.

وتحدث السيد محمد المرتضى مصطفى فقال :

لقد ناقشت اللجنة عدة تقارير مقدمة من الأمانة العامة للجنة الاقتصادية لإفريقيا والتي تقوم أيضاً بدور السكرتارية للمؤتمر. وكانت الموضوعات المطروحة للبحث تتعلق بسياسات وبرامج وأسبقيات التعليم والتدريب والتقنية والإدارة والاستخدام الأمثل لها حتى ترتفع كفاءتها وتكون آلية فعالة في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية وفي إعادة تأهيل القارة الإفريقية من الكوارث التي حلت بها إذا كانت بيئية واقتصادية أو نتيجة عملية الإصلاح الهيكلي للتنمية الاقتصادية لإفريقيا.

الموضوعات المطروحة على اللجنة التحضيرية :

وفي هذا الإطار تناولت اللجنة عدة موضوعات :

أولاً : رفع كفاية قوى العمل وكان هناك تركيز على :

- رفع كفاية بيانات سوق العمل.

- ديمقراطية التعليم تحت شعار التعليم للكل ومحو الأمية إذ أنه وجد أن هنالك علاقة مباشرة بين اكتساب المعرفة بالقراءة والكتابة وبين الإنتاج وخصوصاً في القطاع الزراعي. ثم ركز على مفهوم أن يكون هنالك محتوى ثقافي للتعليم أي أن يكون التعليم له علاقة مباشرة بالبيئة ثم يخدم في الوقت نفسه أغراض التنمية وتحديات مشارف القرن الجديد.

- وفي هذا الإطار نوقش موضوع التعليم العالي والتركيز عليه كمصدر للقوى العاملة المدربة في المدى البعيد خصوصا وأن القارة الإفريقية تعاني نقصاً ملحوظاً في التقنيين والمهندسين والأطر الصناعية المختلفة.

ثانياً : نوقش أيضاً موضوع هجرة الأدمغة وكيف أن هذه الهجرة تؤتي نتائج عكسية باستمرار اعتماد إفريقيا على الكفايات الأجنبية مما يكلفها موارد مالية ضخمة وروعي أن تهيأ البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى تتمكن الأدمغة المهاجرة من العودة والعمل في موطنها الأصلي.

ثالثاً : كذلك أثيرت مسألة أن يكون أغلب التعليم العالي في الدول الافريقية ذاتها وذلك لأن تعليم الأطر في الخارج مكلف وسبب للاغتراب الذهني والفكري وغير مرتبط بمناشط الحياة في إفريقيا.

كذلك ركز المؤتمر على التعليم غير الرسمي على أساس أنه تعليم مكمل للتعليم الرسمي وعليه ينبغي الاهتمام به ودعمه ثم محاولة دمج عنصر الإرشاد والتوجيه المهني في النظام التعليمي حتى ينحو التعليم منحى تخطيطيا وإنتاجيا في الوقت نفسه.

رابعاً : تناول تقرير اللجنة التقنية موضوع رفع الكفاية الإدارية الحكومية وخلافه أي إدارة الأعمال إذ أنها الآلية المؤثرة في رفع كفاية الاقتصاد وإدارته إدارة حسنة ومنتجة. وركز على ثلاثة مجالات أساسية حيث تحتاج إفريقيا للتعاون الإقليمي والدولي وهي :

- إدارة الكوارث.
- إدارة الموارد الطبيعية.

● الإدارة المالية على أنها إدارات أثبتت التجربة والمعاناة التي عانت منها إفريقيا بأنها لم تحظ بالاهتمام الكافي مما أثر على الأداء غير الكافي وغير الجيد للاقتصاد في الفترة السابقة.

دعم العمل الريفي :

خامساً : وتطرق الاجتماع إلى موضوع ربط القوى العاملة بالاستخدام وفي هذا رؤي أنه مادام أغلبية سكان إفريقيا يعيشون في الريف فينبغي أن يكون هناك تركيز في دعم وتطوير الإنتاج الريفي حيث يسكن ثلاثة أرباع القوى العاملة وأن يكون هنالك ربط أساسي وموضوعي بينه وبين القطاع الصناعي خصوصا الصغير ونقل هذه الأنشطة إلى الريف حتى يكون هنالك ربط موضوعي بين تدريب واستخدام وإيجاد فرص العمل الأمثل للقوى العاملة في إفريقيا.

كانت هذه محاور الموضوعات التي نوقشت بالاجتماع الثالث للجنة التقنية والتي أجيزت كلها من قبل المؤتمر الوزاري الثالث للموارد البشرية في إفريقيا.

وكانت مداولات هذا المؤتمر امتداداً للمؤتمر الدولي الذي أصدر إعلان الخرطوم في ما يختص بالبعد الإنساني للانتعاش والتنمية في إفريقيا.



الكنيسة تخطط لاحتواء العالم الاسلامي

مؤتمرات كنسية في قارتي افريقيا وآسيا.

تساءل الأسقف مارانتيكا مدير معهد اللاهوت الأنجليكاني في أندونيسيا عما إذا كان باستطاعة المسيحيين تحويل العالم الإسلامي إلى المسيحية بنهاية هذا القرن وذلك أمام حشد من وفد المؤتمرين المسيحيين في أندونيسيا والذين اجتمعوا ضمن مؤتمر حث الإرساليات للمشاركة في الكنيسة المحلية وأجاب على تساؤله بنفسه قائلا : إنني أعتقد أنه بإمكاننا أن ننصر العالم بأسره إذا صلينا معاً، واتفقنا معا، وعملنا معا نحن شعب الله لأننا نملك من الإمكانات المادية والبشرية ما يكفي لذلك.

كما استمع المؤتمرون لمكوري المدير التنفيذي لمعهد صويل زويمر الذي قال : ان هذا هو وقت العمل في أوساط المسلمين والشيطان يعلم هذه الحقيقة تماماً ويحاول تنينا عن مهمتنا ويعمل من خلال الجماعات الإسلامية المتطرفة ليصرفنا عن حصد الثمار الناضجة من المسلمين.

وختم حديثه طالباً من المؤتمرين أن يصلوا من أجل العاملين على جني الثمار اليسوعية وسط المسلمين وطالبهم بأن لاينظروا للعالم الإسلامي من خلال التلفزيون وإنما يجب أن ينظروا إليه من خلال عيون يسوع المسيح !!

وفي كينيا انعقدت بنيروبي نهاية اكتوبر الماضي حلقة دراسية حول العلاقات المسيحية الإسلامية بتنظيم من مشروع العلاقات المسيحية الإسلامية بافريقيا والذي كان يعرف قبل انعقاد المؤتمر باسم «مشروع المجلس الإسلامي لافريقيا» وقال متحدث باسم المؤتمر يدعى القسيس جوهان هافكنز أن المنظمة أنشئت أساسا لمساعدة الكنائس والمجالس المسيحية في افريقيا على إنشاء لجان العلاقات المسيحية لخلق فهم أحسن بين أصحاب العقائد المختلفة.

وتشير الرسالة إلى أن هذا المؤتمر يأتي ضمن سلسلة اللقاءات التنصيرية التي تتغطى بغطاء الحوار الإسلامي المسيحي وتهدف من وراء ذلك إلى تذويب عقيدة المسلمين ومما يدل على هذا أن نفس المشروع المذكور أشار إلى أنه سينظم مؤتمراً في غشت من العام القادم عن دور المرأة في تحسين العلاقات المسيحية الإسلامية وذلك لهدف تشجيع الزواج المختلط بين المسلمين والمسيحيين في افريقيا.

كما أشارت الحلقة آنفة الذكر إلى أن هناك توتراً في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في السودان بسبب

تطبيق الشريعة الإسلامية ودعت لإزالة أسباب هذا التوتر !!

كما أن تنظيم هذا المشروع يتم من طرف واحد هو الطرف المسيحي ويعقد لقاءاته برعاية الكنائس في نفس الوقت الذي كان يحفظ فيه باسم «مشروع المجلس الإسلامي لافريقيا» قبل تغييره لمشروع العلاقات المسيحية الإسلامية في افريقيا.

وقال الأسقف موانا انزيكى كبير الأساقفة الكاثوليك في كينيا أن الإقبال على الوظائف الدينية بين الشباب الافريقي أصبح يتزايد بسرعة مقارنة بالدولة المتقدمة حيث يتناقص المعدل لحد بعيد نتيجة لتأثر الشباب بالاتجاه المادي المعادي للكنيسة وقال : إن هذا يحفز الكنائس الافريقية لمضاعفة جهودها بصورة أوسع لتنمية الجانب الديني عند الشباب.

جاء ذلك في تصريح أدلى به للصحفيين عقب عودته من المشاركة في اجتماعات مجلس الأساقفة الكاثوليكي العالمي الذي انعقد بروما في الشهر الماضي وحضره أكثر من 220 أسقف من مختلف أنحاء العالم لمناقشة موضوع ترقية الجوانب الروحية والمادية في حياة الإنسان.



(أ) منزل مستوطن (كينيا)

أقام هذا المستوطن الأوروبي منزله على الطراز الإنجليزي، ولكنه استفاد من الخامات الإفريقية في بناء المنزل لصلاحيتها لمقاومة حرارة الشمس. وعلى هذا فالمزج المعماري الأوروبي والإفريقي سطحي وبسيط.

فهرس للدراسات الإفريقية
التي نشرت في مجلة "دعوة الحق" منذ صدورها.

الموضـــــوع	اسم الكاتب	الصحيفة	العدد	السنة	التاريخ
إفريقيا في مفترق الطرق	أحمد زياد	45	5	9	مارس 1966
إفريقيا بين طريقين	أحمد زياد	48	7/6	9	أبريل ماي 1966
إفريقيا في مفترق الطرق	أحمد زياد	50	8	9	جوان 1960
خدعة الاستعمار الأروبي في إحصاءاته سكان مستعمراته ومحمياته	عبد القادر القادري القاضي بوزارة العدل	77	10/9	9	غشت 1966
مؤلفات علماء غرب إفريقيا في المكتبات المغربية	محمد إبراهيم الكتاني	84	1	11	نوفمبر 1967
بين مهمتين في إفريقيا	عبد اللطيف خالص	72	10/9	11	غشت 1968
من جوانب الحركة الشعرية في السودان	د. محمد عبد المنعم خفاجي	106	1	18	يناير 1977
الانعكاسات التاريخية لاسترجاع الصحراء	المهدي البرجالي		2	18	مارس 1977

الموضـــوع	اسم الكاتب	الصحيفة	العدد	السنة	التاريخ
تعقيب على الرد على مقال «أحمد بابا التمكبتي السوداني»	د. شوقي عطا الله	51	5	18	يونيو 1977
الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة	محمد الحمداوي	129	2	13	يناير 1970
حركات الجهاد الإسلامية في جنوب افريقية		267	6/5	13	ماي 1970
إحصائيات حول الثروات الطبيعية والإنتاج الصناعي والفلاحي بالأقطار الإسلامية	عبد القادر القادري القادي بوزارة العدل	268	6/5	13	
إفريقيا القارة المسلمة	زين العابدين الكتاني	102	7	3	يونيه 1970
المغرب الإفريقي	زين العابدين الكتاني	108	10/9	12	نوفمبر 1970
نظرة على أحوال المسلمين ببعض أقطار إفريقيا الغربية	أبو بكر القادري	76	1	12	نوفمبر 1968
بين مهمتين في إفريقيا	عبد اللطيف خالص	92	1	12	نوفمبر 1968
الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانا «عربه عن الإنجليزية»	محمد الحمداوي	48	2	12	ديسمبر 1969
«الشمال الإفريقي» لمؤلفه الآن هوتي برديك - تقديم وتعليق : . .	محمد بن تاويت	122	2	12	يناير 1969
أقاليم الشمال الإفريقي ديوقليسيانوس إلى الفتح الوندالي تقديم وتعليق :	محمد بن تاويت	125	3	12	يبراير 1969

الموضـــوع	اسم الكاتب	الصحيفة	العدد	السنة	التاريخ
تعقيب على الرد على مقال «أحمد بابا التمكبتي السوداني»	د. شوقي عطا الله	51	5	18	يونيو 1977
الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة	محمد الحمداوي	129	2	13	يناير 1970
حركات الجهاد الإسلامية في جنوب افريقية		267	6/5	13	ماي 1970
إحصائيات حول الثروات الطبيعية والإنتاج الصناعي والفلاحي بالأقطار الإسلامية	عبد القادر القادري القاضي بوزارة العدل	268	6/5	13	
إفريقيا القارة المسلمة	زين العابدين الكتاني	102	7	3	يونيه 1970
المغرب الإفريقي	زين العابدين الكتاني	108	10/9	12	نوفمبر 1970
نظرة على أحوال المسلمين ببعض أقطار إفريقيا الغربية	أبو بكر القادري	76	1	12	نوفمبر 1968
بين مهمتين في إفريقيا	عبد اللطيف خالص	92	1	12	نوفمبر 1968
الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانا «عربه عن الإنجليزية»	محمد الحمداوي	48	2	12	ديسمبر 1969
«الشمال الإفريقي» لمؤلفه الآن هوتي بردريك ـ تقديم وتعليق :	محمد بن تاويت	122	2	12	يناير 1969
أقاليم الشمال الإفريقي ديوقليسيانوس إلى الفتح الوندالي تقديم وتعليق :	محمد بن تاويت	125	3	12	يبراير 1969

الموضـــوع	اسم الكاتب	الصحيفة	العدد	السنة	التاريخ
الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانا	دانييل ماك كول عربه : محمد الحمداوي	64	5	12	أبريل 1969
الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانا» للأستاذ دانييل ماك كول	تعريب : محمد الحمداوي	103	6	12	ماي 1969
عبد الله بن ياسين مجدد الإسلام يافريقية	سعيد أعراب	100	7	12	جوان 1969
ارتسامات عن بلاد السينغال المسلمة مـأثرة الحسن الثـاني في مسجـد دكار :	محمد حجي	122	8	12	جوي 1969
الأحوال اللغوية في إفريقيا السمراء ومركز العربية في القارة	المهدي البرجالي	55	10/9	12	غشت 1969
الزنجية والأدب الشفاهي	حسن المنيعي	78	10/ 9	12	غشت 1969
الروايات التاريجية عن تأسيس سجلماسة وغانا	محمدالحمداوي	97	10/9	12	غشت 1969
أصوات من إفريقيــا (قصيـــدة)	مصطفى المعداوي	59	5	2	يبراير 1959
الأوضـاع الإسـلاميـة في إفريقيـة	المهدي البرجالي	29	6	2	مارس 1959
إفريقيا السوداء المسلمة في طريق التحرر	قاسم الزهيري	39	3	3	دجنبر 1959
هـل تخرج الصحراء أسرار مدينتهـا العتيقة	قاسم الزهيري	33	4	3	يناير 1960
«غينيا : دولة قائدة»	ج سورت كنال	76	9	3	يونيه 1960

الموضـــــوع	اسم الكاتب	الصحيفة	العدد	السنة	التاريخ
نهر الكونغو	علال الفاسي	107	10	3	يوليوز 1960
التـأثير القرطـاجني في الشمـال الافريقي	د. إبراهيم حركات	30	2	5	نوفمبر 1961
الهجرة الأروبيـة إلى إفريقيـا قبـل الحرب العـالميـة الأولى «لبيير رونفس ترجمة :	عبد الحق بنيس	30	2	5	نوفمبر 1961
بعـد مرور سنـة على استقـلال موريطانيا	محمد أحمد الغربي	60	3	5	دجنبر 1961
إفريقيا الجـديـدة : للأستـاذ رولف ايتـاليـا نـدر «الكـاتب الألمـاني المتخصص في الشـؤون الأفريقيـة قرأه وعلق عليه	د. محمد علي مكي	57	4	5	جانفيي 1962
الممـالـك الإسـلامـيـة القـديمـة في إفريقيا السوداء	قاسم الزهيري	59	6	5	مارس 1962
الممـالـك الإسـلامـيـة القـديمـة في إفريقيا	قاسم الزهيري	66	7	5	أبريل 1962
الممـالـك الإسـلامـيـة القـديمـة في إفريقيا : مملكة مالي	قاسم الزهيري	66	9/8	5	ماي يونيو 1962
السوق الإفريقية المشتركة	محمد أحمد الغربي	69	9/8	5	ماي يونيو 1962
الممـالـك الإسـلامـيـة القـديمـة في إفريقيا مملكة «سنغاي»	قاسم الزهيري	79	10	5	يوليوز 1962

الموضـــوع	اسم الكاتب	الصحيفة	العدد	السنة	التاريخ
في شأن انعقاد المؤتمر الإفريقي الأول لأساتذة الرياضيات الجامعيين بكلية العلوم بالرباط		159	7	17	يونيه 1979
المدرسة القرآنية في الصحراء المغربية	سعيد أعراب	73	9	17	نوفمبر 1976
تطوان في كتاب يوميات شاهد عن إفريقيا	رضا الله إبراهيم الإلغي	99	1	21	مارس 1980
تطوان في كتاب شاهد عن حرب إفريقيا	رضال الله إبراهيم الإلغي	109	3	21	يونيو 1980
الحسن الوزان وكتابه : وصف إفريقيا	محمد عبد الفتاح الإبراهيمي	89	2	23	أبريل 1982
تطوان في كتاب : يوميات شاهد عن حرب إفريقيا	إبراهيم الإلغي	99	1	21	مارس 1980
تطوان في كتاب : شاهد عن حرب إفريقيا	إبراهيم الإلغي	109	3	21	يونيو 1980
معهد أم درمان العلمي	الشيخ محمد مبارك عبد الله	21	1	4	أكتوبر 1960
العالم العربي والأوضاع الجديدة	المهدي البرجالي	70	2	4	نوفمبر 1960
رسالتنا في إفريقيا	لأبي فريد	77	2	4	نوفمبر 1960
ماذا بعد استقلال موريطانيا	لأبي فريد	79	2	4	

الموضـــوع	اسم الكاتب	الصحيفة	العدد	السنة	التاريخ
انتشار الإسلام في نيجريا	للأستاذ ع. س	63	3	4	دجنبر 1960
ناطقون ومفكرون	أبو فريد	65	3	4	دجنبر 1960
على هامش الشهر السياسي	محمد الغربي	57	4	4	يناير 1961
ما وراء القضية الموريطانية	محمد المهدي البرجالي	65	4	4	يناير 1961
إفريقيا تخطو خطوة حكيمة . . .	الرحالي الفاروقي	64	6	4	مارس 1961
ما وراء القضية الموريطانية	محمد المهدي البرجالي	67	6	4	مارس 1961
مؤتمر وزراء خارجية دول ميثاق البيضاء		52	7	4	أبريل 1961
الجمهورية العربية المتحدة بعد ثلاث سنوات	المهدي البرجالي	54	7	4	1961
وثبة إفريقيا	المدني الحمراوي	72	7	4	أبريل 1961
الجمهورية العربية بعد ثلاث سنوات	المهدي البرجالي	54	8	4	ماي 1961
البترول في ليبيا وأثره في الحياة الاقتصادية	يحيى المصري	64	10/ 9	4	يوليوز 1961
لومومبا لم يمت	أحمد البقالي	74	10/ 9	4	يوليوز 1961
الحياد وعدم التبعية في إفريقيا وآسيا	محمد أحمد الغربي	64	5	16	فبراير 1963
صرخة إفريقيا	محمد بن محمد العلمي	153	1	16	يونيه 1973
رسالة المغرب الثقافية في إفريقيا	حسن السائح	169	3	16	دجنبر 1973

الموضـــوع	اسم الكاتب	الصحيفة	العدد	السنة	التاريخ
العـالم العربي والكتلـة الإفريقيـة الأسيوية	المهدي البرجالي	55	8	8	جوان 1965
تطوان في كتاب «يوميات شاهد عن حرب إفريقيا	رضا الله إبراهيم الإلغي	56	5	21	غشت 1980
كتاب وصف إفريقيا	عبد القادر العافية	78	5	21	غشت 1980
أثر الإسلام في الحياة الاقتصادية في غرب إفريقيا	نعيم قداح	11	1	17	اكتوبر 1963
«الحبشة»	عبد اللطيف الخطيب	65	3	7	دجنبر 1963
الإسـلام وفن العمـــارة في غرب إفريقيا	نعم قداح	14	7	7	أبريل 1964
الأصول القـديمـة لعلاقات المغرب بإفريقيا	محمد أحمد الغربي	52	7	7	أبريل 1964
حمـلات السعـــديين إلى الغرب الإفريقي	محمد أحمد الغربي	35	9/8	7	يونيه 1964
الإسلام والمسلمون في جمهوريـة التشاد	للشيخ طه الولي	59	2/ 1	14	يناير 1971
المغرب الإفريقي «الاختيار المغربي في دبلوماسيته الإفريقية»	زين العابدين الكتاني	126	2/ 1	14	يناير 1971
المغرب الإفريقي الاختيـار المغربي في دبلـوماسيتـه الإفريقية	زين العابدين الكتاني	130	5	14	ماي 1971
إفريقيا بصدد إحيـاء لغـاتها القومية	قاسم الزهيري	78	7/ 6	14	يوليوز 1971
الاختيـار المغربي في دبلـوماسيتـه الإفريقية	زين العابدين الكتاني	108	8	14	أكتوبر 1971

المناهــل

الموضـــوع	اسم الكاتب	الصحيفة	العدد	السنة	التاريخ
الصحراء في فجرها الموعود	محمد مهدي الجهواهري	122	1	1	نوفمبر 1974
حلم بالصحراء (شعر)	أبو بكر اللمتوني	191	2	1	مارس 1975
صحراء ياشفة التاريخ	د. نذير المظمة	119	3	1	
أحمد بابا التمبوكتي السوداني . . .	د. شوقي عطا الله الجمل	144	6		يوليوز 1976
الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا سماتها، ودور المغرب فيها	د. شوقي عطا الله الجمل	132	7		نوفمبر 1976
علاقة المغرب بالأقاليم الصحراوية الواقعة جنوبه	د. شوقي عطا الله الجمل	132	8		مارس 1977
اللغة السواحلية واثر العربية فيها حاليا	محمد الفاسي	21			يوليوز 1977
قضية روديسيا، تطورها التاريخي	د. شوقي عطا الله الجمل	167	11		مارس 1978
القوى الوطنية في شمال إفريقية في مواجهة قرطاج وروما	د. فوزي مكاوي	257	12		يوليو 1978
فـاس حـاضرة الفكر في القـارة الإفريقية	عبد العزيز بن عبد الله	166	13	5	دجنبر 1978
أضواء على رحلة محمد بن عمر التونسي للسودان	د. شوقي عطا الله الجمل	112	14		مارس 1979
الفيل الإفريقي ودوره في الحروب القديمة	د. فوزي المكاوي	260	17		مارس 1980
تطـور نظـام الفكر في قرطـاج	د. فوزي مكاوي	361	20		مارس 1981
مـع ابن الحسن التمكروتي في رحلته القسطنطينية	عبد القادر زمامة	221	25		دجنبر 1983
جولة في مكتبات الصحراء المغربية	د. محمد حجي	7	28	10	1983

الموضـــوع	اسم الكاتب	الصحيفة	العدد	السنة	التاريخ
الزنجية	قاسم الزهيري	7	18		أكتوبر 1971
عثمان بن بوديو وسياسة الجهاد الإسلامي التي اتبعها في صغرى مخطوط فريد بوثائق الرباط	د. شوقي عطا الله الجمل	41	26	13	يوليو 1976
العلاقة بين المغرب وامبراطورية سونغاي في النصف الثاني من القرن السادس عشر (زكري دوماني أسيفو)	تعريب : سعيد أعراب	255	28		يوليو 1977
اثر الثقافة العربية في بعض اللغات الإفريقية	نعيم قداح	317	28		يوليوز 1977
العلاقات الإفريقية العربية في الحكايات الشعبية السودانية	سيد حامد حريز	325	28		يوليوز 1977
العلاقات بين المغرب ومملكة سونغاي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر ملخص أطروحة	زكري دارماني	407	27		يوليوز 1977
عبد الله بن ياسين في رباط السينغال	إبراهيم محمد	247	30/29	16	1979
الأسس التاريخية للعلاقات الثقافية العربية الإفريقية	نعيم قداح	305	30/29		1979
الساحل الغربي لإفريقيا الشمالية سوس ـ وادي نون ـ الصحراء . . .	د. عبد الهادي التازي	85	31	16	أكتوبر 1980
إفريقيا السوداء في العلاقات الدولية خلال القرن السادس عشر ـ زكري درماني إيسوفو	عرض : عبد الحميد ابن الطاهر	303	34		1984

بيبليوغرافيا غرب وشرق إفريقيا
بالفرنسيّة والانجليزية والايطالية والبرتغالية

الفرنسية :

- أبيل ارمان : المسلمون السود في منيمة طبع بروكسيل 1960.
- با احماد وهامباطى وداجي جاك : امبراطورية البولة في ماسينة طبع باماكو 1455.
- باري بوبكر : مملكة واكلو طبع باريز 1475.
- بارط هانريش : سفريات واكتشافات في افريقيا الشرقية أعوام 1855/1849. طبع باريز وبروكسيل 1960.
- بريكو فيليكس : التاريخ التقليدي للسينغال طبع سان لوي 1962.
- غالبي روني : يوميات سفر في تومبكتو وفي جينه في افريقيا الشرقية.
- غاردير مارسيل : المقاومة الافريقية 1976.
- سيسوكو : تومبكتو وامبراطورية سنغاي طبع دكار 1975.
- كلابيرطون : السفر داخل افريقيا طبع باريز 1829.
- كوبان : المريدون في السنغال طبع باريز 1977.
- كيوك : المسلمون في افريقيا طبع باريز 1975.
- دافيدسون باسيل : افريقيا قبل الرجل الأبيض.
- دولافوس موريس : غانة ومالي وموضع عواصمهما 1924.
- ديوب الشيخ انطة : الوحدة الثقافية لافريقيا السوداء طبع باريز 1960.
- دوبيي بول : المسيحية والإسلام والوثنية في الكامرون طبع دكار 1957.
- ديبوا فيليكس : تومبكتو الخفية طبع باريز 1928.
- الجنرال فايديوب : «السنغال» طبع باريز 1889.
- فوا إدوارد : الداهومي طبع باريز 1895.
- فروبينوس ليو : تاريخ الحضارة الافريقية طبع باريز 1936.
- فروليش : المسلمون في افريقيا السوداء طبع باريز 1962.
- غويلي : الإسلام في افريقيا الغربية طبع باريز 1952.
- كوروباري احمدو : تاريخ الإمام ساموري. (من أتباع الطريقة القادرية طبع دكار 1959.
- لوشاطوليي : الإسلام في افريقيا الغربية طبع باريز 1988.
- لي سيري : المسيحية أم الإسلام ؟ طبع دكار 1956.
- ماسينيون لويز : أسباب وعوامل انتشار الإسلام لدى السكان الوثنيين بافريقيا طبع روما 1940.

- موني : القرون المظلمة لافريقيا السوداء طبع باريز 1970.
- مونطي شارل : امبراطورية مالي طبع باريز 1968.
- مونطي شارل : التكرور غينيا، طبع باريز 1929.
- مونطي فانسان : الإسلام الأسود.
- سوريت كنال جان : المامي ساموري توري من أتباع الطريقة القادرية طبع كوناكري 1959 هذا المامي البطل هو جد احمد سيكوتوري.
- كوبان جان : صوفيو الفول السوداني طبع باريز 1980.

الإنجليزية :

- أرنو لندوتوماس : الدعوة إلى الإسلام طبع لندن.
- بودج : تاريخ إثيوبيا طبع لندن 1918.
- بوزنس : تاريخ نيجريا طبع لندن 1819.
- انغرام : زنجبار طبع لندن 1931.
- نيكلسون : التصوف الإسلامي.
- تريمنغام : «الإسلام في إثيوبيا» طبع أكسفورد 1952 وغيرها

الإيطالية :

- سيرولي : الصومال طبع روما 1957 وغيرها وغيرها.

البرتغالية :

- لوموس كوبلهو فرانسيسكو : غينيا : طبع لشبونة وغيرها وغيرها.

أما الكتب العربية الحديثة عن افريقيا فهي معروفة ومتداولة.

وأما الكتب العربية القديمة عن افريقيا فهي معروفة مثل رحلات ابن بطوطة المسومة بتحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار 703 هـ (1304م) 779 هـ (1377م).

- المسالك والممالك للبكري توفي 487 هـ (1094م).
- المسالك والممالك والمغاور والمهالك لابن حوقل توفي عام 367 هـ (977م).
- وصف افريقيا لليون الافريقي الحسن الوزان.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم لابن خلدون 732 هـ (1332م) 808 هـ (1405م).
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي 493 هـ/560 هـ.
- فتوح البلدان للبلاذري.
- صبح الأعشى للقلقشندي.
- تعليقات الأمير شكيب أرسلان على كتاب حاضر العالم الإسلامي وعقب الحرب العالمية الثانية بدأ الاتحاد السوفياتي يهتم بافريقيا البيضاء والسمراء حيث شرع في نشر نفوذه وإيدلوجياته في بعض دول افريقيا وأصبحت مطابع موسكو تخرج من حين لآخر كتبا عن التاريخ الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي عن افريقيا كما زاد اهتمام الولايات المتحدة بافريقيا عقب رحيل الاستعمار عنها وأصدرت كتبا عنها وخصصت حلقات دراسية عنها في جامعتها وأنشأ الاتحاد السوفياتي «جامعة في موسكو تحمل اسم الزعيم الفاني باتريس لومومبا» وتلقى كثيرا من أبناء افريقيا دروسهم فيها وحصلوا على دكتوراتها.

الوفد المغربي
برئاسة السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
في أشغال المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة

- وصل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري إلى العاصمة المصرية على رأس وفد من العلماء للقيام بزيارة لمصر استغرقت عدة أيام، حضر خلالها اشغال المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامي واجتماعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وذلك تلبية لدعوتين تلقاهما من كل من فضيلة شيخ الأزهر على جاد الحق ووزير الأوقاف المصري السيد محمد علي محجوب.

وقد بحث المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في اجتماعاته قضايا الشباب المعاصرة والغزو الفكري ومواجهته.

وجدير بالإشارة أن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية انشىء في مصر منذ أكثر من ربع قرن 1960 وهو جهاز من أجهزة الدعوة والثقافة الإسلامية وله هدفان رئيسيان. أولهما التعريف بالإسلام في الداخل والخارج وثانيهما إقامة وتنمية العلاقات الدينية والثقافة بين مصر وبلاد العالم الإسلامي وهو يعد إلى جانب ذلك جهازا ثقافيا وإعلاميا لخدمة الإسلام عقيدة وشريعة وثقافة.

ويتألف الهيكل الإداري للمجلس من الأمين العام للمجلس والإدارات المركزية والإدارات العامة المكلفة بتنفيذ أهدافه كما يضم اللجان العلمية المتخصصة.

وجدير بالإشارة أيضا أن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد عبد الكبير العلوي المدغري حضر إلى لقاهرة للمشاركة في أشغال مؤتمر الدعوة الإسلامية كما أنه شارك أيضا في أشغال المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي انطلق يوم الأربعاء 9 مارس الماضي.

وهكذا حضر السيد الوزير خلال هذه الزيارة مؤتمر الدعوة الإسلامية الذي عقد بالقاهرة من 4 إلى 8 مارس الماضي وكذا اجتماعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية يومي 9 و10 من نفس الشهر بوصفه عضوا بالمجلس الذي يضم عددا من وزراء الأوقاف في الدول العربية والإسلامية.

وقد شارك في هذا المؤتمر ممثلون لعلماء المسلمين من 88 دولة منها 18 دولة عربية و32 دولة افريقية وعشرون دولة من أروبا وأمريكا كما شاركت فيه مختلف الهيئات والمنظمات كرابطة العالم الإسلامي واتحاد الإذاعات العربية ومجمع الفقه الإسلامي.

وناقش المؤتمر الذي ينظمه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عددا من الأبحاث تتعلق بالخصوص بالتنسيق بين نشاط الهيئات والمنظمات القائمة بالدعوة الإسلامية وموضوع الأقليات المسلمة ومسؤولية المسلمين تجاهها وكذا مواضيع التنسيق بين المنظمات الإسلامية التي تقوم بأعمال

الإغاثة في العالم الإسلامي والمواضيع المتعلقة بالمقدسات الإسلامية.

تدخل السيد الوزير :

أكد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربي أن الشباب في العالم الإسلامي اتجه حاليا إلى دينه اتجاها لا يمكن إنكاره وأصبح يملأ المساجد.

وقال وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في تدخله أمام المؤتمر العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية أن الشباب يحتاج إلى القدوة والصدق باعتبارهما طريقين أساسيين في دعوة الشباب إلى الحق.

وأشار السيد الوزير إلى أن الشباب الإسلامي معرض لفتن نموذجها الأول يأتي من الدعاة أنفسهم ملاحظا أن هناك تيارا يعتبر الإسلام ثقافة من الثقافات واتجاها من الاتجاهات يكاد يقرب به من شكل الإيديولوجيات مما فتح الباب في وجه كل من أراد أن يصبح داعية للإسلام حتى إن بعض المفكرين الغربيين دخلوا إلى الإسلام وأصبحوا دعاة ومنهم من يقول إن الإسلام يجب أن يصبح نهرا يصب في بحر الإنسانية ويجب أن يقطع صلته بالماضي وينخمس في التيارات الحديثة.

وأضاف السيد عبد الكبير العلوي المدغري أن الإسلام شريعة من الله وأحكام لا يملك أحد أن يغيرها وهو ليس إيديولوجية ولا ثقافة مؤكدا في هذا الصدد على ضرورة لقاء هذا الدين في يد العلماء حتى لا يفلت زمام الأمور.

وأوضح أن الأمر الثاني الذي لاحظه هو الاتجاه الذي يسلكه عدد من الدعاة والذي يوغل فيما يسمى بالسنة والبدعة والذي لا يقصد منه إلا هدم صرح عظيم هو صرح المذاهب الفقهية المجمع عليها من الأمة وقال (ونحن أمة لا نستطيع أن نجتهد جميعا ولذلك اعتنق أسلافنا مذاهب تهديهم إلى الله فكان المالكي والحنفي وغيرهما وكلها مذاهب متمسكة بالسنة ونحن جميعا متمسكون بأهداب هؤلاء الأئمة).

وأكد في ختام تدخله أن (الشباب يحتاج إلى الصدق والقدوة وهما أساسيان في الدعوة لأن الشباب بطبيعته سهل الانقياد إذا أحس بالصدق وشاهد القدوة) ملاحظا أن الشباب اتجه في هذا العصر إلى دينه اتجاها لا يمكن إنكاره وقال : لقد ظهرت مع هذا الاتجاه مذاهب أصبحنا نتجنبها مع أنه يجب أن نفتح لها صدورنا وأن نأخذ هذا الشباب بالرفق حتى نصل به إلى الهدف.

ومن جهة أخرى أشار السيد الوزير في بداية تدخله إلى تشرفه بعضوية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بقرار من وزير الأوقاف المصري وقال : إنه لا يسعنا إلا أن نؤكد أننا عندما يتعلق الأمر بالإسلام لا نتقيد بشكليات القوانين والاجراءات ونضع أنفسنا مجندين لخدمة الإسلام.

وذكر السيد عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أن المغرب يريد أن يعطي للعالم الآن «دليلا قاطعا» على مغربية الصحراء من خلال «تنظيم استفتاء في الصحراء تحت إشراف الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية وبجميع الضمانات التي تجعل نتائج الاستفتاء مشروعة».

وقال السيد عبد الكبير العلوي في حديث مع وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية إن «خصومنا الآن يرفضون الاستفتاء لأنهم مقتنعون في قرارة أنفسهم أن النتيجة الطبيعية لهذا الاستفتاء هي تأكيد الشعب المغربي في الصحراء على مغربيته وعلى وحدته الترابية».

ومن جهة أخرى فقد أكد السيد الوزير أن زيارته لمصر ستكون مناسبة طيبة لتجديد الاتصال بالمسؤولين المصريين عن قطاع الأوقاف والشؤون الإسلامية لبحث سبل تعزيز التعاون بين البلدين الشقيقين وذلك طبقا لما ينص عليه بروتوكول التعاون الثنائي المبرم بين الجانبين سنة 1986.

وأضاف السيد الوزير في تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء بالقاهرة أنه سيشارك بالإضافة للمؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية المتواصل حاليا بالقاهرة في أشغال المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي

سيفتتح أعماله بالعاصمة المصرية وقال إن هاتين التظاهرتين ستكللان بالنجاح بالنظر لمستوى المشاركين وأهمية المواضيع المطروحة.

وأشاد السيد عبد الكبير العلوي المدغري بمستوى العلاقات والروابط التي تجمع البلدين الشقيقين مصر والمغرب. وأشار إلى الحفاوة البالغة والكرم الذي قوبل بهما من قبل المسؤولين المصريين الذين «يكنون جميعا لأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني عظيم التقدير وبالغ الاعتزاز والاكبار ويحتفظون للمغرب ببالغ المودة والاحترام».

والجدير بالذكر أن بروتوكول التعاون الموقع بين البلدين في 25 يونيه 1986 خلال زيارة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربي إلى القاهرة ينص بالخصوص على ضرورة التبادل العلمي عن طريق الزيارات وإلقاء المحاضرات والندوات وتقديم الخبرات الفنية والإدارية بهدف توضيح مفاهيم جادة لعملية الدعوة والتبادل الفكري وتطوير رسالة الدعوة الإسلامية.

كما دعا البروتوكول إلى الاهتمام بالتدريب كوسيلة تعين الداعية على النهوض بمهمته وتمده بالزاد العلمي المتجدد وتنمي قدراته الفكرية والإدارية وكذا الاهتمام بالترجمة. من العربية وإليها والاهتمام بالشباب لتأمينه من تيارات دخيلة ومذاهب خبيثة حتى يظل حارسا لقيم دينه وعروبته.

ونص البرتوكول أيضا على ضرورة الاهتمام بالأقليات الإسلامية والجاليات العربية في الأقطار الأجنبية ومعاونتها في الاحتفاظ بعقيدتها وحماية ذريتها ونسلها...

وهكذا دعا الأزهر إلى عقد هذا المؤتمر لبحث شؤون الدعوة لمواجهة بعض قضايا المسلمين التي من أهمها :

أ - التنسيق بين نشاط الهيئات التي تقوم بالدعوة الإسلامية.

ب - التنسيق بين الهيئات التي تتولى أعمال الإغاثة.

جـ - قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى.

د - وضع الأقليات الإسلامية في العالم ومسئولية المسلمين تجاهها.

هـ - القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية.

وقد انعقد هذا المؤتمر بحضور العلماء والوزراء الممثلين لشعوب الأمة الإسلامية وللأقليات الإسلامية التي تعيش خارج دار الإسلام.

حيث بدأت أعماله بعد صلاة الجمعة في جامع الأزهر الشريف يوم 15 من رجب 1408 هـ الموافق 4 من مارس سنة 1988 م. ثم افتتحت جلسته الأولى في اليوم التالي بقاعة الإمام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر بالقاهرة بحضور السيد الرئيس محمد حسني مبارك ورجال الدولة والوفود الممثلة للدول والشعوب الإسلامية وذلك بتلاوة آيات من القرآن الكريم وكلمات من فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح حسيني الشيخ رئيس جامعة الأزهر ثم من فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ثم كلمة الوفود المشاركة في المؤتمر من السيد المشير عبد الرحمن سوار الذهب من وفد السودان ثم كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر. وقد ألقى السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية كلمته مرحبا بالوفود المشاركة مؤكدا على أن الإسلام يدعو إلى وحدة الصف والبعد عن تفريق كلمة الأمة، وعلى أن الدعوة في الإسلام واجبة وأنها مسئولية الجميع وأنها تأتي في مقدمة الواجبات التي يستوى في حمل مسئوليتها العلماء والمؤسسات والرؤساء والحكومات نظرا لما يمر به العالم الإسلامي اليوم من معاناة وما يحيط به من تهديدات وما يعترض طريق نهوضه من معوقات وعقبات، مؤكدا على سماحة الإسلام وعلى ضرورة الحوار العلمي لحل المشكلات والمصاعب التي تقوم في سبيل الدعوة الإسلامية، والعمل على تربية النشىء على روح الإسلام وتعاليمه، وإرشاد الشباب إلى الطريق الصحيح.

وقد اختتم السيد الرئيس كلمته مخاطبا الحضور : فإن مؤتمركم هذا له رسالته الكبرى في هذه الفترة من حياة أمتنا، وأنا واثق أنكم أهل لتحمل هذه الرسالة وأدائها

بمـا جمعكم من هـدف كريم وبمـا حملتم من علم عظيم وربما عمر قلوبكم من إيمان بدينكم وأمتكم، وبما تأخذون به أنفسكم من تفان في سبيل أداء رسالتكم والله يوفقكم ويحقق الرجاء فيكم فهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

ولقد تـدارس المـؤتمر في جلسـات جمـاعيـة الأمـور المطروحـة عليـه، كمـا تـدارس البحـوث المقـدمـة في جلسـاتـه التي استمرت - صبـاحـا ومسـاء - من مسـاء السبت المـوافـق 16 من رجب سنـة 1408 هـ - 5 من مارس سنة 1988 م إلى مسـاء الإثنين 18 من رجب سنة 1408 هـ - 7 من مارس سـنة 1988 م بمركز الشيخ صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسـات التجاريـة الإسلامية بكلية التجارة جامعة الأزهر بالقاهرة.

وقد انتهى المؤتمر إلى التوصيات والقرارات التالية :

1 - إرسـال برقيـة شكر وتقـدير إلى السيـد الرئيس محمد حسني مبـارك واعتبـار الخطـاب الـذي ألقـاه في افتتـاح المؤتمر وثيقة من وثائقه وخطة عمل للدعوة الإسلامية.

2 - تـأكيـد التـوصيـات والقرارات التي أصـدرتهـا المؤتمرات الـسابقة التي انعقدت في رحاب الأزهر الشريف.

3 - التنسيق بين الجهات القـائمة على شؤون الـدعوة الإسلامية والإغاثة في العالم الإسلامي.

وفي سبيل ذلك وافق المؤتمر على ما يلي :

- أولا : ضرورة تنـسيـق جهـود العـاملين في هـذين المجالين وذلك بإنشاء «مجلس إسلامي عالمي للدعوة والاغاثـة» بمراعاة أن يضم هذا المجلس المنظمات والمؤسـسـات التي تعمل في مجال الدعوة والاغاثة وإعداد الدعاة والتي يمتد نشاطها خارج حدود بلد المقر.

- ثانيا : يختص المجلس بالتخطيط والتنسيق والتعـاون والمتابعة.

- ثـالثـا : تقـوم في كنف هـذا المجلس ثـلاثـة إدارات فرعية متخصصة هي :

أ - إدارة الاغاثة : وتضم الجهات العاملة في الاغاثة.

ب - إدارة إعـداد وتـدريب الـدعـاة : وتضم الجهـات العاملة في هذا النوع من التعليم والتدريب.

جـ - إدارة تمويل الـدعوة والاغـاثـة : وتضم الجهـات العاملة في تمويل الدعوة والاغاثة.

- رابعـا : يتـولى الأزهر بـالتعـاون مـع رابطـة العـالم الإسلامي والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بـالكويت الـدعوة لاجتماع تأسيسي لصياغة النظـام الأسـاسي واللوائح التنظيميـة لهذا المجلس وفروعه في أقرب وقت ممكن.

- خـامسـا : يضم الاجتماع التـأسيسي الجهـات الآتي ذكرها :

2 - الأزهر الشريف بمصر.

2 - رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

3 - منظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي ببغداد.

4 - الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت.

5 - منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم.

6 - لجنة مسلمي افريقيا بالكويت.

7 - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والـدعوة والإرشاد بالرياض.

8 - رابطة الجامعات الإسلامية بالمغرب.

9 - رابطة علماء المغرب والسنغال بالرباط.

10 - منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة.

11 - اتحاد البنوك الإسلامية بالقاهرة.

12 - بيت الزكاة بالكويت.

13 - هيئة الاغاثة الإسلامية العالمية بمكة المكرمة.

14 - وكالة الاغاثة الإسلامية بالخرطوم.

15 - لجنة الاغاثة الكويتية بالكويت.

16 - اتحاد الهلال الأحمر العربي بالرياض.

17 - المؤتمر الإسلامي الشعبي لبيت المقدس بالأردن.

18 - ممثلـو وزارات الأوقــاف وإدارات الشـؤون الإسلامية التي يمتد نشاطها في أمور الدعوة والاغاثـة خـارج حدود موطنها وهي القائمة في البلاد الآتية :

أ - جمهورية مصر العربية.

ب - المملكة المغربية.

جـ - الجمهورية العراقية.

د - دولة الكويت.

هـ ـ دولة قطر.

و ـ دولة الامارات العربية المتحدة.

ز ـ المملكة الأردنية الهاشمية.

معوقات الدعوة :

تواجه الدعوة الإسلامية في هذا العصر تحديات بالغة تعوق مسيرتها وتحد من إنجازاتها... وأهم هذه المعوقات :

1 ـ القصور في تطبيق الشريعة.

2 ـ تصدير الشعارات الزائفة وإثارة الفتن باسم المذهبية بين شعوب الأمة.

3 ـ ظهور الفئات والفرق الضالة والهدامة التي تعيث في ديار المسلمين فسادا.

4 ـ الغزو الفكري المعادي للإسلام.

5 ـ سوء الفهم لأحكام الإسلام من بعض المنتسبين إليه، وتصدي غير المؤهلين للدعوة الإسلامية للعمل في مجالها، والفتوى في دين الله بغير علم.

مواجهة المعوقات :

وفي مواجهة هذه المعوقات وغيرها اتخذ المؤتمر ما يلي :

ـ أولا : يؤكد المؤتمر على ضرورة تطبيق شرع الله في كل أمور المسلمين إعلاء لكلمة الله باعتبارها تعلو على كل قانون من وضع الناس وفرضا محكما على المسلمين.

ـ ثانيا : يؤكد المؤتمر على ما سبق أن قررته مؤتمرات علماء المسلمين بالأزهر الشريف والمجامع والهيئات الإسلامية من أن فكر البهائية والقاديانية والأحمدية مناهض للإسلام، وأن كل من اعتنق هذا الفكر وأمثاله لا يعتبر من المسلمين.

ويدعو المؤتمر كافة الشعوب الإسلامية حكاما ومحكومين إلى مقاومة هذا الفكر ونبذ كل من اعتنقه أو دعا إليه.

ـ ثالثا : يرى المؤتمر أن النظام الإيراني الراهن قام على أساس فكري وديني خاطىء، وأحدث بدعا منها ولاية الفقيه وسعى إلى تصديره إلى العالم الإسلامي للتفريق بين المسلمين والإساءة إليهم.

ويدعو المؤتمر المجامع والهيئات الإسلامية والمفكرين المسلمين إلى مقاومة هذا الفكر وبيان أخطائه لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة.

ـ رابعا : ينصح المؤتمر شعوب الأمة الإسلامية وحكامها بالاهتمام ببناء الشخصية الإسلامية المتميزة عن طريق العناية بمناهج التربية والتعليم وفق أسس إيمانية شاملة وخطط علمية مدروسة وبرامج عملية تأخذ بعين الاعتبار الحرص على تنية المجتمعات الإسلامية وتطويرها على أساس منهج يهتم بالحفاظ على إنسانية المسلم وبنظر عصري متوازن يؤمن الطاقات ا حاجات المجتمعات الإسلامية في كل مرافق الحياة.

ـ خامسا : وفي مجال الفهم لأحكام الإسلام ينبه المؤتمر إلى خطورة الأفهام التي لا تدرك مقاصد الشريعة وأحكامها.

ويعد المؤتمر إلى أن تكون الدعوة إلى الإسلام والتربية عليه وفقا للأصول الإسلامية، وعلى أسس من التيسير والتسامح من منطلق الفهم السوى لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ـ سادسا : يوصى المؤتمر قادة المسلمين في بقاع العالم الإسلامي أن يوجهوا المسلمين إلى نبذ التعصب المذهبي.

ـ سابعا : يوصى المؤتمر الجهات القائمة على الدعوة بالعمل على نشر الأحكام الشرعية وبيانها للمسلمين الذين يحتاجون إلى مزيد من التبصير بشؤونهم الدينية، كما يوصى جهات الفتوى بإيضاح المذاهب التي يفتون بها وفقا لفقهها تيسيرا على الناس.

قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى

عظم الله تعالى ورسوله ﷺ، الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى تعظيما بينه القرآن الكريم، وفصلته السنة المطهرة.

وقد أجمع المسلمون على ذلك، وأحبوه، وتربوا عليه، والتزموه، وتواصوا به، إجماعا يترجم إخلاص التوحيد لله، وصدق الطاعة وحسن الاستجابة لله ورسوله.

ومن هنا، فان الحرمين الشريفين، والمسجد الأقصى مقدسات عظيمة لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر

إنتهاكها، والاعتداء عليها، والإفساد فيها بالنية الخبيثة، والكلمة السيئة، والسلوك المنحرف، فضلا عن أن يسفك فيها الدم الحرام، ويروع المؤمنين والمؤمنات. وإن الحفاظ على قدسية هذه المقدسات، والذود عنها واجب ديني ماض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولقد تعرض الحرمان الشريفان والمسجد الأقصى لعدوان أثيم استنفر ضمير الأمة الإسلامية واستنهض إيمانها ـ وفي مقدمتها العلماء والدعاة ـ : غيرة على حرمات الله وقياما بالمسئولية والواجب.

إن الفتنة التي أوقدها نظام الحكم الإيراني في حج العام الماضي 1407 هـ في بيت الله الحرام، والبلد الأمين جريمة نكراء، لا يقدم عليها من يعرف لله حقه، وللرسول ﷺ مقامه، ولمقدسات الإسلام حرمتها، وللمسلمين قيمتهم واعتبارهم.

إن المؤتمر ـ اهتداء بتعاليم الإسلام ـ يقرر :

(أ) إدانة ما وقع من بعض الحجاج الإيرانيين بتخطيط من النظام الإيراني في الحرم المكي في موسم حج عام 1407 هـ باعتباره انتهاكا لقدسية هذا الحرم المقررة في كتاب الله وسنة رسوله، وإدانة المسئولين عن فعله وتنظيمه والدعوة إليه.

(ب) رفض بدعة تدويل الحرمين الشريفين واستنكار المناداة بها واعتبارها خروجا على أمر الله ورسوله وجماعة المسلمين وخرقا لمقدسات الإسلام التي استقرت لدى فقهاء جميع المذاهب الإسلامية.

ويقرر المؤتمر أن بدعة التدويل غريبة عن الإسلام كما يقرر أن الولاية على البيت الحرام لمن ولاهم الله ورسوله حجابته وسقايته ورفادته، وأم القرى لها ولاتها فتقع البقعة المباركة في ولايتهم قولا واحدا متفقا عليه بين أئمة المسلمين إمضاء لحكم الله ورسوله وما يجرى على مكة المكرمة يجرى على المدينة المنورة بالأحاديث الواردة في الصحيحين بهذا الشأن.

(ج) يؤكد المؤتمر حرمة القيام بالمظاهرات والمسيرات السياسية والمذهبية في الحرمين الشريفين وحرمة الهتاف بأي اسم أو وصف غير ذكر الله سبحانه والصلاة والسلام على رسوله.

كما يؤكد المؤتمر أن لحكومة المملكة العربية السعودية أن تتخذ من الإجراءات ما يكفل الحفاظ على حرمة الحج والحرمين وأمن الحجاج وتنظيم إقامتهم وسيرهم وتنقلاتهم في المناسك والطرقات ومداخل المملكة ومخارجها، وأن تمنع كافة المظاهرات والمسيرات المذهبية والسياسية والملصقات والنداءات.

(د) وينوه المؤتمر بالخدمات الجليلة العظيمة التي توفرها المملكة العربية السعودية للحرمين الشريفين والحج والحجاج والعمار والزوار.

كما ينوه المؤتمر بوجه خاص باستتباب الأمن واستقراره على الوجه الذي يوفر ـ دائما ـ للحرمين الشريفين وللطائفين والركع السجود الطمأنينة في عبادتهم وزيارتهم.

(هـ) يؤيد المؤتمر ما اتخذته حكومة المملكة العربية السعودية تجاه الفتنة التي وقعت في الحرم المكي في موسم الحج عام 1407 هـ من إجراءات.

ويدعو المؤتمر أولي الأمر في المملكة العربية إلى أن يتخذوا ما يرونه من إجراءات وقائية لصون الأمن والنظام سدا لذرائع البغي والفتنة وتمكينا للمسلمين من أداء شعائرهم في سكينة وهدوء وسلام.

(و) يقدر المؤتمر موقف علماء المسلمين والشعوب والحكام المسلمين الذين وقفوا ـ وقفة إيمان وشرف ـ دفاعا عن قدسية الحرمين وتأييدا للقائمين على شأنها وخدمتها.

المسجد الأقصى

1 ـ يحيي المؤتمر الانتفاضة الشعبية الفلسطينية في وجه الاحتلال التي تمثل أصالة هذه الأمة في مواجهة المخططات الهادفة لطمس ذاتيتها وقتل روحها الإسلامية.

ويناشد شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها دعم أهل الأرض المحتلة ـ فلسطين ـ ماديا ومعنويا ـ حتى تصل هذه الانتفاضة إلى أهدافها في دحر العدوان وتخليص الديار المقدسة من نير الاحتلال الصهيوني.

2 ـ يهيب المؤتمر بالمجتمع الدولي ومنظماته المتخصصة ومن بينها مجلس الأمن أن يعمل على وقف العدوان على الشعب الفلسطيني المطالب بحقه،ا مجلس الأمن أن يعمل على

وقف العدوان على الشعب الفلسطيني المطالب بحقه، وبجهات الاغاثة العالمية وحقوق الإنسان أن تبادر إلى القيام بواجباتها نحوه حتى يحصل على حقه في تقرير مصيره.

3 ـ يناشد المؤتمر المسلمين في كل مكان ألا يغفلوا عن واجبهم الديني نحو تخليص بيت المقدس وسائر المقدسات من أيدي إسرائيل ويؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم في الأرض المحتلة ـ فلسطين ـ بتاريخ 17 من جمادى الأولى سنة 1387 هـ الموافق 22 اغسطس 1967 م والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الديني يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن ومسجد الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بها وما عليه من السور والأبواب.

(ز) يقرر المؤتمر ـ أنه إمضاء لحكم الله ورسوله ـ لا يجوز لأحد كائنا من كان أن يحدث أي حدث في الحرمين الشريفين أو أن يتعاون في احداث أي فتنة فيها لأن الإسلام حرم التعاون على الإثم.

﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

ويقرر أن كل من يشارك في هذه الفتن أو يعاون عليها يكون شريكا آثما وتنسحب عليه أية أحكام تسرى على محدثي الفتنة ومدبريها.

(ح) وينصح المؤتمر باستمرار اليقظة والترقب حتى تموت الفتنة وينكفئ البغي.

(ط) مطالبة الإعلام في العالم الإسلامي بإبراز ما يلي :

ـ تجديد التوعية بعظمة الحرمين الشريفين وحرمتها.

ـ إبراز واقع الأمن والأمان المتوفر للأماكن المقدسة، وشكر الله سبحانه وتعالى على تيسيره واستدامته.

ـ التحذير المستمر من تحويل الحرمين الشريفين والحج إلى ساحة ملتهبة للصراع السياسي والطائفي إذ في هذا جناية على قدسية الحرمين، وخدمة للقوى المعادية للإسلام.

وأن العدون على أي جزء من ذلك يعتبر انتهاء لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته، وأن المسجد الابراهيمي في الخليل مسجد إسلامي مقدس، وكل اعتداء على أي جزء منه يعتبر انتهاكا لحرمته المقدسة.

4 ـ ويؤكد المؤتمر أن المسلمين كما يجب عليهم المحافظة على المقدسات الإسلامية والدفاع عنها فهم مسئولون كذلك عن المحافظة على مقدسات المسيحيين في فلسطين والدفاع دسات المسيحيين في فلسطين والدفاع عنها والتمكين من حرية زيارتها عملا بحكم العهدة العمرية وتعاليم الشريعة الإسلامية.

5 ـ يهيب المؤتمر بالدول الكبرى وبسائر الدول والمجتمعات التي تنادي بحقوق الإنسان بأن تكف عن تشجيع اسرائيل على عدوانها وأن تطالبها بتطبيق الاتفاقات الدولية الخاصة باحترام حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة.

ويؤكد المؤتمر القرارات الصادرة عن مؤتمرات القمة الإسلامية ولجنة القدس فيما يختص بالأرض المحتلة والقدس الشريف.

الأقليات الإسلامية

يجمع بين الأقليات الإسلامية إيمانها بالانتماء الإسلامي والرغبة في الصعود بحاضرها إلى مستقبل أفضل.

وتتباين أوضاعها تبعا لظروف تاريخية واجتماعية واقتصادية ودينية.

وقد بحث المؤتمر أمور الأقليات واستمع إلى الكثير من مشكلاتها وقد تبين أن هذه الأقليات صنفان :

□ **الأول :** مواطنون مسلمون يعيشون في أقاليم كانت ضمن دار الإسلام ثم انحسرت عنها تبعيتها لهذه الدار.

□ **الثاني :** جاليات مسلمة من دار الإسلام مهاجرة من أوطانها إلى مواطن جديدة ليست من ديار الإسلام.

ويتنوع هذان الصنفان إلى مستويات اقتصادية ثلاثة :

أولا : جاليات تعيش في مناطق الوفرة والغنى.

ثانيا : جاليات تعيش في مناطق كفاح في طلب الرزق.

ثالثا : جاليات تعيش في مناطق العسرة وقلة الموارد.

وقد تكون الجالية في موقعها متجانسة من حيث المذهب الفهقي الذي تنتمي إليه وقد تكون تبعيتها لعدد من هذه المذاهب وهذا التنوع في آفاق الحياة يدعو إلى معالجة ذات شقين :

الأول : تأكيد العقيدة الإسلامية باعتبارها الركيزة الأولى للحياة الإسلامية ورباط الفرد بخالقه وتأكيد الاخاء باعتباره الرباط بين الفرد ومجتمعه الإسلامي ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾.

الثاني : دراسة كل جالية على حدة حسب خصائصها الحضارية ورسم طريق نموها.

وفي هذين الشقين يأتي التعاون بين مراكز الدعوة الإسلامية وفي سبيل توجيه هذه الأقليات يوصى المؤتمر بما يلي :

أولا : تأكيد السماحة الإسلامية في التعامل بين أبناء الجالية الإسلامية فلا يحملون معهم من أوطانهم القديمة مشكلاتها.

ثانيا : أن تكون الأسرة الإسلامية صورة لما يجب أن يكون عليه المجتمع الإسلامي فتربي أبناءها على النهج الإسلامي بحيث تتكامل الصلة بين الأسرة والمجتمع الإسلامي باعتبار أن هذا المجتمع يستمد نظمه من أصول الإسلام.

ثالثا : العناية في المنزل والتجمعات باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ولغة الصلاة والمناسك والدعاء الذي حفظ القدر الأكبر من التراث الإسلامي.

رابعا : حث الأبناء على الاتجاه إلى دراسات العلوم الحديثة والعملية لتكون منهم الصفوة القادرة على تأكيد الهوية الإسلامية في العالم المعاصر في لقاء بين الإسلام والحياة.

من القضايا المعاصرة :

يؤكد المؤتمر أن الأخوة والسلام والوحدة بين المسلمين فرض لازم لا يجوز المساس به.

الحرب الإيرانية - العراقية :

تدارس المؤتمر قضية الحرب الإيرانية العراقية باعتبارها أخطر وأبشع صور الاحتراب بين المسلمين في هذا العصر، ووقف المؤتمر على اصرار إيران على استمرارها ورفضها المساعي الإسلامية والدولية والاقليمية الرسمية والشعبية، وعملها على توسيع رقعة الحرب لتشمل دول الخليج وتهديد الملاحة فيه مما جعل بلاد المسلمين في المنطقة ساحة ساخنة للصراعات الدولية بكل تعقيداتها وأخطارها.

كما وقف المؤتمر على ما أبداه العراق من قبول وقف الحرب فورا والجلوس للصلح وذلك على لسان قيادته.

وقد تدارس المؤتمر قول الله تعالى في سورة الحجرات : ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين**﴾.

وقرر ما يلي :

1 - تأكيد كل الدعوات التي وجهت من الهيئات الإسلامية والدولية إلى ضرورة وقف هذه الحرب الدائرة بين الدولتين : إيران والعراق.

2 - إدانة موقف النظام الإيراني المتعنت في وجه كل المحاولات التي بذلت لوقف الحرب واعتبار هذا النظام باغيا ويجرى عليه حكم الله في هذه الآية الكريمة : ﴿**حتى تفيء إلى أمر الله**﴾.

وادانة تعاونه مع اسرائيل ضد المسلمين.

3 - يشيد المؤتمر بإعلان العراق قبول كل مبادرات السلام الصادرة من الهيئات الإسلامية والدولية والشعبية لوقف الحرب، وإحلال السلام بين البلدين المتحاربين وحقن دماء المسلمين والحفاظ على أموالهم وطاقاتهم. وأعلان قبوله قرار مجلس الأمن الدولي رقم 598 الصادر في العشرين من يوليو سنة 1987 م.

إزاء هذا الموقف المتعنت من النظام الإيراني يناشد المؤتمر شعوب الأمة الإسلامية وحكامها تأييد العراق في تصديه المشرف لاصرار حكام إيران على استمرار الحرب.

4 - التوجه إلى المجتمع الدولي ومنظمته لدعوة مجلس الأمن إلى تطبيق القرار رقم 598 نصا وروحا وحسب تسلسل فقراته والنظر في اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذه بما في ذلك فرض العقوبات على الطرف الرافض، ودعوة الأمة الإسلامية إلى إنزال حكم الله سبحانه وتعالى ضد حكومة إيران لرفضها وقف هذه الحرب والجلوس للصلح.

جهاد الشعب الأفغاني

يحيي المؤتمر جهاد الشعب الأفغاني ضد الاحتلال الذي عمل على طمس هويته الإسلامية وكبت الدعوة الإسلامية.

ويدعو المسلمين في كل مكان إلى مساندته ماديا ومعنويا ويطالب الاتحاد السوفيتي بالاسراع في الانسحاب من الأرض الأفغانية لتمكين الشعب الأفغاني المسلم من تقرير مصيره دون تدخل خارجي ووفق إرادته وعقيدته.

يلاحظ المؤتمر أنه مع الصحوة الإسلامية المعاصرة ظهرت تيارات فكرية تدعو إلى التخوف من هذه الصحوة وتحاول أن تضع العراقيل بين الإسلام ومساراته النظرية والتطبيقية.

وقد ساعد على هذا التصور بعض الممارسات الإسلامية غير السليمة من أفراد وجماعات وحكومات، وأن من واجبنا جميعا التعاون على إظهار سماحة الإسلام ودعوته إلى الاخاء والمودة، وتأكيد التعاون بين أبناء الوطن الواحد، والولاء مع حرية العقيدة والمحافظة على حيويتها في أبناء الجيل الواحد وفي مسارها من جيل إلى جيل.



إرتريون يحاربون من أجل الاستقلال منذ 27 سنة

زيارة

السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية لمسلمي آسيا الوسطى وقزاخستان

في شهر مارس الماضي توجه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد عبد الكبير العلوي المدغري إلى موسكو على رأس وفد من العلماء المغاربة للقيام بزيارة للاتحاد السوفياتي استغرقت بضعة أيام تلبية لدعوة المفتي الدكتور شمس الدين بابا خانوف ابن ايشان عبد المجيد من الجمعية الإسلامية السوفياتية.

وأوضح السيد الوزير في تصريح قبيل مغادرته المغرب أن الهدف من هذه الزيارة هو تمتين الروابط التي تجمع بين المغاربة وإخوانهم المسلمين في هذا البلد الصديق وكذا إرساء قواعد التعاون في ميدان التوجيه الديني إضافة إلى تبادل الخبرات والنشرات وتبادل الزيارات بين علماء البلدين.

وقد عقد السيد الوزير خلال هذه الزيارة التي استغرقت عشرة أيام عدة لقاءات مع العلماء المسلمين بالاتحاد السوفياتي.

وكانت هذه الزيارة مناسبة للتذكير بالأخوة الإسلامية التي تربط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وقد وجد الوزير لدى وصوله والوفد المرافق له إلى مطار موسكو الدولي السيد خارتشيف رئيس مجلس الدولة للشؤون الدينية لدى مجلس الوزراء السوفياتي والمفتي شمس الدين بابا خانوف وسفير صاحب الجلالة في موسكو السيد المهدي زنطار.

وقد أبرز السيد عبد الكبير العلوي المدغري خلال اجتماعه بالسيد خارتشيف بالمطار العلاقات الممتازة القائمة بين المغرب والاتحاد السوفياتي موضحاً أن زيارته تهدف إلى تدعيم العلاقات بين المسلمين السوفيات وإخوانهم المغاربة.

وقام السيد عبد الكبير العلوي المدغري يوم 17 مارس الماضي رفقة سفير صاحب الجلالة في موسكو والمفتي بابا خانوف وشخصيات أخرى من المسلمين بزيارة طاشقند عاصمة جمهورية أوزبيكستان والتي يوجد بها مقر زعامة مسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان حيث أغلب السكان مسلمون وحيث توجد عدة مساجد...

واستقبل السيد الوزير مرفوقا بسفير صاحب الجلالة في موسكو والمفتي بابا خانوف في اليوم الموالي من قبل رئيس الجمهورية حبيب الله بيف.

وخلال هذا اللقاء ذكر السيد عبد الكبير العلوي المدغري بالعلاقات الممتازة القائمة بين المغرب والاتحاد السوفياتي مؤكدا من جهة أخرى أن المغرب متشبث

كالاتحاد السوفياتي بالديمقراطية وأنه وإن كان يسير على النهج الليبرالي يأخذ ببعض المبادئ الاشتراكية لأن صاحب الجلالة منفتح على كل ما هو إيجابي ومطابق للإسلام.

وأبرز في هذا الصدد الإنجاز الذي قام به صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في مجال بناء الديمقراطية المغربية والذي يتجسد في وجود برلمان يضم نواباً منتخبين يمثلون المواطنين ويراقب العمل الحكومي.

وأشار كذلك إلى الأسس التي تقوم عليها الديمقراطية والتي تمكن من إشراك المواطنين في تسيير الشؤون العامة بواسطة المجالس البلدية والجماعية وإلى النتائج التي تحققت في المجال الاقتصادي في مختلف القطاعات في عهد صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني وخاصة في المجال الفلاحي والعناية الخاصة التي يوليها جلالته لهذا القطاع وخاصة من خلال بناء السدود وتقديم المساعدة للفلاحين بالإضافة إلى التقدم الذي عرفه القطاع الصناعي والتجاري.

وعلى المستوى الثقافي والعلمي استعرض السيد الوزير السياسة الحكيمة لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في مجال التعليم مبرزاً أهمية عدد المؤسسات التعليمية والجامعية التي تم تشييدها.

وأوضح أن عدداً كبيرا من بين هذه المؤسسات يختص في تدريس علوم الدين الإسلامي.

وأبرز السيد الوزير العناية التي يوليها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني للدين وللعلماء والجهود التي يبذلها جلالته من أجل ضمانة تربية دينية صحيحة للمواطنين مؤكدا أن إحداث المجالس العلمية في كل جهات المملكة وكذا المجلس الأعلى للعلماء يعد دليلاً على ذلك.

كما أن رئاسة صاحب الجلالة للدروس الدينية في شهر رمضان المعظم تبرز العناية البالغة التي يوليها جلالته للدين الإسلامي.

وبعد هذا اللقاء قام السيد عبد الكبير العلوي المدغري بزيارة لمقر زعامة مسلمي آسيا الوسطى وقازخستان وأدى صلاة الجمعة في المسجد الكبير بالمدينة وفي اليوم الموالي قام والوفد المرافق له بزيارة لأكبر مراكز الحضارة الإسلامية وخاصة في بخارى وسمرقند.

وقد ذكرت وكالة الأنباء السوفياتية «تاس» أن زيارة وفد علماء المغرب برئاسة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد عبد الكبير العلوي المدغري لجمهورية أوزبكستان (بالاتحاد السوفياتي) توجت بزيارة المآثر التاريخية لبخارى وسمرقند..

وقد زار وفد علماء المغرب في مدينة بخارى المآثر الإسلامية المعروفة على المستوى العالمي مثل «منارة كاليان وضريح اسماعيل الساماني كما زار الوفد مدرسة «مير عرب» التي تلقن بها دروس دينية حول الإسلام.. والتي تخرج جلّ أطرها من جامعة القرويين.

وفي سمرقند التي يعود تاريخها إلى 2500 عام - زار وفد علماء المغرب ساحة ريغيستان وقبر «شاه زِنْده» وضريح غور أمير ومجمع بيبي خانوم كما زاروا بضواحي المدينة قبر الإمام البخاري بقرية خرتنك والتي تبعد بنحو 20 كلم عن مدينة سمرقند.

وخلال جولتهم أجرى أعضاء وفد علماء المغرب محادثات مع ممثلي سكان أوزبكستان وأدوا فرائض الصلاة بمساجد هذه المنطقة.

ومن أجل التعرف على حياة المسلمين السوفيات وخاصة الأزبكيين منهم، قام وفد علماء المغرب، بزيارة مدينة بخارى وسمرقند اللتين تقوم بدور طلائعي في تاريخ الحضارة الإسلامية في هذه المنطقة.

وقد زار الوفد المغربي مدرسة «مير عرب» التي تلقى بها دروس دينية حول الإسلام حيث استقبلهم لطف الله نادروف مدير المدرسة.

وأثناء وجود الوفد بهذه المنطقة من الاتحاد السوفياتي اهتم كثيراً بالزخرفة الإسلامية وبالفن المعماري الأصيل ببخارى. ومن بين هذه المآثر الإسلامية التي أثارت انتباهه ضريح «اسماعيل الساماني» المعروف «بجوهرة الشرق».

وبسمرقند زار علماء المغرب المجمع المعماري «شاه زنده» الذي بني منذ قرون أمام مقبرة ابن عم رسول الله ﷺ قثم بن العباس بن عبد المطلب الذي وجهه سيدنا معاوية مع سعيد بن عثمان بن عفان إلى خراسان، فعبر سعيد النهر إلى سمرقند، واستشهد قثم بها، وقد قال الناس، لم ير مثل بني أم واحدة أبعد قبوراً من بني العباس.. وكان الفضل ابن عباس قد مات بأجنادين من أرض الشام، وعبد الله الترجمان مات بالطائف، وعبيد الله الأصغر مات باليمن، ومعبد بن العباس بن عبد المطلب مات بافريقية شابا في زمن عثمان.

وقد نوه السيد شمس الدين بن ايشان بابا خان رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازخستان بالمستوى الجيد للعلاقات القائمة بين الجمعيات الإسلامية في المغرب ونظيراتها في الاتحاد السوفياتي.

وأعرب السيد شمس الدين ايشان بابا خان في تصريح لوكالة الأنباء السوفياتي (نوفو ستي) عن أمله في أن تؤدي الزيارة التي يقوم بها حاليا للاتحاد السوفياتي السيد عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية على رأس وفد من العلماء المغاربة إلى توثيق العلاقات الأخوية بين المسلمين السوفيات والمغاربة الإسهام في توطيد العلاقات الودية بين شعبي البلدين.

وذكر رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان بحفاوة الاستقبال الذي حظي به هو والوفد الذي رافقه في زيارات سابقة للمملكة المغربية وكان آخرها عام 1980 مشيراً إلى تطابق وجهات نظر الطرفين إزاء مختلف القضايا الهامة في العالم المعاصر. وقال إن اللقاء مع إخواننا المغاربة سيتيح لنا الفرصة لبحث جميع المسائل الحيوية التي تهم البشرية الآن وبالدرجة الأولى قضية النضال في سبيل الإسلام ومن أجل وقف النزاعات المسلحة على الأرض وإنقاذ البشرية من خطر الفناء النووي العام.

وأعرب عن سروره العميق بأن تكون آسيا الوسطى السوفياتية أول محطة للسيد عبد الكبير العلوي المدغري في أول رحلة له للاتحاد السوفياتي مشيراً إلى أن هذه الرحلة ستتيح للوفد المغربي المرافق للسيد الوزير فرصة التعرف بصورة واسعة على حياة المسلمين السوفيات ووضعهم في المجتمع السوفياتي.

وقال في هذا الصدد أن المسلمين السوفيات يساهمون انطلاقاً من تمسكهم الشديد بتعاليم دينهم الحنيف بحياتهم اليومية وبعملهم بقسط ملحوظ في بناء المجتمع.

وعبر السيد بابا خان عن اعتزاز آسيا الوسطى السوفياتية (بلاد ما وراء النهر) بتاريخها الغني والعريق المرتبط ارتباطا وثيقا بالحضارة الإسلامية التي تعود بداية انتشارها في المنطقة إلى عهد خلافة معاوية بن أبي سفيان وقال : نحن نعتز بأن تاريخ المعارف والحضارات البشرية قد سجل على صفحاته بأحرف من ذهب الكثير من الأسماء المجيدة للعلماء المسلمين من ما وراء النهر مثل أبي عبد الله البخاري وأبي علي ابن سينا وأبي النصر الفارابي...

فهرس العدد الخاص بالمؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال للصداقة والتعاون الإسلامي

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3

EXPO

LA FOI DE L'INFORMATION

Une importante exposition organisée par le ministère des Habous et des Affaires islamiques du Royaume du Maroc, a reçu la visite du chef de l'Etat, le président Abdou Diouf, qui était accompagné du ministre marocain Alaoui M'Daghri, de l'ambassadeur du Maroc à Dakar, de plusieurs membres du gouvernement, de l'Assemblée nationale et du corps diplomatique, après la cérémonie officielle d'ouverture de la conférence.

A travers cette exposition on a pu constater l'énergie avec laquelle le ministère marocain œuvre pour la propagation, la consolidation et de la foi islamique, et des connaissances scientifiques, cultuelles, juridiques, etc., de cette religion, qui compte à l'heure actuelle dans ses rangs plus d'un milliard d'êtres humains, à travers une centaine de pays de la planète.

Parmi ces objets, on a noté surtout des livres relatant, dans leurs détails, différentes rencontres religieuses sur l'Islam, les piliers de cette religion, la Tariqa (voie) tidjanya, le droit, etc., ainsi que des ouvrages du Coran dans des reliures richement décorées, etc... Ces livres et documents sont tous édités par le ministère des Habous et des Affaires islamiques du Royaume chérifien. A la fin de la conférence, les livres seront gracieusement offerts par le département marocain, aux membres de la Rabita du Sénégal.

Le chef de l'Etat à qui trois exemplaires du Livre Saint finement reliés ont été offerts a pu voir au sein de cette exposition, les différents plans de l'annexe de la Rabita des Oulémas qui sera bientôt construite à Dakar, au Plateau (angle Jean Jaurès et Peytavin) avec le soutien du Maroc.

F. DIAW

Fraternité en Allah

Constituée le 3 juin 1985 lors d'une assemblée générale à Rabat, la Rabita des Oulémas du Maroc et du Séngal a un but principal, celui de vivifier de façon permanente la fraternité et la coopération islamique.

Dès sa création une charte a été adoptée et celle-ci en ses différents articles appelle à Dieu par la sagesse, l'exhortation et la diffusion des principes authentiques de l'Islam, promeut une renaissance scientifique islamique au sein des deux pays (restauration des anciennes institutions scientifiques et des écoles coraniques, revivification de la culture arabe originelle, rénovation et sauvegarde du patrimoine islamique, etc), la connaissance du Coran, l'étude des sciences coraniques et la conservation du patrimoine du droit malékite.

En outre, la lutte contre les courants qui s'opposent et défigurent l'Islam est un des objectifs de la Rabita qui a son siège à Rabat. Cette lutte au cours de ces deux dernières années est devenue la plus ardue qu'à eu à affronter la Umma islamique.

Dans quelques jours sera posée la première pierre de l'annexe de Dakar au Plateau et celle-ci suivant l'architecture maorcaine sera dotée de toutes les structures dont une salle de conférence de 400 places pour la réalisation des projets au Sénégal.

La Rabita est composée de plus d'une centaine de membres dont des Sénégalais et Marocains qui détiennent dans leur totalité la maîtrise de plusieurs branches des sciences islamiques (lettres, droit musulman, etc).

A côté des cotisations de ses membres et des subventions publiques ou privées, la Rabita jouit d'une autre subvention, très substancielle de la part du ministère des Habous et des Affaires islamiques du Royaume du Maroc. C'est ce même ministère qui financera la construction de l'annexe. Parmi ces membres d'honneur, on compte Cheikh Abdallah Genoun, Cheikh Mohamed Naciri, Cheikh Mohamed Ben Abdallah Alaoui (du Royaume du Maroc), ainsi que Cheikh Abdoul Aziz Sy, Cheikh Abdoul Ahad Mbacké et Cheikh Mountaga Tall du Sénégal. Alors que la présidence est assurée par le Marocain Moulay Mustapha Ben Ahmed Alaoui, le Sénégalais Cheikh Ibrahim Mahmoud Diop dirige le secrétariat général.

Fara DIAW

RENAISSANCE SCIENTIFIQUE

Etre vivant dans l'Islam, c'est rester soi-même en s'ouvrant aux autres, c'est retrouver dans le Coran non pas la lettre qui tue mais l'esprit qui vivifie». Ces propos de Roger Garaudy sont d'une brûlante actualité au moment où s'ouvre dans notre capitale une conférence, la première des Oulémas du Maroc et du Sénégal.

La problématique de la Science face à l'Islam qui a servi de toile de fond au discours d'ouverture de ces assisess historique présidées hier par le chef de l'Etat en personne, plus que la dynamique spirituelle qu'elle insuffle, pose les jalons de l'Islam de demain.

Celui que le Saint-Coran parfois mal assimilé, n'a du reste jamais cessé de proclamer.

Tout en mettant un terme à cette pseudo-dichotomie que des esprits mal intentionnés ont, de tout temps, voulu faire prévaloir entre la Science de Dieu et les autres sciences de l'heure, la réflexion qui s'ouvre dans notre pays entre «ceux qui sont enracinés dans la science, les hommes doués d'intelligence et qui se souviennent» permettra, sans nul doute, de remettre les pendules à l'heure.

La caractéristique majeure de la science «islamique à son apogée, c'est-à-dire au moment où l'université de Cordoue était le centre de rayonnement de la culture : dans tout l'Occident, était l'usage plénier de la raison, c'est-à-dire la recherche des causes et des fins.

Ainsi, la religion de Mohamed (PSL) est sans équivoque sur la quête du savoir, prélude à la science qui a «valeur de jeûne, tandis que son enseignement revêt l'importance de la prière».

Que les Saintes écritures proclament haut et fort que «sans le savoir l'homme, le serviteur ne saurait s'acquitter convenablement de ses obligations cultuelles, de ses obligations envers le Créateur que la quête du savoir ait le statut d'un devoir religieux dans l'Islam sont révélateurs de la place prépondérante dévolue à la science.

En tentant donc à travers leur organisation la «Rabita» de contribuer à la renaissance scientifique de l'Islam, à la rénovation de son patrimoine, à la diffusion du savoir, les hommes de Dieu rassemblés donnent plus d'écho à un savoir enfoui dans les tréfonds des textes sacrés.

Longtemps détentrice du flambeau des sciences et de la technologie qui ont par ailleurs fait sa renommée universelle comme le rappelle fort opportunément le chef de l'Etat, l'Islam riche de son milliard d'hommes est devenu par la force de Dieu une religion porteuse d'avenir, d'espoir, d'espérance.

D'avoir été cinq siècles durant à l'avant-garde de l'essor intellectuel, d'avoir abrité l'une des premières universités du monde, celle d'Al Qarawiyyine, prédisposait donc l'Islam à être aux avant-postes de la science même moderne. C'est à perpétuer cette tradition culturelle que s'emploieront ceux qui, le temps d'une Rabita, entendent poser les jalons sûrs, les remparts contre la crise des valeurs.

A l'heure où le monde se réduit à un affrontement de volonté de puissance, où la société chaque jour se déshumanise, où la volonté de jouissance prend le dessus et où l'équilibre de la terreur tient lieu de dogme, il est heureux que l'Islam se remette aux premières loges pour nous éviter cette crise des valeurs ambiantes qui est la résultante de l'oubli de Dieu et de sa foi, et contribue au rayonnement d'une religion de beauté.

L'autre lecture que dictent ces assises historiques c'est aussi, et surtout, la perennité du combat pour une foi islamique retrempée aux sources. Pays qui a été à l'origine du mouvement almoravide qui a accouché de l'une des plus brillantes periodes de la civilisation islamique, notre pays, connu pour sa saine pratique islamique mérite bien le choix porté par le «Commandeur des Croyants» pour abriter de telles assises et répondre aux défis multiples qui nous assaillent. Il s'y ajoute la consolidation et le raffermissement de deux pays, le Maroc et le Sénégal qui se posent en soldats de l'idéal islamique.

Amadou GAYE

société

1er SUCCES CHEZ LES OULEMAS

RABITA : 5 PAYS FRAPPENT A LA PORTE

C'est à l'Institut islamique que le 1er congrès de la Rabita des Oulémas du Maroc et du Sénégal s'est transporté hier après la séance d'ouverture présidée mardi dernier par le chef de l'Etat au CICES.

Cette séance de travail de l'Institut islamique, dirigée par Serigne Abdou Aziz Sy Junior, président de la Fédération des Associations islamiques du Sénégal et vice-président de la Rabita des Oulémas, a enregistré la première réaction positive dans cette quête de la solidarité sénégalo-marocaine des docteurs de la foi, à savoir plusieurs demandes d'adhésion émanant de pays de l'Afrique de l'Ouest et du Centre.

En effet, la Gambie, la Mauritanie, la Guinée-Conakry, le Nigéria et le Tchad manifestent leur désir d'être membres de la Rabita, comme l'a indiqué le vice-président Abdoul Aziz Sy Jr.

Si, comme l'on s'y attend ces demandes sont agréées, la Ligue changera d'appellation et deviendra la *«Rabita des Oulémas du Maroc et des pays de l'Afrique de l'Ouest»*.

Après l'annonce qui démontre un succès réel de la Rabita, le président de séance a mis le mérite sur le crédit et l'engagement des deux parrains que sont Sa Majesté le Roi Hassan II du Maroc et le président de la République du Sénégal, Abdou Diouf. Deux militants convaincus de la cause islamique, décidés surtout à faire triompher la thèse de l'Islam en tant que religion de progrès, de développement, de tolérance, de paix et de solidarité agissante.

C'est pourquoi d'ailleurs, ne s'y trompant guère, Serigne Abdou Aziz Sy Jr a invité les Oulémas à mériter la confiance placée en eux, et à travailler dans le désintéressement et la concertation. Seuls gages d'une parfaite réussite.

Le congrès a ensuite écouté le rapport moral présenté par le président de la Rabita, Moulay Moustapha Alaoui, grand Alim du Maroc. Ce rapport après un survol des activités depuis 1985 a défini les actions prévues dans le cadre de la propagation de l'Islam, aussi bien au Maroc qu'au Sénégal.

Dans son rapport financier qui ne pourra être définitivement dressé qu'après ce congrès de Dakar, le trésorier général de la Rabita Alim Aboul Fadhli du Maroc également, a dressé le bilan comptable, satisfaisant, mais pouvant être amélioré dans l'avenir.

Quatre commissions ont été mises sur pieds, qui ont travaillé durant toute la nuit afin de sortir une résolution finale pour cet après-midi, la clôture des travaux étant prévue à 16h 30. Il s'agit de la commission des *«causes islamiques»*, causes justes s'entend, tels le Moyen-Orient, l'Afrique australe, la sécheresse et la dégradation des mœurs, etc. Cette commission est présidée par Son Excellence Moustapha Cissé, ambassadeur du Sénégal à Tunis et conseiller spécial du chef de l'Etat.

La seconde commission : *«Affaires sociales»* est dirigé par le Marocain, Pr Mohamed El Katani.

La commission de «l'Appel islamique» est placée sous l'autorité de notre compatriote Lamine Niass, tandis que la 4e, celle de la *«Résolution générale»* est confiée au Marocain Moulay Moustapha Alaoui, président de la Rabita.

Toujours hier dans l'après-midi, les congressistes ont assisté à la pose de la première du siège annexe de Dakar, avant de prendre part à une réception offerte par l'ambassadeur du Maroc.

Ce matin la Fondation Cheikhna Cheikh Saad Bou dirigée par le Chérif Atkhana et le conseil supérieur des Khadryas, reçoivent le ministre marocain des Habous et des Affaires islamiques accompagné des congressistes.

Ils assisteront à 13 heures au banquet offert par Thierno Mountaga Tall, khalife général de la famille Tall, sur la place du mausolée de Seydou Nourou Tall.

I.M. MBOUP

Réception à l'ambassade du Maroc

Une sympathique réception organisée par l'ambassadeur du Maroc à Dakar Abdel Kader El Jaï, a réuni les deux ministres Serigne Lamine Diop et Abdel Kader Alaoui M'Daghri, celui de la Fonction publique, Moussa Ndoye et celui chargé des Relations avec les Assemblées Thierno Ba, ainsi que tous les participants à la conférence de la Rabita des Oulémas et des chefs religieux des différentes confréries du pays.



Le ministre marocain, les ambassadeurs El Jaï et Cissé devisant avec Abdou Aziz Sy Junior.

MAROC-SENEGAL

LES OULEMAS FACE AUX DEFIS

La grande salle de conférence du CICES (Centre international pour le Commerce extérieur du Sénégal) a refusé du monde hier après-midi à l'occasion de l'ouverture de la première conférence de la Rabita des Oulémas du Maroc et du Sénégal. C'était sous le haut patronage de Sa Majesté Hassan II, roi du Maroc et du président de la République du Sénégal, Son Excellence Abdou Diouf.

Et l'ouverture s'est effectivement déroulée sous la présidence du chef de l'Etat ayant à ses côtés le représentant du Roi du Maroc, le ministre des Habous et des Affaires religieuses, Dr Abdelkébir Alaoui M'Daghri, ainsi que le ministre sénégalais du Développement industriel et de l'Artisanat, Serigne Lamine Diop.

Les chefs religieux, guides de voies ou tarikhas n'ont pas manqué à l'appel ou se sont fait représenter. L'on notait la présence de Serigne Abdou Aziz Sy, khalife général des Tidianes, Thierno Mountaga Tall, khalife général de la famille Tall, Cheikh Abdallah Ibrahima Niass, khalife général des Niassènes, ainsi que celle des représentants de toutes les familles religieuses du Sénégal.

Après des versets du Coran lus avec un brio hors du commun par des spécialistes des deux pays, le président Abdou Diouf a donné la parole au secrétaire général de la Rabita des Oulémas, notre compatriote Ibrahim Mahmoud Diop dit Barham. Lequel dans un arabe parfaitement maîtrisé, a souhaité la bienvenue aux participants, notamment à l'importante délégation du royaume chérifien qui ne compte pas moins de 100 membres. Le secrétaire général a aussi confondu dans les mêmes éloges les deux parrains de la Rabita, le Roi Hassan II et le président Abdou Diouf *«militants infatigables de la grande et noble cause islamique»*.

Il revenait ensuite au professeur Abdelhadi Boutaleb, directeur général de l'ISESCO (Organisation islamique pour l'Education, les Sciences et la Culture) de rendre grâce à Allah Tout Puissant *«d'avoir favorisé l'organisation de cette rencontre d'éminents Oulémas de la Oumma, qui vont ainsi pouvoir dans ce pays africain si cher à leur cœur, débattre de thèmes aussi graves que le Coran, l'Islam et leurs rapports avec la science et la morale»*.

Au nom du secrétaire général de l'Organisation de la Conférence islamique (OCI), son adjoint, El Moctar Oud Bâh, a salué l'initiative de la Rabita, dans une conjoncture de défis énormes posés à la Oumma, tels les problèmes de Jérusalem, confisqué par le sionisme; ceux de l'Afghanistan, des Philippines, de la Bulgarie et également de la Palestine. Le secrétaire général adjoint de l'OCI n'a pas manqué de souligner que parmi ces problèmes de l'Islam, il y a la lutte pour le triomphe de toutes les causes justes, et cela partout où la dignité musulmane, est en cause.

Quant au ministre marocain des Habous et des Affaires religieuses, il a déclaré, après avoir apporté les salutations et les bénédictions du Commandeur des Croyants, Défenseur de la Religion et illustre Descendant du Prophète Mohamed (PSL), Sa Majesté le Roi Hassan II : *«nous avons aujourd'hui un rendez-vous avec l'histoire pour renouveler l'engagement de poursuivre l'œuvre de nos vénérables ancêtres, saluer les liens spirituels et les relations islamiques humaines qui les unissent, réfléchir sur la situation de notre Oumma, nourrir nos espoirs et nos aspirations et prouver à la communauté internationale que, toujours présents, nous sommes au fait de la conjoncture parfaitement mobilisés pour sauvegarder la croyance de cette oumma, défendre sa pensée et soucieux de la diriger sur la voie de Dieu, de la noble morale et de la civilisation fondée sur les prescriptions divines et de la croyance»*.

Pour le président Abdou Diouf surnommé le «président militant» (de la cause islamique) par les congressistes, après s'être loué de la solide tradition culturelle assortie d'un brassage ethnique vieux de plus d'un millénaire entre le Royaume du Maroc et le Sénégal, il a insisté sur la place privilégiée qu'en Islam, la science occupe dans la vie de l'homme.

Rappelant les causes de la décadence de la pensée et de la vitalité islamique, pendant 10 siècles, il a rendu un vibrant hommage à son ami et frère Sa Majesté Hassan II, artisan de la renaissance islamique.

Le président Abdou Diouf a promis toute l'assistance nécessaire pour que les espoirs fondés en la Rabita des Oulémas du Maroc et du Sénégal, donnent la promesse des fleurs (lire le discours intégral du chef de l'Etat en page 10). Les travaux du congrès se poursuivent aujourd'hui à l'Institut islamique. Ils prendront fin demain.

I.M. MBOUP

• INAUGURATION DU SIEGE DE DAKAR
• CONSTRUCTION D'UNE ANNEXE

Le ministre du Développement industriel et de l'Artisanat Serigne Lamine Diop et le ministre des Habous et des Affaires islamiques du Royaume du Maroc, le Docteur Abdelkébir Alaoui M'Daghri, représentant respectivement le président de la République du Sénégal Abdou Diouf et Sa Majesté le Roi Hassan II du Maroc, ont inauguré hier en fin d'après-midi dans le centre de Dakar le nouveau siège du secrétariat général de la Rabita des Oulémas du Maroc et du Sénégal.

Ils en ont profité également pour procéder à la pose de la première pierre de l'annexe du siège (un complexe multifonctionnel doté d'une salle de conférences de 400 places) jouxtant le siège du secrétariat général.

Les deux ministres étaient entourés de plusieurs personnalités dont l'ambassadeur du royaume du Maroc à Dakar Abdel Kader El Jaï, le président de la Rabita Moulay Mustapha Ben Ahmed Alaoui, le secrétaire général de cette institution Cheikh Ibrahima Mahmoud Diop, Serigne Abdoul Aziz Sy Junior et la centaine d'Oulémas marocains et sénégalais participant à la conférence de Dakar.



Pose de la première pierre de l'annexe du siège de Dakar.

Le siège du secrétariat général est déjà équipé de façon fonctionnelle. Les locaux et le terrain pour la construction de l'annexe ont été gracieusement offerts par le gouvernement sénégalais alors que le roi Hassan II du Maroc va pourvoir aux financements de la construction et du matériel d'équipement.

Dans leurs interventions, les deux ministres se sont tous deux tour tour félicités des actions de leurs deux chefs d'Etat pour concrétiser ce noble projet entièrement voué à la cause de l'Islam.

Tous deux ont prié pour que cette institution (grâce à Dieu) arrive à la hauteur des aspirations des deux peuples qui partagent la même religion. Ils ont prononcé d'émouvantes prières pour que leurs deux chefs d'Etat (le roi Hassan II et le président Abdou Diouf) soient préservés dans la grâce divine.

Serigne Lamine Diop a de son côté déclaré que cette cérémonie a une double signification. La première est que celle-ci symbolise les relations multiformes entretenues depuis plus d'un millénaire entre les deux peuples. La deuxième est qu'elle met en exergue la volonté réaffirmée des deux chefs d'Etat de perpétuer dans la consolidation permanente ces relations.

Pour sa part, le Dr Abdel Kébir Alaoui M'Daghri s'est félicité lui aussi chaleureusement de ce même engagement des chefs d'Etat et a remercié particulièrement le président Abdou Diouf pour sa constante disponibilité visant à favoriser la concrétisation de ce projet.

Fara DIAW

Coran a envisagé avec efficience cette dualité dans cette haute conception de Dieu où le discursif est étayé par la science. Un verset coranique dit : ﴿وما يعقلهـا إلا العـالمون﴾, c'est-à-dire : « Seuls les hommes de science en saisissent le fond rationnel ». Le Coran, définissant la nature divine, précise, en effet, que « Dieu est lumière » ; or, la lumière est une énergie dont l'électricité demeure, entre autres, la forme sensible et visible. Pourtant, la science a reconnu jusqu'à présent, son incapacité d'en déceler la nature intrinsèque. Que dire donc du métaphysisme de cette énergie ? La science, en faisant un net départ entre le physique et le métaphysique est seule qualifiée pour avancer une thèse sinon convaincante, du moins désarmante. Kant, philosophe allemand, a pu entrevoir dans sa « Critique de la Raison Pure », l'inanité d'un discursif faussé par un fatras psycho-somatique. Selon lui, l'esprit humain fournit la forme, le contenu ne peut venir que de l'expérience scientifique. Kant a été devancé par le grand réformateur salafi Ibn Taïmya dans son célèbre ouvrage (موافقـة العقـل الصريـح للشرع الصحيح).

(Accord entre la Raison pure et la charya authentique).

Quant à la 2ème phase marxiste bien marquée dans les années soixante dix, je cite ce que j'ai écrit en 1980, dans mon ouvrage « la Pensée Islamique et le Monde Moderne » dont l'essentiel est extrait d'une communication que j'ai faite à Moscou en 1970, sur invitation de « L'Académie des sciences » soviétique, sur le thème « Socialisme Islamique » :

« Le marxisme – avais-je écris alors – et son matérialisme historique constituent une idéologie qu'une auréole factice tend à embellir, au dépens de toute phénoménologie révélée. Or, en analysant les préceptes traditionnaires sur le plan de sociologie prolétarienne, nous constatons que l'Islam a répondu, depuis quatorze siècles, au trio élaboré par le marxisme comme substrat de l'idéologie léniniste, à savoir la garantie du minimum vital pour la force ouvrière, le nivellement des classes et le labeur prolétarien considéré comme capital-travail. Je ne cite qu'un seul hadith (Tradition prophètique), parmi tant d'autres, stipulant que « l'œuvre cultuelle d'un croyant durant toute sa vie, s'annihile par le seul fait de s'abstenir de garantir à l'ouvrier tout son dû ».

La troisième phase est concrétisée par un élan fondamentaliste de l'Islam dont les reflets commencent à faire épanouir les coins et recoins de notre forum universitaire. Je n'entends guère par fondamentalisme l'intégrisme, car ce qui nous intéresse, en premier lieu, dans l'Islam, c'est sa pureté originelle, sa salafia qui nous impose un retour spontané et total aux sources, c'est-à-dire aux fondements de l'Islam dont j'ai essayé d'en définir les concepts et les préceptes dans mon ouvrage précité et un 2ème intitulé « L'Islam dans ses sources » (3ème édit.).

Ce sont là certains des contours de la stratégie sunnite dont l'infrastructure est, malheureusement, encore mal définie, mais dont quelques éléments commencent à se préciser. Le syncrétisme et l'ecclectisme de l'Islam s'avèrent alors comme un garant catalyseur et un sûr promoteur.

Maroc et émir des Croyants, a tenu à souligner, lors du Colloque Tijani tenu à Fez en 1985, par la voix de son ministre des Habous et Affaires Islamiques, le caractère sunni de la Tariqa Tijanya, dont Elle difinit la portée conceptuelle fondamentaliste. Se référant à G. Bonnet Maury, dans son ouvrage « l'Islamisme et le Christianisme en Afrique », « le grand leader arabe l'émir Chakîb Arsalâne affirme dans son livre » « Le monde musulman contemporain » (II, 398) que « l'Afrique aurait été entièrement islamisée sans ce coup porté par la France à l'influence de la confrérie Tijanie... », le fait – ajoute-t-il – est comparable à l'élan d'islamisation de l'Europe, arrêté à Poitiers par Charles martel ».[1] Tout récemment, le Pape a reconnu devant le Congrès qui a tenu ses assises en Afrique, que l'Islam dépasse l'Eglise catholique dans la portée de ses commandements et de sa législation socio-ethique.

Les promoteurs de cette grande confrérie s'arrogent le devoir de donner le chapelet (sobha) au « mourid », en sus des concepts coraniques qu'ils lui inculquent, pour combattre (النفس والشيطـــان) à la fois l'âme pervertie par Satan et le colonialisme. La Zaouya est devenue ainsi un véritable centre de ralliement de valeureux détachements de la lutte pour la foi qui œuvrent en vue d'élaborer l'unité islamique, libérer les esprits et les cœurs des impuretés de ce monde et dégager le Continent Africain des malheureuses vicissitudes provoquées par les ennemis de l'Islam.

La marée montante et la marche victorieuse du Coran et de la Sunna Mohammadienne se poursuivent, sous l'égide de l'Islam, grâce à la Tijania et à d'autres mouvements soufis telle le Qadirya, dont le symbôle vital, à leurs yeux, est le Sunnisme appliqué. Cette stratégie du Coran qui a été aussi celle du Roi Hassan II, dans sa lutte implacable contre le néocolonialisme, fut structurée en 1975, par la victorieuse marche verte. Là, l'Emir des croyants a élaboré un processus sans égal où le Livre Sacré a été l'arme tolérante d'une armée de fidèles de 350.000. C'est cette preuve convaincante des préceptes de la Sunna qui anime toute notre stratégie d'après l'indépendance.

L'ambiance universitaire où se déroule notre débat, aujourd'hui, nous incite à évoquer la lutte menée, au sein de l'Université marocaine, depuis l'indépendance. Ces trois décennies (1956-1986) correspondent à la première phase de la sublime mission royale du Roi Hassan II qui préside aux destinées du Royaume du Maroc. Dans ce contexte, je tiens à vous raconter la petite histoire que nous avons vécue, moi et mes collègues, professeurs universitaires, tout le long de cette période où nous étions contraints à combattre les sequelles intellectuelles du colonialisme qui régnait au sein de ce grand forum. La stratégie insuflée par le grand universitaire Hassan II reflète l'élan irrésistible de la nation marocaine pour la réalisation de son Etre. Néanmoins, la jeunesse estudiantine, unanime dans sa lutte implacable contre les sequelles politico-économiques, s'est trouvée cruellement tiraillée, sur le plan culturo-social entre maintes options inculquées par l'Occident. Nous pouvons en citer quelques unes, concrétisées en trois volets successifs marqués par une première emprise rationaliste dans les années soixante, suivie par l'impact communiste durant les années soixante dix et enfin une tendance légèrement fondamentaliste, depuis le début des années quatre vingt. Nous avons affronté ce processus, essayant de relever des défis que de vives réminiscences « colonialistes » teintaient encore de leurs empreintes. Je tenterai, pour mieux saisir les mobiles de la réaction qui provoque un vague bouleversement dans les choix conceptuels, parfois subversifs, vécu par notre jeune Université. Je commencerai par dépeindre la phase rationaliste, à partir des flots de questions qui m'ont été posées par mes élèves. Je n'en citerai qu'une seule où la religion, toute religion, était mise en cause, et l'existence même de Dieu, ostensiblement contestée. Mû par une sagesse coranique souple et tolérante, je citais Aristote, père du rationalisme que nous vénérons tous, pour mettre en energue, un certain sophisme contradictoire qui caractérise parfois le fondement même de sa philosophie. Je me contente de sa thèse métaphysique et de la notion des quatre raisons qu'il avance pour prouver l'existence de Dieu, à savoir les raisons matérielle, formelle, efficiente et finale. Le menuisier, par exemple, qui façonne un article en bois (matière), d'une certaine forme et finalité, en est le créateur, c'est-à-dire la raison efficiente. Mais le point faible de cette rationalité toute physique, ne nous donne guère la preuve de l'existence du Grand Créateur des Mondes. Aristote en sentit l'inanité et le cercle vicieux auquel il buta, face aux questions irrésistibles de ses disciples ou collègues : « qui a créé le Créateur » ? demandent-ils ? Aristote, éprouvé dans le fond même de son système rationaliste, dut sentir l'absence du facteur « science », comme corollaire indispensable dans l'opération discursive qui asseoit cette démonstration métaphysique. Par contre, le

1) L'Islam dans l'Afrique Occidentale par A. Lechâtelier p. 189.

Stratégie de l'Islam et du Sunnisme Tijani face aux défis du colonialisme

Abdelaziz Benabdellah
Membre de l'Académie Royale

Dans le grand amphitheâtre de l'université de Dakar et en présence de milliers d'auditeurs : étudiants, professeurs, ambassadeurs et ministres dont le chef de la délégation marocaine, S.E. le Ministre des Habous et des Affaires Islamiques et S.E. l'Ambassadeur du Maroc au Sénégal, S.E. Le ministre sénégalais de l'enseignement ainsi que le professeur Abdelaziz Benaldellah ont fait chacun une communication sur « la stratégie de l'Islam et du Sunnisme Tijani face aux défis du colonialisme ». M. le ministre a esquissé, avec maints arguments à l'appui, un tableau palpitant sur l'œuvre du grand Cheikh Hadj Malék Sy Tijani contre l'occupation française, en définissant les données sunnites de ce mouvement soufi et de ses fondements ratio-culturels. Quant au professeur Benabdellah, il a essayé de dépeindre la double action du Sunnisme malékite et du mouvement Tijani, dans la concrétisation des concepts de l'Islam et dans la lutte commune entreprise par le Sahara Marocain et le Sénégal contre le colonialisme. Il met en exergue l'assise de cette communion dont les chaînons marquent la triple liaison entre le Sahara, Chenguit (Mauritanie) et le reste de l'Afrique occidentale. Voici un résumé de cette communication. :

Dans ce bref exposé, je ne parlerai guère de la courte période coloniale limitée pour le Maroc à une double décennie allant de 1936 à 1956. Je définirai surtout les promoteurs de la Résistance du Maroc et de son Sahara, de 1912 à 1936, sous l'étendard de l'Islam et grâce à la coordination de la lutte spontanée menée par les leaders musulmans et les chefs de la congréation Tijanie, de Smara à St. Louis, aux confins du Sénégal. Les Archives de la colonisation française en témoignent et considérent le Sunnisme Tijani comme l'adversaire le plus irréductible qui parvint à fausser malencontreusement la stratégie coloniale, de par cette symbiose agissante qui recèle le secret de la coexistence fraternelle, je dirai même congénitale entre le Maroc et le Sénégal. Parmi les liens islamiques qui cimentent cette communion maroco-sénégalaise, un lien particulier est crastallisé par le Sanad Tijani, c'est-à-dire les chaînes de transmission soufie qui caractérisent le processus hiérarchique de cette appartenance dont le réseau passe par les éminents chefs mystiques de cette partie de l'Afrique. Ce sublime directoire spirituel comporte, entre autres, le grand combattant sénégalais Omar Al Fouty, disciple du Fassi Sidi El Ghâli Boutaleb, le cheikh de Mauritanie, Mohamed el Hâfidh, le Cheikh Hadj Malek Sy et le Cheikh Saïd en-Nour el Fouty, mon maître direct ainsi que mon cher ami, Abdelaziz Sy, khalife général des Tijanes.

Ces khalifes et moqaddems sublimes africains, liés par le même Sanad, émanant de leur grand Chef Sidi Ahmed Tijani de Fez, procédent d'un Sunnisme fervent, adéquat dans son essence au Coran et au Hadith (traditions prophétiques). Ce réseau qui a joué un grand rôle dans l'élaboration de la stratégie islamique foncière en Afrique, est marqué par des liens indélèblies et une homogénéité structurelle ou union psycho-éthique, socialo-sprituelle, je dirai même somato-spirituelle. S.M. Hassan II, Roi du

Les mosquées bâties à Marrakech, à Tlemcen et à Alger, les rajouts de la grande mosquée de la Karawiyne à Fés, ainsi que le Ribât Aloubbad à Tlemcen et le mausolée de 'Abdellah Ibn Yassine sur la vallée de Krifla au Zaïr à une quarantaine de kms de la ville de Rabat ; ces monuments – entre autres – attirent l'attention par leurs portes, dont la plupart à coude simple, leurs colonnes sveltes et élancées, leurs arcs arrondis et découpés en lobes, et leurs différents ornements et inscriptions. Ils s'ajoutent aux chaires à prêcher et aux cuves à ablutions en marbre orné, pour refléter l'aptitude artistique des Almoravides, leurs valeurs esthétiques, et pour refléter aussi leur sainteté et leur vertu de leur discipline.

* * *

Quelles conclusions peut-on tirer de ces propos sur les Almoravides et leur œuvre ? S'il est incontestable qu'elle n'a pu être achevée, mais qui a été un grand et riche héritage transmis à leurs successeurs : Les Almohades. الموحدون

Si grande que soit l'œuvre Almoravide, c'est à son message islamique qu'elle doit son importance, son efficacité et l'influence qu'elle exerça sur la péninsule ibérique et les pays de l'ouest africain.

Sous l'effet des contacts différents et permanents établis avec le monde islamique, notamment avec le Maroc, ce message a continué à s'implanter en Afrique et à se propager, à travers les sectes et les rites transmis par les confréries marocaines. Ce nouveau message reflétant la spiritualité africaine très poussée qu'il finira par enrichir, repose sur un soufisme sunnite qui unit le visible et l'invisible, le concret et l'absolu, le réel et le surnaturel, suivant un idéal qui n'est autre que l'exemple du Prophète. سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

C'est ainsi qu'apparait un cadre neuf de méditation, de contemplation,d'ascétisme et de mysticisme. mais aussi d'une action dynamique et profonde sur la société ; et ce, dans tous les sens et dans tous les domaines : politique, économique et socio-culturel.

* * *

Messieurs les ministres – Excellences – chers frères et sœurs.

Que mes derniers mots affirment l'expression de remerciements les plus chaleureux pour l'accueil fraternel qui nous a été réservé par le gouvernement et le peuple sénégalais. A cette expression de remerciements, j'ajoute une expression d'espoir, l'espoir que nos deux pays : le Sénégal et le Maroc, animés par l'esprit de coopération africaine et de solidarité islamique, accomplissent la noble tâche qui consiste à servir le développement, la prospérité et la paix ; et à collaborer au concours pacifique des peuples du monde entier. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

Sans m'étendre sur la vie culturelle sous les Almoravides, je me contenterai de citer quelques noms qui reflètent le vrai visage de cette vie épanouie, tels que Aboubakr Mohamed Assabti en commentaire du Coran, Ibrahim Ibn Fartoun en Hadith, Aboubakr Ibn Bâjâ dit (Avenpace) en philosophie, Aboul'-Alâ Zouhr dit (Avenzor) et son fils Abou Marwane Abdelmalik Ibn Zohr, dit (Avenzoar), tous deux médecins et auteurs de plusieurs traités, à savoir les (Mujarrabat) du père et le (Kitâb al-iqtisâd) et (Kitâb Attaysir) du fils.

Je citerai aussi Mâlik Ibn Wohaïb et Aboubakr Almouradi dans la théologie dialectique ('Ilm Alkalâm) et dans la science des sources juridiques ('Ilm Al ousoul) ; sans oublier le grand nom qui domine les sciences et les lettres à cette époque : Celui du Cadi 'Ayyâd, auteur de plusieurs ouvrages dont il me suffit de mentionner (Tartib al Madârik) et (Kitâb Achchifâa).

Quant à la littérature, Al Mourrakouchi[6] ne manque pas d'avouer que la cour Almoravide à Marrakech était devenue le point d'attraction des intellectuels et des littérateurs maghrébins et andalous, et qu'elle ressemblait à celle des 'Abbassides à leurs débuts.

Il nous suffit de lire le recueil intitulé : Les colliers d'or natif (Kalâid Al'iqyâne) du grand auteur Al Fath Ibn Khâkân, pour pouvoir juger l'état florissant de la poésie et de la prose, et, ceci, à travers les belles pages consacrées à un grand nombre de poètes et de prosateurs maghrébins et andalous ; parmi lesquels nous citerons : Ibn Zinbâ, Ibn Habous, Ibn Khafadja, Ibn Allabbanâ, Ibn Al Kasira, Attoutayli, Ibn'Atiyâ et Ibn Assayd Albatalyoussi.

Ces noms et des dizaines d'autres démentent formellement le jugement dur et exagéré de l'orientaliste hollandais Dozy qui a écrit dans son histoire des musulmans d'Espagne que « les hommes de lettres, les poètes et les philosophes avaient de grands sujets de plainte... ils se trouvaient déplacés et mal à l'aise au milieu de Faqihs fanatiques et de rudes officiers. »[7].

Bien avant Dozy, Aššaqundi, au 12ème siècle, ironisant la situation dans sa Rissalâ où il fit l'éloge de l'Andalousie, avait accusé Youssef Ibn Tachfine de comprendre à rebours les citations poétiques d'auteurs célèbres, et d'avoir recours à l'explication pour en saisir le sens.[8]

De pareils jugements ont été provoqués à mon avis par la conduite du prince Almoravide Youssef à l'égard du roi de Séville Almo'tamid Ibn'Abbâd qu'il avait fait prisonnier. Je pense que c'est là une affaire concernant raison d'état ; donc qui n'a rien à voir avec la littérature.

Sans esprit de parti, je n'ai pas besoin de faire valoir des excuses ou d'essayer de prouver la manière très convenable dont était traité le roi et poète andalous, et la liberté dont il jouissait à Aghmât.

Dans cette ville près de Marrakech, il recevait ses amis intimes, en particulier les poètes, tel Ibn Allabanâ qui, dans les vers qu'il lui fit parvenir, nourrissait ses espérances. El qu'il me soit permis de réciter une strophe qui parle pour elle même, sans avoir besoin de commentaire. et dans laquelle Ibn Allabbanâ s'adresse à Almo'tamid en lui disant : « Un peu de patience encore ! bientôt tu me combleras de bonheur, car tu remonteras sur le trône. Le jour où tu rentreras dans ton palais, tu m'élèveras aux plus hautes dignités... Prépare-toi à luire de nouveau : une éclipse de lune n'est pas de longue durée. »[9]

Quoiqu'on dise, la poésie à l'époque Almoravide avait acquis des caractères particuliers au goût hispano-mauresque qui ne tarda pas à l'enrichir de formes nouvelles, à savoir le Muwachâh et le Zajal, dont les maîtres furent Ibn Zohr, Tutayli, Ibn Kouzmâne et d'autres.

Ces formes, d'inspiration musicale et populaire, finiront par se répandre en tant que rénovation prosodique, vu leur variation, leur vivacité et leur souplesse, si bien au niveau de la rime que de la métrique.

A la fin de ce dernier propos sur la culture, je voudrai dire un mot sur l'art de cette dynastie, et surtout l'art de la bâtisse et de l'architecture.

Loin de la tente du désert et du Ribât qui n'était autre qu'un bâtiment simple entouré de muraille protectrice, les Almoravides, adaptés à la nouvelle civilisation andalou-maghrébine, furent parvenus à un art raffiné et beau, quoique simple et austère.

(6) Al mo'jib p. 164.
(7) Histoire des musulmans d'Espagne T 3 p. 155 (Ed. Leyde 1932).
(8) Nafh Attib T. 4 p. 181 (Ed. Caire 1949).
(9) Al mo'jib p. 158.

de ses disciples. Je cite quelques noms : Ziyad Ibn Abderrahman Chabtoun, Isa Ibn Dinâr, Alghâzi Ibn Qais, Albahloul Ibn Râchid, Yahya Ibn Yahya Allayti, Asad Ibn Al-fourat et Sahnoun.

Une autre raison est que les fondateurs ou les pères spirituels du mouvement Almoravide étaient tous des Malékites, en commençant par Abdellah Ibn Yassine et Waggag Ibn Zellou, pour arriver à Abou Imrane qui était considéré comme le premier docteur Malékite de son époque.

Et celà, sans oublier que le mouvement Almoravide, au sein du sunnisme malékite, tenter d'étouffer le shiisme, afin d'empêcher sa diffusion en occident. Et c'est dans ce cadre que – personnellement – je situe le voyage de Yahya Ibn Ibrahim en Orient, soi-disant pour faire le pélerinage ; alors qu'il avait entrepris ce périple pour discuter d'une Alliance sunnite entre l'Orient et l'Occident, afin de pouvoir contourner le Shiisme. Et c'est de cette optique, que je vois le serment d'allégeance que Youssef Ibn Tachfine faisait au Calife Abbasside de Baghdad : Abdellah Ibn Ahmad, nom qu'on lit sur les pièces de monnaie que le prince Almoravide fit battre.

Celle-ci est ma première réflexion, ma deuxième réflexion est relative au fait que les Foqahâs ne cessèrent d'acquérir une renommée et une autorité, que ce soit auprès du peuple qui leur était fidèle, ou auprès du prince Almoravide, surtout Ali Ibn Youssef qui leur faisait la part belle. Ils en profitèrent pour renforcer leur rôle et s'enrichir, car ils disposaient de tous les postes et de toutes les faveurs ; mais tout cela ne tarda pas à les faire tomber dans un formalisme qui s'adonna aux sciences juridiques de la théologie appliquée (Fiqh al Forôu').

Ainsi, les Foqahâs se cantonnèrent à l'explication littérale des textes et des manuels détaillés de jurisprudence, au détriment de l'étude des sources de l'Islam, notamment le Coran et les Hadiths ou dits du Prophète ; sans parler de leur position stricte contre toute interprétation ou réflexion personnelles ou Ijtihâd.

Al morrakouchi, historien du 12ème siècle, rapporte que « nul n'avait accès auprès du prince des musulmans, ni n'avait sur lui quelque influence, que ceux qui connaissaient la science du droit appliqué d'après la doctrine de Mâlik. Aussi les traités de cette école étaient-ils alors en faveur et servaient-ils de guides, à l'exclusion de ceux qui n'étaient pas savants en cette science, si bien qu'on s'en tint à négliger l'étude du livre saint et des traditions ».[4]

Dans ce cadre se situe l'ordre donné de brûler sur les lieux publics le livre de « la renaissance des sciences religieuses » : Ihyâ 'Oulum Addine, du grand philosophe et mystique Al Ghazâli, pour la seule raison qu'il dénonça les les juristes et leurs sciences appliquées : 'Ilm al Forou'. Et c'est toujours l'historien Al morrakouchi qui nous informa de ce fait, mais sans manquer d'exagération à mon avis, surtout quand il poussa la position du prince 'Ali contre Al Ghazâli jusqu'à menacer de mort tout lecteur de ce livre, ou quiconque en posséderait des fragements.[5].

Certes, ce formalisme religieux à l'époque d''Ali avait été fatal aux Almoravides qui ne tardèrent pas à subir une crise et une chute prématurée, alors qu'ils étaient dans leur vigoureuse maturité. Mais ce n'est pas au point d'accepter les jugements de valeurs des historiens proalmohades et des orientalistes mal intentionés qui – à leur avis – les Almoravides n'avaient fait que condamner la liberté d'esprit et tuer tout effort et toute création intellectuels.

* * *

De là, j'arrive enfin à mon dernier propos se rapportant à l'œuvre Almoravide, et particulièrement à l'œuvre intellectuelle.

Mais je voudrais d'abord reprendre sur un point précis, touchant l'œuvre religieuse de cette dynastie, et dont le mérite leur revient. Ce point n'est autre que cette unité religieuse que les Almoravides avaient donné à l'Occident de l'Islam, au soin du Sunnisme et du Malékisme. Et c'est en édifiant cette unité qu'ils avaient mis fin à toutes les hérésies ou Bida' qui étaient propagées dans le pays ; sans parler du nouveau sang ou de la nouvelle vie qu'ils avaient réussi à transformer en Andalousie.

Je reviens à mon propos sur la culture, et je commence par souligner le contact très serré et très fécond que les Almoravides avaient établi entre deux rives de l'Afrique et de l'Europe, réunies dans un même Etat. Ce contact a permis pendant plusieurs siècles un échange libre et direct entre deux civilisations, dont l'influence mutuelle reste sans limite.

(4) Al mo'jib p. 172 (Ed. Caire 1949).
(5) Ibid p. 173.

Ressentant profondément cette humiliation, Youssef Ibn Tachfine, répondit au signal d'alarme, et se dirigea vers l'Andalousie où il remporta la victoire décisive de Zellaqa en 1086 = (479 H).

Revenant plusieurs fois en Espagne, trois ou quatre fois, il prit la décision de déposer les princes Andalous et de supprimer toutes les principautés musulmanes de la péninsule, afin d'y établir son autorité directe ; et ceci, après avoir consulté des juristes marocains, Andalous et orientaux. Ces jurisconsultes avaient déclaré les Emirs Andalous indignes de régner, vu leur libertinage, leur compromission avec l'ennemi et leur trahison à la cause de l'Islam ; et vu aussi l'état troublé et affaibli du pays péninsulaire, et sa profonde crise sociale et politique.

Après la mort de Youssef Ibn Tachfine en 1106 – (500 H), son fils Ali fut élu à la tête de cet état almoravide puissant riche et stable, malgré son étendue très vaste.

Essayant de conserver cet héritage et de préserver l'unité d'un territoire aussi immense, il passa et repassa en Espagne, gouverna par une administration stable saine et austère ; mais la dynastie ne tarda pas à s'affaiblir. Et quelques années, une dizaine d'années à peu près, avant le decès d'Ali, survenu en 1143 = (537 H) qu'une révolte éclata.

Du haut des montagnes du grand Atlas, se leva la voix d'un puritain du nom de Mohammed Ibn Toumart, originaire des tribus Masmouda, et connu sous le nom d'Al Mahdi Ibn Toumart. Estimant que les Almoravides n'étaient pas sur la bonne voie, il conduisit une rébellion religieuse qui mettra fin à leur dynastie. Il en formera une autre qui englobera tout l'occident musulman, jusqu'aux frontières égyptiennes, et qui sera avec sa précédente parmi les plus puissantes et les plus brillantes dynasties du Maghreb, de l'Afrique et de l'Islam.

Sans m'étendre sur cet aperçu historique, je passe à mon second propos relatif à la doctrine Almoravide. Cette doctrine était basée sur le Sunnisme, et en particulier sur le rite malékite.

Considérant leur territoire comme une citadelle de l'orthodoxie, les Morabitines – princes et juristes à leur tête – s'étaient instaurés les gardiens vigilants de ce monopole doctrinal.

Les juristes ou Foqahâs (docteurs en droit malékite) jouaient un rôle très important. Ce rôle consistait à la fois à tracer les traits idéologiques du régime, et de veiller à sa mise en pratique par tous les responsables, à partir du prince même. Ces Foqahâs devaient appliquer la réforme qui a été le point de départ du mouvement Almoravide ; et ceci en ce qui concerne l'organisation de l'état et de la vie publique dans tous les domaines.

Dans le domaine fiscal, par exemple, l'Etat n'avait pas le droit de créer ou de vôter des impôts qui pourraient être jugés illégaux. Ses rentrées officielles ne dépassaient pas la zakât ou aumône légale, le Kharaj ou impôt foncier, la Jizya ou capitation payée par les non-musulmans, enfin le quint ou cinquième du butin de guerre.

Ainsi, la doctrine malékite représentait une idéologie à la fois complexe et complète, visant les côtés : politique, juridique, culturel et social.

A cet égard, permettez-moi de vous soumettre deux réflexions :

La première touche l'introduction de cette doctrine en Occident musulman, sa diffusion et son adoption officielle par les Almoravides.

Ibn Khaldoun[3] disait que, parmi les quatres rites orthodoxes, le Malékisme est celui qui convient le mieux à la mentalité des nomades maghrébiens, étant moins influencés par les raffinements de la civilisation citadine.

A partir de ce point de vue, il serait tendant d'affirmer que les Almoravides adoptèrent ce rite en raison de la simplicité de ses principes et de la clarté de ses prescriptions. Il serait même possible d'ajouter que ce rite si clair et si simple serait plus convenable à une formation et à une vie culturelle et spirituelle répondant au climat rude et rigoureux du désert.

Mais, sans entrer dans les détails de cette question – car elle a été le sujet que j'ai abordé dans ma communication en langue arabe – je pense nécessaire d'avancer quelques raisons d'ordre historique.

Tous d'abord, plusieurs juristes andalous et maghrébiens avaient suivi à Médine, la capitale du Prophète, l'enseignement de l'Imam Mâlik Ibn Anâs ou

(3) Dans la Moqaddima p. 440 (Ed. Boulak-Caire).

mêmes ; et ils sont modelés par un passé commun dans une grande partie de l'histoire.

Il convient également de noter que la pénétration arabe liée à la diffusion de l'Islam ne fit que resserrer les liens du Maghreb et de ces pays, entre eux d'une part, et avec le monde arabo-islamique d'autre part.

Bref, ces tribus estimaient avoir une mission plus grande à remplir vis-à-vis de l'Islam dont elles voulaient porter à tout le monde, particulièrement aux pays du Sud et du nord, la pureté, la simplicité et la rigidité. Elles étaient assez fortes et assez croyantes pour mener à bien une guerre sainte d'une telle ampleur.

Sans avoir recours aux détails de l'histoire et aux différentes péripéties de l'extraordinaire épopée Almoravide, j'attire l'attention sur trois de ces tribus qui furent à l'origine de la dynastie Almoravide, à savoir Goudala, Guezoula et Lamtouna. La première avait la souveraineté de la confédération Senhadja, et elle était représentée par Yahya Ibn Ibrahim qui, pendant son pélerinage à la Mecque en 1036 = (427 H) prit à la fois connaissance et conscience de l'état du monde islamique. En revenant du pélerinage, il fit escale à Qairouan où il consulta l'éminent juriste malékite Abou imrane el fassi qui l'envoya trouver un juriste du Sous, Waggag Ibn Zellou Al-lamti qui lui confia un de ses élèves Abdellah Ibn Yassine. Originaire de la seconde tribu, Guezoula, Abdellah Ibn Yassine entreprit la mission de former ses disciples et d'instruire les Morabitines. Enfin la troisième tribu est celle de Lamtouna à laquelle remonte Youssef Ibn Tachfine considéré par sa puissance, son pouvoir, sa vitalité et son rôle immense comme étant le créateur de l'Etat Almoravide. Il apparaît dans le portrait que lui trace l'historien Ibn Abi Zar' dans son Qirtas : « courageux, résolu, imposant, actif, généreux, bienfaisant. Il dédaignait les plaisirs du monde. Austère, juste et saint, il fut modeste jusque dans ses vêtements, il ne porte jamais que de la laine, à l'exclusion de toute autre étoffe, il se nourrissait d'orge, de viande et de lait de chamelle et se tint strictement à cette nourriture jusqu'à sa mort ».[1]

Le point de départ de cette dynastie basée sur la réforme religieuse et le rayonnement intellectuel, n'était guère qu'un Ribât dont le nom signifie lieu de prière et camp militaire. Le détail de son installation nous est inconnu, mais d'après plusieurs chroniqueurs et géographes, il devait être situé dans une presqu'île du fleuve Niger au Sénégal que les crues du cours d'eau transformaient en îlot isolé.

C'est dans se Ribât que les premiers Morabitines reçurent l'enseignement que leur prodigua leur maître Abdellah Ibn Yassine.

Cet enseignement sévère et rigoureux était basé sur le rite malékite, et visait une formation spirituelle, morale et politique.

Ce Ribât ne tarda pas à agrandir et à s'amplifier, et le nombre des disciples et adeptes devint de plus en plus nombreux. Grâce à leur ardeur religieuse, à leur orthodoxie et à leur discipline de fer, ces premiers Morabitines, soucieux de corriger et de purifier, redescendront vers le sud sous les ordres du chef lemtonnais Abou bakr Ibn 'Omar, alors que d'autres Morabitines, dirigés par son cousin Youssef Ibn Tachfine, remonteront vers le nord et l'est. Ils parviendront en quelques années à soumettre à leur doctrine les pays noirs voisins, et une grande partie du Maghreb, constitué alors de principautés sans force, dispercées et disloquées. Ils s'arrêteront au milieu du Maghreb central, c'est-à-dire qu'ils iront jusqu'à Alger, limite du territoire de leurs frères Kabyles dans la grande confédération des Senhadja, à savoir les Zirides et les Hammadides.

C'est à partir de Marrakech, capitale fondée pour servir de forteresse, que la dynastie Almoravide, jouissant d'une autorité bicéphale : religieuse et militaire, entreprit son avance vers la conquête de tous ces territoires, et en particulier vers l'Andalousie qui était commandée par un nombre infini de petits rois, connus sous le nom de Moulouk Attawaif.

Parmi ces roitelets, Al Mo'tamid Ibn Abbâd, le roi de Séville, de loin le plus puissant, appela Youssef Ibn Tachfine à son secours, malgré le danger qu'il courut par cet appel, car d'après ses propres mots, il « préfère être chamelier en Afrique que porcher en Castille ».[2]

En appelant à son secours, Ibn Abbâd appela au secours de toute la péninsule menacée par les poussées victorieuses d'Alphonse VI de Castille, et d'autres princes chrétiens, à qui ces roitelets musulmans durent alors payer tribut.

(1) P. 136 éd. Rabat 1973.

(2) Al-houlal al mawchya p. 31-32 (1re édition) et Wafayat Alâyane T. 2 p. 483 (éd. Boulak-Caire 1299 H).

Les almoravides

(Empire-Doctrine-Œuvre)

Conférence donnée à Dakar le 29 Mars 1984 dans le cadre de la semaine culturelle du Maroc au Sénégal (du 22 Mars au 2 Avril 1984)

Par
JIRARI Abbes
Professeur à la Faculté des Lettres
Université Mohamed V – Rabat
Membre de l'Académie du Royaume du Maroc

بسم الله الرحمن الرحيم

Messieurs les ministres, excellences, chers frères et sœurs.

Permettez-moi de commencer par l'expression d'honneur, de plaisir et de fierté, dont je ressens un motif très profond ; car cette semaine culturelle est organisée dans le cadre de la coopération Maroco-Sénégalaise, et dans le but de renforcer les liens d'amitié et de fraternité qui unissent nos deux pays dans le domaine culturel.

Une telle manifestation va permettre à nos frères Sénégalais de mieux connaître les différents aspects de l'activité culturelle marocaine. Et elle va aussi confirmer le très bon état actuel des relations entre nos deux pays. Ces relations vieilles de plusieurs siècles, pour ne pas dire vieilles comme le monde, ont été tissées à travers les multiples échanges, mais surtout à travers les aspirations et les valeurs islamiques sur lesquelles se sont fondés nos peuples.

Messieurs les ministres,
Excellences,
Chers frères et sœurs.

Le sujet de la causerie que je voudrais soumettre à votre attention consiste a entretenir des propos qui évoquent une page glorieuse de notre histoire commune, celle des Morabitines dit Almoravides.

Ces Morabitines, constitués à l'origine de tribus du Sahara occidental, étaient des berbères nomades et chameliers, connus sous le nom de Senhaja au Litham, parce qu'ils portaient un voile, d'où leur qualificatif : Almolattamine ; c'est-à-dire les voilés. Senhadja fut déformé en Zénaga, avant d'engendrer le nom du pays du Sénégal.

Islamisées d'assez longue date, bien que d'une façon rudimentaire et peu rigoriste, ces tribus, unies, riches, puissantes et courageuses, mais aussi austères et sobres, se faisaient un devoir de propager la religion dans les pays voisins, notamment au Sénégal, au Mali et au Niger. Avec ces pays, elles entretenaient des relations très étroites, en particulier dans le domaine commercial. Elles assuraient ces relations à partir de la route du Sahara et de ses itinéraires caravaniers, passant par deux capitales du commerce transaharien : Awdagust et Sijilmassa. Cette route saharienne prit une grande importance, surtout que la route des caravanes qui allait directement du Soudan à l'Egypte, devenue peu sûre à cause des tempêtes et des brigandages, fut abandonnée.

Il convient de mentionner que, sans penser aux nationalités et aux frontières, ces tribus sentaient et exprimaient une parente et une solidarité qui assuraient la cohésion du Maghreb et de tous ces pays voisins, car les éléments ethniques sont presque les

Texte du télégramme adressé à Son Excellence le Président Muawia Ould Sidi Ahmed Taïa', Président de la République islamique de Mauritanie.

Compte tenu de l'importance de conjuguer les efforts des Ouléma dans tout le monde islamique.

Conscients du rôle important que les Ouléma et Cheïkh de Chenguit ne cessent de jouer pour servir l'Islam et en assurer la propagation dans l'ensemble de l'Afrique.

Les participants à la première conférence de la Rabita des Ouléma du Maroc et du Sénégal.

- Rendent hommage à la sage décision prise par les dirigeants de la Mauritanie sous la direction de Son Excellence le Président Croyant, le Colonel Muawia Ould Sidi Ahmed Taïa' en vue de l'adhésion des Ouléma de la Mauritanie à cette Rabita.
- Expriment leur estime pour la participation importante et bénéfique de la délégation mauritanienne sous la présidence de l'éminent Alem M^r. Mohammed Salim Ould Adoud, Ministre de la Culture et de l'Orientation islamique et formulent leur espoir de voir les éminents Ouléma de la Mauritanie contribuer par leurs énergies, et leurs connaissances aux efforts de leurs frères du Maroc et du Sénégal afin que les Ouléma de ces trois pays œuvrent ensemble pour promouvoir l'action islamique aussi bien à l'intérieur qu'à l'extérieur de l'Afrique.
- Prennent acte en toute fierté de l'adhésion des Ouléma de la mauritanie à la Rabita des Ouléma du Maroc et du Sénégal.
- Implorent Dieu pour prêter à son Excellence le Président Mauritanien aide et assistance dans ses grandes responsabilités.
- Rendent hommage au désir des Ouléma du Tchad, de la Gambie, du Nigéria et de la Guinée d'adhérer à la Rabita ainsi que pour leur participation active et efficace.

Dakar le 15 Joumada II 1408
Correspondant au 4 Février 1988.

Texte du Telégramme adressé à son Excellence le Président Abdou Diouf, Président de la République du Sénégal.

Les participants à la première conférence de la Rabita des Ouléma du Maroc et du Sénégal tenue à Dakar, capitale du grand Etat du Sénégal, forteresse de l'Islam et cœur vif et ardent de l'Afrique Occidentale ont l'insigne honneur d'exprimer à Votre Excellence et à votre frère S.M. le Roi Hassan II. Souverain du Royaume du Maroc leur estime sincère et leur gratitude profonde pour la haute sollicitude que avez accordée aux Ouléma en vue de couronner de succès leur action fructueuse qui a contribué à raffermir les miens et à renouveller la volonté d'agir dans le droit chemin avec patience et persévérence en faveur de la Daawa par la sagesse et la belle exhortation tel qu'il ressort des paroles de Dieu le Très Haut : **« Vous êtes la meilleure communauté qui eût été suscitée parmi les hommes ? Vous prescrivez ce qui est bon et convenable vous interdisez ce qui est blâmable. Vous croyez en Dieu ».**

Fiers des actions nobles et bénéfiques que Votre Excellence entreprend pour servir l'Islam, du grand intérêt que vous portez à la gloire liée à son patrimoine, à sa terre et à ses adeptes ainsi que de l'enthousiasme et la foi dont vous faites preuve pour soutenir sa cause dans les instances internationales les Ouléma des deux pays frères adhérants à Votre Rabita ambitieuse qui pourra par la grâce de Dieu, s'étendre à toute l'Afrique et à l'ensemble du monde islamique, s'engagent envers Votre Excellence à poursuivre l'accomplissement de la mission sacrée de l'Islam par la sagesse et la parole sincère tout en espérant que Dieu leur accordera très prochainement la bénédiction promise à ses serviteurs tel qu'il ressort des paroles divines : « O Croyants ! Si vous soutenez Dieu, il vous aidera et raffermira vos pas ».

Cette promesse est faite aux croyants qui ont tenu leurs engagements envers Dieu qui honore toujours ses promesses ».

Puisse t-il bénir votre action, réaliser l'espoir des musulmans et vous récompenser pour l'Islam.

Dieu dit dans son Livre Sacré : **« Dieu défend qui le soutient. Dieu est toute force et toute gloire ».**

Dakar, le 15 Joumada II 1408
Correspondant au 4 Février 1988.

Texte du télégramme adressé à Amir Al-Mouminine S.M. le Roi Hassan II (Puisse Dieu le préserver)

Sire, Amir-Al Mouminine,

Croyant fermement aux prescriptions de la loi divine qui recommandent la soumission et l'obéissance aux hommes a qui Dieu a confié les affaires des musulmans, qui n'épargnent aucun effort pour défendre l'Islam et sauvegarder la dignité et les institutions sacrées des musulmans et qui se font un devoir de consolider les bases fondamentales de la loi et de la religion.

Attachés à la mise en application des paroles de l'Envoyé de Dieu – Paix et Salut lui soient accordés : « Récompensez ceux qui vous font profiter d'une action bonne et convenable ».

Rassurés de la conviction des Ouléma des deux pays pour les efforts inlassables que votre Auguste Majesté ne cesse de déployer pour le bien de l'Islam et la résurrection de ses gloires en matière de dogme, de charia, de culture d'histoire et de civilisation, efforts qui témoignent à juste titre de votre représentation de la conscience de la Oumma dont vous exprimez les aspirations et vous traduisez les vœux et les sentiments.

Les participants à la première conférence de la Rabita des Ouléma du Maroc et du Sénégal tenue à Dakar, capitale islamique du Sénégal sous le haut patronage de votre Majesté ont l'insigne honneur de vous exprimer leur profond sentiment d'être redevables envers Votre Majesté ainsi qu'envers votre frère son Excellence le Président Abdou Diouf, Président de la République Islamique du Sénégal pour les efforts dignes d'éloges que Vous ne cessez de déployer en vue d'assurer à la science et aux Ouléma honneur et dignité ainsi que pour la haute sollicitude que vous avez accordé à leur conférence, sachant que grâce à vos directions islamiques, ils ont pu se réunir sur cette partie bénie du territoire de l'Islam. Fermes et décidés, ils ont procédé à l'examen de la situation des musulmans et des questions concernant la Daawa en vue de rechercher la meilleure voie pour en propager les principes et les régles et œuvrer dans l'intérêt de l'Islam conformément à la conduite de notre Prophète et de ses vénérables compagnons et dans le but de se diriger sur le bon chemin grâce à la volonté de Dieu.

Sire,

Les participants à la Conférence s'engagent envers Votre Majesté à poursuivre leur marche régulière dans le domaine de la recherche islamique et à consentir tous les sacrifices pour la cause de Dieu par la sagesse et la belle exhortation en vue de défendre l'existence morale de la Oumma espérant que Dieu assurera à ses serviteurs gloire, dignité et honneur.

Puisse Dieu couronner de succès les efforts de Votre Majesté. Vous préserver par les sept versets et la Coran et vous combler en la personne de S.A.R. le Prince Hériter Sidi Mohammed et son jeune frère Moulay Rachid semblables à deux branches d'un excellent arbre dont la racine est solide, le rameau dans le ciel et les fruits abondent en toute saison par la permission de son Seigneur.

Dakar, le 15 Joumada II 1408
Correspondant au 4 Février 1988

programme bien étudié qui lui permettra de poursuivre sa marche avec sagesse et clairvoyance et de réaliser convenablement les objectifs qui lui sont assignés.

Pour ce faire, elle doit favoriser d'avantage l'échange de visites entre les Ouléma et les Cheïkh des deux pays par l'animation de causeries dans les plus grandes mosquées, l'organisation de conférences et de séminaires au sein des facultés et des Universités et la création d'un institut islamique à Dakar disposant de tous les moyens d'éducation en vue de former les Ouléma chargés du ralliement au culte de Dieu, de produire d'éditer et de publier des ouvrages appropriés. La traduction de ces ouvrages dans d'autres langues contribuera à jeter les lumières sur l'islam et à le faire parvenir aux gens selon des procédés clairs et simplifiés. Il est également nécessaire d'introduire la matière destinée à combattre les prétentions contraires à l'Islam dans les programmes des études islamiques aux différentes facultés.

c) La création de colonies de vacances islamiques pour la jeunesse au Maroc et au Sénégal.

6) La conférence rend hommage aux efforts inlassables et soutenus déployés par le Ministère des Habous sous la direction du Dr. Abdelkébir Alaoui M'Daghri qui ne cesse d'accorder toute sa sollicitude à la Rabita tant sur le plan matériel que sur le plan moral. Il se fait un devoir de l'encourager à accomplir sa mission pour répondre aux vœux de son fondateur et protecteur Amir-Al Mouminine le Roi Hassan II. La conférence exprime à la Rabita sa gratitude pour les efforts déployés par son bureau notamment Moylay Mustapha Alaoui et le Secrétaire Général Cheïch Ibrahim Job et pour les actions bénéfiques qu'elle a réalisées depuis sa constitution. Elle l'invite à redoubler l'effort et à intensifier son activité dans le domaine de la sensibilisation afin d'atteindre les buts escomptés et réaliser les espoirs nourris tant au Maroc et au Sénégal que dans d'autres pays Islamiques.

7) La mobilisation des sectes mystiques au service de la Da'awa islamique car celles-ci groupent dans les deux pays une élite d'éminents Ouléma, Cheïch et d'hommes vertueux attachés au Coran, à la Sunna et à la conduite des vénérables ancêtres de la Oumma Islamique en matière d'éducation et d'orientation sur la voie du bien dans le cadre de la crainte de Dieu et du respect dû au prophète (P.S.) et à sa famille.

Compte tenu du rôle historique joué de tout temps par les différentes sectes mystiques dans la propagation de l'Islam et le rayonnement de la religion à travers le continent africain, la conférence :

a) Recommande la mobilisation des Ouléma et Cheïkh appartenant aux sectes mystiques au service du ralliemment au culte de Dieu et de l'Orientation des musulmans sur le chemin droit tel qu'il est tracé et défini par le Coran.

Ils doivent, à cette fin, agir de concert et en collaboration avec la Rabita qui est prête à accueillir tous ceux qui désirent y adhérer dans le cadre d'une Œuvre commune à caractère temporel et spirituel pour le bien des deux pays et du monde islamique en Général.

b) Les Ouléma chargés du ralliement au culte de Dieu doivent faire preuve de respect à l'égard de leurs frères qui se consacrent à la même mission et éviter de leur faire des reproches ou de les sous-estimer conformément aux paroles divines :

« Aidez-vous mutuellement pour la piété et la crainte de Dieu et ne vous aidez-pas pour le pêché et l'agression ». Les bons conseils constituent un vaste domaine pour la réforme et le redressement.

c) Prend acte de la grande sollicitude accordée aux sectes mystiques par S.M. le Roi Hassan II qui leur réserve un respect particulier comme en témoignent l'organisation, pour la première fois, du séminaire des sectes mystiques à la ville de Fès sur la Tariqa Tijania et le message important adressé par le Souverain aux participants à ce séminaire.

d) Enfin, la commission de la Da'awa Islamique invite le bureau de la Rabita aussi bien au Maroc qu'au Sénégal à veiller sur la bonne exécution de toutes les recommandations émises par la conférence.

Paix et Salut soient accordés à l'Envoyé de Dieu.

ration des écoles privées islamiques dans la Rabita ainsi que dans le reste des pays de l'Afrique Occidentale.

2) La nécessité d'accorder un intérêt particulier à la situation matérielle et morale de cette catégorie de personnes qui doivent bénéficier d'une bonne formation islamique et sociale.

Elles doivent posséder des connaissances humaines de nature à leur permettre de s'acquitter convenablement de leur mission, de moderniser leurs procédés de sensibilisation et d'être à même d'affronter les courants destructifs par des actions efficaces et constructives.

Elles doivent également faire preuve d'une bonne moralité et donner le meilleur exemple afin de pouvoir influencer leur Société par leur savoir, leur comportement et parvenir à trouver les solutions adéquates aux problèmes de l'heure.

3) L'opportunité de poursuivre l'adoption du rîte Malikite dans les deux pays et le soin de s'attacher aux ouvrages du Fiqh afférents pour expliquer les prescriptions religieuses et dispenser l'enseignement dans le domaine des cultes et des transactions.

Il est également nécessaire de constituer une commission parmi les hommes du Hadith et du Fikh qui sera chargée d'écrire un livre ayant pour objet de simplifier la référence au rite Malékite sur la base du Coran et de la Sainte tradition en vue d'éviter aux esprits toute confusion sur la doctrine et le dogme.

Il est évident que l'Imam Malik occupe un rang distingué parmi les Imam et les hommes du Fiqh. Agréé par nos vénérables ancêtres, son rîte d'une grande autorité et sert de base à tous les travaux d'interprétation et de déduction relatifs au Coran, à la tradition, à l'unanimité et au syllosisme. Optant également pour les pratiques des habitants de médine, l'utilité indéterminée et la justification ou la non justification des moyens, le rîte Malékite qui s'avère ainsi plus souple et plus conciliant permet de résoudre les problèmes et de trancher les cas d'espèces dans tous les temps et quelles que soient les circonstances. Aussi est-il adopté par la plupart des pays islamiques de l'Orient dont notamment le Maroc et le Sénégal qui ne cessent de le mettre en application et qui en font un patrimoine commun en tant que l'une des leurs constituantes.

Les Oulèma des deux pays frères soutiennent et bénissent l'appel de Amir-Al Mouminine S.M. le Roi Hassan II dans ses différents discours à l'adoption constante du rîte Malékite au Maroc. Ils considèrent cet appel comme une action sage et efficace tendant à conserver l'un des éléments essentiels de sa personnalité et l'une des constituantes de son originalité scientifique.

4) La nécessité de mettre à la disposition des hommes qui rallient au culte de Dieu, tous les moyens d'information écrits et audio-visuels pour leur permettre d'accomplir leur mission dans les deux pays. La Rabita doit faire paraître une revue dont les articles seront produits par les Ouléma dans les langues arabe, française, anglaise et espagnole. Considérant leur importance dans le domaine de la sensibilisation et de l'Orientation, les mass-média doivent porter un intérêt particulier à la daawa ainsi qu'à la pensée et à la Civilisation islamique en vue d'éduquer la jeunesse et l'inciter à s'attacher au dogme, à la loi et aux vertus de l'Islam. Il doit même être fait recours aux cassettes-vidéo enregistrées et aux publications traitant des sujets islamiques vitaux.

5) L'Obligation d'apporter toute aide et tout soutien à la Rabita pour lui permettre de s'acquitter pleinement de sa mission islamique.

En effet, cette Rabita a été constituée dans la crainte révérentielle de Dieu pour servir l'Islam et les Musulmans tant au Maroc et au Sénégal que dans d'autres pays africains et islamiques. Elle groupe dans son sein une élite d'éminents Ouléma et Cheïkh des deux pays. Elle s'assigne pour premier objectif d'approfondir le savoir des musulmans en matière de religion et de combattre les courants et les idéologies contraires à l'Islam.

La Conférence considère la Rabita comme le cadre pratique susceptible de favoriser l'accomplissement de sa mission et la réalisation des objectifs pour lesquels elle a été constituée.

Elle émet à cet effet les recommandations suivantes :

a) L'accord d'un soutien matériel et moral plus important à la Rabita qui doit disposer de moyens susceptibles de lui garantir le succès et la réalisation de ses nobles objectifs, par la création d'un fonds spécial à la Da'awa.

b) La Rabita doit mettre en application les recommandations émises par la conférence selon un

Recommandations de la Commission de la Daawa Islamique issue de la première conférence de la Rabita des Ouléma du Sénégal tenue à Dakar les 13, 14 et 15 Joumada II 1408 (2, 3 et 4 Février 1988)

Convaincue que le ralliement au culte de Dieu (Da'awa) et l'attachement à sa voie droite constituent l'un des principes essentiels de l'Islam et l'une de ses bases fondamentales et éternelles et s'inscrivent dans le cadre de la responsabilité religieuse et de la mission scientifique des Oulèma en tant qu'héritiers des prophètes chargés de défendre la religion et de la mettre à l'abri de toute altération et de toute mauvaise interprétation.

Pour que la Daawa islamique parvienne aux cœurs, produise d'heureux effets et permettre la réalisation des objectifs escomptés, les Ouléma sont tenue de s'attacher à la méthode tracée par le Coran sacré et suivre par l'Envoyé de Dieu (P.S.) ainsi que par nos ancêtres vertueux parmi les vénérables compagnons.

Cette méthode a pour objet d'instruire les hommes, de les orienter et de les rallier au culte de Dieu par la sagesse, la belle exhortation, la modération et l'annonce de bonnes nouvelles dans le cadre exclusif de la Chariâa islamique conformément aux prescriptions divines : « Appelle les hommes dans le chemin de ton Seigneur par la sagesse et la belle exhortation, discute avec eux de la meilleure manière », et aux paroles de l'Envoyé de Dieu (P.S.) : « sois doux et modéré, annonce toujours de bonnes nouvelles, car si tu parviens à diriger un seul homme sur le bon chemin tu auras fait une admirable chose »...

Considérant que, pour accomplir pleinement leur mission pour pouvoir faire face aux courants destructifs, rétablir l'ordre des choses et diriger sur le chemin de l'Islam, les Ouléma qui rallient au culte de Dieu doivent avoir une parfaite connaissance des prescriptions de l'Islam, de ses secrets et de ses objectifs, être éclairés sur la situation de la société et posséder une culture moderne dans le domaine des sciences humaines et sociales. Ils sont tenus de faire preuve de droiture aussi bien dans leurs paroles que dans leurs actes pour pouvoir donner à la société un exemple conforme à la conduite du Prophète (P.S.) tel qu'il ressort des paroles de Dieu le Très Haut : "Le Prophète de Dieu est le plus bel exemple qui soit pour qui espère en Dieu et dans le jour du jugement dernier"

Considérant qu'il est nécessaire d'adopter, pour l'enseignement et l'orientation des gens, un système ou une doctrine déterminée susceptible d'élairer le chemin, de faciliter la conception afin d'éviter tout trouble dans les esprits et tous propos pouvant aboutir à des divergences ou des contradictions.

La comission de la Da'awa islamique issue de la Première conférence de la Rabita a émis les recommandations suivantes :

1) L'obligation pour les prédicateurs qui rallient au culte de Dieu et incitent à l'attachement au coran, à la sainte tradition et à la conduite de nos vénérables ancêtres, d'agir dans le cadre de la sagesse et de la belle exhortation, d'être modérés dans leur discussion, de donner des exemples basés sur les récits et les enseignements d'une autorité bien établie, d'éclairer la jeunesse sur la conduite des compagnons du Prophète (P.S.), notamment les califs orthodoxes et d'œuvrer pour l'élaboration d'un texte législatif pour la restau-

bibliothèques générales dans le but de conserver le patrimoine et de les mettre à la disposition des hommes d'étude et de recherche et d'en réaliser l'édition au profit des intellectuels.

2°) La nécessité de porter intérêt aux autres aspects de la civilisation islamique dans les deux pays et de veiller à leur conservation en tant que Patrimoine de la civisation islamique.

3°) Le besoin d'œuvrer en vue de la création, d'une cellule pour la recherche scientifique, qui sera composée d'Ouléma des deux pays et chargée de faire des recherches sur le patrimoine, d'orienter les étudiants dans les vérifications d'ouvrages scientifiques et d'effectuer des études sur les centres, les Zaouïa et les personnalités éminentes dans les deux pays et d'autres pays de l'Afrique.



La commission exprime sa satisfaction pour le projet de réhabilitation de l'université de Zitouna dans le Cadre de l'approfondissement du la culture islamique.

3°) Le renforcement des programmes de la langue arabe au cours de toutes les étapes scolaires en raison du fait qu'elle est la langue du Coran et de la Sunna et qu'elle constitue le moyen nécessaire pour étudier les sciences islamiques, pouvoir les bien comprendre et en saisir la portée exacte et leur conférer un caractère purement islamique.

4°) L'obligation de porter un intérêt particulier à l'enseignement de la fille et de la femme musulmanes en vue de les sortir des ténèbres de l'analphabétisme par une instruction islamique et une culture sociale de nature à leur permettre de s'acquitter de la mission d'éducation qui incombe à la famille. La femme qui représente la moitié de la société et qui jouit des mêmes droits que l'homme est la première école de l'enfant.

5°) L'élaboration d'un plan détaillé pour l'échange de professeurs, d'étudiants, de programmes d'étude, d'ouvrages scolaires, d'expérience scientifique et d'enregistrement de programmes islamiques télévisés pour faciliter la compréhension des principes islamiques dans le domaine de l'enseignement des prescriptions et de la morale de l'Islam ainsi que l'étude de la langue arabe.

6°) La nécessité de coordonner les efforts dans le domaine du rapprochement des programmes d'études afin que l'enseignement puisse constituer dans les deux pays un moyen de former la personnalité islamique dans les deux pays.

7°) L'opportunité d'élaborer le livre islamique relatif à l'orientation en matière de dogme et de cultes religieux dans les plus importantes langues européennes en faveur des musulmans qui ne connaissent que ces langues.

8°) L'édition d'une revue périodique où seront insérés les recherches et les articles rédigés par les Ouléma de la Rabita ou autres Ouléma musulmans dans les domaines de la Da'awa islamique et de la lutte contre les fausses prétentions et l'invasion de la pensée dont les pays islamiques font l'objet.

B) En matière d'affaires sociales :

1°) La nécessité d'œuvrer pour la Coopération et l'échange entre les deux pays frères dans le cadre de l'action islamique ainsi qu'entre organismes et établissements à caractère sanitaire et médical dans le domaine de l'assistance et des expériences sanitaires et sociales conformément aux principes de l'Islam en matière de bienfaisance.

2°) L'organisation de colonies de vacances islamiques qui permettent aux jeunes des deux pays de se réunir et de se connaître dans une ambiance islamique et qui favorisent la compréhension et l'entretien des liens de fraternité islamique au niveau de la jeunesse.

3°) La création d'un corps de Scoutisme islamique et d'un groupe de bienfaisance relevant de la Rabita pour venir au secours des handicapés et des orphelins et recueillir les libéralités susceptibles de mettre en évidence la solidarité islamique et la bienfaisance sociale en vue de faire face aux secours et aux aides importantes accordées par les organisations de missionnaires dans le but d'attirer les nécessiteux, de les dévier de leur religion et de les inciter à renoncer à leur dogme.

4°) L'obligation d'entreprendre toute action de nature à sauvegarder pour la jeunesse des deux pays, sa religion, sa morale, sa santé et sa force et à lui éviter toute débauche et toute dépravation par une sensibilisation appropriée susceptible de la mettre à l'abri de tout mal auquel elle pourra être exposée dans sa religion, son corps et ses biens.

La commission recommande, à cet effet, la lutte contre ces fléaux avant qu'ils ne s'étendent à toutes les sociétés islamiques et la mobilisation des mass-média pour l'accomplissement de cette mission islamique essentielle.

5°) La commission réprouve et stigmatise le terrorisme et la violence et recommande d'entreprendre toute action pour en éliminer les causes et les motifs et les combattre par tous les moyens. Elle les considère sur le plan islamique comme des actes visant à corrompre la terre, à porter atteinte à la dignité de l'homme et à destabiliser les bases de la sécurité sociale.

C) En matière de patrimoine de la civilisation :

1°) La résurrection du patrimoine du Maroc et du Sénégal par la recherche de manuscrits scentifiques à caractère islamique dans les deux pays pour les photocopier et en déposer des reproductions aux

Recommandations de la commission des affaires sociales issue de la première conférence de la Rabita des Oulèma du Maroc et du Sénégal tenue à Dakar les 14, 15 et 16 joumada II 1408 (2, 3 et 4 février 1988) sous le haut patronage de Amir-Al- Mouminine Hassan II et la présidence effective de son excellence le Président Abdou Diouf, Président de la République du Sénégal.

Convaincue que toute société saine repose sur des bases morales et des constituantes de civilisation qui lui confèrent un caractère humain et un patrimoine culturel caractérisant sa personnalité et marquant son authenticité et le niveau de sa civilisation.

Considérant que le développement de ces marques distinctives implique que la société jouisse, dans le domaine de l'éducation et de l'orientation, d'une sollicitude de nature à en asseoir l'édifice sur des bases solides susceptibles de lui assurer la continuité, la promotion et la prospérité.

Considérant que les peuples et les sociétés de la communauté islamique jouissent de caractéristiques particulières qui résident dans l'attachement à la religion en tant que loi et civilisation ainsi que dans le soin de conserver et garder le Coran en tant que constitution éternelle de la Oumma islamique et le patrimoine lié à l'histoire et à la civilisation.

Considérant que la qualité de l'enseignement et la bonne éducation de la jeunesse et de la famille compte tenu des dites caractéristiques islamiques constituent la base fondamentale et le point de départ de la formation de la société islamique vertueuse.

Considérant les objectifs et les principes prévus par les status de la Rabita.

Consciente de la nécessité et de l'utilité d'établir des liens de coopération entre le Maroc et le Sénégal dans tous les domaines sociaux qui illustrent le rayonnement des deux pays sur le reste de l'Afrique notamment en matière d'enseignement, d'éducation et de civilisation.

Après intervention de ses honorables membres et examen des questions relevant de leur compétence et de leurs attributions ;

La commission des affaires sociales issue de la première conférence de la Rabita a émis les recommandations suivantes :

A) En matière d'éducation et d'enseignement

1°) La nécessité d'accorder davantage de sollicitude à l'éducation islamique de la jeunesse dans les deux pays par l'élaboration de programmes d'enseignements sains et adéquats qui visent essentiellement à donner plus d'importance aux matières islamiques dans les écoles et instituts et à veiller à l'apprentissage du Coran tant au niveau préparatoire qu'aux autres niveaux et aussi bien dans les cours que dans les examens afin que la jeune génération des deux pays soit initiée aux principes de la religion et exercée à la mettre en application dans les paroles comme dans les actes.

2°) Le renforcement de l'enseignement originel dans les écoles et les instituts islamiques notamment l'Institut Islamique de Dakar qui pourra s'acquitter pleinement de sa mission dans les domaines de l'éducation et de la culture s'il dispose des moyens de Soutien et d'encadrement susceptibles de lui permettre la réalisation de l'objectif pour lequel il a été créé.

13°) La conférence invite les Musulmans où qu'ils soient et en particulier la jeunesse à s'attacher solidement au livre de Dieu et à la Sainte tradition et à œuvrer pour la réalisation d'un éveil islamique conscient et clairvoyant basé sur la sagesse, la douceur, la bonne compréhension de la charia, la modération et l'éloignement des extrêmes aussi bien dans les paroles que dans les actes à l'instar de nos vertueux ancêtres.

En ce qui concerne l'unité territoriale du Royaume du Maroc, la conférence a émis la recommandation suivante relative au Sahara Marocain :

14°) Compte tenu de la haute sollicitude que Amir-Al-Mouminine accorde à la cause de Dieu et de son envoyé sur le territoire de son Royaume.

Considérant la nécessité d'œuvrer par la réalisation des objectifs de l'Islam concernant la sauvegarde des personnes, des biens, de la religion et de la raison

Considérant la situation du soi-disant Polis-Sario qui se détache de la communauté, pour semer le trouble et l'agitation sans tenir aucun compte des prescriptions de Dieu, des recommandations de son Envoyé et de l'obéissance due à Amir-Al-Mouminine

Après examen de l'attitude de ces agitateurs et des prescriptions de la loi divine qui leur sont applicables.

La première conférence de la Rabita des Ouléma du Maroc et du Sénégal tenue à Dakar les 13, 14 et 15 joumada II 1408 (2, 3 et 4 février 1988) a émis les recommandations suivantes :

1°) Stigmatiser l'action et le comportement des agitateurs sus-visés, contraires aux prescriptions de Dieu et à la Sainte tradition du Prophète (P.S).

2°) Affirmer l'unité territoriale du Maroc compte tenu des liens de le Baïa' tels qu'ils sont prescrits par la loi islamique et des principes de la liberté, de la justice et de l'unité prévus par les lois internationales.

3°) L'appel de ce groupe à s'en remettre aux commandements de Dieu et de son Envoyé tel qu'il ressort des paroles divines : « sauf ceux qui se sont repentis avant que vous n'en triomphez. Dieu est toute Clémence et toute miséricorde».

Grâce à la clémence de Amir-Al-Mouminine S. M. le Roi Hassan II inspirée de la vertu de son ancêtre le Prophète élu (P.S), les dits agitateurs ne seront pas passibles de la peine prévue par les paroles divines : **«ceux qui combattent Dieu et son Envoyé et commettent la corruption sur la terre doivent être tués, crucifiés, mutilés de leurs membres ou exilés»**. ou par les paroles du Prophète (P.S) : «à ceux qui nous combattent par des armes ne font pas partie de nous».

rager le séparatisme et à affaiblir la force et la sécurité des pays islamiques.

3°) La conférence considère la cause palestinienne comme la cause qui préoccupe les Musulmans et qui nécessite d'entreprendre toute action susceptible de permettre au peuple palestinien, sous la direction de l'O.L.P. en tant que son seul représentant légal d'accéder à ses droits légitimes et de vivre en toute liberté sur son territoire. De même, il est du devoir de tous les Musulmans d'œuvrer pour libérer Al-Qods et délivrer la Mosquée Al-Aqsa.

La conférence rend hommage au peuple palestinien désarmé dans son soulèvement contre l'occupation sioniste. Tous les sacrifices doivent être consentis pour appuyer et renforcer ce soulèvement.

4°) La conférence rend hommage aux efforts inlassables déployés par le comité Al-Qods sous la haute présidence de S.M. le Roi Hassan II.

Les démarches entreprises par ce comité ont donné des résultats si satisfaisants que les Musulmans y mettent tout leur espoir pour le triomphe de la cause palestinienne dans un proche avenir et grâce à la volonté de Dieu.

5°) La conférence soutient la lutte islamique engagée par le peuple Afghan contre l'occupation étrangère et recommande de prêter à ce peuple l'aide matérielle et morale susceptible de lui permettre de récuperer son territoire pour y vivre en toute liberté et dans la quiétude et la paix.

6°) La conférence réprouve la guerre qui oppose l'Iran et l'Iraq. Cette guerre a fait dans les deux pays, de nombreuses victimes parmi les innocents et a conduit à la perte d'énergies humaines et de potentialités matérielles liées à une civilisation séculaire.

La conférence adresse un appel sincère aux bélligérants et les conjure, par la fraternité religieuse et l'intérêt général des Musulmans, de se référer aux prescriptions de l'Islam et aux principes de la légalité ainsi qu'à la raison et à la conscience. Elle invite les dirigeants du monde islamique et la communauté internationale à œuvrer pour empêcher la continuation de cette guerre destructive entre deux peuples musulmans voisins, arrêter l'effusion du sang et mettre fin à cette tragédie douleureuse. Elle considère la partie intransigeante comme seule responsable de la continuité de cette guere.

7°) La conférence soutient les minorités islamiques et recommande de leur accorder intérêt et sollicitude et de leur prêter l'aide matérielle et morale susceptible de les encourager à s'attacher aux prescriptions de leur religion et à faire face aux pressions dont elles font l'objet pour la seule raison de tenir à leur dogme et d'exercer leurs cultes religieux.

8°) La conférence désapprouve la guerre civile au Liban et invite les parties en cause à s'en remettre à la religion, à la raison et à la conscience afin de réinstaurer la paix dans ce pays arabe. Elle recommande de mettre fin au siège inhumain imposé aux camps palestiniens au Liban.

9°) Compte tenu du principe de solidarité sociale en Islam, la conférence recommande la solidarité avec les pays africains qui souffrent de la sécheresse et invite les états islamiques aisés à leur accorder l'aide susceptible d'alléger le poids de la sécheresse et de les mettre à l'abri de la faim.

10°) La conférence rend hommage aux efforts déployés par la commission des bons offices issue de l'organisation de l'Unité Africaine pour restaurer la paix entre la Libye et le Tchad.

11°) La conférence stigmatise énergiquement les pratiques raciales exercées par le régime de l'Afrique du Sud à l'encontre de ce pays africain militant.

Elle soutient la lutte des musulmans et leur droit légitime à l'auto-détermination en Erythrée et aux Philippines.

Elle invite à assurer pour les persécutés dans plusieurs parties du monde les droits de l'homme garantis par les religions célestes, les lois et les coutumes internationales.

Elle recommande le respect et la liberté de croyance ainsi que la garantie de toutes les libertés publiques y compris celle de l'excercice des cultes religieux.

12°) Considérant le caractère sacré des Lieux Saints de l'Islam à la Mecque et à Médine, la conférence réprouve et stigmatise les actes séditieux qui portent atteinte aux institutions islamiques des lieux sacrés au cours des mois sacrés dans le but de troubler la tranquilité des pélerins à l'intérieur de ce pays serein ou les gens sont conviés à venir de toutes parts pour participer aux bienfaits du pélerinage, invoquer Dieu en un temps déterminé et le remercier de les avoir comblés de sa grâce.

Recommandations de la commission des questions islamiques issue de la première conférence de la Rabita des Ouléma du Maroc et du Sénégal tenue à Dakar les 14, 15 et 16 Joumada II 1408. (2, 3 et 4 Février 1988)

Crâce à la sagesse et la clairvoyance de son président le professeur éminent Mr. Mustapha Sissi, la commission des questions islamiques a pu consacrer trois séances à la discussion constructive et au dialogue fructueux.

Avant d'entamer ses travaux, elle a essayé de déterminer une conception globale des questions et des causes qui préoccupent actuellement les musulmans dans le monde entier. Cette conception logique se refère à un document scientifique illustré pour les interventions des membres qui ont procédé à un dialogue sur des pensées et des opinions à caractère complémentaire pour parvenir à émettre les recommandations objet du rapport suivant :

Compte tenu des prescriptions de l'Islam établissant que la Oumma Islamique est une communauté tel qu'il ressort des paroles divines : « Hommes, vous ne formez qu'une seule communauté. Je suis votre maître. Adorez-moi », et de la tradition de son Envoyé (P.S.). « Les croyants sont semblables aux jalons d'une construction qui s'accrochent les uns aux autres ».

Considérant que le fait que l'Islam conçoit les êtres humains comme issus d'une seule et même origine implique qu'ils entretiennent entre eux des liens de connaissance, d'entente, de paix, de compréhension et de respect.

« O Hommes ! Nous vous avons créés d'un homme et d'une femme. Nous vous avons divisés en races et en tribus avec des caractères distinctifs. Le plus méritant aux yeux de Dieu est celui qui le craint le plus ».

Compte tenu de tous ces principes religieux et de toutes ces données de la réalité islamique.

1°) La conférence incite les dirigeants et les peuples musulmans :

a) A œuvrer pour leur union et le renforcement de leurs rangs et à entreprendre toute action de nature à leur assurer le triomphe de l'ennemi et à entretenir davantage des liens de solidarité de coopération pour le développement et la prospérité de leur société dans le cadre de la dignité et de la gloire promises par Dieu à ses fidèles serviteurs.

b) A instaurer entre eux des relations fondées sur l'amitié et le respect mutuel et à entreprendre toute action pour le rétablissement des liens de fraternité et d'entente entre les pays islamiques sur la base du respect des droits légitimes, de la justice et de l'équité dans le cadre des prescriptions de l'islam. Les organisations islamiques doivent intervenir pour mettre fin aux conflits régionaux par des moyens pacifiques appropriés.

Dans cette optique islamique, la conférence rend hommage à S.M. Le Roi Hassan II pour l'organisation de glorieuse et pacifique marche verte ainsi que pour l'initiative courageuse de proposer un référendum dans le Sahara Moracain récupéré comme une solution pacifique à la tension créée dans cette partie occidentale du continent africain.

2°) La conférence recommande de se dresser contre la création d'entités fantoches destinées à encou-

pays selon un programme approprié et à mobiliser les Oulémas appartenant aux sectes mystiques dans les deux pays au service du ralliement au culte de Dieu.

19) La conférence prend acte de la grande sollicitude accordée aux sectes mystiques sunnites par S.M. le Roi Hassan II qui leur réserve un respect particulier comme en témoignent l'organisation, pour la première fois, du séminaire des sectes mystiques à la ville de Fès sur la Tariqa Tijania et le message important adressé par le Souverain aux participants à ce séminaire.

20) La nécessité de porter plus d'intérêt à l'éducation et à l'enseignement dans les deux pays par le renforcement des matières islamiques et de la langue arabe, l'apprentissage du Coran aux enfants, l'initiation de la femme à une culture islamique de nature à lui permettre d'accomplir sa mission au foyer et au sein de la société. Toute action doit également être entreprise pour instruire la jeunesse sur sa religion et l'associer à l'édification d'une société qui contribue à la sauvegarde du patrimoine islamique dans les deux pays et à la conservation de leur authenticité dans les domaines de la pensée et de la civilisation à travers l'histoire.

21) La Conférence bénit la demande formulée par les représentants des Ouléma de la Mauritanie, de la Gambie, du Tachad et du Nigéria pour l'adhésion à la Rabita en vue de la renforcer et la soutenir.

22) Les participants expriment leur gratitude et leur reconnaissance à son Excellence le Président Abdou Diouf pour l'acceuil chaleureux qu'il leur a réservé, la bienveillance d'avoir assuré la présidence de la séance d'ouverture et le temps précieux qu'il lui a consacré. La bonne organisation dont les travaux de la conférence ont fait l'objet a permis d'aboutir à d'excellents résultats et d'émettre d'importantes recommandations en faveur de la Rabita et de la Daawa islamique dans les deux pays.

23) Les participants expriment également leur gratitude et leur reconnaissance à S.M. le Roi Hassan II pour la haute sollicitude qu'il accorde à la Rabita et l'intérêt particulier qu'il a porté à cette rencontre dont les travaux ont été couronnés de succès.

24) Les participants à la conférence expriment leurs sincères remerciements au gouvernement et au peuple de Sénégal pour les efforts déployés en vue d'assurer le succès à la conférence et lui permettre de réaliser ses nobles objectifs. Les Ouléma marocains remercient leurs frères Ouléma et Cheikhs Sénégalais pour l'hospitalité et l'acceuil qu'ils leur ont réservés. Ils formulent leurs louanges à Dieu le Très Haut qui a, par sa grâce, facilité la tenue de cette importante conférence et la rencontre des Ouléma des deux pays ; sans sa volonté, nous n'aurons pas été ainsi dirigés.

Dieu, le Tout Puissant dit dans son Livre Sacré :

« Qui donc profère une meilleure parole que celui qui invoque Dieu et accomplit une bonne action en disant : oui je suis soumis ».

« Si vous défendez la cause de Dieu, il vous aidera et il affirmera vos pas ».

« Quand même tu aurais dépensé toutes les richesses du monde, tu n'aurais pas réussi une pareille union. Dieu seul peut unir les cœurs. Il est puissant et sage ».

7) La conférence réprouve la guerre qui oppose l'Iran à l'Iraq depuis huit ans. Cette guerre a fait, dans les deux pays, de nombreuses victimes parmi les innocents et a conduit à la perte d'énergies humaines et de potentialités matérielles liées à une civilisation séculaire.

La conférence adresse un appel sincère aux belligérants et les conjure, par la fraternité religieuse et l'intérêt général des Musulmans, de se référer, pour mettre fin à leur conflit, aux prescriptions de l'Islam et aux principe de légalité ainsi qu'à la raison et à la conscience humaine. Elle invite les dirigeants du monde islamique et la communauté internationale à œuvrer pour empêcher la continuation de cette guerre destructive entre deux peuples musulmans voisins, arrêter l'effusion du sang de victimes innocentes et rétablir une paix définitive et permanente.

8) L'opportunité de considérer la cause palestinienne comme la cause première qui préoccupe les Musulmans et qui nécessite d'entreprendre toute action susceptible de permettre au peuple palestinien d'accèder à ses droits légitimes et de vivre en toute liberté sur son territoire. De même, il est du devoir de tous les Musulmans d'œuvrer pour libérer Al-Qods et délivrer la Mosquée Al-Aqsa.

La conférence rend hommage au peuple palestinien et le soutient dans son soulèvement contre l'occupation sioniste. Tous les sacrifices doivent être consentis pour appuyer et renforcer ce soulèvement par tous les moyens possibles.

9) La conférence rend hommage aux efforts inlassables déployés par le comité Al-Qods sous la haute présidence de S.M. le Roi Hassan II. Les démarches entreprises par ce comité ont donné des résultats si satisfaisants que les Musulmans y mettent tout leur espoir pour le triomphe de la cause palestinienne.

10) La conférence stigmatise les agressions perpétrées contre les institutions islamiques des lieux sacrés dans le but de troubler la tranquilité des pélerins à l'intérieur de ce pays serein où les gens sont conviés à venir de toutes parts visiter le temple, participer aux biensfaits du Pélerinage, invoquer Dieu et le remercier pour les avoir comblés de sa grâce.

11) La nécessité de soutenir les minorités islamiques, de leur accorder intérêt et lollicitude et de leur prêter l'aide matérielle et morale susceptible de les encourager à s'attacher aux prescriptions de leur religion et à faire face aux pressions dont elles font l'objet pour la seule raison d'exercer leurs cultes religieux.

12) La conférence réprouve la guerre civile au Liban et invite les parties en cause à s'en remettre à la religion, à la raison et à la conscience afin de réinstaurer la paix dans ce pays arabe qui doit reprendre sa vie normale et poursuivre son activité culturelle et de civilisation.

13) La conférence désapprouve le racisme qu'elle considère comme contraire aux principes de l'Islam qui honore l'homme et estime que tous les êtres humains sont égaux et que le mérite de tout un chacun est fonction de sa crainte de Dieu et de ses bonnes œuvres.

14) La nécessité, pour les Musulmans, de s'attacher au Coran et à la sainte tradition et d'œuvrer pour la réalisation d'un éveil islamique conscient et clairvoyant basé sur la modération, la douceur et la compréhension dans le but d'appeler à l'union á l'instar de nos vénérables ancêtres et agir dans le Cadre de la Daawa par la sagesse et la dissuasion modérée.

15) L'opportunité d'accorder davantage d'intérêt à la situation matérielle et morale de ceux qui rallient au culte de Dieu et auxquels doit être assurée une bonne formation islamique de nature à leur permettre de s'acquitter convenablement de leur mission. pour la sensibilisation, ils doivent user de procédés conformes au Coran et à la Sunna, appler les hommes sur le chemin de Dieu par la sagesse et la belle exhortation et adopter le rite Malikite en tant que l'une des constituantes de la personnalité islamique des deux pays, qui met le peuple à l'abri des divergences en matière en Fiqh.

16) L'accord d'un soutien plus important à la Rabita tant sur le plan matériel que sur le plan moral. Elle doit disposer des moyens susceptibles de lui garantir le succès et la réalisation de ses nobles objectifs.

17) La conférence rend hommage aux efforts inlassables et soutenus déployés par le Ministère des Habous et des Affaires Islamiques du Royaume du Maroc, qui ne cesse d'accorder toute sa sollicitude à la Rabita. Il se fait un devoir de l'encourager à accomplir sa mission pour répondre aux vœux de son fondateur et protecteur Amir-Al-Mouminine S.M. le Roi Hassan II et son frère son Excellence le Président Abdou Diouf qui accordent à la Rabita une sollicitude particulière en vue de lui permettre de servir l'Islam et les Musulmans dans les deux pays ainsi que dans d'autres pays Islamiques.

18) La conférence rend hommage aux actions bénéfiques réalisées par la Rabita depuis sa constitution tant sur le plan matériel que le plan moral.

Elle l'invite à redoubler d'effort, à intensifier son activité en matière de sensibilisation dans les deux

« Aidez-vous mutuellement pour les œuvres, pies et la crainte de Dieu. Ne vous aidez pas pour le pêché et l'agression.

L'Islam conçoit les êtres humaines comme ayant une même origine et devant, de ce fait, être unis par des liens de paix, de compréhension et d'entente afin de pouvoir recourir à la conciliation en cas de différent ou de conflit, car l'homme quelles qu'en soient l'origine et la couleur ne vaut que par la crainte de Dieu et les bonnes œuvres tel qu'il ressort des paroles divines.

« Ô hommes ! Nous vous avons créés d'un homme et d'une femme. Nous vous avons divisés en races et en tribus avec des caractères distinctifs. Le plus méritant aux yeux de Dieu est celui qui le craint le plus ».

Considérant la réalité actuelle des Musulmans et les différends qui les opposent les uns aux autres et qui sont de nature à en réduire la force et à en affaiblir les potentialités humaines, matérielles et morales au profit des ennemis de l'Islam. Les Musulmans doivent se préoccuper de cette réalité douloureuse tel qu'il ressort des paroles du Prophète (P.S) : « Celui qui ne se préoccupe pas de la situation des Musulmans doit être considéré comme n'en faisant pas partie ».

Considérant l'importance de l'attachement aux principes et prescriptions de l'Islam qui incitent à la clémence à la modération, à la fraternité, à la cœxistence, à la tolérance, à l'égalité, à la justice et à d'autres vertus qui font de l'Islam une religion répondant parfaitement aux besoins de l'homme en tout temps et en tout lieu comme en témoignent les paroles divines : « Aujourd'hui, j'ai rendu votre religion parfaite ; j'ai parachevé ma grâce sur vous. J'agrée l'Islam comme étant votre religion ».

Compte tenu de la nécessité d'entreprendre toute action susceptible de renforcer les rangs des Musulmans, de leur assurer honneur et gloire, de les mettre à l'abri de tout malheur et de favoriser leur développement culturel, social, moral et économique afin qu'ils puissent s'acquitter pleinement de la mission islamique éternelle qui en fait une communauté éloignée des extrêmes, une communauté meilleure tel qu'il ressort des paroles divines :

« Vous êtes la meilleure communauté qui eût été suscitée parmi les hommes. Vous prescrivez ce qui est convenable ; vous interdisez ce qui est blâmable. Vous croyez en Dieu ».

« La gloire appartient à Dieu, à son Prophète et aux croyants ».

A la lumière de ces principes islamiques et de ces considérations religieuses et réelles, la première conférence de la Rabita a émis recommandations suivantes :

1) L'invitation des dirigeants et peuples musulmans à œuvrer la main dans la main pour leur union et le renforcement de leurs rangs. Ils doivent entreprendre toute action de nature à favoriser le développement et la prospérité de leur société dans le cadre de la dignité et de la gloire dans tous les domaines.

2) La nécessité d'instaurer entre eux des relations fondées sur l'amitié et le respect mutuel et d'entreprendre de bons offices pour le rétablissement des liens de fraternité et d'entente entre les pays islamiques en conflit sur la base du respect des Droits légitimes, de la justice et de l'équité. Les organisations islamiques et les instances internationales doivent intervenir pour mettre fin aux conflits et aux divergences par des moyens pacifiques appropriés et permettre aux pays islamiques de se pencher sur la mise en valeur de leurs potentialités humaines et matérielles en vue d'assurer leur développement économique et social et accorder leur appui aux autres pays islamiques.

3) L'obligation de se dresser contre la création d'entités fantoches destinées à encourager le séparatisme et à affaiblir la force matérielle et morale des pays islamiques.

4) La conférence rend hommage aux efforts soutenus déployés par les deux dirigeants musulmans : S.M. le Roi Hassan II et son frère Son Excellence le Président Abdou Diouf et les remercie pour l'intérêt qu'ils portent à la solution des problèmes résultant des différends régionaux et des questions Africaines et Islamiques par la sagesse, la clairvoyance et les moyens pacifiques en vue de propager l'Islam dans le continent africain et dans d'autres parties du monde islamique et au sein de la communauté internationale.

5) Dans cette optique islamique, la conférence rend hommage à S.M. le Roi Hassan II pour l'organisation de la glorieuse et pacifique marche verte ainsi que pour l'heureuse initiative de proposer un référendum dans le Sahara Occidental récupéré comme une solution pacifique à la tension créée dans cette partie du continent africain, dont la marocanité est établie à travers l'histoire.

6) Le devoir de soutenir la lutte islamique engagée par le peuple afghan contre l'occupation étrangère et de prêter à ce peuple l'aide matérielle et morale susceptible de lui permettre de récupérer son territoire pour y vivre en toute liberté et dans la quiétude et la sécurité.

Au nom D'Allah, le clément le misiricordieux
paix et salut soient accordés à notre Prophète
sidna Mohammed, à sa famille à tous ses compagnons

Déclaration finale

Sur les directions sages et éclairées des dirigeants des deux pays islamiques le Maroc et le Sénégal, sous le haut patronnage de Amir Al Mouminine S.M. le Roi Hassan II et la présidence effective de son Excellence le Président Abdou Diouf.

Considérant la convication des deux grands Chefs du rôle d'avant-garde que les deux pays frères jouent dans le rayonnement religieux et la civilisation islamique sur tout le territoire de l'Afrique et l'utilité de réaliser leur désir sincère de poursuivre l'exercice de ce rôle positif dicté par l'histoire commune et la réalité géographique des deux pays.

Considérant l'importance de leur heureuse initiative tendant à constituer une Rabita des Ouléma du Maroc et du Sénégal pour servir l'Islam et les Musulmans des deux pays frères et œuvrer en vue de renforcer les liens séculaires qui les unissent tant par le passé et le présent que dans l'avenir afin qu'ils demeurent comme un arbre excellent dont la racine est solide, la rame dans le ciel.

Compte tenu du désir des Oulémas des deux pays de voir leur Rabita contribuer à l'instauration entre les Ouléma du monde islamique d'une coopération fructueuse de nature à améliorer la vie temporelle et spirituelle et à promouvoir la mission d'instruction, d'orientation et de communication tel qu'en témoigne l'ambiance agréable de cette grande rencontre islamique.

Considérant l'accueil favorable que son Excellence le Président Abdou Diouf réserve à cette conférence islamique et sa bienveillance d'assurer la présidence de sa séance d'ouverture.

Dans une ambiance empreinte de l'esprit islamique, des bienfaits de la foi et de l'attachement aux prescriptions et aux principes de la religion ainsi qu'au Livre de Dieu et à la sainte tradition, s'est tenue à la première conférence de la Rabita des Ouléma du Maroc et du Sénégal les 13, 14 et 15 Joumada II 1408 (2,3 et 4 Février 1988) sous le thème :

« Attachez-vous tous fortement au lien de Dieu Ne vous divisez pas ».

Après son ouverture par la récitation du Coran, la séance a été caractérisée par le discours de son Excellence le Président Abdou Diouf aux termes duquel il a rendu hommage à la conférence et souhaité la bienvenue aux participants ainsi que par le discours de Monsieur le Ministre des Habous et des Affaires Islamiques dans lequel il a fait mension des directions éclairées de S.M. le Roi Hassan II. Puisse Dieu l'assister et ceux du Président et du Secrétaire Général de la Rabita.

Puis, l'assistance a entendu les interventions des délégations, les allocutions des Oulémas et Chîkh des deux pays et les rapports financier et moral.

Ensuite, la conférence a constitué quatre commissions :

1) La commission de la Daawa islamique ;
2) La commission des questions islamiques ;
3) La commission des affaires sociales ;
4) La commission de réaction et de l'élaboration de la déclaration finale.

Les commissions ont procédé à l'examen des questions relevant de leurs attributions et à l'échange des points de vue à la lumière des liens entretenus dans le passé, des données actuelles et des horizons de l'avenir aussi bien en ce qui concerne le Maroc qu'en ce qui concerne le Sénégal et le continent africain et compte tenu des principes de l'Islam et de sa conception de la Oumma Islamique en tant qu'une seule et même communauté dont les membres doivent être unis par des liens de solidarité, de consultation, de coopération pour le bien, la piété et tout ce qui est de nature à procurer aux Musulmans le bonheur temporel et spirituel conformément aux paroles de Dieu :

« Les croyants sont amis les uns des autres ; conciliez vos frères ».

tions qui leur sont destinées tel qu'il ressort des paroles divines : « **Nous t'envoyons ce Livre pour expliquer aux hommes ce qui leur a été révélé. Peut-être réfléchiront-ils ?** ». A l'instar du Prophète (P.S), nous devons expliquer et communiquer ce que nous avons hérité afin que nous ne soyons pas dans l'embarras le jour de la résurrection où nous aurons des comptes à rendre.

Honorables Ouléma et Cheikh,

Votre Rabita organise sa première conférence depuis sa constitution pour porter à votre connaissance les actions qu'elle a pu, par la volonté de Dieu, entreprendre pendant cette courte durée en vue de réaliser ses objectifs grâce à vos efforts, à votre sympathie, à votre savoir et à votre conviction de la mission qui incombe à tout savant musulman fortement attaché aux prescriptions de sa religion. Tout Alem peut, s'il le désire, participer à l'action islamique qui s'inscrit dans le cadre des objectifs de la Rabita. Cette Rabita a pour objet essentiel la Daawa islamique et l'orientation des hommes conformément aux paroles divines : « **Appelle les hommes au chemin de ton Seigneur par la sagesse et la belle exhortation** ».

La Rabita a commencé à faire des démarches pour venir en aide à des étudiants marocains, sénégalais et citoyens d'autres pays africains dont le nombre atteint plus de 500 et qui poursuivent leurs études aux écoles et instituts islamiques ouverts dans les différentes villes du Maroc. Elle s'apprête, dans la mesure de ses possibilités matérielles, à entreprendre d'autres initiatives concernant les moyens de communication par voie de la lecture et de l'audition. Elle se propose, par la grâce de Dieu d'organiser des rencontres et des séminaires dans les jours à venir et chaque fois qu'elle aura la possibilité de le faire.

En conclusion, nous remercions tous ceux qui ont encouragé la Rabita par leur présence à la conférence ou par le soutien matériel et moral.

Nous implorons Dieu, le Tout Puissant, de préserver les protecteurs de cette Rabita : Amir Al-Mouminine S.M le Roi Hassan II et son grand ami Son Excellence le Président Abdou Diouf.

Puisse Dieu couronner nos efforts de succès.

par des rapports de fraternité mentionnés dans le Livre de Dieu tel qu'il ressort des versets coraniques suivants :

« Les croyants sont amis les uns des autres »

« O Hommes. Nous vous avons créés d'un homme et d'une femme, Nous vous avons divisés en races et en tribus avec des caractères distinctifs. Le plus méritant aux yeux de Dieu est celui qui le craint le plus ».

Chers frères,

La mission des Ouléma de l'Islam consiste, aujourd'hui, à renforcer les rangs des musulmans et à restaurer l'union dont ils ont fait preuve à travers l'histoire. La société islamique dans le monde entier à toujours été à l'abri de la désunion et de la discorde. Elle n'a connu ces fléaux que lorsque la plupart de ses membres et de ses collectivités ont renoncé aux prescriptions de l'Islam auxquelles s'attachaient les responsables parmi les hommes des générations du passé.

L'Islam prescrit aux fidèles de se comporter comme les jalons d'une construction qui s'accrochent les uns aux autres. Il recommande au musulman d'accorder sa sollicitude à son frère et de ne jamais commettre d'injustice à son égard. Le Coran avertit les croyants de ne point se laisser gagner ou mener par les autres quelles que soient les circonstances. Je crois que cet avertissement est valable pour la situation actuelle des Musulmans. Dieu le Très Haut dit :

« O Croyants ! Si vous écoutez certains adeptes du Livre, ils vous rendront mécréants après que vous avez eu la foi ».

« Et comment pouriez-vous perdre la foi, alors que vous entendez la lecture du Livre, alors que l'Envoyé de Dieu est parmi vous ? Celui qui se refugie en Dieu, celui-là est dans la voie droite. O Croyants ! Craignez Dieu en mesure de sa puissance et ne mourez que musulmans. Restez tous attachés au lien de Dieu et ne vous divisez pas. Reconnaissez les bienfaits de Dieu pour vous, lui qui d'ennemis que vous étiez a fait l'union entre vos cœurs, lui qui, par sa grâce, vous a rendus frères, lui qui, alors que vous étiez au bord du gouffre de l'enfer, vous a mis en un lieu sûr. C'est ainsi que Dieu vous montre ses signes. Peut-être vous maintiendrez-vous dans la voie droite ».

L'attachement au lien de Dieu consiste à mettre en application les prescriptions de son Livre et les recommandations de son Envoyé (P.S) qui, en comparant le Coran à un lien solide, à un chemin droit précise que celui qui suit ce chemin sera récompensé et celui qui s'en écarte sera égaré.

Dieu a prescrit au Prophète (P.S) et aux Croyants :

« Adhère avec force à ce qui t'a été révélé, car tu es dans la bonne voie. Le Coran constitue une règle pour toi et ton peuple. vous aurez des comptes à rendre ».

Chers frères,

Nous devons assumer nos responsabilités dans cette société désunie et divisée et œuvrer pour l'union et l'entente en vue de reconduire les gens sur le chemin droit, le chemin de Dieu à qui appartient tout ce qui est dans les cieux et sur la terre conformément aux paroles divines :

« Puissiez-vous former une communauté dont les membres appellent les hommes au bien, leur ordonnent ce qui est convenable et leur interdisent ce qui est blâmable. Voilà ceux qui seront heureux ».

Comme vous le savez, la situation actuelle des peuples islamiques est caractérisée par les divergences, les conflits et les guerres qui les opposent les uns aux autres tel le cas de l'Iraq et de l'Iran ou qui leur sont imposées par les ennemis de l'Islam tel le cas des minorités Islamiques.

Les Ouléma de l'Islam sont tenus de faire connaître aux hommes et aux responsables de ces peuples le danger qui menace leur situation et les amener à s'en remettre aux prescriptions de Dieu dans son Livre sacré :

« Lorsque deux groupes de croyants se combattent, conciliez-les. Si l'un d'eux se montre intransigeant, tournez-vous contre lui jusqu'à ce qu'il revienne aux commandements de Dieu. S'il revient, conciliez-les avec justice et impartialité. Dieu aime ceux qui sont impartiaux ».

Les Ouléma de l'Islam ne doivent épargner aucun effort pour améliorer la situation des sociétés islamiques dominées par de prétendus savants et penseurs qui ont importé à leurs membres une fausse culture de nature à faire douter la jeunesse de la culture islamique saine et authentique et à l'inciter à s'écarter des vertus héritées de nos vénérables ancêtres. Ces vertus procèdent de la soumission à Dieu et de l'attachement à ses prescriptions depuis l'époque du Prophète (P.S) et de ses compagnons jusqu'au moment où les peuples islamiques ont été envahis par le colonialisme, le colonialisme de la pensée en particulier.

En tant qu'Ouléma, il nous incombe d'assurer une mission que nous avons héritée de par la loi et la nature, à savoir la mission de transmission et de communication. Dieu le Très Haut a prescrit à son Envoyé (P.S) d'expliquer aux hommes les révéla-

Discours de Moulay Mustapha Alaoui
Président de la Rabita des Ouléma du Maroc et du Sénégal

Louange à Dieu, Seigneur des mondes
Paix et salut soient accordés à Notre Prophète Sidna Mohammed, à sa famille et à tous ses compagnons

Excellence, Monsieur le Président Abdou Diouf

Monsieur le Ministre des Habous et des Affaires Islamiques,

Messieurs les Ministres,

Honorables Ouléma,

السلام عليكم ورحمة الله،

Il m'est particulièrement très agréable de donner devant votre auguste assemblée un aperçu sur la Rabita des Ouléma du Maroc et du Sénégal pour la fraternité et la coopération islamique.

Depuis trois ans, cette Rabita a été constituée dans la crainte révérentielle de Dieu sur ordre de Amir Al-Mouminine S.M. le Roi Hassan II – Puisse Dieu le glorifier –, en accord avec son excellence le Président de la République du Sénégal représenté par son Ministre aux Affaires culturelles Mr. Abbdelkader Fal, et ce lors de l'assemblée tenue le 13 Ramadan 1405 (3 Juin 1985) à la salle d'honneur de la Chambre des Représentants du Royaume du Maroc.

La naissance de cette institution scientifique à caractère islamique au sein de la Chambre des Représentants du Maroc et au cours de l'une des nuits du mois béni de Ramadan a une grande signification liée à cet heureux événement d'autant plus que l'initiative de sa constitution émane de Amir Al-Mouminine S.M. le Roi Hassan II. – Puisse Dieu le glorifier –; ce souverain militant qui a hérité de ses vénérables ancêtres les Rois de la dynastie alaouite la responsabilité de défendre l'Islam dans son dogme, dans sa morale et dans ses prescriptions.

Le peuple marocain croyant et fidèle s'est dressé durant des siècles contre le mouvement intensif des croisades.

Honorabe assistance,

Votre institution s'est assigné comme objectifs essentiels :

1) Le ralliement au culte de Dieu (Dâawa) et la propagation de l'Islam conformément aux paroles divines : **« Appelle les hommes dans le chemin de ton seigneur par la sagesse et la belle exhortation et discute avec eux de la meilleure manière ».**

2) Le renforcement des liens de fraternité islamique et d'amitié séculaire qui unissent le peuple marocain aux peuples d'Afrique Occidentale dont notamment celui du Sénégal ainsi que ses éminents Ouléma. Toute action doit être entreprise pour donner un nouveau souffle à ces liens de longue date dans les domaines de la diffusion des sciences islamiques, de la défense des institutions sacrées, du rayonnement de la pensée qui émane de l'Université des Qaraouiynes et dont l'heureux effet s'étend à cette terre bénie ainsi qu'à tous les peuples de l'Afrique Occidentale musulmane.

Depuis l'époque de nos ancêtres vertueux qui s'acquittaient parfaitement de cette obligation sacrée, nous constatons, à travers l'histoire proche et lointaine, que ces liens spirituels et culturels attachés à la civilisation de l'Islam ont toujours produit un effet heureux sur les générations successives unies

MERCREDI
3 FEVRIERE 1988
150 F CFA • 18e ANNEE N° 5.315
FRANCE 6 FF - COTE D'IVOIRE 250 F CFA
GABON 350 F CFA CAMEROUN 300 F CFA
MAURITANIE • BURKINA FASO • MALI 250 F CFA
ZAIRE 250 ZAIRES • ISSN 0850-0703



MAROC-SENEGAL

LES OULÉMAS FACE AUX DÉFIS



Un exemplaire du Saint Coran finement relié a été offert au chef de l'Etat par le ministre marocain des Affaires religieuses.

Le 1er congrès de la Ligue des Oulémas du Maroc et du Sénégal a été ouvert, hier après-midi au Centre international du Commerce extérieur du Sénégal, par le chef de l'Etat. Ce congrès, qui doit se pencher sur les défis auxquels la Umma est confrontée, enregistre la participation de centaines de docteurs de la foi qui font autorité en matière islamique. Les travaux du congrès se poursuivent à partir de ce matin, à l'Institut islamique de Dakar, pour s'achever demain. Cette importante rencontre religieuse est patronnée conjointement par le Roi Hassan II et le président Abdou Diouf. Cette Rabita porteuse d'espoirs compte, parmi ses présidents d'honneur les khalifes généraux Abdoul Aziz Sy et Abdoul Ahad Mbacké. LIRE PAGES 9-10 ET 11)

Puisse Dieu le Tout Puissant, préserver Amir al Mouminine S.M. Hassan II, descendant du Prophète élu et Roi de la dynastie Alaouite ainsi que son frère son excellence le président Abdou Diouf, le cœur vif et ardent du Sénégal et l'espoir de ce peuple en pleine renaissance.

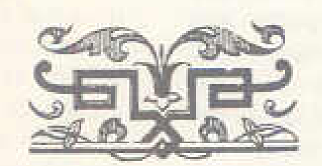
Dieu le très haut dit dans son Livre sacré :

« A ceux qui voient et pratiquent de bonnes œuvres le Miséricordieux accordera sa sollicitude ».

﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾

«والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوتون الزكات ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾

صدق الله العظيم



Nous sommes venus pour annoncer à tous que nous réprouvons la guerre, le terrorisme sous toutes ses formes et la violence quels qu'en soit les causes et les mobiles. Nous désapprouvons le racisme et la discrimination liée à la race, à la couleur ou à la religion.

Nous sommes pour la paix, la sécurité, la stabilité, l'amitié, l'égalité, la démocratie et le respect de la volonté des peuples et de la dignité de l'homme. Nous sommes avec la justice et contre toute injustice et la plus grande injustice que l'homme peut commettre contre soi-même et contre la société et l'humanité consiste à nier que Dieu est le créateur et le maître de cet univers, qu'il a créé l'être humain, qu'il lui procure de quoi vivre, qu'il le dirige dans la voie lui assurant le bien être et que le progrés et la prospérité de l'humanité ne peuvent être réalisés que dans le cadre d'un système équilibré qui tient compte du matériel et du spirituel à la fois et qui veille constamment à l'entretien de ce pacte, de ce lien entre la terre et le ciel, tel qu'il ressort du verset coranique qui est l'emblème de notre conférence : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»

Monsieur le Président,

Pour l'histoire, je rappelle que quand votre frère S.M. le Roi Hassan II m'a ordonné de porter à la connaissance de votre excellence sa proposition relative à la création d'une ligue des oulémas des deux pays, le Maroc et le Sénégal, pour la réalisation des nobles objectifs que j'ai signalé précédemment. Vous m'avez, alors, rassuré de la sollicitude et de l'encouragement qui seront reservés à cette ligue par vous même et votre gouvernement.

Pour l'histoire également, je prends acte de la fidélité de votre excellence à la promesse donnée car vous n'avez refusé aucune demande relative à cette ligue. Au contraire, vous avez toujours fait preuve d'un esprit de noblesse et de responsabilité.

Au Sénégal comme au Maroc, vous et votre frère S.M. le Roi Hassan II, vous suivez de prés l'activité de cette ligue dont vous êtes les fondateurs et pour le succés de laquel vous n'epargniez aucun effort.

Au nom des Oulémas des deux pays frères, j'exprime à votre excellence ainsi qu'à S.M. le Roi Hassan II toute notre reconnaissance et notre gratitude et nous vous promettons par devant Dieu le très haut de poursuivre notre effort avec fidélité et dévouement jusqu'à ce que cette ligue parvienne à réaliser vos chers espoirs.

Monsieur le président,
Honorable assistance,

Le respect de la volonté des peuples est l'un des fondements de tout régime. C'est pour celà que l'Islam préscrit la consultation et Dieu a dit à son Prophète Sidna Mohamed (P.S), à ce propos,

« وشـــاورهم في الامر »

Lorsque la volonté du peuple est conforme à celle de son dirigeant, la démocratie revêt le caractère d'un monologue admirable dans lequel le peuple se consulte tantôt au nom de lui même, tantôt au nom de son dirigeant. Ainsi le peuble et le dirigeant ne font qu'une seule personne et on ne peut distinguer entre eux.

Votre excellence exprime parfaitement la volonté du peuple Sénégalais Musulman et traduit ses espoires, ses aspirations et toutes ses préoccupations. Et vous voilà le représentant dans cette rencontre pour honorer les Oulémas et prendre soin de leur conférence en inaugurant cette rencontre et en assurant personnellement la présidence de l'ouverture de ses travaux malgré vos nombreuses préoccupations et vos grandes responsabilités en plus de votre soin de procurer à cette conférence les moyens d'organisation et d'encadrement nécessaires à sa tenue. Tout celà est un exemple vivant parmi tant d'autres qui prouve que dans ce pays Islamique authentique la volonté du peuple coïncide réellement avec celle du président ; alors félicitations au peuple Sénégalais d'avoir un tel président et félicitations au président d'avoir un peuple connu par son hôspitalité africaine authentique.

Un peuple animé de l'esprit authentique de l'Islam.

Peuple du chapelet.

Le chapelet dont chaque grain représente une philosophie, une histoire, une civilisation et une pensée.

Monsieur le président,

En conclusion, je tiens à transmettre à cette conférence et aux participants la bénédiction de S.M. le Roi Hassan II Amir al Mouminine, protecteur de la religion, puisse Dieu lui prêter aide et assistance, et sa grande satisfaction pour la tenue de cette conférence dans la capitale Dakar ainsi que ses souhaits de succés dans vos travaux, tout en confirmant sont haut patronage à la conférence et aux résultats de vos discussions et consultations et son plein soutien à tous vos efforts.

Discours du Ministre des Habous et des Affaires Islamiques

Excellence, Monsieur le Président
Messieurs les Ministres
Messieurs les Ambassadeurs
Honorables Oulémas
Mesdames, Messieurs,

Sous le Haut patronage de S.M. le Roi Hassan II, puisse Dieu le glorifier et de son frère Son Excellence le Président Abdou Diouf, puisse Dieu le préserver, la ligue des Oulémas du Maroc et du Sénégal tient ajourd'hui sa première conférence dans la crainte révérentielle de Dieu sur cette terre bénie du Sénégal, Pays Islamique de longue date, animé d'une foi authentique inébranlable, passioné pour la science et portant un intérêt particulier aux oulémas héritiers des prophètes, pays noble, beau, hospitalier et attrayant.

Nous avons aujourd'hui un rendez-vous avec l'histoire pour renouveler l'engagement de poursuivre l'œuvre de nos vénérables ancêtres, saluer les liens spirituels et les relations islamiques humaines qui les unissent, réfléchir sur la situation de notre Ouma, nourrir nos espoirs et nos aspirations et prouver à la communauté internationale que, toujours présents, nous sommes au fait de la conjoncture parfaitement mobilisés pour sauvegarder la croyance de cette Ouma, défendre sa pensée et soucieux de la diriger sur la voie de Dieu, de la noble morale et de la civilization fondée sur les prescriptions divines et de la croyance.

Nous, Oulémas des deux pays, nous sommes venus à cette rencontre pour témoigner que nous sommes frères dans l'Islam, frères dans l'Histoire, par le sang, par nos racines africaines et notre lutte commune pour la dignité et la liberté.

Nous sommes venus pour agir la main dans la main en vue de rallier au culte de Dieu par la sagesse et la belle exhortation, de diffuser les principes authentiques de l'Islam aussi bien à l'intérieur qu'à l'extérieur des deux pays frères.

Nous sommes venus pour nous consulter sur le sort de notre jeunesse, comment peut-on lui assurer une éducation islamique saine selon les règles scientifiques dans le but de l'inciter à s'attacher à la bonne morale de l'Islam dans sa conduite et lui prêter une aide sage et une assistance utile pour lui permettre de concilier entre les principes de leur religión et les impératifs de la vie citadine moderne.

Nous sommes venus pour examiner les modalités et les moyens de promouvoir dans les deux pays une renaissance scientifique à caractère islamique et sauvegarder les aspects de la grande civilisation islamiques.

Nous sommes venus pour étudier les moyens de défendre la sunna et fortifier l'édifice de l'Islam Sunnite qui s'expose de nos jours à des attaques, à des complots et à des intrigues.

Nous sommes venus pour proclamer publiquement que la mission des Oulémas de l'Islam consiste à réaliser l'union des musulmans, à renforcer leurs rangs, à rassurer leurs cœurs, à établir des liens d'amitié entre eux, à entretenir des relations d'entente et de tolérance avec leurs frères qui professent d'autres religions, à diffuser l'esprit de coopération et de fraternité entre les êtres humains quelque soit leur race, leur couleur et leur confession et ce, en faveur de l'humanité et de la paix internationale.

Honorables Oulémas,

Qui sait jusqu'où ira ce pontentiel intellectuel en quête ardente de la connaissance de Dieu que vous constituez ? Certes, l'Histoire nous apprend que le Maroc et le Sénégal ont connu, depuis un millénaire, des échanges notamment culturels entretenus et consolidés par les générations qui se sont succédées depuis lors, Mais la volonté de se rapprocher si solidement les uns des autres, que traduisent si éloquemment vos assises, n'avait jamais été aussi nette et aussi forte, créant les conditions les plus favoralbes à votre réussite.

A tous les niveaux des échanges culturels avec le monde islamique, le Maroc a toujours été pour le Sénégal un véritable relais. Pour s'en convaincre, il n'est que de jeter un bref coup d'œil sur les programmes d'enseignement arabo-islamique traditionnel au Sénégal qui, déjà au siècle dernier, étaient très proches de ce qui existait au sein des institutions traditionnelles d'enseignement du Royaume chérifien.

Quel est le Sénégalais de votre génération qui n'a pas étudié, voire mémorisé, le célèbre manuel en vers du grand érudit marocain Ibn Ashir, avec ses trois composantes : théologie ou tawhid, pratiques culturelles ou fiqh et soufisme ou tasawwuf, pour ne citer que cet exemple ?

Je renvoie à la thèse de M. Ravane Mbaye, intitulée : **L'Islam au Sénégal.**

C'est cette voie ainsi tracée qu'ont suivie les illustres Cheikh de notre pays qui ont permis la consolidation de la foi islamique au Sénégal, au prix d'une détermination et d'une abnégation exemplaires.

Cette permanence et cette invitation à la persévérance dans l'effort a fini, en tant que facteur de tout développement, par constituer un fondement solide qui a permis à l'Islam, cinq siècles durant, d'être à l'avant-garde de l'essor intellectuel dans le monde.

Honorables Oulémas,

Votre mission est à la fois exaltante et redoutable

Exaltante parce que s'inscrivant dans la perspective de la consolidation de la fraternité islamique existant entre le Maroc et le Sénégal ainsi que de la promotion des nobles valeurs de l'islam, par une meilleure diffusion des enseignements de cette religion universelle et humaniste qui, aujourd'hui, constitue l'espérance et la voie de salut d'un milliard d'hommes.

Votre mission est **redoutable** parce que vous l'accomplissez dans un monde tiraillé, que des intérêts égoïstes, qui semblent de plus en plus prendre le pas sur les valeurs morales et spirituelles, risquent de précipiter dans le chaos.

Je suis persuadé que, pour vous acquitter des obligations qui vous incombent en tant que Oulémas de la Oumma, vous tiendrez largement compte des leçons du passé. Vous ne manquerez pas ainsi d'aborder, entre autres sujets de réflexion, la nécessaire redynamisation de l'enseignement religieux pour lui permettre de mieux répondre aux interpellations du monde d'aujourd'hui. Vous éviterez ainsi les écueils sur lesquels avaient buté les savants de la période de décadence de la pensée islamique qui s'est étendue sur plus de six siècles allant du XII^ème^ au XIX^ème^ ciècles.

Inutile d'insister sur les causes de l'essouflement, voire de l'asphyxie dont la Culture islamique a été durant toute cette période. Les œuvres de cette période avaient, sauf quelques exceptions, une marque distinctive : le manque de créativité, consécutive à l'absence de l'esprit critique. Cela contraignait les érudits à limiter la contribution qu'ils se devaient d'apporter à la culture islamique à de simples commentaires. Alors qu'au siècle précédent, le XI^ème^ siècle, celui du célèbre savant Imâm Al-Ghazâli, la culture islamique venait d'atteindre son apogée.

Il aura fallu, à l'orée du XIX^ème^ siècle, des hommes nouveaux de votre stature pour permettre ce que l'on appelle « la Renaissance » ou la « Nahda ». A cet égard, les espoirs fondés sur vos assises sont légitimement immenses.

En tout état de cause, vous pouvez compter sur notre soutien. Notre assistance, pour la poursuite de l'œuvre que vous venez d'entreprendre, ne vous fera pas défaut.

C'est sur cette note d'espoir que je me permets de terminer en rendant un vibrant hommage à mon frère et ami Sa Majesté le Roi Hassan II, pour la pleine sollitude dont il vous entoure.

En souhaitant plein succès à vos assises, je déclare ouvert le **Premier Congrès de la ligue des Oulémas du Maroc et du Sénégal.**

Asalamou alaykoum wa rahmatou lahi wa barakatouhou.

unité bâtie sur les enseignements combien sublimes du Coran et de la Sunna.

Cela était dû essentiellement au fait que chacun travaillait en vase clos. Les institutions de formation étaient dépouillées de leur signification, tandis que la notion de shûrà ou consultation entre Olémas, pourtant si fondamentale pour l'Islam, était demeurée lettre morte.

On assiste, dès cet instant tragique, à la création d'écoles, à la naissance de sectes et à leur prolifération, d'où une division en morceaux de la Communauté Islamique. Cela aurait pu conduire à des conflits plus tragiques pour aboutir à un dénouement fatal. Mais Dieu ne l'a pas voulu.

En tout état de cause, la disparition progressive de la rénommée universelle de la Oumma Islamique détentrice du flambeau de la science et de la technologie, des siècles durant, cette disparition, déjà amorcée, devait être précipitée par l'avènement de la colonisation.

Il me paraît ici impératif de souligner qu'à l'origine de cet affaiblissement de la Communauté Musulmane se trouve également une certaine façon de concevoir la science : sa nature et son rôle dans la vie d'un peuple. L'histoire nous apprend qu'une dichotomie intervenue dans la conception du savoir utile a accordé infiniment de considérations à la science des détails au détriment de l'essentiel, les fondements, tout comme des Fuqaha se sont outre mesure appesantis sur des cas d'espèce dans le domaine de la jurisprudence provoquant ainsi une rupture entre l'école et la vie.

Des tentatives louables de sauvetage ont joujours eu lieu. Elles furent ou l'œuvre de souverains ou le fruit de la volonté de savants ayant perçu collectivement ou individuellement la nécessité d'échanger leurs points de vue pour s'acquitter ainsi de l'obligation d'assurer un enseignement clair et orthodoxe des principes de l'Islam.

Sous cet angle, il me plaît de rendre un hommage solennel à mon frère et ami, Sa Majesté le Roi Hassan II, qui a eu l'heureuse initiative de provoquer cette rencontre inédite qui réunit, pour la première fois dans l'Histoire, une centaine d'érudits venant du Maroc et du Sénégal pour approfondir la discussion sur des questions islamiques en vue de parvenir à un rapprochement de leurs vues, voire à une convergence de celles-ci dans le seul intérêt de la Oumma.

Outre cet objectif d'une signification et d'une opportunité qui ne laissent personne indifférent, votre rencontre, chers honorables Olémas, s'inscrit également, et parfaitement bien, dans la volonté des deux peuples et de leurs chefs de consolider les liens d'amité et de fraternité séculaire que l'Histoire a si heureusement et solidement tissés entre les deux pays et que les générations antérieures ont de tous temps cultivés.

Mais ce qu'il convient plus particulièrement de mettre en exergue, c'est que cette belle initiative de Sa Majesté le Roi Hassan II ne représente qu'un secteur de l'attention particulière qu'il ne cesse d'accorder à la science, s'acquittant ainsi, en tant que Amir Al Mouminine, de l'obligation de traduire dans les faits les enseignements de notre Prophète, paix sur lui, et aussi de perpétuer une riche tradition culturelle qui se transmettait de père en fils et dont il est l'un des plus illustres continuateurs. (La célèbre Université d'Al Qarawiyyine, construite en 895 après J.C. à Fez, la prestigieuse cité du savoir, n'est-elle pas la plus ancienne université du monde entier avec celle de bologne ?).

Ainsi, comme tout le monde en témoigne, la contribution substantielle de Sa Majesté au développement scientifique et économique tout comme à la revalorisation et à la revitalisation de la culture et de la civilisation islamique, n'est plus à démontrer. Les exemples les plus éloquants sont :

1°) Dâr al-Hadit al-Hassaniyya.

Cette université, à bien des égards différents des autres, n'a-t-elle pas déjà assuré la formation, dans de multiples disciplines, de spécialistes des questions islamiques avec le grade de Docteurs ?

2°) La Bibliothèque royale qui recèle des manuscrits parmi les plus rares du monde islamique, notamment du Royaume chérifien, ajoute une note particulière aux préoccupations, combien élevées de Sa Majesté, de réaliser la jonction entre le présent et le passé culturel du monde islamique.

3°) L'Académie royale du Maroc, creuset d'hommes de sciences et d'illustres savants tenants de la pensée contemporaine du monde entier, a pour objectif de contribuer au développement économique de notre planète.

Premier congrés de la ligue des Oulèma du Maroc et du Sénégal

Dakar, le 2 Février 1988

Allocution

de son Excellence Monsieur Abdou Diouf, Président de la République du Sénégal

Leurs Eminences les Califes ou leurs Représentants,

Honorabes Oulémas,

L'histoire a su admirablement tisser une longue et solide tradition culturelle, assortie d'un brassage ethnique vieux de plus d'un millénaire entre le Royaume du Maroc et le Sénégal. Cela donne un relief particulier à l'événement qui vous réunit aujourd'hui à Dakar. Un repère historique nous permet de mieux souligner la signification que revêt cette rencontre qui, à n'en point douter, deviendra, elle aussi, historique. C'est à ce tire qu'elle mérite qu'on lui accorde toute son importance.

En effet, en fouillant dans l'histoire de l'Islam, on trouve que le IV^{eme} siècle de l'Hégire (XI^{eme} siècle après J.C.) est considéré par les historiens des sciences comme une étape essentielle dans le développement de la pensée qui, avec l'Islam, a permis l'essor de l'un des mouvements scientifiques les plus dynamique de l'histore. C'est dire que, pour l'Islam, la science occupe une place privilégiée dans la vie de l'homme tant dans ses rapports avec Dieu et avec ses prochains que dans ses relations avec l'environnement.

En effet, sans le savoir, l'homme, le serviteur, ne saurait s'acquitter convenablement de ses obligations culturelles. C'est ainsi que, jetant les bases de la curiosité intellectuelle, en invitant à la réflexion scientifique, l'Islam va jusqu'à conférer à la recherche du savoir le statut d'un devoir religieux.

L'Envoyé d'Allah, notre Prophète Mouhammad, que Dieu répande sur lui le salut et la paix, dit en substance : qui aspire au savoir adore Dieu. Ne disait-il pas, par ailleurs : « Du berceau jusqu'à la tombe, mettez-vous en quête du savoir ?».

Le Prophète Mouhammad ne s'est pas limité seule-seulement à proclamer l'importance du savoir pour ce monde et pour l'Au-delà. Il est allé plus loin lorsqu'il dit : « l'Etude de la science a la valeur du jeûne, tandis que son enseignement revêt l'importance de la prière ». Le développement du potentiel intellectuel et de l'esprit rationnel, qui en résulta et qui fut solidement soutenu par l'idée combien chère à notre Prophète que toute sagesse vient de Dieu et qu'à ce titre il faut l'acquérir d'où qu'elle vienne, en allant même jusqu'en Chine, cette éclosion a permis un patrimoine scientifique d'une valeur inestimable. Et c'est là l'une des principales raisons qui, à l'époque médiévale, avait amené l'Occident à choisir les Musulmans pour maîtres notamment dans le domaine des sciences médicales à la place des Grecs.

C'est dans cette perspective de quête du savoir et de l'élargissement du cercle islamique de fraternité qu'Allah a hautement proclamé dans le Saint Coran : « Les Croyants sont des frères » (Sourate 49, verset 10).

Cependant des divergences d'opinions de toutes sortes ne devaient pas tarder à surgir et à provoquer, fort malheureusement, l'éclatement de la solide

Préface

Du 1er au 3 Février 1988, Dakar, la capitale du Sénégal a abrité la première conférence de la « Rabita des Oulémas du Maroc et du Sénégal pour la fratérnité et la coopération islamiques ». Cette conférence s'est déroulée sous les hauts patronnages de Sa Majesté Hassan II, souverain du royaume du Maroc, et de son Excellence Mr. Abdou Diouf, Président de la République du Sénégal.

Ont assisté à cette grande conférence islamique une pléiade d'oulémas, tant du Maroc que du Sénégal, ainsi que plusieurs personnalités de la région.

En ouverture, un grand discours a été prononcé par le Président Abdou Diouf, précisant les travaux de la conférence ainsi que les objectifs de cette dernière.

Par ailleurs, Mr. AbddelKebir Alaoui Medaghri, ministre marocain des Habous et des Affaires Islamiques, a également pronnoncé un discours au nom du royaume.

Nous présentons, ci-après, le texte intégral des deux discours précités.



